بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

الأزمة السياسية بين الأردن ومصر ودور الإعلام فيها (١٩٥٢-١٩٦١)، دراسة وثائقية إعلامية تاريخية "صوت العرب والإذاعة الأردنية أنموذجاً"

إعداد: صلاح عبد الله محمد العجلوني

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد الجوارنة

٢٠١٤ - ٢٠١٥

الأزمة السياسية بين الأردن ومصر ودور الإعلام فيها (١٩٥٢-١٩٦١)،

دراسة وثائقية إعلامية تاريخية "صوت العرب والإذاعة الأردنية أنموذجاً"

The Political Crisis Between Jordan and Egypt During (1952-1961), According to Arab Voice and Jordan Broadcast, Historical and Documentary and Mass Media Study

إعداد الطالب:

صلاح عبد الله محمد العجلوني

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد الجوارنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة اليرموك

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور أحمد الجوارنة .... مشرفاً ورئيساً

الأستاذ الدكتور هند أبو الشعر .... عضواً

الأستاذ الدكتور محمد الشرعة .... عضواً

الدكتور حاتم العلاونه .... عضواً

الدكتور محمد العناقرة .... عضواً

نوقشت بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٣٠

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك.... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك....

إلى اللذين منحوني رضاهم ودعواتهم

والدي... والدتي

إلى التي لم تبرح حتى أنجزت عملي هذا

إلى زوجتي الغالية

إلى أبنائي الأعزاء

جواد.... شام

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

فبعد أن وفقني الله إلى كتابة هذه الدراسة، أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي العزيز الدكتور أحمد الجوارنة الذي تكرم بالإشراف على رسالتي ومنحني من وقته وجهده، ما أعانني على تجاوز الكثير من العقبات.

كما أتقدم بجزيل الشكر للعاملين في مكتبات جامعة آل البيت، والجامعة الأردنية، واليرموك، والمكتبة الوطنية، وإلى العاملين في أرشيف كلية الصحافة بجامعة اليرموك، وفي مكتبة مجلس النواب، وإلى كافة الأخوة والأصدقاء.

كما وأقدم خالص شكري وتقديري إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل المتواضع.

صلاح العجلوني

المختصرات المستخدمة في الدراسة

المختصرات العربية

ج: جزء

ح.ع.م.: الجمهورية العربية المتحدة.

د ت: دون تاريخ نشر

د ع: دون عدد

دك: دون كاتب

د م: دون مكان نشر

دو: دون عنوان

ص: صفحة

م: مجلد

في الهامش: أنظر

الأهرام: صحيفة الأهرام

الدفاع: صحيفة الدفاع

الدستور :صحيفة الدستور

الرأي: صحيفة الرأي

الراية: صحيفة الراية القطرية

السجل: صحيفة السجل الأسبوعية

الصباح: صحيفة الصباح العراقية

الشرق الأوسط: صحيفة الشرق الأوسط

الشروق: صحيفة الشروق القطرية

العرب اللندنية: صحيفة العرب اللندنية

العرب اليوم: صحيفة العرب اليوم

القدس العربي: صحيفة القدس العربي

اليوم السابع: صحيفة مصرية

المختصرات الإنجليزية

Fo: Foreign office

P R O: Public Record Office.

P: Page

P.P: Page – Page

R.F.A: Ruling Families of Arabia

R.H.D: Royal Hashemite Density

R.J: Record s of Jordan

VOL.: Volume

فهرس المحتويات

الفصل الأول

تأسيس صوت العرب وتأثير دعايتها في الساحة الأردنية ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦

الفصل الثاني

تأزم الوضع الداخلي الأردني عام ١٩٥٧ وتجدد الحملات الدعائية لصوت العرب

الفصل الثالث

الدعاية البينية من قيام الوحدة إلى تأسيس الإذاعة الأردنية ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩

الفصل الرابع

الإذاعة الأردنية والمواجهة الدعائية مع إذاعات ج. ع. م ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

الملخص

العجلوني، صلاح (٢٠١٥)، (الأزمة السياسية بين الأردن ومصر ودور الإعلام فيها (١٩٥٢-١٩٦١)، دراسة وثائقية إعلامية تاريخية" صوت العرب والإذاعة الأردنية أنموذجاً. أطروحة دكتوراة، إشراف الأستاذ الدكتور أحمد الجوارنه)

جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول. بحث الفصل الأول في تأسيس صوت العرب، والعوامل والظروف التي أدت إليه، وتأثيرها على مجرى الأحداث على الساحة الأردنية، وتحديداً على مسار الأحداث عام ١٩٥٥، وتحريك الشارع باتجاه مضاد للنظام، بالإضافة للتطرق إلى خطوات المواجهة التي اتخذها النظام الأردني لمواجهة تأثيرات صوت العرب على الرأي العام، مع ما طرأ من مستجدات خلال ١٩٥٦ أدت لتحسين العلاقات، وبالتالي هدوء الحملات.

أما الفصل الثاني فركز على الوضع الداخلي الأردني عام ١٩٥٧، وتجدد الحملات الدعائية بعد إقالة الملك حسين لحكومة النابلسي، إثر محاولة الزرقاء الانقلابية، وما أنتجته من مناخ أدى لإعطاء دفع قوي للحملات الدعائية البينية بين النظامين الأردني والمصري، ما أدى لازدياد حدة التباعد، في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تعد خطتها العسكرية، حيث كان من ضمن بنودها الوصول إلى جبهة عربية مفتتة، وهو ما ظهر من استغلالها لتلك الحملات وإعادة إنتاجها عبر برامج وتعليقات الإذاعة الإسرائيلية، في ظل فشل محاولات التهدئة.

وفي الفصل الثالث تم تناول الحملات الدعائية الناجمة عن قيام مشروعي الوحدة المصرية السورية، والاتحاد العربي بين الأردن والعراق عام ١٩٥٨، والتي أدت في النهاية لانهيار الاتحاد العربي في ١٩٥٨/٧/١٤، وهو ما جعل الأردن في محيط من الدعايات المضادة

المشتملة على: إذاعات ج.ع.م بشقيها المصري والسوري، يضاف إليها إذاعة بغداد، وهو ما دفعه في النهاية لتقوية قدراته الدعائية بتأسيس إذاعة جديدة عام ١٩٥٩.

الفصل الرابع وتطرق إلى تزايد حدة الحملات الدعائية بين الإذاعة الأردنية، ونظيراتها في ج.ع.م، ومحاولة كل طرف الوصول إلى الرأي العام المقابل، و قاد ذلك إلى اغتيال هزاع المجالي في ٢٩/٨/ ١٩٦٠، وهو ما زاد من تسارع وتيرة الحملات وقوتها، وقد وصلت الذروة بعملية الانفصال السوري المصري يوم ٢٨/٩/١٩٦١، والتي لاقت دعماً دعائياً أردنياً، بعدما عمل النظام الأردني من أجل هذه اللحظة التي شكلت متنفساً له. وأخيراً كانت النتائج التي توصلت إليها.

المقدمة:

شكل بزوغ دعاية إذاعة صوت العرب عام ١٩٥٣، ولادة مصدر دعائي جديد له وزنه وتأثيره على الساحة العربية بشكل عام، والأردن بشكل خاص، إذ استطاعت أن تحقق وجوداً فاعلاً تمثل بقدرتها على تحريك الشارع الأردني،بمسار يتصادم ورغبات النظام الأردني، كما حدث عام ١٩٥٥، والأعوام التالية، وهو ما دفعه لتطوير أدوات المواجهة؛ فكان إنشاء محطة إذاعية جديدة في عمان عام ١٩٥٦ إلى جانب ما ورثته عن الإذاعة الفلسطينية عام ١٩٤٨ وكان مقرها برام الله.ولكنها لم تستطع مجاراة الدعاية المصرية، إذ أن الجانب التقني المرتبط بموضوع قوة البث، والتغطية شكل عائقاً رئيساً، بالإضافة لعوامل أخرى تتعلق بمضامين دعاية إذاعة صوت العرب وشعاراتها الداعية للتحرير،والمقاومة، ومحاربة الاستعمار. لذا، كان الأخذ بأدوات أخرى، أمر لا بد منه، فأعتمد التشويش، ومنع الاستماع إليها، والاستعانة بالإذاعة السرية، وخبرات يونس البحري. غير أن الأحداث أثبتت عدم فاعلية تلك الإجراءات،وهو ما اتضح من دورها المؤثر في انهيار الاتحاد العربي عام ١٩٥٨.

وهنا كان لا بد من انطلاقة أكثر فاعلية للدعاية الإذاعية الأردنية، فتم تأسيس إذاعة جديدة عام ١٩٥٩، كان لها قوة بث استطاعت من خلالها مجاراة الدعاية المصرية، وبالتحديد إذاعة صوت العرب، وأن تكون أكثر قدرة على التأثير، وهو ما أدى لزيادة حدة حملات إذاعة صوت العرب ودعاية الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) بمختلف إذاعاتها الموجهة نحو النظام الأردني، والتي وصلت إلى أوجها باغتيال رئيس الوزراء هزاع المجالي. وهو ما ترتب عليه زيادة حدة الحملات الدعائية المترافقة مع الأعمال العدائية بين الطرفين، حيث قادت في النهاية إلى انهيار الوحدة المصرية السورية، نهاية أيلول ١٩٦١، ومن ثم الدخول في حملات دعائية، عبر محطات زمنية شبه متواصلة،لامست الأيام القلائل قبيل حرب حزيران ١٩٦٧.

ويعود اهتمام الباحث بهذا الموضوع إلى الرغبة بالكتابة عن الدعاية الإذاعية، وما تحويه من حرب نفسية عبر البعد التاريخي، لندرة أو حتى انعدام الدراسات المتخصصة عربياً. يضاف إلى ذلك أن الموضوع بتفاصيله المختلفة، كان له تأثير فعال، وجذري، ومصيري، على مستقبل المنطقة العربية. وقد أسهم توفر الوثائق العربية، والبريطانية بدور مهم في إظهار هذه الدراسة.

حاولت الدراسة أن تجيب عن مجموعة من الأسئلة ومنها ما يأتي:

- ما هو التأثير الذي تركته الإذاعة على مفهوم السيادة، وما يرتبط به من حدود جغرافيـــة، وأثرها على مركزية المعلومة، واحتكار السلطة لها، ومدى سيطرتها على الرأي العـــام، تأثراً وتأثيراً؟
- ما هي العوامل التي أسهمت بتأسيس إذاعة صوت العرب، ومـــاذا عـــن الأدوات التـــي اعتمدتها لتعزيز انتشارها؟.
- هل أثّر الأسلوب النازي بأساليب الدعاية في إذاعة صوت العرب، بشكل خاص، والدعاية العربية بشكل عام؟.
- ما هي التهم الموجهة للإذاعة الأردنية، من قبل إذاعة صوت العرب، والإذاعات الأخرى الحليفة لها؟.
- ما هي العوامل التي أدت للصدام بين الدعايتين الأردنية والمصرية؟.
- هل استطاعت صوت العرب أن تلعب دورا مؤثرا في توجيه الرأي العام الأردني؟.
- ما هي الأساليب التي اعتمدتها السلطات الأردنية لمواجهة دعاية إذاعة صوت العـــرب، وهل استطاعت الحد من مفعولها على الرأي العام الأردني؟.
- ما هو الدور الذي لعبته الإذاعات السرية في الحملات الدعائية في المنطقة العربية؟.

- ما هو الدور الذي لعبته إذاعة صوت العرب، وإذاعات ج.ع.م الأخرى، في انهيار الاتحاد العربي بين الأردن والعراق؟.
- ما هي طبيعة الحملات الدعائية الأردنية، الموجهة ضد الوحدة المصرية السورية،وكيف تعاملت مع حدث الانفصال؟.
- كيف تعاملت الدول الكبرى مع الدعاية المهددة لمصالحها في المنطقة.؟
- ما هو الدور الذي لعبه الغناء والدراما، في الحملات الدعائية، سواءٌ لدفعها قدماً أو لمواجهتها؟.
- ما هو الأثر الذي تركته الحروب الدعائية العربية، على التنسيق، والانسجام العربي بمختلف أنواعه، وبالتحديد العسكري، وهل خدمت أهداف الخطة الاستيراتيجية الإسرائيلية المعدة لحرب ١٩٦٧؟.
- ما هي التأثيرات النفسية، التي تركتها الدعاية البينية المتضادة على الحالة النفسية للزعامات والأنظمة؟.
- هل تم اعتماد الفبركات الدعائية للتأثير على الرأي العام خلال فترة الدراسة؟.
- ما هو طبيعة الدور الذي قام به وصفي التل في إدارة الإذاعة الأردنية، وهل استطاع الوصول بها إلى القدرة على مواجهة دعاية إذاعة صوت العرب، ومثيلاتها في ج.ع.م؟.
- كيف تم توظيف الألفاظ البذيئة، والشتائم، كأداة من أدوات الحرب النفسية، في إطار الحملات الدعائية البينية؟.

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وثبت لقائمة المصادر والمراجع، وقد قسم كل فصل من الفصول إلى عدة أبواب. أما أهم ما تناولته فصول الدراسة فهو كالآتي:-

الفصل الأول: "تأسيس إذاعة صوت العرب وتأثير دعايتها في مجـرى الأحـداث علـى الساحة الأردنية ١٩٥٥-١٩٥٦" و تناولت فيه الثورة المـصرية،وفكرة التـأثير، والانتـشار، والإطار الجغرافي لدعاية إذاعة صوت العرب، والعوامل الجاذبة فيها، و تأثيرها على الساحة الأردنية، وتحديداً في مسألة حلف بغداد.وتناول الفصل، آليات المواجهة التي أخذ بهـا أردنيـا، ودورها المناهض للوجود البريطاني في الأردن. وختم الفصل بالحديث عن الدعاية الأردنيـة، وموقفها الإيجابي من مصر خلال العدوان الثلاثي، والدعاية الغربية السالفة له.

الفصل الثاني: "تأزم الوضع الداخلي الأردني عام ١٩٥٧ وتجدد الحملات الدعائية لإذاعة صوت العرب".ومن خلاله بحثت العوامل الممهدة لتجدد الحملات، وخلافات الملك حسين مـع حكومة سليمان النابلسي، ومن ثم موقف الدعاية المصرية من إقالة الحكومة الأردنية، والـدور الذي قامت به إذاعة صوت العرب على الساحة الأردنية، وما اتخذته السلطات من إجـراءات للحد من فاعلية دعايتها. بالإضافة إلى الدور السوري في الدعاية المناوئة للنظام الأردني، وأتبع ذلك بالحديث عن إسرائيل وحملات الدعاية العربية. وتطرقت للشتائم في الحملات الدعائيـة، وفشل محاولات التهدئة.

الفصل الثالث: "الدعاية البينية منذ قيام ج.ع.م إلى تأسـيس الإذاعـة الأردنيـة ١٩٥٨-١٩٥٩". بدء هذا الفصل بتمهيد تلاه تناولٌ للعوامل المثيرة لدعاية ج.ع.م إزاء الاتحاد العربي بين الأردن والعراق،والدعايات المتبادلة بين طرفي مشروع الاتحاد والوحدة، والدور الأمريكي بمهاجمة الوحدة عبر دعاية الاتحاد، والدعاية الأجنبية ودورها في تصعيد الحملات الدعائيـة، ومن ثم فشل محاولات التهدئة، وانهيار الاتحاد. والتدخل الدولي لوضع حد للحملات البينية بين الأردن و ج.ع.م، وبعد ذلك التحول السلبي الذي طرأ علـى دعايـة ج.ع.م. تجـاه العـراق

الجمهوري وأثره في تخفيف حدة الحملات الدعائية الموجهة من إذاعة صوت العرب، وغيرها من الإذاعات في دولة الوحدة. وفي النهاية تناولت موضوع تأسيس الإذاعة الأردنية.

الفصل الرابع: "الإذاعة الأردنية والمواجهة الدعائية مع ج.ع.م. ١٩٦٠-١٩٦١". تضمن هذا الفصل مجموعة من المحاور وهي: دعاية ج.ع.م،وموقفها من الإذاعة الأردنية، ودور الإذاعة الأردنية في إطار الدعاية الإقليمية والدولية المناوئة لدولة الوحدة، ومضامين الدعاية المعتمدة فيها، ومحاولات إسكاتها، وحملات إذاعة صوت لعرب ضد موظفيها، ودعاية ج.ع.م وأساليب تعاملها مع الدعاية المضادة، وسعيها لتركيب صورة دعائية مشوهة للنظام الأردني، ودورها في اغتيال رئيس الوزراء هزاع المجالي، وتأثير دعايتها التالية لذلك على نفسية الملك حسين، وأخيراً الإذاعة الأردنية وحدث الانفصال.وفي نهاية الدراسة خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

تحليل لأهم مصادر البحث والدراسات السابقة:

اعتمدت الدراسة على حزمة من الوثائق، لعل من أهمها وثائق الرصد الإذاعي -غير المنشورة- للإذاعة الأردنية في الفترة الممتدة بين ١٩٥٩-١٩٦٠، وقد بدأت بالظهور مع تأسيس قسم الرصد الإذاعي في الإذاعة عام ١٩٥٩، واحتوت على ما كان يقوم برصده من مواد برامجية وإخبارية للإذاعات الإقليمية، والعالمية، والسرية ونجد فيها رصداً لإذاعات صوت العرب، والقاهرة، ودمشق، وحلب، وإسرائيل، وبغداد، ولندن، وإذاعة صوت الأحرار السرية الموجهة نحو مصر، بالإضافة لتوثيق بعض مما كانت تقدمه الإذاعة الأردنية.

وفرت تلك الوثائق تفصيلات دقيقة عن الأحداث الواقعة بين ١٩٥٩-١٩٦٠، وعن الأحداث السابقة لتلك السنوات أيضاً، وبخاصة ما كان يظهر من خلال برامج الإذاعة الإسرائيلية، إذ أنها كثيراً ما كانت تقوم ببث تسجيلات لبرامج وتعليقات، وأخبار، ومقالات

لإذاعات وصحف عربية من سنوات سابقة، كانت تستعين بها، في سعيها المستمر لتدوير الخلافات العربية، وإعادة إنتاجها بصور مختلفة.

ولمزيد من التوضيح، فتلك الوثائق هي توثيق لما كانت تقدمه الإذاعات السالفة،حيث كانت تَصدر على شكل نشرات يومية، لتوزيعها على كبار المسئولين في الدولة، وقد تم تجميعها في مجلدات أعطيت أرقاماً متسلسلة، ويوجد جزء منها في جامعة آل البيت، وهي التي تم الاعتماد عليها بشكل كبير، ولكن الجزء الأكبر من تلك المجلدات موجودة في المكتبة الوطنية، وتم تصوير بعض الوثائق من تلك المجلدات،وتم استخدامها في الدراسة، ووثقت دون استخدام رقم المجلد وذلك نتيجة لقيام إدارة المكتبة الوطنية بوضعها في غرفة خاصة، وعدم السماح بالاطلاع عليها لإكمال التوثيق بحجه احتوائها على معلومات رأت أنه من الأفضل أن لا تنشر.

ولعل أبرز ما في تلك الوثائق، أنها أسهمت بتقديم صور متعددة للحملات الدعائية لإذاعة صوت العرب، من خلال برامجها، وتعليقاتها، ونشرات أخبارها، وتحديدا ما كان يقدمه أحمد سعيد بأسلوبه القائم على السباب والشتم، واستخدام الألفاظ البذيئة، والتهديد بالقتل، والدعوة للثورة.كما قدمت وثائق الرصد المسجلة لمضامين الإذاعة الإسرائيلية، فكرة عن الأسلوب الذي تعاملت به الدعاية الإسرائيلية مع الحملات الدعائية العربية، وكيف عملت على تسخيرها في حربها النفسية المستهدفة للرأي العام العربي، وذلك من خلال تكريس الفكرة القائلة: بتشتت الصف العربي، وانقسامه واستحالة توحده.

أما الصعوبات التي واجهتها في استخدام وثائق الرصد الإذاعي،فتمثلت بعدم وضوح الخط أحيانا، حيث أنها كتبت على الآلة الكاتبة، وعلى ورق رقيق، وربما أسهم سوء الحفظ الذي أدى لتراكم كميات كبيرة من الغبار إلى التأثير أيضا على شكل الحروف، والكلمات،مما تطلب جهداً، وتدقيقاً للوصول للمعنى الحقيقي لبعض الكلمات والجمل، وأحياناً الفقرات.

الأرشيف الإلكتروني للرئيس جمال عبد الناصر، و قـد أسـس بالتعـاون بـين مكتبـة الإسكندرية، ومؤسسة جمال عبد الناصر، ويتضمن كماً كبيراً من الوثائق الرقمية، والمقـروءة، والمسموعة، والمرئية، ويمكن الوصول إليه مـن خـلال (Nasser.bibalex.org). ويحـوي الموقع على خطاباته مكتوبة، ومرئية، ومقابلاته الصحفية، بالإضافة إلى أرشيف صور، وأفلام تسجيلية. ويحوي أيضاً آلاف الوثائق المصرية، والبريطانية، والأمريكية المتخصصـة بتـاريخ مصر، وفترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر. وأرشيفاً للصحف يتضمن مقالات محمد حـسنين هيكل، التي كان يكتبها تحت زاوية " بصراحة " في صحيفة أخبار اليوم، ومن ثم في صـحيفة الأهرام. كما يتضمن بنداً للصحف الأجنبية والعربية.

واقتصرت المادة المستخدمة من ذلك الأرشيف على خطابات الرئيس جمال عبد الناصر، ومقابلاته الصحفية، ومقالات محمد حسنين هيكل، وهو ما ساعد بتوفير كم كبير من المعلومات المتعلقة بمفاصل الدراسة، وتحديداً المرتبطة بالحملات الدعائية مع النظام الأردني. فمن خلالها كانت تنطلق على الأغلب الحملات الدعائية، ومن خلالها أيضا،كانت تخرج ردود الفعل علـى الدعاية المضادة للنظام المصري.

خطابات الملك حسين بن طلال: تقع في إطار المؤلَف المعنـون بـ " ٢٥ عامـاً مـن التاريخ، مجموعة خطب الملك الحسين بن طلال ١٩٥٢-١٩٧٧" و قام بجمعها د.علي محافظة، وتم نشرها في ثلاثة مجلدات بواسطة شركة مطاوع للنشر في لندن، وتحتوي على الخطابات التي ألقاها الملك حسين خلال مناسبات محلية وعربية وإقليمية. وتتوزع الفترات الزمنية على الأجزاء الثلاثة كما يلي:ج١(١٩٥٢-١٩٦٢)،ج٢(١٩٦٢- ١٩٦٧)،ج٣(١٩٦٧_١٩٧٧)، وقد كان الاعتماد الرئيسي للدراسة على الجزء الأول منها.

قدمت تلك الخطابات معلومات قيمة عن موقف الملك حسين من الدعاية المصرية، وتحديداً إذاعة صوت العرب، والأساليب التي اعتمدتها في التعامل معها، والرد عليها، مع التذكير بأن كثيراً من تلك الخطابات الواقعة ضمن فترة الدراسة (١٩٥٢-١٩٦١)، كانت جزءاً من الحملات الدعائية الأردنية المضادة للدعاية المستهدفة للنظام الأردني.

وأبرزت هذه الخطابات المضمون الأهم والأبرز، الذي استخدمته الدعاية الأردنية في التعامل مع مثيلتها المصرية، وتوظيفه في حرب نفسية مناهضة للرئيس جمال عبد الناصر. وتمثل هذا المضنمون بالحديث المتكرر، عن اختبائه أو هروبه من المواجهة مع إسرائيل، من خلال الادعاء باختبائه خلف قوات الطوارئ الدولية على الحدود مع إسرائيل وفي شرم الشيخ.

الوثائق الأجنبية: اعتمد بشكل رئيس على الوثائق البريطانية المعنونة بـ:

Public Record Office (pro), Rerecords Of Jordan (R.J) 1919-1965 (ed.,) By Jan Priestland (London: Hobbs Printer 1996).

ويشتمل كل مجلد من مجلدات تلك الوثائق على تفاصيل عن علاقات الأردن السياسية والاقتصادية، والأوضاع الداخلية، والقضايا المحلية، والإقليمية المستجدة، وموقف الأردن منها. بالإضافة إلى تفاصيل دقيقه أخرى، كالتطرق إلى زيارات الملك المحلية والخارجية، والانتخابات البرلمانية، وتشكيل الحكومات، والأوضاع الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية.

الوثائق بمجملها، عبارة عن مجموعة المراسلات بين السفارة البريطانية في عمان مع وزارة الخارجية في لندن، مع وجود مراسلات لسفارات بريطانية أخرى في عواصم المنطقة لها ارتباط بالشأن الأردني، ولا سيما السفارات الموجودة في بغداد، والقاهرة، وتل أبيب، وبيروت.

وقد كانت مراسلات السفير البريطاني في عمان، تحتوي في العادة على عرض للأوضاع الداخلية في الأردن، ولقاءات السفير مع الملك حسين ، وكبار المسئولين الأردنيين ، وانطباعاته

عن الوضع الداخلي الأردني، وموقف الرأي العام الأردني من القضايا المختلفة. بالإضافة لملخصات الأخبار، ومقالات، وافتتاحيات وردت في الصحف الأردنية.

وأسهمت تلك الوثائق بتقديم معلومات متنوعة حول موضوع الدراسة، وتحديداً حول الدور البريطاني بمواجهة الدعاية المصرية، وخاصة إذاعة صوت العرب، وما كانت تقدمه وزارة الخارجية البريطانية من نصائح وإرشادات، حول كيفية التعامل مع الحملات الدعائية، وتدخلاتها لدى المصريين، وعلى الساحة الدولية، وذلك للتخفيف من حدة الدعاية المضادة للنظام الأردني، كما قدمت صورة عن مدى تأثير إذاعة صوت العرب على الشارع الأردني، وعلى الحالة النفسية للملك حسين، والآليات التي اعتمدت لمواجهتها.

ومما لاحظته على الوثائق البريطانية، هو وجود بعض الارتباك في تصنيف الفترات، وهو ما أدى لوجود فئات زمنية داخل مجلدات يفترض أن لا تحويها، كأن تجد مثلاً وثائق تعود لسنة ١٩٥٧، في مجلد حددت فترته الزمنية، بين ١٩٥٢–١٩٥٥. ويبقى القول أن تلك الوثائق قد امتازت بدقة التصنيف والترتيب –بشكل عام– لمواضيعها، ما سهل الوصول إلى المعلومة بسهولة، إضافة لوضوحها عموما، بالرغم من أنها كتبت بخط من الحجم الصغير.

الدراسات السابقة:

– وصفي التل: فلسطين، دور العقل والخلق في معركة التحرير (بيروت: دار الأبحاث، ١٩٦٧م). يتحدث هذا الكتاب عن الصراع العربي الإسرائيلي والعوامل التي أدت إلى هزيمة ١٩٤٨م والشروط الواجب توافرها للتحرير. وتطرق إلى دور الدعاية العربية قبل حرب ١٩٤٨م في إيهام الرأي العام العربي بسهولة النصر، كما أبرز الأسباب التي أدت للتوجه المضاد للدعاية المصرية إزاء الأمير ثم الملك عبد الله بن الحسين، وقد بيّن أن فلسطين غدت مضموناً هاماً استغلته الدعايات المتباينة لحشد التأييد لصالح الأنظمة السياسية الموجهة لها.

– فؤاد بن حالة: الحرب الإذاعية، ترجمة انشراح الشال (القاهرة: دار النيـــل، ١٩٨٨م). وماجي الحلواني: مدخل إلى الإذاعات الموجهة (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٥م). قـــدّم الكتابـــان مضموناً يفصّل في الإذاعات وأنواعها ومجالات استخدامها، لا سيما في الصراعات الإقليميـــة والعالمية، واعتمدت الدراسة عليهما في النقاط المتعلقة بتأسيس صوت العرب وما اعتمدته مـــن أساليب.

– حاتم عبد القادر: الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م). تحدث الكتاب عن النظريات الإعلامية والجانب التطبيقي لها في الدعاية، وقد أفاد في توضـــيح تأثير الدعاية النازية في الدعاية المصرية.

- Mamoun Fandy: Civil War of Words "Media and Politics in the Arab World (West Port: Green Wood Publishing, 2007).

تناول الكتاب كتاب الجزيرة ومدى تأثيرها في المنطقة العربية، وقد أجرى مقارنة في هذه النقطة مع صوت العرب، كما أوضح العوامل التي أخذت بها الأخيرة عند تأسيسها لتكون إذاعة فاعلة ومؤثرة.

تمهيد:

اتسمت العلاقة بين النظامين الملكيين في الأردن ومصر بالتوتر الناجم عن طموحات الطرفين الهادفة للعب دور فاعل في الإطار العربي؛ فتوجهات الأمير ومن ثم الملك عبد الله بن الحسين الوحدوية لاقت معارضة من الملك فاروق الذي كان يتطلع للزعامة على المستويين العربي والإسلامي أيضاً[١].

وقد شكّل سعي الأمير ومن ثم الملك عبد الله بن الحسين لتوحيد المكونات السياسية لبلاد الشام، أو ما عرف بسوريا الكبرى تحدياً للملك فاروق الذي أخذ بمشروع الاتحاد العربي –الذي طرحه البريطانيون– كأداة للمواجهة[٢]. وترافق ذلك مع اعتماده الحملات الدعائية المكثفة "والحادة" كآلية لإفشال مشروع سوريا الكبرى، الذي نعته الإعلام المصري بـ"مشروع سوريا الكبرى الصهيوني ..."[٣].

واستطاعت مصر أن تبني حلفاً دعائياً شمل حسب رأي وصفي التل؛ السوريين "... السائرين في تبعية "ناجمة عن انبهار" بفخامة مُلْكه "وافتتانهم" بدعايته "وأضواءها" ...."، بينما وقف لبنان في خط مساير لهذا الاتجاه. أما السعوديون فقاموا بتمويل الحملات الدعائية للملك فاروق، وكما يذكر التل فإن مضمون تلك الدعاية بما فيه من "عدائية" كان منسجماً مع "عدائية" الدعاية الصهيونية، ومخططات كلوب المضادة لأفكار الأمير ومن ثم الملك عبد الله بن الحسين

---

[١] عبد السلام زيادة: العلاقات الأردنية المصرية ١٩٤٦– ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤) ص٦–٦٨.

[٢] حلمي، درادكه: التنافس الهاشمي السعودي وأثره على مشاريع الوحدة العربية ١٩٣٠–١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠١)، ص٩٤–٩٥.

[٣] وصفي التل: فلسطين، دور العقل والخلق في معركة التحرير (بيروت: دار الأبحاث، ١٩٦٧م)، ص١٢٣. وسيشار إليه فيما بعد: التل، فلسطين.

الوحدوية، لما تشكله من خطر على مشروع إسرائيل، وما أفرزته اتفاقية سايكس بيكو من مكونات سياسية[١].

ولتدعيم موقفها الرافض لمشروع سوريا الكبرى فقد استغلت مصر ثقلها في الجامعة العربية وصدر قرار في ١٩٤٦/١١/٣٠م، دعا إلى احترام استقلال الدول العربية، وفقاً لميثاق الجامعة، واعتبار ذلك المشروع قضية منتهية، وهو ما عادت الحكومة المصرية للتأكيد عليه في ١٩٤٧/٩/٤م، وهو ما زاد من حدة التوتر في العلاقات الأردنية المصرية[٢]. وقد جاءت حرب فلسطين في العام التالي لتشكل عاملاً آخر من عوامل التوتر.

ولّدت هزيمة ١٩٤٨م، صدمة للرأي العام العربي، لرسوخ قناعة لديه، بقدرة الجيوش العربية على تحقيق النصر في مواجهة "شرذمة من شذاذ الأفاق"[٣]، ونجم ذلك الرسوخ عن دور مارسته الدعايات العربية بالتقليل والاستهانة من قدرة وقوة "الصهاينة" على المواجهة مع العرب[٤]، وتغييبها للحقائق الدالة على مدى الضعف العربي، وخاصة المتعلق منها بالقوة العربية "الكبرى" في ذلك الوقت وهي مصر، حيث كان جيشها يعاني من "رداءة" التسليح، و"انعدام" الخبرة القتالية، لاقتصار دوره السابق على حفظ الأمن الداخلي فقط: وبالرغم من ذلك كان الرأي العام العربي يستمعُ ويقرأ تصريح وزير الدفاع المصري آنذاك محمد حيدر، وصاحب الخبرة المحصورة بإدارة السجون، بأن الجيش المصري سيكون باستطاعته احتلال تل

---

(١) التل، فلسطين، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) درادكه، مرجع سابق، ص١٠٥، ١٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٣.

(٤) فواز جرجس: "مصر وحرب ١٩٤٨ والصراع الداخلي والطموح"، حرب فلسطين وإعادة كتابة التاريخ، تحرير ايوجين روجان، ترجمة ناصر عفيفي (القاهرة: الكتاب الذهبي "روز اليوسف"، ٢٠٠٤م)، ص١٦٦؛ Ben Jamin Shwadran: Jordan A stat of Tension (New York: Bembo Typographers, 1959), P 248.

أبيب في غضون خمسة عشر يوماً[١]. وقد كانت الدعاية العربية بإذاعاتها وصحفها على خط مماثل لذلك التصريح[٢].

ولا بد من التذكير بأن حالة الضعف المسيطرة على الجيش المصري تنسحب على باقي الجيوش العربية، يضاف إليها انعدام الثقة بين القيادات العربية، وتباين الأهداف والمطامع. وتقدم لنا الحوادث في ذلك الزمن أنموذجاً للتباين والانقسام تجلى بقيام الحكومة المصرية بمصادرة شحنة أسلحة* بريطانية، تمر عبر السويس، وكان الأردن يسعى لتعزيز قدراته بها لمواجهة القوات اليهودية[٣].

أدى استهتار الدعاية العربية بالعدو إلى تعظيم الصدمة النفسية للهزيمة في الشارع العربي[٤]، بعدما غُيبت عنه حقائق قوة العدو واستعداده. وهو الاستعداد المنطلق منذ عام ١٩٤٢ بوضع خطة الحسم النهائي، المعروفة بـ"دالت"، والمحددة لاستراتيجية الهجوم بـ"ضربة قاضية تؤدي إلى تدمير البيوت وطرد السكان"[٥].

أضحى الزعماء العرب بعد الحرب أمام رأي عام تسوده "المرارة الطاغية"، مع تساؤلات عن أسباب ما جرى، فكان لا بد من تفسير وتبرير يقدم في "معركة تثبيت أنفسهم"[٦]، ومن كان يمتلك وسائل الدعاية الأقوى كان الأقدر على تبرير موقفه والدفاع عنه[٧]. وكانت مصر "فاروق"

---

[١] جرجس، مرجع سابق، ص١٦٦-١٦٧.

[2] Shwadran, Op. Cit, PP. 262-263.

* قامت الحكومة المصرية عام ١٩٥٣ بدفع بدل مالي للأردن تعويضاً عن تلك الأسلحة؛ عارف العارف: نكبة فلسطين والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٥ (د.م: دار الهدى، ١٩٥٦)، ص ٤٥٢.

[٣] المرجع نفسه، ص ٣٣٩-٤٥٢.

[٤] التل، فلسطين، ص١٢٣.

[٥] عبد الكريم، مرجع سابق، ص١٢.

[٦] التل، فلسطين، ص١٣٣.

[٧] المرجع نفسه، ص١٢٣.

هي الدولة الوحيدة المالكة لتلك المؤهلات الدعائية "فنجحت بإقناع الناس بافتراءاتها واختلافاتها"[١].

أما الملك حسين فيطرح رأيه بخصوص هذا السياق التاريخي، حيث يؤكد أن الجيش الأردني ورغم قلة عدده إلا أنه استطاع أن ينقذ الجزء الأكبر من فلسطين، وهو ما لاقى "ردة فعل غير معقولة من الزعماء العرب "المسؤولين عن الهزيمة، والذين سحق قلوبهم الحسد ورغبوا في إيجاد كبش فداء..." فباتو "يقذفون النظام بحملاتهم الدعائية، ويتهمونه بالتسبب بالهزيمة، مبيناً أن مصر كانت "على رأس المفترين ...[٢]".

استشعر الملك عبد الله بن الحسين النوايا العدوانية ضده قبل بداية الحرب، حينما أبدى استغرابه للقادة العسكريين المصريين الذين إلتقاهم في عمان يوم ١٩٤٨/٥/١٣، من جعله قائداً أعلى للجيوش العربية، متسائلاً "ألم تكن مصر أولى بهذا الشرف وهي أكبر الدول العربية؟ أم أن الغرض الحقيقي وراء ذلك هو إلقاء اللوم والمسؤولية علينا في حال الفشل؟؟"[٣]، وهو ما حدث بالفعل، فكانت قوة وكثافة الحملات المصرية لا راد لها. فقد انعدمت قدرته على مواجهة الدعاية المضادة له، فلم يكن يمتلك وسائل الدعاية اللازمة للدفاع عنه، أو للترويج لوجهة نظره، أو لكشف ما لديه من تفاصيل "تخاذل" الملك فاروق[٤]. ولم يكن بمقدور حكومته سوى إصدار نظام لمراقبة المطبوعات لعام ١٩٤٨م، للحد من تسرب الحملات المعادية[٥].

---

(١) التل، فلسطين، ص١٢٤.

(٢) الحسين بن طلال: مهنتي كملك، ص٨٨ (www.Joboo K.J.O).

(٣) جرجس، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٤) التل، فلسطين، ص٤٠.

(٥) مديرية المكتبات والوثائق، ملف رقم ٨/٣/١١/، ص١٦٥.

فمنعت مجلة "روز اليوسف" و"آخر ساعة" المصريتين في أيار عام ١٩٤٩م، ومنعت أيضاً صحيفة أخبار اليوم، وآخر ساعة[١]، ولكن الدعاية كانت تنفذ بطرق أخرى، حيث امتلك فاروق إذاعة تميزت بقدرة إرسال وتغطية تصل إلى مدى كبير[٢].

ويضاف إلى ذلك القدرة الكبيرة للقائمين على دعايته بقلب الحقائق، وجعل "الأبيض أسود"[٣]، حيث كان للعامل المادي أثر كبير في تحديد كتاباتهم على مختلف انتمائاتهم وميولهم الحزبية والسياسية على الأغلب، وفقاً لرأي أطراف مقربة من الملك عبد الله بن الحسين، لدرجة أنها وصفتهم بـ "أولاد كلب"[٤]. أما وصف عبد الله بن الحسين الذي أطلقه ذات يوم على الصحافة العربية بأنها "مجرمة"[٥] فقد استعاد بريقه في هذه الفترة.

---

(١) سهيلا الشلبي: دور توفيق أبو الهدى في السياسة الأردنية ١٩٣٩-١٩٥٥، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٨) ص١٠٦.

(٢) الحجلاوي، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٣) التل، فلسطين، ص٣٥.

(٤) عايش، أوراق عرار، مصدر سابق، م١ ج١، وثيقة رقم ٣٢: رسالة إعلام من مصطفى وهبي التل إلى الأمير عبدالله بن الحسين موضحاً له فيها حقيقة أصحاب الصحف المصرية، ١٩٣٨/٧/٢٢؛ وثيقة مخطوطة مطبوعة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠١٢)، ص ٩٨. وقد حاول الأمير في وقت سابق أن يقوم بمحاولات دعائية لصالحه من خلال توزيع كتاب الأئمة من قريش على الشخصيات المصرية والمشايخ وطلاب الأزهر؛ المصدر نفسه، ج٢ ج٢، الوثيقة رقم ٧٦: رسالة إعلام بالدعاية للأمير عبدالله بن الحسين مرسلة إلى مصطفى وهبي التل موضوع توزيع كتاب الأئمة من قريش على الشخصيات المصرية، القاهرة ١٩٣٩/٤/٧، وثيقة مخطوطة، ص ١٢٢-١٢٣.

كما جرت محاولات إصدار صحيفة في الإمارة لتقوم بدور فاعل في الدعاية عبر الاستعانة بخبرات مصرية ولكن المشروع لم يخرج إلى حيز الواقع؛ المصدر نفسه، م٢ ج٢، الوثيقة رقم ٧٩: رسالة تفصيلية حول فكرة إصدار جريدة مرسة لمن فتحي لبيب إلى مصطفى وهبي التل، ١٩٣٩/٥/٣٠، وثيقة مخطوطة مطبوعة، ص ١٢٩-١٣٠.

(٥) منيب الماضي وسليمان الموسى: الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩ (عمان: مكتبة المحتسب، ١٩٥٩)، ص٦٦١. وسيشار إليه فيما بعد: الماضي، مرجع سابق.

غير أن رأياً يُعرض بهذا الصدد، فيؤكد أن ما كانت تقدمه دعاية فاروق ليس افتراءاً ولا تزييفاً للحقائق، وإنما استند إلى معلومات ووثائق حملها عبد الله التل إلى القاهرة بعد هروبه عام ١٩٤٩م، وهي نتاج ما جمعه وصوره عن مراسلات الملك عبد الله بن الحسين مع المسؤولين الإسرائيليين، حيث كان يقوم بإيصالها إليهم، بصفته حاكماً عسكرياً للقدس. وتضمنت أيضاً تلك الوثائق الضغوط الممارسة من قبل الضباط الإنجليز لمنع الجنود الأردنيين من القتال[١]، ويمكن القول أن حملة عبد الله التل الدعائية ضد الملك عبد الله بن الحسين بدأت قبل ذلك. ويتضح هذا من خلال تحريضه لصحيفة البعث لشن حملات ضد الأنظمة العربية ومنها النظام الأردني وتحميلها مسؤولية ضياع فلسطين، وهو ما دفع الحكومة للأمر بتعطيلها ولكن التل رفض تنفيذ الأمر[٢].

وقد غدا ما حمله عبدالله التل إلى القاهرة، من وثائق ومعلومات وأفكار عن اتصالات الملك عبد الله بن الحسين مع الإسرائيليين مادة دسمة في الدعاية المصرية الموجهة ضد النظام الأردني في عهد الرئيس جمال عبد الناصر أيضاً، غير أن تراجعاً سيحل من قبله في مرحلة لاحقه عن قناعاته وأفكاره المتعلقة بتلك الاتصالات[٣]، وهو ما سيظهر في محطة قادمة من الدراسة.

لقد جعلت الدعاية المصرية من الملك عبد الله بن الحسين هدفاً لها لمعرفته بكامل التفاصيل الدالة على "... تخاذل الملك فاروق ... وتضليله للرأي العام"، ومدفوعة أيضاً

---

(١) ايوجين روجان: "الأردن وحرب ١٩٤٨"، حرب فلسطين وإعادة كتابة التاريخ، تحرير أبوجين روجان، ترجمة ناصر عفيفي (القاهرة: الكتاب الذهبي "روز اليوسف"، ٢٠٠٤م)، ص١١٣-١١٤؛ Shwadran, Op. Cit. PP. 301-306.

(٢) الشلبي، مرجع سابق، ص ١٠٨-١١٠.

(٣) الدستور، ١٩٦٧/١/٢٥.

بإجهاض توجهات الملك الوحدوية[١]. وكان الأمر يتعلق هذه المرة بوحدة الضفتين الشرقية والغربية.

فقد شكل إعلان الوحدة في ١٩٥٠/٤/٢٤م، حدثاً بارزاً دفع الدعاية المصرية للقيام بحملات "عنيفة" ضد الملك عبد الله بن الحسين، حتى أن الوثائق البريطانية وصفتها بالوحشية، وترافقت تلك الحملات مع دعوة الأحزاب المصرية لإلغاء قرار الوحدة، وإعادة الوضع إلى سابق عهده، كون أن فلسطين ستعود في يومٍ ما إلى صبغتها العربية[٢].

وقد أفرزت المعارضة المصرية للوحدة قراراً للجامعة العربية، أيدته مصر وسوريا والسعودية ولبنان، ونص على فصل الأردن من عضوية الجامعة، غير أن الوساطة اللبنانية والعراقية أدت إلى توصل الجامعة لصيغة تسوية أكدت على أن الضفة الغربية وديعة لدى الأردن على أن تكون تابعة للتسوية النهائية للقضية الفلسطينية[٣].

لقد أدت الحملات الدعائية إلى العديد من السلبيات على الوضع العربي، وبالنسبة لوصفي التل فقد أسهمت في "تخريب النفسية العربية.... وزعزعة ثقة العرب بأنفسهم وحكامهم..."، وترسيخ مبدأ "التهريج والتضليل" في الدعاية العربية[٤]، وإلغاء واستبعاد "النقد الذاتي" والبحث في أسباب الهزيمة لتلافيها وعدم تكرارها[٥]. كما مهدت تلك الحملات الدعائية لاغتيال الملك عبد الله بن الحسين[٦] وكان الملك فاروق على علاقة بالترتيب والإعداد والتمويل بالاشتراك مع جهات "صهيونية" لتدبيره[٧].

---

(١) التل، فلسطين، ص١٣٥.

(٢) مي طبيشات: وحدة الضفتين ١٩٤٨-١٩٥٠ (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠١م)، ص١٢٠-١٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٨-١٢٠.

(٤) التل، فلسطين، ص١٤٢-١٤٣.

(٥) المرجع نفسه، ص١٣٣.

(٦) الحسني، ج٨، مرجع سابق ص ٢٣٠.

(٧) التل، فلسطين، ص١٣٦.

وحتى بعد اغتيال الملك عبد الله بن الحسين فإن الصحافة المصرية لم توقف دعايتها المضادة نحوه، وأخذت تنشر الوثائق والوقائع للتدليل على عدم سلامة موقفه من فلسطين واتصالاته مع اليهود، ولعبت الدعاية الإسرائيلية والبريطانية دوراً غير مباشر في إثارة مشاعر الناس تجاهه؛ وذلك بنشرها لوثائق ومعلومات تمتدح فيها سياسته التي كادت أن تصل إلى الاعتراف بإسرائيل وإقامة سلام معها لولا اغتياله[١].

والمفارقة في الحملات الدعائية المرتبطة بالملك عبد الله بن الحسين أنها انتهت بطريقة يمكن وصفها بالغريبة. وهو ما ظهر بمقال لمحمد حسنين هيكل سرد فيه مناقب الملك عبد الله بن الحسين، وهو سردٌ لربما جاز وضعه في إطار "ذكر محاسن الموتى"، فقد تحدث هيكل عن "المعيشة المتواضعة"، في الطعام، والمأكل واللباس والقصر، وعن المخصصات المالية "الضئيلة" الموزعة على نفقات القصر والعائلة و"المِنَح" للعاملين في خدمة أهدافه، أو من "يستحقون البذل والإحسان"، ومما زاد في أعبائه الاقتصادية، بابه المفتوح لرعيته، وطلباتهم، وتلبيته لها رغم "ضيق اليد"، "ولم يكن أحد ليلومه لو طلب من الدولة رفع مخصصاته، أو أن تنوب عنه بتقديم المنح لمن يخدمون أهدافه وسياساته والتي هي تمثل سياسة الدولة أيضاً ولكنه لم يفعل. فاضطر في الكثير من الأحيان للاستدانة من التجار لتلبية لوازم مطبخ القصر، وفي مرات كثيرة رفضوا الاستجابة لطلباته، لعدم سداد ديونهم، ما أجبره في أحد المرات على بيع مصوغات زوجته. ووصل الأمر به أن يعتزل الناس ويعتكف في القصر، وكان سر ذلك "أزمة يعانيها..."[٢].

ويؤكد هيكل أن الملك رحل مخلفاً ديوناً ضخمة، لا يكفي لسدادها ثمن ممتلكاته لو بيعت. فقد مات ولم يترك وراءه ثروة على الإطلاق، ما جعله نموذجاً "للعفة الملكية". لقد كان وحدة

---

[١] الحسني، ج٨، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[٢] راكان المجالي، مقال هيكل في آخر ساعة عقب اغتيال الملك عبدالله في ١٩٥١/٧/٢٠، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، آخر ساعة.

صاحب الفضل الأول على شعبه، وكان وحده "مالك كل السلطات، والحاكم المطلق لبلاده، ومع ذلك مات... مديناً بعد أن أسس مملكة لم يكن لها وجود، فغدت "بكفاحه السياسي" مؤثرة على الساحة الإقليمية، كما استطاع أن يكون ذا مكانة فاعلة في الجامعة العربية، وأن يفرض شخصيته على المجتمع الدولي، ومع ذلك عاش حياة الكفاف، غير أن هيكل عاد وأكد على اختلافه مع الملك عبد الله بن الحسين في كثير من سياساته وتصرفاته العامة[١].

والمفارقة الأخرى أن الإذاعة الأردنية القاصرة في ذلك الوقت عن نقل صوته الملك والدفاع عنه، نقلت عملية اغتياله على الهواء مباشرة يوم ١٩٥١/٧/٢٠، ذلك أن صلاة الجمعة المنقولة في إذاعة حية، ترافقت وعملية الاغتيال، وإطلاق الرصاص، ما اضطرها لإيقاف البث، والاعتذار عن وقوع خلل فني[٢]، وقد كان الخلل الحقيقي في العلاقات الأردنية المصرية ناجماً عن تلك الحملات الدعائية، التي أرست قاعدة لحسم الخلافات البينية بالاغتيال، وهو ما تكرر فيما بعد باغتيال شخصيات بارزة، أو بالتحريض عليه، أو بمحاولات جرت في سيرة ومسيرة تلك العلاقات التي انعكست عليها عملية الاغتيال بشيء من الجفاء الملموس بعدم تفاعل الإذاعة الأردنية مع إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية لعام ١٩٣٦، إثر إقرار رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس ذلك الفعل من جانب واحد في ١٩٥١/١١/٨، ما أدى لاحتجاج مجلس النواب الأردني على موقفها، لتعارضه مع تأييد الشارع الأردني لذلك الإنجاز[٣]. وبينما وقفت الإذاعة موقفاً لا مبالياً بخصوص ذلك الحدث المصري، وكانت الصحافة المصرية تتناول الشأن الأردني الداخلي وتؤثر في الرأي العام.

فمع تولي الملك طلال بن عبد الله للحكم في ١٩٥١/٩/٦، وبروز قضية مرضه، أكدت الصحافة المصرية أن موضوع المرض، ما هو إلا "مكيدة بريطانية"، وهو رأي لاقى رواجاً في

---

(١) هيكل، آخر ساعة.

(٢) عرفات حجازي، الجريمة الأكثر دناءة، موقع أبو محجوب، (www.mahjoob.com 23/7/2007).

(٣) الجريدة الرسمية، ٢٧ آذار، ١٩٥٢، الملحق، محاضر جلسات مجلس النواب الأردني.

الشارع الأردني[١]. وتحدثت عن مؤامرة دبرها جون باجوت كلوب ضد الملك طلال بن عبد الله لإجباره على مغادرة البلاد إلى سويسرا. وأن ضغوطاً بريطانية مورست عليه الملك للتنازل عن العرش[٢]. وبينما الأحداث تتجه في الأردن نحو تغيير في قمة النظام الملكي، جاء التغيير في مصر حاسماً وجذرياً.

عندما قامت الثورة في ١٩٥٢/٧/٢٢، لتطيح بالملكية المصرية[٣]، وبعد أيام قليلة، وضع حدٌ للارتباك الأردني وصدر قرار مجلس الأمة بعزل الملك طلال بن عبد الله، وتولية ابنه الحسين بن طلال ملكاً للبلاد[٤]. ومع التغيير المزدوج في البلدين، لم يطل الوقت حتى غصت العلاقات بأحداث وتفاصيل الحملات الدعائية التي لعبت فيها صوت العرب دوراً رئيساً، حاولت الإذاعة الأردنية مواجهته أو مجاراته.

---

(1) James Morris: The Hashemite Kings (London: Faber and Faber, 1969), P. 17.

(٢) نجيب الأحمد: فلسطين تاريخياً ونضالاً (عمان: دار الجليل، ١٩٨٠)، ص ٦١٩-٦٢١؛ Shwadran, Op. Cit, PP. 309-315.

(٣) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة (القاهرة: ١٩٩٣، مركز الأهرام للترجمة والنشر)، ص١٥٤-١٥٥. وسيشار إليه فيما بعد:هيكل، ملفات السويس.

(4) J.R. F, Vol. 2, Telegram From Amman To Foreign Office, 11 August 1952; Jordan Radio reports, 11 August 1952, FO 371/98906, P. 184; Shwadran, Op. Cit., P. 314-316.

الفصل الأول

تأسيس صوت العرب
وتأثير دعايتها في الساحة الأردنية
١٩٥٥ـ ١٩٥٦

الباب الأول

صوت العرب "الفكرة والتأسيس"

الفصل الأول

تأسيس صوت العرب وتأثير دعايتها في الساحة الأردنية ١٩٥٥-١٩٥٦

الباب الأول

صوت العرب "الفكرة والتأسيس"

يدفعنا الحديث عن دور دعاية صوت العرب على الساحة الأردنية، وأثرها على مجرى الأحداث، إلى التفصيل في الأسباب، والعوامل، والظروف التي أدت لتأسيسها، والآليات التي اعتمدتها لتعزيز قوة دعايتها، وتوسيع انتشارها، كأداة من أدوات النظام الجديد الذي بدأت آثار تظهر بفعالية في المنطقة العربية.

ظهرت نتائج الثورة المصرية في المنطقة العربية بملامح شتى؛ ففي العراق بدأت المطالبة بإصدار قانون* للإصلاح الزراعي وتحديد ملكية الأراضي استناداً للسابقة المصرية، وفي سوريا كان الرأي العام يتفاعل "بحماسة" مع الأحداث في مصر، مع انسياق رسمي خلفه، يعلن تأييد نظام الثورة، أما السعودية فعمل الملك عبد العزيز على تعزيز التوجه القائلة: "بأن السعودية يجب أن لا تبتعد عن مصر مهما كانت الأسباب"، فجاءت الزيارة، التي قام بها الأمير فيصل وزير الخارجية إلى مصر بغية وضع أسس للتفاهم مع القيادة المصرية الجديدة، لأن الملك عبدالعزيز لم يكن يعبأ بطبيعة النظام، ملكياً كان أم جمهورياً، فالأهم هو المحافظة على "التوازن السياسي في المنطقة، كما كان يراه ملائماً، لاسيما في مواجهة الهاشميين"[١].

---

* صدر يوم ١٩٥٢/٩/٩، حدد الملكية الزراعية وقضى على الإقطاع؛ أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو، ج١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢)، ص٢٥٤.

(١) هيكل، ملفات السويس، ص١٥٤-١٥٥.

أردنياً، تذكر بعض المصادر أن اتصالات جرت بين ضـباط أردنيـين وقيـادة الثـورة المصرية، من أجل تشكيل خلايا داخل الجيش الأردني، عملا وجريا علـى تجربـة الـضباط الأحرار في الجيش المصري، غير أن كلوب اكتشف المحاولة، واعتقل القائمين عليها[١].

وجاء رد "الفعل الأغرب" من إمام اليمن، أحمد*، فإدراكه الدور المؤثر للإذاعـة بنقلهـا أخبار الثورة المصرية[٢]، وشعاراتها "الثورية" مباشرة إلى اليمنيين، متجاوزة رقابته وسيطرته، مانحة "المتآمرين والثوريين" أملاً بالتغيير عبر نموذج حي[٣]، دفعه لإصدار "قرار ليس له نظير في تاريخ الدولة الحديثة"[٤]، يقضي بوقف مفعول أجهزة الراديو "الخائنـة" بمـصادرتها مـن الأماكن العامة[٥]، وسحب رخصها[٦]، غير أن الكثير منها بقي داخل البيوت، وهو مـا جعـل الدعاية المعبرة عن "تيار القومية العربية" تفعل فعلها، مظهرة عجز الإمام عـن وقـف تـأثير الدعاية المصرية[٧]. وأُذكّر هنا بأن الثورة المصرية اعتمدت عند قيامها على الإذاعة المصرية في التعبير عن ذاتها، وأفكارها.

---

(1) Robert B. Satloff: From Abdullah To Hussein, Jordan In Transition (Oxford: Oxford University Press, 1994), P.132.

* ولد في أواخر القرن التاسع عشر، وتولى الحكم بعد اغتيال والده الإمام يحيى عام ١٩٤٨. ظل في الحكـم حتى ١٩٦٢/٩/٨، حيث اتبع سياسة عزل اليمن عن العالم الخارجي؛ إدجار أو بالانس: الحرب في اليمن، دراسة في الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م (بيروت: دار الرقي، ١٩٨٥) ص ٨١-١١٣.

(٢) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس حرب الثلاثين سنة (القاهرة: ١٩٩٣، مركز الأهرام للترجمة والنشر)، ص١٥٥. وسيشار إليه فيما بعد:هيكل، ملفات السويس.

(٣) أوبالانس، مرجع سابق، ص٩٥.

(٤) هيكل، ملفات السويس، ص١٥٥.

(٥) أوبالانس، مرجع سابق، ص٩٥.

(٦) هيكل، مرجع سابق، ص١٥٥.

(٧) أوبالانس، مرجع سابق، ص ٩٥.

حيث كان بثها يغطي مناطق واسعة من البلدان العربية، وتسجل التقارير البريطانية، إمكانية الاستماع لإذاعة القاهرة بوضوح في الكويت خلال ثلاثينيات القرن الماضي[١].

ولم يكن تفكير السلطات المصرية يبعد عن تفكير الإمام من حيث إدراك مدى تأثير الإذاعة، وقدرتها على إحداث تغيير، فقيادة الثورة أدركت أهمية الدعاية وأثرها في نشر مبادئها وأفكارها والتمكين لمصر في المنطقة والعالم.

فعبد الناصر كان يرى في مصر نقطة تقاطع تلتقي فيها دوائر ثلاث؛ العالم العربي، والإسلامي، وإفريقيا[٢]، وقد جعل أولوية التوجه والتأثير للمنطقة العربية، فمصر بثقلها الجغرافي والسكاني، وامتدادها التاريخي يقع على عاتقها "دور تاريخي" لا بد من النهوض به، ولتحقيق هذا الهدف، لا بد من نشر أفكار الثورة ومبادئها[٣]، ذات التوجه القومي والإيمان الوحدوي[٤].

وبالمقابل نجد رأياً يقول بسعي عبد الناصر لبسط سيطرته على المنطقة العربية، لإنتاج ثقل يؤهله للقيام بدور مؤثر على الساحة الدولية[٥]. وبغض النظر عن اختلاف الآراء فإن فكرة

---

(١) نور الدين بن حبيب الحجلاوي: تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢-١٩٧١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣)، ص٣٥٠.

(٢) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥)، ص ٥٩-٨٢.

(٣) محمود رياض: مذكرات، ج٢، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧)، ص٣٥.

(٤) أمينة صبري، مدير سابق لإذاعة صوت العرب، صوت العرب في عيدها الخمسين، مقال، د.ت (www.asbu.net)، وسيشار إليها فيما بعد: صبري، مقال. سيعتمد في توثيق المواقع الإلكترونية ذكر التفاصيل كاملة، مع توضيح آلية التعامل في حالة المرجع السابق، والمرجع نفسه لكل موقع على حدة. أما توثيق الصحف فسيقتصر على ذكر الصحيفة والتاريخ، باستثناء حالات معينة اجتهدت بذكر تفاصيل أخرى، رأيت أنها تعطي قوة للمعلومة، مع استخدام قاعدة المرجع نفسه في حال تكررت كامل التفاصيل.

(٥) مايلز كوبلاند: لعبة الأمم، ترجمة مروان خير، (بيروت: مكتبة الزيتون، ١٩٧٠)، ص٢٢١-٢٢٥؛ السعيد، مرجع سابق، ص١٧٠.

الانتشار في الإطار الإقليمي كانت حاضرة في استراتيجية القيادة المصرية، ولكن لا بد من أداة لتنفيذها، فكانت الدعاية* وسيلة مثالية لذلك.

اتجه النظام المصري الجديد منذ قيامه إلى ترسيخ سيطرته على وسائل الإعلام، فوضـــع إدارة الخدمات الإذاعية والإعلامية تحت مسؤولية، وإدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة(١)، بما يؤمن للثورة إنجاز المهمة "الحساسة" المتمثلة بتوجيه الرأي العام(٢)، تلاها تأســيس أول وزارة مختصة بشؤون الإعلام في تشرين الثاني ١٩٥٢م، وهي الأولى من نوعها في تاريخ مصر(٣).

وأطلق عليها "وزارة الإرشاد القومي"، وتولاها صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثــورة، فسخرت للتأكيد على "قبضة النظام الحديدية"، والدعاية "لرجاله... ومنجزاته"(٤)، ما مكنــه مــن تأمين جبهته الداخلية دعائياً، فكانت المرحلة التالية الانطلاق نحو المحيط العربي بتأسيس إذاعة صوت العرب.

انبثقت الفكرة عام١٩٥٣ من خطة، طلب عبد الناصر** إعدادها، "لتحرير" الوطن العربي،

---

* من الشواهد الدالة على أهمية الدعاية في الترويج للأهداف والمصالح وخدمة الطموحات علــى اخــتلاف أنواعها، ما يروى عن رجل المال والأعمال الأمريكي فورد الذي سئل ذات مرة: "ماذا أنت صانع لو دار الزمان عليك، وأمسيت لا تملك سوى عشرة دولارات بعد هذه الثروة، فكان رده: افتتح عملاً بدولار واحد وأخصص التسعة الباقية للدعاية لهذا العمل". الدستور ١٩٦٧/١٠/٦.

(١) أسعد عبد الرحمن: الناصرية، ثورة بيروقراطية أم بيروقراطية ثورة (الكويت: منشورات جامعة الكويــت، ١٩٧٧)، ص٤٥.

(٢) حمروش، ج١، مرجع سابق، ص٥٢٨.

(٣) محمد عبدالقادر حاتم: الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م)، ص٣٧.

(٤) عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٤٦.

** كان عبد الناصر يشغل منصب نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية، فيمــا كــان محمــد نجيــب رئيــساً للجمهورية؛ أنور السادات: البحث عن الذات (القاهرة: المكتــب المــصري الحــديث، ١٩٧٨) ص١٦٧. وسيشار إليه فيما بعد: السادات البحث عن الذات . وتبين قرارات مجلس قيادة الثورة أن رئاسة الــوزراء كانت مناطة بنجيب الذي تخلى عنها لعبد الناصر في ١٩٥٤/٤/١٧م، وفــي ١٩٥٤/١١/٤م أعفــي مــن مناصبه التي كان يشغلها، وخُوِّل مجلس الوزراء برئاسة عبد الناصر بتولي سلطات رئيس الجمهورية فــي ١٩٥٤/١١/٧، وقد تم ترشيحه في ١٩٥٦/١/١٦، رئيساً للجمهورية، وثائق مجلس قيادة الثورة، الأرشيف الإلكتروني لعبد الناصر، (Nasser.bibalex.org.).

وكلف بها ضابط المخابرات فتحي الديب[١] واشتملت على أسس منها: تبني الكُتّاب العرب ذوي الاتجاهات القومية، ودعمهم مادياً ومعنوياً، وتشجيع الطلبة العرب على الدراسة في مصر وبث برنامج إذاعي[٢].

سمّي البرنامج بصوت العرب، ووقع الاختيار على أحمد سعيد مذيعا له، ومسؤولا عنه. وتمهيداً لإطلاق البرنامج، أعدت دراسات عن "الأمة العربية" بشكل عام، وأخرى مفصلة عن كل شعب، بما يؤدي لتحقيق الهدف المنشود بالتأثير، وتحقيق الانسجام بين مكوناتها، واشتملت على عناوين عن النفسية العربية، والعادات والتقاليد، واستعين باللاجئين العرب الهاربين من السلطات الاستعمارية في بلدانهم، للمساعدة على الإطلاع الدقيق على شؤون كل بلد، وجرت دراسات معمقة للأسلوب، والخطاب اللغوي، وبالتحديد إثارة "الحماس"، بالاعتماد على أهل الاختصاص في اللغة والأدب والشريعة من أمثال طه حسين، والشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، ولم يغب عن بال المخططين للبرنامج أهم الشروط اللازمة لنجاحه ولجذب المستمعين[٣]. فاعتمد سقف حرية مرتفع في تناول القضايا والمواضيع المختلفة، وأعطى عبد لناصر الحرية الكاملة للقائمين عليه لنقد من يشاءون، بدءاً من مجلس قيادة الثورة، إن ارتكب خطأً وصولاً إلى الأنظمة في البلدان العربية، "ليقتنع المواطن العربي أن هذه الإذاعة هي بالفعل تجسيد حقيقي، صادق عن آماله وآرائه"[٤].

---

(١) أحمد سعيد، عبد الناصر وصوت العرب، مقابلة، موقع مجلة الوعي العربي، ٢٠٠٧/٩/٢٢، حلقة ٢ (www.elwa3yalarabi.org) . وسيشار إلي هذا فيما بعد: أحمد سعيد، مقابلة مع رقم الحلقة.

(2) Laura M. James, Article, Sawt Al Arab Radio, (www.tbsJournal.com/James.html) وسيشار إليها فيما بعد: James, Article

(٣) أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٢.

(٤) المرجع نفسه.

ونجد من يشكك في ذلك التوجه، محتجاً بانعدام وجود أي دليل علـــى الـــسماح لـــصوت العرب بانتقاد نظامه، لهذا، انحصرت مهمة أحمد سعيد بالحديث عن "أخطاء وخطايـــا" القـــادة العرب، ولم يختلف وضع إذاعة صوت العرب –فيما بعد– عن إذاعة القاهرة الخاضعة لرقابـــة حكومية "صارمة"[١].

انطلق بث صوت العرب في ١٩٥٣/٧/٤ بحلقة امتدت لنصف ساعة، ثم استهلت بنـــشيد "أمجاد العرب"، في بلادنا كرام أسياد"، ثم كلمة لرئيس مجلس الثورة محمد نجيب، فنشيد النصر لنا، فكلمة الأمين عام الجامعة العربية عبد الخالق حسونه، تلاها مقابلة مع محمد عبد الوهـــاب، وحديث عن دور الغناء في خدمة قضايا الأمة، مع تقديم أمثلة من أعماله: "إلام الخلاف بيـــنكم إلام؟، "فلسطين، أخي جاوز الظالمون المدى"، "دمشق، سلام من صبا بردى"[٢]. وهنا نجد للغناء بعداً قومياً، حيث غد فيما بعد ركيزة استندت إليها إذاعة صوت العرب لتحقيق انتـــشارٍ أوســـع عربياً.

وقد أخذ بث صوت العرب يتمدد شيئا فشيئا، ليصل إلى ساعة يومية اعتباراً مـــن شـــهر تشرين الأول ١٩٥٣، ومن ثم إلى ساعتين في كانون الثاني ١٩٥٤، وصولاً إلى سبع ســـاعات في تموز من العام نفسه بموجب قرار للقيادة السياسية[٣]، بمعنى أن البرنامج قد تحول إلى إذاعة مستقلة بهذا الامتداد الزمني لفترة البث.

---

(1) James, Article.

(٢) أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٢.

(٣) يحيى الشاعر، صوت العرب من القاهرة، مقال، ٢٠١٣/٩/٦، موقـــع مـــصرنا (www.ouregypt.us)، وسيشار إليه لاحقاً الشاعر، مقال؛ James, Article؛ عبد الله زلطه، انطلاق صـــوت العـــرب، مقـــال، ٢٠٠١/٧/٣، الأهرام (www.ahram.org.eg).

يُعتقد أن عبد الناصر أراد صوت العرب "سلاحاً" لتحقيق استقلال مصر والعرب(١)، وتوحيد البلاد العربية، "وتحرير" ثرواتها من سيطرة الاستعمار، ولتكون رافداً لنهضتها(٢)، وهذا ما يتفق مع فهم هيكل لدور المذياع "الترانزستور"، واعتباره له "كأعظم الفنون الثورية" لقدرته على إحداث "تغيرات هائلة" بتأمين الصلة مع العالم دون الحاجة إلى "أسلاك أو محطات كهربائية"(٣). وبعيداً عن الأهداف السامية للثورة والأمة، فالطموحات الشخصية لم تغب عن أهداف التأسيس.

وهذا يتفق مع آراء تشير إلى توجه سياسي بأن تكون الإذاعة أداة من أدوات السياسة الخارجية لعبد الناصر، لفرض زعامته على المنطقة العربية(٤)، من خلال ترسيخ فكرة "الزعيم" "الأسطورة" المدعمة بإضفاء "هالة البطولة"، مع ربطها بفكرة "العروبة والتحرير، والزحف المقدس"(٥)، وتلك الأهداف وصف مفعولها لاحقاً "بالسلبي" على العلاقات البينية العربية، لإسهامه بإنتاج الأزمات، وزيادة "حدتها"(٦).

فهي بالنسبة له "من أهم أسلحة المستقبل" لا بل عدّ صوت العرب "جيشاً" قد تكون مسؤولياته ومهامه أكبر من الجيوش التقليدية، وحددت مهمته بخوض "المعارك" في كل يوم

---

(1) Mamoun Fandy: Civil War Of Word "Media and Politic In the Arab World". (West Port: Greenwood Publishing, 2007) P. 41.

(2) James, Article.

(٣) محمد حسنين هيكل؛ بريطانيا والثورة في اليمن، بصراحة الأهرام، ١٩١٢/١٠/٢٦. الأرشيف الالكتروني لوثائق الرئيس جمال عبدالناصر، ومقالات محمد حسنين هيكل (Nasser. Bibalex.org/speeches) وسيتم فيما بعد توثيق خطابات عبدالناصر ومقالات هيكل دون ذكر للأرشيف.

(4) Anas Al Ahmad, Voice Of The Arabs: Its Effects and Politics Power During Nasser Era 1953-1967 "Paper Presentation To The Joint Journalism Historians Conference" (New York: Journalism Institute, 2011).

(٥) الدفاع: ١٩٦٢/٨/٣١ "البيان الأردني في اجتماعات وزراء الخارجية العرب في شتورا بلبنان، وسيشار إليه فيما بعد الدفاع: ١٩٦٢/٨/٣١، بيان شتورا.

(٦) صلاح أبو زيد، مذيع، ومدير إذاعة، ووزير إعلام أسبق، مقابلة، المنزل، عمان، ٢٠١١/٧/٢٧، وسيشار إليها فيما بعد أبو زيد، مقابلة.

وتحقيق "الانتصار بها"[١]، ومثال ذلك: دور حملاتها الدعائية الموجهة نحو اليمن في تحريـــك الثـــورة اليمنية* عام ١٩٦٢م، بتركيزها على "سيئات الملكيـــة"، والتحـــريض علـــى الثـــورة، وساعدها في تحقيق الهدف توزيع المصريين لمائة ألف مذياع على القبائل، فكان لدعايتها نتائج تماثل ما تقوم به "القوات المسلحة"[٢]، إذ أسهمت بفك عزلة تلك القبائل وهي مـــشكلة رئيـــسية كانت تعاني منها[٣]. ورغم ذلك، إلا أن هناك من يرى أنه بالغ بتقدير فعالية الدعاية من خـــلال الإذاعة، ما أدى "لإهمال الشروط الموضوعية اللازمة لتحقيق مشروعة"[٤]. وربما كان المقصود بالشروط:عناصر القوة الأخرى، وتحديدا الاقتصادية، والعسكرية.

ولكن اهتمامه بالدور الدعائي لها، كان له مبرراته التي تظهرها التفاصيل التي تبـــين أن استعانته بالإذاعة واعتماده عليها، أمرٌ اقتضاه النقص في "القوة التقليدية"[٥]، فلم تكن مصر قادرة على فرض وجودها في المنطقة اعتماداً على قوتها العسكرية، فحتى عام ١٩٥٦م كان لديها ست طائرات حربية صالحة للعمل، وثلاثون طائرة معطلة، مع نقص في قطع الغيار والذخيرة، حتى

---

(١) أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٧.

* الثورة اليمنية قامت في ١٩٦٢/٩/٢٦ على يد ضباط من الجيش اليمني حيث أدت لإنهاء الحكـــم الملكـــي هناك، ولاقت دعماً مصرياً تمثل بإرسال قوات مصرية اشتركت في القتال ضد القوات الملكية المسنودة من الأردن والسعودية، وقد كانت الثورة من المحطات التي استغلت مصرياً في الحرب النفسية ضد الأنظمـــة الملكية، لاسيما وأن قيامها جاء بعد سنة واحدة من انهيار الوحدة المصرية السورية التـــي دعمهـــا الملـــك حسين، لذا استغلها عبد الناصر للقيام بهجوم دعائي مضاد ضد القوى "الرجعية" وبلغ مـــن قـــوة دعايتـــة وتأثيرها أن أدت إلى هروب رئيس سلاح الجو الأردني وطيارين آخرين بعد ما سبقهم في ذلك عدد مـــن الطيارين السعوديين وقد أدت الحملات الدعائية فيها إلى حرب عربية باردة، أنتجت مزيدا مـــن الـــضعف والانقسام، حتى أنها عُدت من الأسباب الرئيسة لهزيمة ١٩٦٧. للمزيـــد؛ صـــلاح العجلـــوني: الـــصراع السياسي العربي وهزيمة حزيران ١٩٦٧م، الموقف الأردني من الثورة اليمنية أنموذجاً (إربد: دار حمـــادة للنشر، ٢٠٠٢).

(٢) حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص ٨٧٥.

(٣) محمد حسنين هيكل، بريطانيا والثورة في اليمن، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/١٠/٢٦.

(٤) فؤاد بن حاله: الحرب الإذاعية، ترجمة انشراح الشال (القاهرة: دار النيل، ١٩٨٨)، ص٢٢٥.

(٥) المرجع نفسه، ص١٩٤.

أن الغارات الإسرائيلية على غزة منذ قيام الثورة، وضعته في "حرج أمام الجيش والــشعب"[1]، اضطره للحديث عن ردود لا صلة لها بالواقع كما حصل في شهر تشرين أول ١٩٥٥م، عنــد قتل الإسرائيليون سبعين جندياً مصرياً، مع "عجزه" عن الرد، ســوى الإعــلان بــأن الجــيش المصري، نفذ هجوماً مضاداً، دفع الإسرائيليين للانسحاب من مواقعهم، وهو "هجوم وهمي لــم يحدث أبداً"[2]. ومن هنا باتت الإذاعة أداة في "الحرب النفسية" ضد خصومه ممثلــين، بثلاثــي "الإمبريالية"، و"الرجعية"، والصهيونية[3].

ولأن الإذاعة بالنسبة لعبد الناصر قامت بنفس الدور الدعائي، الذي لعبه الحزب* بالنسبة للينين[4]، لذا كان لا بد من المحافظة على قوتها واستمراريتها في تصاعد متتــالي، وهــو مــا استوجب رعاية مستمرة من قبل المخابرات المصرية، التي انبعثت من أحضانها، وهو ما ترافق أيضاً مع توجيه من هيكل، كما ستبينه التفاصيل.

حدد عبد الناصر مسارا للعلاقات الوثيقة بين الطرفين، فكان تأثيره في المجــال العربــي يقوم على جهاز المخابرات، وبالتحديد الإدارة الخاصة بجمع المعلومات عن الشؤون العربيــة، وصوت العرب والإدارة العربية بوزارة الخارجية[5].

وقد كان هناك انسجام "كبير" بين إذاعة صوت العــرب والمخــابرات المــصرية، فــي "التحريض على الثورة والمقاومة"، فكان الاشتراك بالمعلومات أمراً طبيعيــاً. وتجلــت أعمــال

---

(١) حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠-٣١.

(3) Fandy, Op. cit, P.41

* اعتمد لينين على النشاط الحزبي " للجماهير المنظمة" كدعايــة فعالــة وقويــة فاقــت الكلمــة المطبوعــة والمقروءة، بالاعتماد على الإضرابات كأداة دعائية فعالة لنشر المبادئ الشيوعية، بما تحويه تلك النشاطات من خطابات وهتافات وشعارات؛ فهمي قطــب الــدين النجــار، أســلوب الدعايــة الــشيوعية، دراســة، ٢٠١٣/٩/١١، موقع الألوكة الثقافية (www.alukah.net).

(٤) إبن حاله، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٥) رياض، مرجع سابق، ص٣٥.

التنسيق بين الطرفين باعتماد مراسلي الإذاعة على شبكة المخابرات المصرية في البلدان العربية، بالاستعانة بالجماعات المؤيدة لمصر والمرتبطة بها بطريقة أو بأخرى – وبضباط الجهاز المتخفين تحت مسميات ومهام مختلفة، لتزويدها بالمعلومات، وبالتغذية الراجعة، وردود الفعل لما تقدمه من برامج وتعليقات، مما يُمكن القائمين على الإذاعة من رفع الوتيرة أو خفضها[١].

فالمخابرات كانت تقوم بعملية توجيه، وهي المهمة التي انحصرت بجهات عليا، عسكرية وسياسية، مع استثناء يتمثل بمحمد حسنين هيكل، الذي لم يكن مجرد صحفي، وإنما كان –حسب أحمد سعيد– "مهندس أفكار وعقل فذ يعبر عن الضمير المتلألئ لعبد الناصر"، فكانت لديه المقدرة على التدخل بسير صوت العرب اقتراحاً وتوجيهاً[٢]، وتقدم بعض الآراء دوراً ونفوذاً[*] أوسع؛ فهو المتحكم بوسائل الإعلام[٣]، وهو" رئيس التحريري الأسطوري" الذي أهله قربه الشديد والتصاقه به، لترجمة أفكاره عبر مقالاته الأسبوعية، التي كانت تترجمها المخابرات الإسرائيلية، ومخابرات دول أخرى كثيرة، لتنوير صاحب القرار بتفكير القيادة المصرية[٤]، واستناداً لذلك عُدَّ "الناطق باسم عبد الناصر"[٥] "والشخصية الأقوى بمصر"[٦]، فكان الوحيد القادر على الاقتراب من المحرمات، وقول ونشر "ما يريد وكما يريد"، حتى أن الأسرار

---

(1) James, Article

(٢) أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٦.

* يقدم ناصر الدين النشاشيبي وقائع تبين مدى قوة نفوذه، فقد كانت سكرتيرته في الأهرام، نوال المحلاوي "تتجرأ على طرد زعماء عرب كبار مثل صائب سلام، وسليمان فرنجية، وصديق شنشل، وفائق السامرائي، من مكتبها عندما يدق أمامها جرس التلفون الأبيض الخاص ويكون عبد الناصر على الخط يطلب الحديث مع هيكل ..."، وهو ما وصفه النشاشيبي بـ "الإهانات المتعمدة" لأولئك الزعماء الذين كانوا ينتظرون الدخول إلى هيكل تمهيداً لمقابلة عبد الناصر"؛ النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٣٢٨.

(٣) عبد الرحمن البيضاني: أزمة الأمة العربية وثورة اليمن (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٤) ص ٦٦٩.

(٤) اليوم السابع، الكاتب الإسرائيلي يوحاي سيلع يحمل هيكل وأحمد سعيد مسؤولية هزيمة ١٩٦٧، ٢٠٠٩/٥/٣١، (www.youm7.com)، وسيشار إليها فيما بعد: اليوم السابع، ٢٠٠٩/٥/٣١.

(٥) البيضاني، مرجع سابق، ص ٦٦٩.

(٦) اليوم السابع، ٢٠٠٩/٥/٣١.

الشخصية الخاصة لم تسلم منه[1]. وقد حُمِّل مع أحمد سعيد مسؤولية تكوين "المزاج" العربـي* لغاية حرب ١٩٦٧**، والمضمن الترويج لسهولة "إبادة إسرائيل"، لدرجة جعل الناس "يتمنـون اندلاع الحرب"، متراجعاً بذلك عما استوعبه من دروس حرب ١٩٤٨م التي غطاها مباشرة وما كتبه إثر انتهائها عن ضرورة "عدم الاستهزاء بقوة اليهود وتخطيطهم"[2].

ولعبت مقالته في الأهرام وتحديداً زاوية بصراحة، محطة أسبوعية هامة في تكوين رأي المواطن العربي إزاء القضايا المطروحة: فكان بثها يوم الجمعة من صوت العرب يلقي إقبـالاً كبيراً من المواطن العرب للاستماع إليها، فكانوا "يتحلقون حول المذياع وكأن علـى رؤوسـهم الطير"، ثم ما يلبثون الدخول في نقاشات حول أرائه المطروحة عبر مقالته التي كانـت "تهـز عروشاً وأنظمة"، وتحرك الشارع لإسقاط الحكومات، كما حصل بعد مقاله الشهير "إني أعترض" مع الحكومة السورية في شهر آذار من عام ١٩٦٣ [3].

---

(1) ناصر الدين النشاشيبي: ملاعب الذكريات (لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١)، ص ١٥، ١٣.

* من الآراء الشهيرة التي تبناها وروج لها، تبريره التدخل العسكري المصري في اليمن بعد ثـورة أيلـول ١٩٦٢م هناك، ووضعه في إطار السعي لتحرير فلسطين، وهو طرح واجهه آنذاك رئيس الوزراء الأردني وصفي التل، بطرح مقابل أكد فيه بأن دخول اليمن "سيكون بدء ندامة لعبد الناصـر" وسيـشكل اسـتنزافاً لمقدرات وطاقات الجيش المصري. وقد كان ذلك التدخل من الأسباب الرئيسة التـي أدت لاحقـاً لهزيمـة حزيران ١٩٦٧؛ العجلوني، مرجع سابق، ص١١٩-١٢٠.

** كتب هيكل في ١٩٦٧/٦/٢، "إن إسرائيل مقبلة على عملية انكسار تكاد تكون محققة "سواء من الـداخل أو الخارج"؛ محمد حسنين هيكل، الصراع الذي يدور فـي التفكيـر الإسـرائيلي الآن، بـصراحة الأهـرام، ١٩٦٧/٦/٢. ورغم حديثه عن النصر المؤكد فيما تقدم، إلا أنه كان من أنصار تلقي الضربة الأولى. حيث كتب في ١٩٦٧/٥/٢٦م "على مصر بعد كل ما نجحت في تحقيقه أن تنتظر.. حتى ولو كـان انتظارهـا لضربة.. ذلك ضروري أيضاً لسلامة خط سير المعركة خصوصاً من وجهة نظر دولية، ولتبدأ إسـرائيل! ولتكن بعد ضربتنا الثانية متحفزة وقاضية.."؛ محمد حسنين هيكل، الصدام بالسلاح مع إسـرائيل محـتم.. لماذا!!؟ بصراحة، الأهرام، ١٩٦٧/٥/٢٦م. المفارقة أن هيكل حاول تبرئة نفسه لاحقا من الترويج لسهولة الانتصار على إسرائيل.

حينما كتب في ١٩٦٧/٧/١٤ " كنا نشكو من الذين يستهينون بقوة العدو ويصورون الحرب على أنها نزهة تبدأ في الضحى وتنتهي في العصر على شاطئ البحر في تل أبيب"؛ محمد حسنين هيكـل، مـؤتمر أو لا مؤتمر، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٧/٧/١٤م.

(2) اليوم السابع، ٢٠٠٩/٥/٣١م.

(3) محمـد المـسفر، هيكـل الأبـرز فـي الـصحافة، مقـال، الـشروق القطريـة، ٢٠١٠/٩/٢٣، (www.shorouknews.com).

وبالمحصلة فإن التوجيهات الرسمية التي سيَّرت صوت العرب منذ انطلاقها أدت إلى ما سمي "بتعميق الإحساس الثوري" لدى المواطنين العرب، وتعزيزه، مع الدفع لتحقيقه على أرض الواقع[١]. وكانت التجربة الأولى في ذلك مرتبطة بالمغرب العربي.

يؤكد أحمد سعيد أن ميلاد صوت العرب كإذاعة "ثورية"، تحقق بمساندتها للثورة المغربية، إثر نفي الفرنسيين للملك محمد الخامس* في ١٩٥٣/٨/٢٠، لرفضه التوقيع على مراسيم تعزز الوجود الاستيطاني على حساب الشعب المغربي، وكان قرار عبد الناصر بالسير على تلك الطريق مثيراً لاستغراب بعض العاملين في صوت العرب؛ فالثورة تساند نظاماً مثيلاً للملكية التي أزالتها، ولكنه بين أن سياسة "ثورة يوليو" تجاه الأنظمة العربية لا تحكمها صفة النظام الملكية أو الجمهورية، إنما موقفها وسياستها إزاء الاستعمار، فكانت التجربة الأولى في التعامل مع "قضية ثورية"، ولم يمض على بدء بث البرنامج سوى أسابيع قليلة، ولكنها قدمت درساً لصوت العرب في التعبئة النفسية والاستمرارية "النضالية" وحشد القوى العربية والإسلامية لمناصرتها، خاصة وأن "صوت العرب كانت الجهاز الوحيد القومي الثوري التوجه.....". وانطلق من هذه التجربة أول تعليق "حماسي" لأحمد سعيد يؤجج المشاعر والثورة، ويدعو لموقف صلب غير مساوم[٢].

---

[١] الحجلاوي، مرجع سابق، ص١٢٧.

* محمد الخامس ١٩٠٩-١٩٦١: تولى الحكم عام ١٩٢٧م، وكان المغرب تحت الاستعمار الفرنسي. كان متعاطفاً مع الحركة الوطنية حيث أعلن عام ١٩٤٧ عن حق الشعب المغربي بالحرية والسيادة على أرضه، وقد استخدم الفرنسيون الترغيب والترهيب، فدعوه لزيارة باريس عام ١٩٥٠ في محاولة لتليين موقفه، ولكنهم فشلوا وتصاعد الأمر حينما اصطدم مع الحاكم الفرنسي ورفض التصديق على أحد المراسيم، فعادوا إلى الضغط عليه، فانتزعوا منه إدانة لحزب الاستقلال عام، لكنه عاد عام ١٩٥٢م للمطالبة بالاستقلال الكامل، ما دفعهم لخلعه ونفيه مع أسرته إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى مدغشقر؛ فراس البيطار: الموسوعة السياسية والعسكرية، ج٣، (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٣) ص ٩٦٥-٩٦٦.

[٢] أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٢.

وهو ما أثار ردة فعل فرنسية، تمثلت باحتجاج دبلوماسي، مترافق مع حملة دعائية واسعة في فرنسا ضد صوت العرب[١]، واستغراب للموقف المصري ودوافعه، قابلــه عبــد الناصــر بإصرار على النهج الدعائي، مبرراً إياه بوحدة الأمة والمصير[٢]، مع ما يجري في شمال إفريقيا بأكمله[٣].

وقد اعترف الملك محمد الخامس، وأشاد بعد عودته من المنفى عام ١٩٥٥ بدور صــوت العرب، كـــ"بشير" له أثناء الأزمة بحتمية النصر والعودة[٤]. ولاشك فإن نجــاح دعايتــه فــي المغرب، حفزه لمدها نحو مناطق أخرى في المغرب العربي.

فأطلق برنامج "الجزائر الحرة" عام ١٩٥٥م، فقابله الفرنسيون بمحاولة الحد من الاستماع إليه بإصدار مرسوم في تشرين الأول ينص على وقف بيع أجهزة الراديو "بالبطاريــة" ومنــع تسربها عبر الجمارك، وأصبح بيعها لا يتم إلا بتصريح خاص من الأمن، مع توثيق مــا لــدى التجار من أجهزة، وعناوين المشترين لها، ورقم التصريح الرســمي، وتاريخــه، وأي بيانــات إضافية يمكن أن تسهل عملية المراقبة[٥]. ويمكن القول أن التوجه الدعائي لصوت العرب فــي دعم حركات التحرر في المغرب العربي بعد انطلاقته بمدة قصيرة تــرك أثــراً جاذبــاً علــى المستمعين العرب إلى جانب عوامل أخرى عديدة أسهمت برفع مستوى شعبيتها، كما سيتضح.

حدد عبد الناصر الإطار الجغرافي لدعايته بحدود الأمة العربية، فهي "تنتهــي حيــث لا تجد... أي صدى" لها[٦]. فالشعوب العربية بأكملها مشمولة بتلك الدعاية التي كان يحدد مسارها،

---

(١) أحمد سعيد مقابلة، حلقة ٢.

(٢) مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر مع صحيفة لوموند الفرنسية، ١٩٥٤/٨/٢.

(٣) مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر مع صحيفة كارفور الفرنسية ١٩٥٤/١/٥.

(٤) صبري، مقال؛ أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٢.

(٥) ابن حاله، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٦) محمد سعيد باديب: الصراع السعودي المصري حول اليمن الشمالي (١٩٦٢-١٩٧٠)، ص٩٥.

بخطاباته وأحاديثه الصحفية، ومن ثم يجري تدويرها إذاعياً وصحفياً، ولعل الناظر في وثائق الرصد الإذاعي سيرى هذه الآلية بوضوح[١]، وقد علقت الإذاعة الإسرائيلية على ذلك بطريقتها الخاصة؛ حينما أكدت أن عبد الناصر "يرسم خطاً لتسير عليه أجهزته الإعلامية في خطبة واحدة، أو في خطابات متعددة ثم تأتي جوقات الكتاب يجترون أقواله اجتراراً مع إضافة بعض التوابل والبهارات..." [٢]، ومع اتضاح حدود الدعاية، والفئة المستهدفة، والآلية الراسمة لمسارها، فإن العوامل الجاذبة ستأتي لتعبر عن العلاقة التفاعلية ما بين الجغرافيا، والديمغرافيا، والقيادة أو الزعامة.

أدت خطابات عبد الناصر عبر صوت العرب دوراً فاعلاً في توسيع دائرة المستمعين، والمتتبع لها يجدها مزدحمة بالشعارات العاطفية "الملامسة لقلوب العرب"[٣].

فالوحدة العربية "والدسائس الغربية"[٤]، و"الرجعية ومؤامراتها"[٥]، وتحرير فلسطين[٦]، ودور القادة العرب "بضياعها"، ودور الغرب بقيام إسرائيل[٧]، ونكثهم الوعود مع العرب، وإمكانية استخدام البترول كسلاح في المواجهة مع إسرائيل[٨]. شعارات كانت حاضرة وبصورة متكررة ومستمرة في خطاباته، المتسمة بالجِدة.

---

[١] انظر مثلاً وثائق الرصد الإذاعي للإذاعة الأردنية لعامي ١٩٥٩ و١٩٦٠ على سبيل المثال لا الحصر.

[٢] الإذاعة الإسرائيلية: تعليق ١٩٥٩/١٢/٣٠، ج١٨-٣٤.

[٣] أبو زيد، مقابلة.

[٤] كلمة جمال عبد الناصر باللغة الإنجليزية لإذاعة صوت أمريكا، ١٩٥٣/٧/٣٠.

[٥] كلمة جمال عبد الناصر في افتتاح هيئة التحرير ببني سويف، ١٩٥٣/٨/١٥.

[٦] كلمة جمال عبد الناصر في افتتاح مؤتمر رؤساء أركان الجيوش العربية، ١٩٥٣/٨/٢٥.

[٧] كلمة جمال عبد الناصر في نادي فلسطين بالإسكندرية، ١٩٥٣/١٢/١٣.

[٨] عصمت السعيد: نوري السعيد رجل الدولة والإنسان (لندن: مبرة عصام السعيد، ١٩٩٢)، ص١٥٠.

فلأول مرة يستمع المواطن العربي إلى هكذا نبرة من زعيم عربي. لقد كانت خطاباته تجيء بلهجة "مليئة بالثقة والاعتزاز"[١]، نابعة من شخص "أتقن فن الزعامة"، إلى جانب مشروعه القومي، وما لديه من "كاريزما"*، ما جعل "الناس يزدادون حباً وتعلقاً، وانتظاراً لإطلالته القادمة"، فما تقدم، عواملٌ أسهمت في قوة صوت العرب وانتشارها[٢].

والمفارقة التي لا بد من ذكرها أن تلك الشعارات التي كانت تطرح قبل وبعد تأسيس صوت العرب كانت مترافقة مع سياسات في السر تبدو مناقضة لها؛ حيث كانت تجري مفاوضات مصرية إسرائيلية سرية لتحقيق السلام، من خلال قنوات تجسدت بما سمي باللجنة العربية الإسرائيلية، والمجلس المصري للسلام بعد تأسيسهما بداية الخمسينات لتلك الغاية[٣]. وذلك كله مع اتصالات جرت مع المخابرات الأمريكية" كما سنرى لاحقاً.

واستناداً لبعض الآراء فعبد الناصر اعتمد "وجهاً للتعبير عن الكفاح والثورة والتحرر"، ويخاطب به العامة، ووجهاً "سرياً" على المستوى الدولي يعرض من خلاله رغبته بحل القضية الفلسطينية بشكل سلمي[٤].

وفي مذكرات الموسيقار محمد عبد الوهاب، انتقاد لازدواجية الخطاب، وهو ما عبر عنه بقوله: "... إن عبد الناصر كان يخطب في الجمهور وهو غير مؤمن بما يقول، ويعلم أنه يخدع

---

* "تعبير يشير إلى الصفات الساحرة التي تلتصق بقائد أو زعيم بحيث تحبب الجماهير به وتجعله معبودها الذي تتحمس له ومن الممكن أن تكون تلك الصفات حقيقية أو وهمية، كليا أو جزئيا، ولكن المهم هو إقناع الجماهير بأنها حقيقية حتى لو لم تكن في الواقع الموضوعي كذلك"؛ عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٥٤. ويعدها البعض كأحد أساليب إضفاء الشرعية على السلطة؛ فرانك بيلي: معجم كوبل للعلوم السياسية (دبي: مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤) ص ٩٣.

(٢) أبو زيد، مقابلة.

(3) Laura M. James: Nasser At War (Hampshire: Macmillan, 2006) PP. 1-10.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق، ١٩٦٠/٨/٢٢، ج٢٦٠-٢٧٤.

الجماهير ومع ذلك تصدقه بتحمس شديد..."[١]. وفكرة "الخداع" هذه تقترب من فكرة الاستهتار بالشارع التي طرحها الملك حسين.

حيث رأى أن عبدالناصر تعامل معه "كقطيع من النعاج يحركه كيفما شاء لخدمة مآربه..."[٢] ولكننا نجد عبد الناصر ينتقد ازدواجية الخطاب أيضاً لدى بعض الزعماء العرب: فقد اتهمهم بممارستها، بإطلاق تصريحات بسقف مرتفع تتعلق بالقضية الفلسطينية، بالتزامن مع الاتصال بواشنطن وتطمينها بأن الهدف هو للدعاية المحلية، والتنفيس عن الرأي العام وتهدئته[٣]. وأرى أن تلك الثنائية كانت تعبر عن تلازم المتناقضات وانسجامها في خدمة الأنظمة؛ دعاية العلن، وسياسات الخفاء، التي غطتها أساليب الدعاية السائدة آنذاك والتي كانت أيضاً من العوامل الجاذبة في صوت العرب.

شكل أسلوب أحمد سعيد عاملاً من عوامل انتشار صوت العرب إذ أخذ بأسلوبٍ لا يمت "للأداء الكلاسيكي الرصين" بصلة، معتمداً على "الحماسة والإثارة العاطفية الشديدة"، مع تبرير يقول بانسجامه مع طبيعة المرحلة والظروف التي كانت سائدة آنذاك، ولتوعية الرأي العام العربي بالأخطار المحيطة به استناداً لأسلوبه المبتكر[٤]. ولكن هناك يرى أن أسلوبه الإذاعي لم يكن ابتكاراً خاصا لأحمد السعيد، بل هو اقتداء بأسلوب المذيع العراقي يونس البحري، خلال عمله في إذاعة برلين العربية[٥]، التي أُسست في بداية شهر نيسان ١٩٣٩م[٦].

---

(١) الدستور، ٢٠٠٨/٨/٢.

(٢) الحسين بن طلال: ٢٥ عاماً من التاريخ، مجموعة خطب الملك الحسين بن طلال ١٩٥٢–١٩٧٧، جمع وإعداد علي محافظة (لندن: شركة مطاوع للنشر، د.ن)، خطاب الملك حسين بمناسبة مرور عام على سلسلة خطابات "فلنبن هذا البلد ولنخدم هذه الأمة"، ١٩٦١/١٢/٥، ج١، ص٦٧٥، وسيتم توثيقه فيما بعد بذكر اسم الملك، ثم مناسبة الخطاب، والتاريخ، والصفحة.

(٣) محمد حسنين هيكل، بصراحة، أخطر الوثائق، بصراحة الأهرام، ١٩٦٢/٩/٢١.

(٤) صبري، مقال.

(٥) السعيد، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٦) دوغلاس أ. بويد: إذاعة الشرق الأدنى، صوت بريطانيا، محطة الإذاعة العربية البريطانية "السرية" وكارثة دعاية السويس، حوليات القدس، ع٥، رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٧، ص٨٧.

وتعد الإذاعة الإسرائيلية أحمد سعيد كوريث له "دون منازع"، مع تشبيه دعايته لعبد الناصر بدعاية البحري لهتلر، مع فارق بسيط في التحية؛ "حي العرب من برلين" و"العزة للعرب" من صوت العرب، مع تطابق في اعتماد الشتائم والمسبات والألفاظ النابية"، واختراع الألقاب[١]، ونجد من يصف أسلوبه –أي أسلوب أحمد سعيد– "بالغوغائي"[٢]، وبالمقابل فهناك من يضع أسلوبه في قالب اللغة المبسطة الموجهة للشعب العربي، لشرح أفكار الثورة "والمؤامرات المحيطة"[٣]، فكان يتحدث "بما يجول في خاطر الناس في الأرياف والمدن والبوادي والجيش فيرتاحوا ويصفقوا ويهللوا..."[٤].

ويرى مختصون في هذا الشأن، أن الإفراط باستخدام النبرة "العاطفية العنيفة"، التي تميزت بها دعاية صوت العرب، جاء لتعويض عدم توفر "البراهين الجادة" في بعض القضايا المطروحة[٥]، ووفقاً للكاتب الأردني إبراهيم سكجها* فقد استخدمها كأداة وأسلوب لتحقيق الأهداف السياسية، وهو ما جعلها مسيطرة على العقل العربي لفترة طويلة بات فيها كصاحب "مدرسة دعائية"[٦].

---

(١) تقارير الرصد للإذاعة الأردنية: إذاعة إسرائيل، تعليق، ١٩٦٠/٣/٥، ج ١٠١–١١٥. سيتم فيما بعد الاكتفاء بذكر التفاصيل المتعلقة بالإذاعة التي تم رصدها دون ذكر لعبارة تقارير الرصد للإذاعة الأردنية، ودون الالتزام بقاعدة المرجع السابق، في حين سيتم الالتزام بالمرجع نفسه في حال تطابقت كافة التفاصيل في هامشين متتاليين.

(٢) أبو زيد، مقابله.

(3) James, Article.

(٤) محمد الخطيب، مذيع سابق في صوت العرب ووزير إعلام أردني أسبق، مقابلة، المنزل، عمان ٢٠١١/٧/٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: الخطيب، مقابلة.

(٥) بن حاله، مرجع سابق، ص١٩٥.

* ولد في يافا في العشرينيات، وأسهم بتأسيس بعض الصحف الأردنية، وهو من رواد الحركة الأدبية في الأردن وفلسطين، محمد عمر حمادة: موسوعة أعلام فلسطين، ج١ (دمشق: وزارة الإعلام، ١٩٩٨) ص٢٢.

(٦) الدستور، ١٩٦٧/٩/٢١.

وقد أدى استفرادها إلى غياب " التفكير البارد الهادئ الذي لا يتأثر بالانفعالات والحماس السطحي"، ويعتمد مبدأ تشرشل* (Churchill) "احمل عصاً غليظة وتكلم بصوت ناعم"(١)، وأسهم ذلك الغياب بتعظيم الهزيمة النفسية بعد حرب حزيران ١٩٦٧، وتمخضتْ عنه حالةٌ من "الذهول والتخدير"(٢)، "واليأس، والصعقة المفاجأة"(٣) لاعتماده على إخفاء الحقائق، و "التلهي بدغدغة العواطف"، و"إلهاب الحماس" مع تجاهلٍ للقدرات الذاتية، مفرزاً حالة نفسية شعبية تعيش في "واقع خيالي مهيج" و "منسلخ" عن معطيات الواقع(٤).

وما ساعد إذاعة صوت العرب على تحقيق فاعلية كبيرة وجودها في محيط ترتفع فيه نسب الأمية إلى مستويات عالية(٥). مع اتهامها باستخدام "التكرار والتضخيم للاختلاقات، والأكاذيب"(٦). وقد دعاها السعوديون بـ"صوت الدجل"(٧)، فيما أطلق الأردنيون على مضامينها المتكررة بـ"دوامة الدجل والتهريج"(٨). وتارة أخرى "صندوق الأكاذيب" وفقاً لتسمية وصفي التل(٩)، أما صلاح أبو زيد فنعتها بـ "صوت الدعارة والخيانة"(١٠)، ورأى أنه من غير المنطقي

* ونستون تشرشل ١٨٧٤-١٩٦٥: سياسي ورجل دولة بريطاني كان صهيونيا متطرفاً تقلد العديد من المناصب كان من أهمها منصب رئاسة الوزراء طيلة الحرب . التي قاد فيها بريطانيا إلى هزيمة ألمانيا، ولكنه فشل في انتخابات ١٩٤٥، لكنه عاد إلى رئاسة الوزراء في الفترة ما بين ١٩٥١-١٩٥٥. دعا الأمريكيين للاستمرار في حرب ضد الاتحاد السوفيتي بعد هزيمة هتلر؛ عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١)، ص٧٤١-٧٤٢.

(١) الدستور، ١٩٦٧/١٠/٢٨.

(٢) الدستور، ١٩٦٧/٩/٢٦.

(٣) الدستور، ١٩٦٧/٦/١١.

(٤) الدستور، ١٩٦٧/٩/٢٦.

(5) James, Article.

(٦) الإذاعة الإسرائيلية: تعليق، ١٩٥٩/١٢/٥، ج١٨-٣٤.

(٧) إذاعة مكة، بيان وزارة الدفاع والطيران ١٩٦٢/١٠/٦.

(٨) إذاعة عمان، برنامج حديث البلد، ١٩٦٦/١١/٢٥.

(٩) الإذاعة الأردنية، التعليقات التالية لحادثة السموع في ١٩٦٦/١١/١٣.

(١٠) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، صالح هندي وبشير أمين، ١٩٦٠/١١/٢٠، ج٣٥٢-٣٦٦.

أن تسمى صوت العرب، والأجدر أن تسمى صوت مصر، لأنها لم تخدم سوى أهداف النظـــام المصري[١]، وهذا ما يقترب من رأي آخر أطلق عليها "صوت جمال عبد الناصر" حيــث مــن الصعب الفصل بين سياساته وأداء صوت العرب[٢].

والحقيقة فإن تلك التسميات تحمل في طياتها ردّات فعل على قوتها وما تركته من تـــأثير في محيطها، وهناك من يعزو ذلك – أي القوة والتأثير إلى نطاق أشمل من سمات الأشـــخاص المرتبطين بصوت العرب.

فبراعة المصريين عموما بالكلام سبب هام، جعل الدعاية المصرية قادرة علـــى فــرض سيطرتها على الرأي العام العربي، لا بل صنفت "كأقوى دعاية في العـــالم"[٣]، وفـــي الوثـــائق البريطانية وصفت موهبتهم تلك بأنها سلاح خطير للغاية، ظهرت فاعليته من خلال الإذاعة[٤].

تُخرج بعض التفسيرات التأثير الذي حققته الدعاية المصرية بشكل عام وصوت العــرب بشكل خاص، من إطاره المصري، لتضعه في كفة العامل الخارجي.

فتذكر العديد من المصادر أن السلطات المصرية استعانت برجال الدعاية النازية المشتتين عبر العالم[٥] لبناء دعاية فعالة، في الصحافة والإذاعة، باقتباس الأسلوب سواء علـــى مـــستوى الإذاعة[٦]، أو على مستوى القيادة؛ فأداء هتلر وموسوليني في الخطابة "والحركـــات التمثيليـــة

---

(١) أبو زيد، مقابلة.

(2) Lura M. James, Article, Whos Voice? Nasser The Arab "Sawt Al Arab" Radio. (www.tbs Journal. com/Jarneshtml).

(٣) أحمد مختار بابان: مذكرات، إعداد وتقديم كمال مظهر، بيروت: المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنـــشر، ١٩٩٩م، ص٨١.

(4) J. Vol. 9 Mr. R. Mason To Mr. E Rose, 3 November. 1955, with Enclosure Memorandum On Egyptian Policy Toward Jordan. 22 October. 1955, FO371/115, 645, P. 183.

(٥) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٦) السعيد، مرجع سابق، ص١٣٦.

المحكمة الإخراج"، جرى اعتمادها في خطابات عبد الناصر لاستمالة "الجماهير"* والتأثير عليها(١)، كذلك القيام بدعاية واسعة لتثبيت زعامته في الوطن العربي، كتلك التي نفذتها وزارة الدعاية النازية لترسيخ حكم هتلر(٢).

بعض المختصين في هذا الشأن يذهب إلى أن التأثير النازي يمتد ليشمل الأخذ بأدوات جوبلز** في تأسيس "الطابور الخامس"، عبر نشر مكثف للمطبوعات. والاعتماد على الشباب العربي الدارسين في الأزهر، وعلى المعلمين والأطباء المصريين، ورجال الدين العاملين في البلاد العربية، وتفعيل عمل السفارات في الخارج لجذب الطلاب*** العرب وتوزيع المنشورات(٣). ولعل تلك المقارنة ما بين أسلوب الدعاية المصرية والنازية تنسجم مع الصورة، التي حاولت أن تطبعها دوائر الإعلام الغربي لعبد الناصر على أنه هتلر جديد، يسعى لبناء

---

* تقدم بعض المصادر صورة للوضعية النفسية للجماهير خلال خطابات هتلر فتقول: "دهش كثير من الملاحظين أبان ألقاء هتلر لخطبة من منظر الأفراد وقد تجمدوا فيما يشبه الغيبوبة. والحق أن النازية بتلاعبها المرة بعد الأخرى بطرفي الحياة العصبية – ونعني الرعب والحماس – قد استطاعت الإمساك بالجهاز العصبي داخل ألمانيا وخارجها. وهذا يرجع في نهاية الأمر إلى حالة نفسية واحدة، ألا وهي حالة العاطفة التي تشتمل على شتى الدرجات الواقعة بين الخوف والحماسة. وكثير من الرجال الذين ساروا وراء هتلر وماتوا من أجله كانوا يكرهونه، ولكن طرق الدعاية الهتلرية وإيقاعها جعلهم في حالة من التنويم المغناطيسي بكل ما في هذه الكلمة من معنى .. كانوا فاقدين للإرادة ومن ثم فقدوا القدرة على الفهم والقدرة على الكراهية. والحق أنهم لم يكونوا يحبون هتلر ولا يكرهونه وإنما كانوا مسحورين به فاستحالوا إلى دمى بين يديه"؛ حاتم، مرجع سابق، ص٢١٦.

(١) خالد العظم: مذكرات، ج٣، (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣)، ص ٣٣٨.

(٢) السعيد، مرجع سابق، ص١٣٤.

** وزير الدعاية الألمانية في العهد النازي؛ انظر فراس البيطار: الموسوعة السياسية والعسكرية، ج٣ (عمان: دار أسامة للنشر، ٢٠٠٣)، ص٨٤٠.

*** كانت هناك استقبالات لوفود طلابية عربية للقاء عبدالناصر منذ عام ١٩٥٣م، كما كان هناك اهتمام بالطلبة العرب الدارسين في الجامعات المصرية، ومثال ذلك ما جرى في ١٩٥٤/٥/٢٩ حينما أقام جمال عبدالناصر، وكان حينها رئيساً للوزراء، مأدبة إفطار للطلبة العرب في الجامعات المصرية بمناسبة إنهاء العام الدراسي، وكان بحضور وزير الإرشاد القومي؛ أيام عبدالناصر في الصحافة؛ الأرشيف الالكتروني للرئيس جمال عبدالناصر. .(nasser. bibalex.org/speeches)

(٣) السعيد، مرجع سابق، ص ٢٥٦؛ العظم، ج١، مرجع سابق، ص ٣٣٥–٣٣٩.

إمبراطورية عربية، وهو مفصل سيتضح عند التطرق لعملية التأميم، والعدوان الثلاثي. وعلى كلٍ فقد أخذ القائمون على صوت العرب آليات شتى للترويج لها وصلت إلى استخدام الغناء الموسيقي لتحقيق ذلك.

تؤكد بعض الآراء أن صوت العرب استطاعت أن تفرض هيمنتها على "أمواج الأثير" العربية، عبر تسلحها بمنتجات الثقافة المصرية، وبخاصة في الغناء مجسدا بصوت أم كلثوم، وعبدالحليم حافظ، الذي كان يحظى بشعبية كبيرة بين الشباب ذلك الوقت. يُضاف إلى ما تقدم، استعانة الإذاعة ببعض الأصوات من خارج الوسط الغنائي، نضرب مثلا: صوت الشيخ عبدالباسط مجودا للقرآن الكريم، علاوة على صوت عبدالناصر وخطاباته وشعاراته القومية، والتي شكلت تهديدا لمن يخالفونه الرأي ووجهات النظر[(١)]. وبهذا تكون صوت العرب اعتمدت على تشكيلة من الأصوات الفنية، والدينية، والسياسية، بهدف تحقيق الانتشار واستمالة المستمعين. لقد اتجهت الثورة عند قيامها إلى استخدام الغناء كقوة دعائية مساندة، معتمدة بالدرجة الأولى على صوت أم كلثوم، وهي التي شابت علاقتها مع الثورة شيء من الشك عند قيامها.

فقد اعتبرها بعض الضباط الأحرار[(٢)] من بقايا العهد الملكي لعلاقتها القوية مع الملك فاروق الذي غنت* له "حبيبي يسعد أوقاته" فمنحها نيشان الكمال لقب "صاحبة العصمة"، لذا

---

(1) Fandy, Op.Cit., P.41-42.
(2) Ibid, P.41-42.

* كانت على علاقة وثيقة بالعائلة المالكة وهو ما يتضح من كم الأغنيات المتعلقة بها، ومنها أغنية عيد الدهر بمناسبة جلوس فاروق على العرش في "الموسم الغنائي" ١٩٣٥-١٩٣٦م، وأغنية "يا مليكي الحسن سجدلك" في الموسم نفسه، وأغنية ميلاد الملك "اجمعي يا مصر أزهار الأماني"، في موسم ١٩٣٦-١٩٣٧م، وأغنية "أشرقت شمس التهاني"، بمناسبة زفاف فاروق، والملكة فريدة في موسم ١٩٣٧-١٩٣٨م، و"يا أغاني السماء" بمناسبة ولادة الأميرة فريال، و"ارفعي يا مصر أعلام السرور" بمناسبة مرور عام على زواج فاروق وفريدة، موسم ١٩٣٨-١٩٣٩، و"يا بدر لما جبينك لاح"، بمرور عامين على المناسبة السابقة، بموسم ١٩٣٩-١٩٤٠، و"أميرة الوادي" بولادة الأميرة فادية، موسم ١٩٤٢-١٩٤٣م، وقصيدة الملك "أيقظي يا طير نعسان الورد" بميلاد فاروق، موسم ١٩٤٥-١٩٤٦م، وأغنية الزفة "مبروك على سموك وسموه" بزفاف الأميرة فوزية والأمير شاهبور الإيراني بموسم ١٩٤٧-١٩٤٨م، وحبيبي يسعد أوقاته في ١٩٤٤/٩/٢٤م حيث منحها نيشان الكمال، الذي يمنح لقب صاحبة العصمة بعدما غيرت أحد مقاطع الأغنية الذي تصادف مع دخول فاروق لحضور حفلة النادي الأهلي، فأصبحت "قفلة" الأغنية "والليلة عيد على الدنيا سعيد، عز وتمجيد لك يا مليكي"، بعد أن غيرت القفلة الأساسية "وأنت حبيبي". ولم تعش هذه الأغنيات في وجدان الجمهور؛ ولم تعرف أي شهرة، لا عند ظهورها ولا بعد ذلك، فقد كانت تلحن وتغنى=

أوقف بث أغنياتها من الإذاعة المصرية، واتجه الرأي نحو ليلى مراد كمطربة للعهــد الجديــد، رغم أن أغنية "مصر التي في خاطري" لأم كلثوم كانت تذاع في مقدمة البيانات الثورية[١].

ولكن تدخل مصطفى أمين، ومحمد حسنين هيكل لدى عبد الناصر أعاد أغنياتها إلى البث، مع التمسك بخيار ليلى مراد، وبحجة المطالبة بحقها المادي عن إذاعة قصيدة "مصر التي فــي خاطري"، زارت أم كلثوم مجلس قيادة الثورة، وعرضت خدماتها على عبد الناصر، ووجــدت تعاطفاً وتطميناً لها، ولكن الاتجاهات المناوئة لها بداخله، ما لبثت أن ضيقت عليها بترشيح محمد عبد الوهاب لمنصب نقيب الموسيقيين، وهو منصب كانت تفوز به بالتزكية، ما دفعها لإعــلان اعتزال الفن نهائياً، لكن عبد الناصر كان له رأي آخر، فاصطحب مجلس قيادة الثورة "في ساعة متأخرة من الليل" إلى منزلها وتمت تصفية الأجواء، والتأكد من "ولائهــا"، فأصــبحت المغنيــة الأولى للثورة، وكتعبير عن تقديره* لها، جعل عبد الناصر الخميس الأول من كل شهر، وهــو موعد حفلتها، موعداً لاجتماع مجلس قيادة الثورة[٢].

=حصرياً للعائلة الملكية ولم تغنيها في حفلاتهــا الرئيــسة؛ إليــاس ســحاب، موســوعة أم كلثــوم، ٢٥ /٨/٢٠١٠م، موقع صوت العراق (www.Soataliraq.com).

(١) حنفي المحلاوي: معارك أم كلثوم السياسية والفكرية والاجتماعية، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٩)، ص٣١-٣٥.

* أرى أن ذلك كان تعبيراً عن قوة الترابط بين الفن والسياسة في المنطقة العربية، وإذا كان عبــد الناصــر سعى لتسخير أم كلثوم لخدمة أهداف وطنية وقومية وشخصية، إلا أن ذلك الترابط، وفي محطات أخرى من تاريخ المنطقة، شابه الكثير من الشك والشائعات.

فقد تحدث ناصر الدين النشاشيبي عن ذلك بصراحة، حينما قدم تفاصيل تتعلق بــ "أســرار العلاقــات الجنسية والعاطفية" ما بين الراقصات و "الملوك والرؤساء والوزراء والزعماء"، وما كان لهن من نفــوذ و جاه وسطوة، لدرجة أن التعرض لإحداهن كان يحرك مراكز كبيرة لنصرتهن، وهو ما جعل أهل الصحافة يحجمون عن نشر أي خبر عن تلك الخفايا . ويضيف النشاشيبي: ولعل هذا الطغيان "الفني" الذي كنا نــراه زاحفاً واضحاً من الوسط الغنائي أو المسرحي أو السينمائي على زعمائنا من رجالات العرب، قد جعلنــي أتساءل دوماً عمن يكون الأقوى نفوذاً في السيطرة على الآخر: الزعامة السياسية على أهل الفن، أم أهــل الفن على الزعامة السياسية؟ ولماذا لا نسمع مثل هذه القصص والأسرار عن زعماء جيراننــا مــن بنــي إسرائيل مثلاً؟؛ النشاشيبي مرجع سابق ص ١٦-١٨.

(٢) المحلاوي، مرجع سابق، ص٣٦-٤٠.

ولكن رواية أخرى تؤكد أن قرار المنع لم يدم سوى لأيام قليلة بقرار من ضابط "صغير" وأن عبد الناصر حسم الأمر وأبطله، معتبراً وقف أغنياتها أمراً غير عقلاني وغير مسؤول، واصفاً من اتخذوه "بالمجانين" لضخامة عواقبه السلبية، التي ستؤدي إلى "انقلاب مصر" على الثورة لمعرفته بقوة تأثير صوت أم كلثوم، الذي استعانت به الدول الكبرى في الحرب العالمية الثانية لترويج دعايتها، ولم يغب عن باله تراجع البريطانيين عام ١٩٤٥ عن قرار إيقاف بث أغنية "سلو قلبي"* من الإذاعة المصرية، خوفاً من ردة فعل عاطفية مضادة، "لا طاقة لهم بها"، كما أن استخدام بريطانيا لصوتها وبشكل مكثف كتمهيد لإعلان "استقلال" إقليم برقة عن ليبيا،

---

* ألفها أحمد شوقي أوائل العشرينات، وفي الأجواء التالية لثورة ١٩١٩، وجاءت القصيدة "محملة بروح وطنية وثابة ومتأججة"، وعندما غنت أم كلثوم القصيدة عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كانت الحركة الوطنية المصرية في أوجها، وكان الاستقلال والتحرر من الاستعمار الإنجليزي هو المطلب الأساسي، وحينما كانت تصل إلى مقطع: "وعلمنا بناء المجد حتى أخذنا إمرة الأرض اغتصابا/ وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا"، كان الجمهور "يشتعل حماساً وهتافاً وتصفيقاً"، وكان ذلك الانفعال تعبيراً قوياً عن رغبة الشعب المصري بالحرية والاستقلال، "وحسب رأي النقاد" فإن لحن البيتين كما وضعه رياض السنباطي وأدته أم كلثوم كان "يفجر انتفاضة وطنية في كل مرة"، وبذلك فقد تحولت إلى "داعية" من دعاة الجلاء بسبب هذه القصيدة، حتى أن محمد عبد الوهاب قال "إن الجمهور يصفق لها وكأنها زعيمة وطنية لا مطربة". ولم يكن يخفى على السلطات البريطانية من التأثير الكبير لتلك القصيدة، فقرر المدير البريطاني الأعلى للإذاعة المصرية إلغاء بثها من إذاعة القاهرة، وقد "أوصت" أم كلثوم لمدير الإذاعة المصري سعيد لطفي أن ينبه المدير الإنجليزي أن "سلو قلبي" هي في الأساس قصيدة دينية بمدح الرسول، وأن قرار المنع سيثير "حساسية دفينة" لدى الجماهير. ما أدى للتراجع عن قراره؛ إلياس سحاب، موسوعة أم كلثوم، الحلقة ١٢ ٢٠١٠/٨/٢٥، صوت العراق (sotaliraq.com) وسيشار إليها فيما بعد، سحاب، مرجع سابق.

ومن الجدير ذكره أن صحيفة الغارديان البريطانية حينما كتبت عن أهم خمسين حدثاً في تاريخ الموسيقى العالمية، وضعت "سلو قلبي" في المرتبة العاشرة. انظر صحيفة الغارديان البريطانية ٢٠١١/٦/١٦. "The ascent of umm kulthum" (www.guardian.co.UK/music) كما وردت المعلومة في موقع شبكة البصرة (www.abasrah.net).

تمهيداً للسيطرة عليها عام ١٩٤٩، كانت من الشواهد الماثلة في أحداث الذاكرة القريبة آنذاك على مدى فاعلية صوتها في الدعاية[١].

أصبحت أم كلثوم "اللسان الحنون، للقائد الساعي لتعزيز وجوده داخل نفسه، وداخل الضباط الأحرار... وداخل الوطن العربي..." [٢]، فهو يدرك مدى شغف العرب بصوتها.

حتى أنها عُدت "أفيون الجماهير"*، فالملايين ينتظرون حفلاتها، لدرجة أن نمط حياتهم

---

(١) سحاب، مرجع سابق.

(٢) المحلاوي، مرجع سابق، ص٣١.

* بعد حرب ١٩٦٧ ظهرت حملة نقد للأسلوب الدعائي الذي استخدمت فيه الأغنية فحَمَّلت بعض الأقلام في الصحافة المصرية أم كلثوم مسؤولية الهزيمة مؤكدة أنه لا يمكن " للشعب أن يستعد للحرب طالما أنه يسهر حتى الرابعة فجراً لكي يستمع لمغنية الراديو"؛ أحمد فؤاد أنور: الفن العربي في مواجهة إسرائيل . وكتب محمد سعيد الجندي في جريدة الدستور بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٢: "طوال العشرين سنة وطبول الحرب تدق في الإذاعات العربية والمغنون والمغنيات يمجدون الكفاح والبطولات والمنجزات الاقتصادية والاجتماعية، وظل المواطن العربي يجتر هذا الضجيج وآهات أم كلثوم وجراحات عبد الحليم، وتنصب في شرايينه تشنجات المتألمين وتذوب في عواطفه حتى القطرة الأخيرة، وهو مع كل مقطع يهزر أسه إلى اليمين والشمال أو إلى الأمام والخلف .. وإذا ما قامت الحرب على الطبيعة لا وهماً في الإذاعات قيل له أن الذي حدث كان قدراً لا خطأ.."؛ الدستور، ١٩٦٧/٩/١٢.

وفي مدونة الدكتور ياسر ثابت إضافة أخرى تقول: "بأن الأغاني الوطنية التي قدمها عبد الحليم وغيره تحولت إلى جرح غائر في جسد المواطن المصري بعد حرب حزيران وبعضها أصبح مثار سخرية مزعجة لأن المواطن أكتشف فارق السنوات الضوئية بين الواقع والدعاية الصوتية التي كانت تتردد على مسامعه ليل نهار"، لقد كانت أغانيه المشحونة بالحماس.. أحد أسباب وقوع الجماهير فريسة عالم خيالي.." تبدو فيه مصر "الأفضل والأحسن والأقوى"، حتى بدأ لهم أن "إزالة إسرائيل أو إغراقها أسهل من قطم قطعة الكيك"؛ ياسر ثابت، مدونة ياسر ثابت، د.ع، وتحدث عبد الناصر في سياق "نقد الذات" بعد الحرب عن ضرورة الحد من "الأناشيد الحماسية"، مستند إلى ما جاءه من رسائل المستمعين المعبرين عن مللهم من ذلك التيار السائد في الإذاعات المصرية، والذي دفعهم للاستماع للإذاعات الأجنبية؛ كما احتج عبد الناصر بالأسلوب الذي اعتمدته الإذاعات البريطانية خلال الحرب حيث لم تطغى فيه موسيقى الحرب وأغانيه على باقي الجوانب، بل سارت بطريقة طبيعية داعيا إلى إيجاد صيغة توفق وتوازن ما بين الأغاني الحماسية والعاطفية؛ خطاب الرئيس عبد الناصر في العيد الخامس عشر للثورة، ١٩٦٧/٧/٢٣م. وفتحت تلك الانتقادات الباب في الصحافة الأردنية لوصف الفن بأنه "طريق الهاوية" وقد كان للملك حسين موقف من ذلك عبر رسالة وجهها إلى "حملة القلم في الصحافة الأردنية"، في ١٩٦٧/٩/١٣م أكد فيها أن الفن "سلاح" أدرك "الأعداء" أهميته في الدعاية لأنفسهم، ومن خلاله استطاعوا أن "يقتحموا حصون العالم وأسواره.. وأن يلجوا به فوق هذا الكوكب وكل ساح وميدان.. إن الفن لم يكن يوماً إلا جزءاً من الكبرياء القومي..." عازياً تلك الآراء المناهضة للفن إلى ما يعانيه أصحابها من " مركبات النقص والعقد النفسية"؛ الدستور، ١٩٦٧/٩/١٤م. وبموازاة تلك الانتقادات أخذت العاطفة الدينية تظهر في أغاني ما بعد الحرب متركزة إلى ما سمي "الروح الإسلامية"، لاستثارة العزائم، فظهرت مفردات " الله أكبر"، و "حي على الفلاح"، وهو ما برز في أغاني محمد عبد الوهاب والمجموعة السورية وفيروز وفريد الأطرش، وقد دعت جميعها إلى " الجهاد المقرون بنداء الله والله أكبر". الدستور ١٩٦٧/٧/٢٦م. وعلى صلة بالعاطفة الدينية، فقد كان للملك الحسن الثاني دعوة نادي فيها بعودة العرب إلى " حظيرة الله سبحانه وتعالى وأن يؤمنوا بأن الله المولى العلي القدير عاقبهم على أخطائهم التي تعدت تفرقة الصفوف وتشيدت القوى إلى الكفر بالله"، الدستور، ١٩٦٧/٦/١٢م، وهذه النقطة تستدعي التذكير بالمقال الذي نشرته مجلة الجيش السوري في ١٩٦٧/٤/٢٥م، والذي دعا كاتبه إلى تحنيط الله وإرساله إلى متحف التاريخ، الدستور ٢٦، ٢٧، ٢٨، ١٩٦٧/٤/٢٩م. وما يجدر ذكره هنا أن بوادر ظهور العاطفة الدينية في الدعاية العربية بدأت من البيانات النهائية لحرب حزيران في الإذاعات المصرية. فالبيان رقم ١٤ الصادر في الساعة ١١،٩ بتاريخ ١٩٦٧/٦/٩م، والذي=

وعلى اختلاف طبقاتهم، تتغير مع اقتراب موعد حفلاتها، فلا تعقد المؤتمرات الصحفية ولا تقوم الانقلابات العسكرية، بل إن النزاعات المسلحة في بعض المناطق تتوقف لكي يستمع الجميع لها[١]، كما أن نسب استهلاك الحشيش كانت ترتفع خلال حفلاتها الشهرية[٢] إلا أن هناك من يؤكد بأن الاستماع إليها كان يؤدي إلى "تحشيش بدون حشيش، وسلطنة، وسرحان، وغياب للوعي، وانتعاش العواطف وخمول العقل والتفكير، فكان المستمعون ينتقلون إلى حالة تشبه قطيع الغنم المُسيَّر وغير المخير في سيره خلف شُبابة الراعي، وصوت جرس المرياع"*، وهو ما كان يؤدي لحالة نفسية تسهل مهمة الدعاية المجيرة صوتها لتسهيل تمرير ما تريده من أفكار، بواسطة النشرات والبرامج الإخبارية التي كانت تعقب أغانيها[٣].

وقد غنت أم كلثوم لعبدالناصر بعد محاولة اغتياله في الإسكندرية عام ١٩٥٤م، أغنية "نفاقية" تحوي اسمه، مدشنة عهد ما سمي بالأغنيات "الوطنية" للرؤساء، وكانت من تأليف بيرم التونسي، وتلحين رياض السنباطي "يا جمال يا مثال الوطنية... أجمل أعيادنا الوطنية". وتوالى بعدها الإنتاج المؤطر بالولاء لعبد الناصر الذي رأى ضرورة أن تنهض بدور إعلامي، يعبر

=مهد للبيان رقم ١٧، المعلن لوقف إطلاق النار وانسحاب القوات المصرية من سيناء إلى غرب القناة، كانت العاطفة الدينية بارزة طاغية، ومما ورد فيه: " أخي لك الله، وما يلقيه سبحانه في قلبك من عزم مؤمن صادق، لك الله وما جمعه حولك من قلوب العرب والمسلمين وأتباع المسيح المخلصين، لك الله وما وهبك من إصرار على البذل والفداء في صمود عنيداً أبداً لن يلين.. لك الله يا أخي، بل المستقبل سيكون عزيزاً ظافراً بالله نامياً ومحققاً بكل الآمال فلن يترك الله كنانته مفيها ثلاثون مليوناً من الشرفاء الصامدين، لن يتركها ومعها مئة مليون من الأمة التي حملت أمانة رسالات السماء".إذاعات الجمهورية العربية المتحدة، البيان رقم ١٤، ١٩٦٧/٦/٩م، أما البيان النهائي فجاء متكئاً على النص القرآني بما فيه من عاطفة جياشة، لتعليق إعلان الهزيمة على الرأي العام، وللتخفيف من حدة الصدمة النفسية لا سيما وأن البيانات السابقة كانت تتحدث عن انتصارات برية وجوية ومما جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم. ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". "صدق الله العظيم". لن نهون ولن نحزن، ولن نمكن قوى التآمر والعدوان الاستعماري الصهيوني من تحقيق أغراضها الخبيثة، فنحن صامدون على الطريق، نحن بالإيمان، نحن بالثقة... سندحر العدوان وسننتصر..". إذاعات الجمهورية العربية المتحدة، البيان رقم ١٨، ١٩٦٧/٦/٩م.

(١) أحمد فؤاد أنور: الفن العربي في مواجهة إسرائيل.

(٢) الراية القطرية، ٢٠٠٩/٧/١٠، (rayahnews.com).

* المرياع: الكبش الذي يقود قطيع الغنم، الباحث.

(٣) عبد الفتاح جعرون، مقدم سابق في منظمة التحرير الفلسطينية، مقابلة، إربد، ٢٠١٤/١٠/٢٩.وسيشار إليه فيما بعد: جعرون، مقابلة.

عن تطلعاته المحلية والعربية، وخاصة مع توجهه "للتصدي" للاستعمار والسعي لتحرير البلاد العربية[١].

وكما ذكرنا سابقا، فقد كان إلى جانب صوت أم كلثوم، أصوات أخرى، لعل من أهمها صوت عبد الحليم حافظ، الذي كانت له شعبيةٌ واسعة بين الشباب[٢]، مما أهله للعب دور دعائي يمجد الثورة وعبد الناصر عبر أغانيه الوطنية، التي كانت "كالمنشور السياسي" الذي يتردد مباشرة على ألسنة الناس، فقدم الأغاني: "العهد الجديد"، و"وفاء"، و"بدلتي الزرقاء"، و"ثورتنا المصرية"[٣]، و"بالأحضان"، و"صورة"، و"المسؤولية"، و"بستان الاشتراكية" و "يا أهلاً بالمعارك"[٤].

واستعانت صوت العرب بفيروز، واعتبرها أحمد سعيد "الأفضل" لتقديم الأغاني المرتبطة بالقضية الفلسطينية[٥]، فقدمت مغناة "راجعون"، وقصيدة الغرباء للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد[٦]، وكان عبد الناصر معجباً بصوتها لدرجة تأسفه لكونها غير مصرية، معتبراً أن من "أخطاء المصادفات"، أنها ولدت خارج مصر[٧]، بل كان عبد الناصر يود لو باستطاعته تسخيرها لخدمة دعايته، وهو ما يظهر من اهتمامه فيما بعد بصوت شبيه بصوتها.

---

(١) المحلاوي، مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.

(2) Fandy, Op.Cit., P.41.

(٣) المحلاوي، مرجع سابق، ص ٤٠-٤٣.

(٤) ياسر ثابت، عبد الحليم حافظ، موظف الثورة، مدونة ياسر ثابت، ٢٠٠٩/٩/٢٧، (yaser-best.blogspot.com). وسيشار إليها فيما بعد: ثابت، عبد الحليم موظف الثورة

(٥) الدستور المصرية: ٢٠٠٥/١١/٢٠، (www.egypt.com)، وسيشار إليها فيما بعد: الدستور المصرية، ٢٠٠٥/١١/٢٠.

(٦) السفير: ٢٠١٣/١/١٢، (m.assafir.com).

(٧) الدستور المصرية، ٢٠٠٥/١١/٢٠.

حيث طلب من محمد حسنين هيكل عام ١٩٧٠، أثناء وجودهم في موسكو الاعتناء بصوت عفاف راضي لعلها تكون "فيروز مصر"[١]، حتى أنها غدت "مشروعاً قومياً" بتوجيه منه[٢]. والشيء الذي لابد من ذكره هنا أن الاهتمام بالغناء كأداة من أدوات الدعاية لم يكن مقتصرا على عبد الناصر، فقد اهتمت به أيضاً، الدعاية الإسرائيلية، والدعاية الأردنية التي سنفصل اهتماماتها بهذا الموضوع لاحقاً.

أما الدعاية الإسرائيلية فاستثمرت الغناء بطرق مختلفة، ومنها اعتماده أحياناً كآلية لتوجيه العملاء، كما حدث مع الطيار العراقي منير روفا الذي هرب بطائرة الميغ ١٧ في ١٩٦٦/٨/١٦، بعد أن تم الاتفاق معه على الموعد المحدد للطيران بواسطة شيفرة سرية، تمثلت ببث أغنية المغنية صباح " مرحبتين مرحبتين" ثلاث مرات في اليوم المعين[٣].

أما أغاني أم كلثوم، فاعتادت بثها قبل وبعد نشراتها وبرامجها الإخبارية لجذب المستمع العربي، ولتشكيل حالة نفسية قابلة لحقن ما توده من معلومات، هي بحد ذاتها جزءا من "الحرب النفسية"، الموجهة للشارع العربي، الذي كانت "تغريه" باستمرار، بالإعلان عن وجود تسجيلات "نادرة" لأغنياتها لا تتوفر إلا لديها[٤].

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن من أهم خصائص الحرب النفسية الإسرائيلية حرصها على عامل التوقيت " لعلمها بأن الإعلام الدعائي النفسي الناجح يجب أن ينطلق في الوقت المناسب مع تهيئة الجو وشحنه بعوامل القبول والتصديق، مما يساعد على إعطاء المردود النفسي المطلوب..."[٥]. ورغم ذلك عملت الدعاية الإسرائيلية لاحقاً على تشويه صورة أم كلثوم، انتقاماً

---

(١) فتحي خطاب، جماليات أفلام الوعي بالتاريخ، مقال، د.ت، موقع السينما (www.alcinema).

(٢) فاطمة الحصي، الفيروز المصرية، مقال، ٢٠١٣/١١/٣ موقع الراية الإخباري (rayahnews.com).

(٣) القدس العربي، ٢٠١٤/٨/١١م، (www.alquds.couk).

(٤) أحمد فؤاد أنور، الفن العربي في مواجهة إسرائيل، مرجع سابق.

(٥) العمليات النفسية الإسرائيلية، موقع المقاتل (www.moqatel.com).

من مواقفها المساندة لعبد الناصر و"الحض على قتال" إسرائيل، فتعمدت نشر دراسات تحوي معلومات عن "شذوذ جنسي"، وتعاط للمخدرات قبل حفلاتها ووضع الأفيون في "منديلها الشهير"، لتتمكن من الغناء لساعات طويلة[١]. لقد لعبت العوامل المتقدمة كأدوات رافعة ودافعة لدعاية صوت العرب، فكان الإقبال للاستماع إليها والبحث عنها.

وصل تأثيرها بعد أقل من عام، وفقا لوجهات نظر تطرح، إلى "جبال اليمن"، وكان رجال القبائل التي تحيا في "عزلة عن العالم" يتفاعلون عاطفياً مع ما يقوله أحمد سعيد ويتحدثون عنه "بإعجاب"[٢]. وبلغ الأمر بالمستمعين العرب في كثير من المناطق النائية أن يطلبوا شراء "جهاز صوت العرب"، أو "صندوق أحمد سعيد"*، وفي البلدان التي منع الاستماع فيها للإذاعة، كانت آليته تتم من خلال جلسات سرية في البيوت، ثم ينتقل المضمون مشافهةً، حتى أن بعض الأشخاص القائمين على مهمة الرواية، صار يطلق على مثل هؤلاء لقب صوت العرب، وأصبح مألوفاً أن تجد هذه الشخصية في مناطق شتى من الوطن العربي[٣]. فقد أصبحت إذاعة صوت العرب وفقاً لآراء تطرح "السوط الإعلامي الذي يلهب ظهر الاستعمار"[٤].

لم يعد مجرد مذيع وحسب، وإنما "طرفاً" في عشرات الأحداث السياسية. ووفقاً للكاتب الأردني إبراهيم سكجها فلم يكن "مذيعاً عادياً" ولكنه جسد توجهاً سياسياً "بارزاً"، ومن خلاله، كما من خلال محمد حسنين هيكل، كان بالإمكان استطلاع ومعرفة "مستقبل" السياسة المصرية في ساحات شتى[٥].

---

(١) أحمد فؤاد أنور، الفن العربي في مواجهة إسرائيل، مرجع سابق.

(٢) رياض، مرجع سابق، ص٤٣.

* حصل ذلك في اليمن؛ ملتقى حضر موت للحوار العربي (www.hdrmut.net).

(٣) صبري، مقال؛ كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٤) أحمد سعيد، مقابلة، حلقة ٢.

(٥) الدستور، ١٩٦٧/٩/٢١.

ورغم كونه شخصية إعلامية محورية، إلا أنه لم يكن يتمتع باستقلالية مهنية، ونستشف ذلك أنه وبمجرد أن عبر مرة عن رأي مخالف للسلطة بعد هزيمة ١٩٦٧م، كان كافياً لإنهاء خدماته في صوت العرب.

فتصريحه برأيه القائل "بحتمية اغتيال" أي قائد عربي يوافق على السلام مع إسرائيل، تعليقاً على مشروع التفاهم المقترح بين مصر وإسرائيل، والمقدم من قبل يوغسلافيا* دفع السلطات للطلب منه تقديم إجازة مفتوحة، كانت سبباً في تقديم استقالته، مع الإشارة إلى أن ذلك الرأي أبداه خلال محاضرة كان يلقيها بضباط القوات الجوية لرفع معنوياتهم بتكليف من عبد الناصر، رغم موقفه الداعي –أي عبدالناصر– لتغيير المنهج الدعائي في ١٩٦٧/٧/٢٣م؛ أي أنه لم يستغن عنه بسبب أدائه، وإنما بسبب رأيه المخالف(١). وهذا يبدو إجراء اعتيادياً بطبيعة الحال، فمن المعلوم أن أجهزة الإعلام العربية تخضع لإشراف الدولة وتوجيها ولكنه لا يقلل أو يضعف من حجم الدور الذي قام به(٢).

فقد "وضع نفسه موضع رؤساء الدول" حينما كان يخاطبهم موضع "الند للند" "شاتماً"، و"مهدداً" بالاغتيال(٣)، وبينما وصفته وجهة النظر الأردنية "بالمطبوع على التهريج"(٤)، فإن

---

* تأسست يوغسلافيا (مملكة السلاف الجنوبيين) عام ١٩١٩، بعدما تقدم الصرب الكروات والسلوفيين بطلب إلى مؤتمر فرساي لتأسيسها، وقد استطاع الرئيس تيتو المحافظة على التوازن بين الإثنيات حتى موته عام ١٩٨٠، حيث أخذت بوادر التصدع بالظهور، لتأخذ طريق الانفصال عام ١٩٩١، حينما قرر الكروات والسلوفينيون الاستقلال مما أدى لصراع عنيف شمل الأقليات الأخرى بين ١٩٩١-١٩٩٥، وهو ما أدى في النهاية لتقسيمها، غراهام ايفانز: قاموس بن غوين للعلاقات الدولية (دبي: مركز الخليج، ٢٠٠٤) ص ٨٠٩-٨١٠.

(١) أحمد سعيد، حلقة ٨.

(٢) الدستور، ١٩٦٧/٧/٣.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٥٩/١٢/٥، ج١٨-٣٤.

(٤) سليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٩م-١٩٩٥م، ج٢ (عمان: لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠م)، ص١٥.

الصحافة البريطانية دعته "بالسيد كراهية"[١]. ولم يكن ذلك بالغريب، وهي تؤكد فاعلية دعاية صوت العرب "المسموعة والمعادية" للغرب في الشرق الأوسط، وأفريقيا، وإنتاجها لرأي عام مناهض للغرب، حتى أنها غدت سلاحاً بيد عبد الناصر في المواجهة معه[٢]. وهو ما يقترب من وجهة النظر الإسرائيلية القائلة بأن أحمد سعيد مجرد "آلة" في الجهاز "الضخم" الذي جرى إعداده "للتوسع والاستيلاء" على البلاد العربية[٣].

عبَّر عبد الناصر في ١٩٥٤/٧/٤ عن توقعه لردود الفعل المناهضة لصوت العرب، الداعي لوحدة "الأحرار"؛ لذا، فمن الطبيعي أن "تتكالب" عليه العناصر الاستعمارية[٤].

وتحدث في ١٩٥٣/٩/١٢، عن الدعاية المضادة للإذاعة الإسرائيلية ومحاولتها بث الإشاعات، والفرقة، و"البلبلة" في الصفوف[٥]، وهو الدور الذي اتحدت فيه مع الدعاية الفرنسية ممثلةً براديو فرنسا[٦]. ولذلك اتجه عبدالناصر لمواجهة الدعاية الإسرائيلية بتأسيس القسم العبري في صوت العرب عام ١٩٥٤[٧]، كمحاولة للقيام بدعاية مؤثرة تقع في إطار الحرب النفسية. وسنرى امتداداً لهذه المواجهة الدعائية طيلة فترة الدراسة.

لقد استطاع صوت العرب "تحطيم" الحواجز السياسية "المرسومة" وتجاوزها[٨]، وهو أمر شمل المنطقة بأسرها، وما كان الأردن عنه ببعيد.

---

(1) James, Article.

(٢) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٥٩/١٢/١٠، ج٣٥-٥٢.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٥٩/١٢/٥، ج١٨-٣٤.

(٤) خطاب عبد الناصر في الذكرى الأولى لتأسيس صوت العرب، ١٩٥٤/٧/٤، موقع الوعي العربي (elwayalarabi.org)

(٥) تصريح جمال عبد الناصر لمندوب الأهرام، ١٩٥٣/٩/١٢.

(٦) كلمة جمال عبد الناصر في وفد العزيزية بمديرية الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٤/٩/٢٠.

(٧) ماجي الحلواني: مدخل إلى الإذاعات الموجهة (دار الفكر العربي، القاهرة: ١٩٨٢)، ص١٣٥.

(8) James Article.

الباب الثاني

الأردن وصوت العرب ١٩٥٥

تمهيد:

إن عوامل القوة المتعددة والفاعلة في الدعاية المصرية، كما قـدمتها الوقـائعُ الـسالفة، تضافرت مع تفاصيل الوضع الداخلي الأردني وهو ما جعل الرأي العام عرضة للانسياق وراء الدعاية الخارجية ممثلة بصوت العرب، وما لها من قدرة على التحريك والتأثير، تمثلت بتجربة ناجحة خاضتها في المغرب، دللت على فاعليتها في إحداث التغيير، خاصة وأن الطرف المقابل لها كانت تمثله دولة كبرى هي فرنسا بمقوماتها وأدواتها الدعائية، فكيف إذا كان الأمر مع بلـد كالأردن وفي ظل عوامل داخلية مؤهلةٍ وجاذبةٍ لتأثير صوت العرب.

أسهمت العديد من الأسباب في تكوين تلك البيئة والتحكم بها. ولعل من أهمها وجود كثافة سكانية فلسطينية تتطلع إلى التحرير، والعودة، "وتستهويها شعارات صوت العرب"[(١)]، علـى أن تلك النقطة ارتكزت أيضاً على احتقانات ولدتها الدعاية المصرية بعد هزيمة ١٩٤٨، باتهاماتها للملك عبد الله بالخيانة، والاتصال مع اليهود، حتى أنها اعتبرته كسبب رئيس للهزيمـة، وهـي تفاصيل أكدت عليها الدراسة في فصلها الأول.

وتقدم بعض الآراء زعماً قد يكون مبالغ فيه، حول طبيعة العلاقـة مـا بـين الدعايـة المصرية، وبالتحديد صوت العرب من جهة والفلسطينيين في المنطقة العربية من جهة أخـرى، فتؤكد أن مدى تجاوبهم مع دعاية عبد الناصر، وصل حداً يمكن وصفه بغير المعقول "... فقـد سخروا زنودهم... لخدمته... وليُقَتّل على أيديهم أخصامه، وليدك بيوت من يقف فـي وجهـه، وليسحل الساسة الذين لا يطأطئون رؤوسهم أمامه..."، بل إن دعايته المضادة لخصومه أنتجت "وحشية كامنة" تجاههم، "في صدور الشبان الفلسطينيين"[(٢)].

---

(١) أبو زيد، مقابلة.

(٢) العظم، ج١، مرجع سابق، ص٤٣٤، ٤٣٨-٤٣٩.

ويقترب سليمان الموسى من الرأي السالف، حينما بين أن "تأثير الإذاعات الخارجية على الناس كان قوياً بحيث شتت...أفكار كثير منهم وزعزع ولاءاتهم، وأوجد مكانا خصبا في القلوب التي اكتوت بنار السياسة البريطانية في خلقها لدولة إسرائيل[١].

وقد أشار جيفارا* (Guevara) إلى التأثير المتبادل ما بين المذياع، والبيئة الموجه إليها، "ففي الوقت الذي تغلي فيه حمى الكفاح في عروق سكان إقليم ما، فإن قوة الكلمة الموجهة إليه عبر المذياع ترتفع بارتفاع درجة حرارة الحمى"[٢]. وكيف إذا كان الإقليم أو البيئة، تقع تحت ضغوط تراكمات الهزيمة والتشرد، والاعتداءات الإسرائيلية المستمرة منذ ١٩٤٨.

بالرغم من توقيع الأردن لاتفاقية هدنة رودس** مع إسرائيل في ١٩٤٩/٤/٣، إلا أن الهجمات استمرت، وبوتيرة قوية على القرى الأمامية في الضفة الغربية، منذ ذلك التاريخ، وعلى مدى الأعوام التالية، بهدف إقامة حاجز جغرافي مفرغ من السكان، وهو ما تسبب بواقع مضطربٍ، تسوده عمليات القتل والسلب والنهب، وتدمير للبيوت، وصل أحياناً لتدمير قرى بأكملها[٣].

---

(١) وصفي التل: كتابات في القضايا العربية (عمان: دار اللواء، ١٩٨٠م) ص٣٤.

* أرنستوتشي جيفارا ١٩٢٨-١٩٦٧: تأثير أرجنتيني من أصول إسبانية أيرلندية، درس الطب، وتبنى فكرة توحيد أمريكا اللاتينية، ومقاومة الاستبداد والطغيان. باعتماد حرب العصابات. وقد لخص حياته بقولة: "ولدت في الأرجنتين، وقاتلت في كوبا، وبدأت حياتي ثائراً في غواتيمالا، وقد قتل من قبل الجيش البوليفي عام ١٩٦٧. للمزيد حول سيرته راجع أندرو سكيلر: جيفارا، ترجمة ماهر كيالي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م).

(٢) ابن حالة، مرجع سابق، ص١٩٢.

** هدنة وقعت بين إسرائيل وكل من مصر في ١٩٤٩/٢/٢٤م، ولبنان في ١٩٤٩/٣/٢٣م، الأردن في ١٩٤٩/٤/٣م، وسوريا في ١٩٤٩/٧/٢٠م. ومن أهم ما جاء فيها احترام توصية مجلس الأمن بعدم اللجوء إلى القوة العسكرية في تسوية القضية الفلسطينية، واحترام خطوط الهدنة وعدم تخطيها من قبل قوات الفريقين؛ محمد محافظة: العلاقات الأردنية الفلسطينية ١٩١٩-١٩٥١ (عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣م) ص١٨٤.

(٣) ثروت المشاقبة: الحياة السياسية في الأردن ١٩٥٣-١٩٦٧، رسالة دكتوراه غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠٨م)، ص ١٦٦-١٧٩.

ومع تتالي الهجمات، و"عجز" الجيش الأردني عن وضع حد لها، أصبح الجنود "يتعرضون للسخرية وزادت الفجوة بين الجيش والشعب"[1]. غني عن القول إنها لا بد كانت قد تزايدت أيضاً بين الشعب والنظام.

ولم يكن البريطانيون ببعيد عن تلك الحالة، فتحكُم كلوب والضباط الإنجليز بمقاليد الأمور، واستبعاد الضباط العرب فاقم المسألة[2]، وذلك أمر زاد من حالة التوتر، وولد تراكمات جديدة أُضيفت إلى الاحتقان الموجود في الأصل، ما زاد من خصوبة البيئة النفسية العامة وقابليتها لاستقبال دعاية صوت العرب.

عانى الإعلام الأردني من "ضعف" تقني ومهني، جعله غير قادر على المواجهة، مع الجانب المصري بما لديه من الخبرات [3]؛ فالإذاعة الأردنية "الموروثة عن نكبة فلسطين"، – وفقاً لصلاح أبو زيد المدير العام للتوجيه والإرشاد عام ١٩٦٢– عانت في بداياتها من ضعف الإرسال، فقوة موجتها المتوسطة كانت (٢٠) كيلواط[4]، وقد لاقت اهتماماً خاصاً من الملك عبد الله الذي عانى كثيراً من الدعايات المضادة، وكانت تعوزه هكذا مؤسسة.

وتبدت ملامح عنايته بها منذ دخولها تحت السلطة الأردنية؛ فتم ربطها بوزارة الخارجية[5]، وأصدر أوامره إلى الحاكم العسكري برام الله بتاريخ ٢٦/٥/ ١٩٤٨م، للمحافظة عليها مما أسماه "الأيدي العابثة"، المهددة لأمنها، وكلف عزمي النشاشيبي بإدارتها، و قد كان

---

(١) هيكل، ملفات السويس، ص٤١١.

(٢) الحسين بن طلال: ليس سهلاً أن تكون ملكاً، ترجمه هشام عبد الله، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩) ص٢٢٨. وسيشار إليه فيا بعد: الحسين، ليس سهلا أن تكون ملكا.

(٣) أبو زيد، مقابلة.

(٤) الدفاع، ٣/٨/١٩٦٢.

(٥) الجريدة الرسمية، ٧/٥/١٩٤٩، ع ٩٨١.

تعيين مهندس إرسال، أو محرر للنشرة الإنجليزية والعربية، بحاجة لصدور إرادة ملكية [١]، ولكن الإذاعة بقيت على حالها دون تطوير.

لا بل إن حكومة توفيق أبو الهدى* أقرت تخفيض مخصصاتها** في ١٩٥٢/٤/١٥ لظروف تتعلق بالعجز الذي كانت تعانيه الخزينة[٢]. وهو قرار يثير الاستغراب من حكومة كيان سياسي يقع في إقليم لطالما استهدف من الدعايات المضادة، فهو بأمس الحاجة لتلك الأداة، وهو ما كان يستوجب تطويرها لتكون أداة للترويج والدفاع سواء في الداخل أو الخارج، وعلى ما يبدو فإن الإجراءات التي أقرها أبو الهدى تجاه الإذاعة انسحبت على أدوات الدعاية الأخرى.

---

(١) الجريدة الرسمية، ١٩٤٩/٥/٧، ع ٩٨١.

* سياسي أردني ولد بعكا بفلسطين. خدم في الجيش العثماني ثم أنضم إلى الأمير فيصل وعمل في الإدارة العربية في دمشق فترة قصيرة (١٩١٩-١٩٢٠). التحق بخدمة إمارة شرق الأردن سنة ١٩٢٢، وعين مديراً للمصرف الزراعي، ثم رئيس وزراء شرق الأردن (١٩٣٩-١٩٤٤)، ثم وزير خارجية (١٩٤٥-١٩٤٧)، ثم رئيساً للوزراء ١٩٤٧-١٩٥٠ أصبح رئيس مجلس الأعيان عام ١٩٥٠ وبعد اغتيال الملك عبد الله عين من جديد رئيساً للوزراء (١٩٥١-١٩٥٣)، ومن عام ١٩٥٤ حتى ١٩٥٥؛ الكيالي، ج١، مرجع سابق، ص ٨١٠.

** فيما يتعلق بالشأن المادي للإذاعة يروي ناصر الدين النشاشيبي واقعة تتعلق بمطالبات مادية لأم كلثوم لقاء بث بعض أغانيها. ففي رسالة وصلت إليه في ١٩٥١/١٠/١٣ كتبت: "حضرة الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي، مراقب محطة الإذاعة الأردنية، بعد التحية، لاحظت أنكم تذيعون أسطواناتي التي سجلتها في شركة كايروفون وبيانها كالآتي: نهج البردة، غلبت أصالح، هلت ليالي القمر، ظلموني الناس. ولما كان الاتفاق بيني وبين الشركة ينص أن لي وحدي حق الحصول على ريع إذاعة هذه الأسطوانات فأني أطلب منكم أن تتوقفوا عن الدفع لشركة كايروفون وتبادروا للإتفاق معي على إذاعة هذه الاسطوانات مستقبلاً. يضيف النشاشيبي "وبالفعل توقفنا عن الدفع لشركة كايروفون، ولم نبادر للاتفاق مع السيدة أم كلثوم، واستمررنا في إذاعة أغانيها.. بالمجان! ولا يغلب أم كلثوم، إلا إذاعة رام الله!"؛ النشاشيبي، مرجع سابق، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) محمد نجيب: الوثائق الهاشمية، أوراق عبد الله بن الحسين، الإدارة الأردنية في فلسطين، ١٩٤٨-١٩٥١ (عمان: جامعة آل البيت، ١٩٥٩)، ص ٥٢، ١٢٠، ١٦٦.

إذ شهد وجوده على رأس الحكومة في النصف الأول من الخمسينات تضييقاً على الصحف وحرياتها، وصولاً إلى إغلاقها، بسبب نهجها المعارض لسياسات الحكومة المنسجمة مع الرؤى البريطانية[١].

وجاءت تلك الإجراءات، مع أن الملك حسين أعلن عن إيمانه بمقولة السلطة الرابعة، ودور الصحافة الفعال إلى جانب السلطات الثلاث، رغم ما اشترطه لاستمرارية حريتها، بأن تكون فاعلة "لصالح الوطن، لا لصالح خصومه وأعدائه"[٢]، وهذا شرط، يمكن للحكومات تكييفه حسب رغباتها، حيث كانت تميل عادة للتضييق على السلطة الرابعة، وجعلها في حالة أقرب إلى أن تكون فيها خاضعة لا رادعة، وهو ما قد يصنف ككبت للحريات، ما يدفع للبحث عن الحقيقة أو المعلومات لدى مصادر دعائية أخرى، ساند التوجه إليها عوامل إضافية دفعت الشارع نحوها، لاسيما الرواية الشفوية.

فقد اقتصر امتلاك الراديو، وكسائر البلاد العربية على الفئات الميسورة[٣]، وقدرت دراسة أجراها مكتب الأبحاث الاجتماعية التطبيقية بجامعة كولومبيا عام ١٩٥٢، أن عدد أجهزة المذياع الموجودة في الأردن، والبالغة أربعة عشر ألف جهاز، لم تكن تتناسب مع عدد السكان البالغ مليوناً وثلاثمئة وستين ألفاً، وفيه نقص كبير[٤]. وهو ما عُوّض بالاستماع الجمعي في المقاهي

---

(١) سهيلا الشلبي: دور توفيق أبي الهدى في الحياة السياسية الأردنية ١٩٣٨-١٩٥٥م، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد جامعة اليرموك، ١٩٩٨)، ص١١١- ١١٤.

(٢) مقابلة الملك حسين مع صحيفة القاهرة المصرية، ١٩٥٣/١٠/٢٩، نقلاً عن محمد عبد الله أبو علبه: النطق السامي للملك حسين حول شؤون الصحافة والإعلام ١٩٥٢-١٩٥٨ (عمان: مركز الأصدقاء للنسخ، ١٩٩٨)، ص٢٧.

(٣) الحجلاوي، مرجع سابق، ص٣٤-٣٥.

(٤) فاروق جرار، قصة التلفزيون الأردني (القاهرة: النشرة الشهرية لاتحاد الإذاعات العربية، ع٢٢، آب ١٩٧١)، ص٥.

والمضافات، فغدت تلك التجمعات الناشر الأكبر لأخبار صوت العرب عبر الرواية الـشفوية[١]، التي دفع إليها: كبت الحريات، وقلة أجهزة المذياع، والاستماع الجمعي.

ومع ارتفاع نسب الأمية* فإن تصديق ما كانت تبثه، ارتفع إلى نسب "عالية جداً"[٢]. فالبيئة الخصبة، و"البضاعة المقبولة" لصوت العرب جعل دعاياتها ذات تأثير كبير[٣]، أدى لمتاعب جمة للنظام[٤]، وهو أمر تبدى مع أول تجربة برزت على السطح عام ١٩٥٥.

يعد الموقف من حلف بغداد الاختبار الأول لقدرة صوت العرب، في المـشرق العربـي بشكل عام، والأردن بشكل خاص، بعد تجربة ناجحة خاضتها بمواجهة الاستعمار الفرنسي فـي المغرب العربي، وشكل هذا المفصل بين الدعايتين المصرية والعراقية بدايةً، ومن ثم الأردنية، المواجهة الأولى منذ مجيء نظام ثورة ١٩٥٢/٧/٢٣ إلى السلطة في مصر.

انبثق الحلف من فكرة أميركية، طرحها جون فوسـتر دالاس* (John Foster Dulles) وزير الخارجية الأمريكي خلال جولة في المنطقة عام ١٩٥٣، كآلية لمواجهة الاتحاد السوفيتي وتطويقه[٥].

---

(١) جعرون، مقابلة، ٢٠١٣/٦/٢٥م.

* بلغت نسبة الأمية في الأردن عام ١٩٥٠م ما بين ٨٠-٨٥%؛ الدستور ٢٠٠٩/٣/٢٩م.

(2) Fandy, Op. Cit, P. 41.

(٣) الخطيب، مقابلة.

(٤) النل، كتابات في القضايا العربية، ص٣٤.

* وزير الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس ايزنهاور خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٣-١٩٥٩. عمـل أيضاً كمستشار للشؤون الخارجية في الحزب الجمهوري، واشتهر بشدة عدائه للشيوعية ولـسياسية عـدم الانحياز التي كانت تلقي تأييداً واسعاً في أفريقيا وأمريكا اللاتينية ولا سيما لدى الشعوب العربيـة. ابتكـر سياسة حافة الهاوية، ولعب دوراً كبيراً في إنشاء الأحـلاف العـسكرية؛ الكيـالي، ج٢، مرجـع سـابق، ص٦٤٤.

(٥) عماد البشتاوي: العلاقات الأردنية الأمريكية ١٩٤٦-١٩٦٧ (اربد – دار حمادة للنـشر، ٢٠٠٣) ص٧٠-٧٥.

تبنت بريطانيا هذا الطرح، لضمان استمرارية وجودها في المنطقة[1]، من جهته، تحـــرك نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي نحو تطبيق الفكرة بتوقيع اتفاقية دفاع مشترك مع تركيـــا كنقطة بداية للحلف في شباط ١٩٥٥[٢]، وهو ما اعتبره عبد الناصر تحدياً لزعامته للمنطقـــة[٣]، إذا ما علمنا أن الأمريكيين أعطوه وعوداً بإنشاء منظمة دفاعية** "إقليمية عربية"، تعمـــل فـــي إطار سري مع الغرب لحماية أمن المنطقة حال وقوع خطر عليها[٤]، وبالتالي لا بد مـــن الـــرد بحملات دعائية ضد نوري السعيد وحكومته[٥].

وعلى ما يبدو فإن البريطانيين قد استاءوا من "العلاقات الوطيدة"* التي أقامتها المخابرات الأمريكية مع عبد الناصر بعدما اتبعت واشنطن "استراتيجية تدليله" لكسبه إلى صـــف الـــسياسة الأمريكية، وإبعاده عن روسيا، واستطاعت أن تجعله قابلاً لسماع نصائحها، حتـــى أنـــه كـــان يستدعي ممثل المخابرات المركزية في القاهرة كيم روزفلت (Kim Roosevelt) "في منتصف الليل للتشاور معه"، وهي علاقة بمجملها دفعت لندن للأخذ بحلف بغداد لمواجهة النفوذ الأمريكي

---

(1) Satloff , op. cit, P. 106.

(٢) السعيد، مرجع سابق، ص٢٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٨.

** يطرح ناصر الدين النشاشيبي تساؤلا حول موقف عبد الناصر من الحلف! "هل كان عبد الناصـــر ســـيقاوم حلف بغداد، ويثير الدنيا فوق رؤوس حكام العراق، لو أن الحلف كان يحمل أسم حلف "القاهرة" لا حلـــف بغداد ويعود بالنفع المالي والعسكري، على مصر، لا على العراق؟!؛ النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٤) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٥) المرجع، نفسه، ص٢٤٢.

* ونجد من يؤكد أن الموقف "تغير ... عندما اكتشف الأميركيون أن مصر تـــرفض الانـــضمام للأحـــلاف العسكرية تحت المظلة الأمريكية، وأن توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقـــق كـــل أحلامهـــم فـــي المنطقة.. وأن الصلح مع إسرائيل ما زال سراباً. تغير الموقف بعد أن قررت مصر الاشتراك في مـــؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الإفريقية رغم معارضة الولايات المتحدة في اتـــصالاتها الـــسرية وتـــصرفاتها العلنية" واتجهوا لمعاقبة مصر، بدفع إسرائيل عبر وزير دفاعها بن غوريون للقيام بغارات وحشية" علـــى غزة في شباط ١٩٥٥. انظر: أحمد حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص٢٦.

المتصاعد[١]. وبالطبع فقد ووجه التوجه البريطاني، والعراقي لتجذير الحلف في المنطقة بدعاية مصرية مضادة، يمكن تقسيمها لمرحلتين.

الأولى: ظهرت مع بزوغ الفكرة، والترويج لها، فكان الأسلوب المعتَمد يقوم علـى نقـد الأفكار دون التهجم على الزعامات الراغبة بالانضمام[٢]، وظهر هـذا الـنمط فـي المقـابلات الصحفية لعبد الناصر، حيث عد الحلف فيها كنوع من"الاستعمار المقنع"، و"السيطرة الغربيـة، التي ستواجه بثورة عربية، لأن العرب أولى بتنظيم الدفاع عن أنفسهم[٣]، ومع ظهـور بـوادر التوجه العراقي للانضمام للحلف بداية ١٩٥٥[٤]، جاءت بداية المرحلة الثانية.

فانتقلت الدعاية المصرية إلى حملات صريحة بهدف تكوين رأي عام يؤازر مصر ضـد رغبات الدخول بالحلف والخروج عن خطها[٥]. وقد تـسيدت إذاعـة صـوت العـرب تلـك الحملات[٦].

وبلغت دعايتها من التأثير، ما دفع نوري السعيد لمحاولة "خداع" عبد الناصر، مع ظهور بوادر توجهه نحو الانضمام، وإبلاغه أوائل كانون الثاني ١٩٥٥، بالتخلي عن ذلك، واسـتبداله باتفاقية مع بريطانيا، تتضمن تعهداً بإعادة تشغيل القواعد الجوية البريطانية، حال تعرض العراق للهجوم، ولكن عبد الناصر لم يقتنع، وجاءت زيارة عدنان مندريس رئيس الوزراء التركي إلـى

---

(١) دونالد نييف: حرب السويس "كيف أدخل ايزنهاور أمريكا إلى الشرق الأوسط"، ترجمة أحمد خضر وعبـد السلام رضوان (القاهرة: مكتبة مدبولي، د ت)، ص٢٤١.

(٢) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٤٦.

(٣) حديث جمال عبد الناصر إلى "جون لو" مندوب مجلـة ذي يونيتـد سـتيتس نيـوز آندورلـد ريبـورتر، ١٩٥٤/٨/٣٠؛ حديث صحفي مع الصحفي الإسباني "فرانـسيس لاروز مـن صـحيفة لافـانجوا رديـا، ١٩٥٤/٩/٢؛ حديث صحفي مع نيويورك تايمز ١٩٥٤/٨/٥.

(٤) أنتوني ناتنج: ناصر، ترجمة شاكر سعيد (القاهرة: مكتبة مدبولي،١٩٩٣) ص١١١.

(٥) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٤٦.

(٦) عبدالرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ج٩ (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨) ص٢١٩.

بغداد في شباط ١٩٥٥، والإعلان عن التوجه لتوقيع معاهدة دفاع مشترك، لتؤكد شكوكه، فعادت صوت العرب "لهجومها المكثف"[١].

ووفقاً للمصادر العراقية فقد أدت حملاتها الدعائية إلى "كهربة" أجواء المفاوضات وإرباكها، مما ولد ضغوطاً نفسية* على نوري السعيد الذي أُتهم "بالسعي لطعن الدول العربية والسير في ركاب المستعمرين"، فطلب من مندريس التريث بالتوقيع على الانضمام غير أن إصرار الأخير ورفضه العودة دونما اتفاق، عجل بانضمام العراق[٢]، وهو ما زاد من حدة دعاية صوت العرب المناوئة للسعيد، فكان لها تأثير كبير على الرأي العام العراقي، مع فشل الدعاية العراقية في الحد منها، رغم ما بذلته من جهود لإقناع العراقيين بوجهة نظرها[٣].

وسعى عبد الناصر في دعايته المضادة لنوري السعيد أن يستقطب يونس البحري، فدعته القيادة المصرية عام ١٩٥٥، واجتمع بعبد الناصر وأنور السادات، وكان على علاقات "وطيدة" بالأخير منذ الحرب العالمية الثانية، وولدت تلك المحاولة، ردة فعل سريعة من نوري السعيد

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص١١١-١١٢.

* أخذ نوري السعيد يرجو من عدنان مندريس "تأجيل عقد الميثاق إلى وقت آخر حتى تهدأ الأمور في مصر. إذ كانت النية متجهة قبلا إلى المفاوضة حول هذا الموضوع في القاهرة، وإشراك جميع الدول العربية. وبين السبب لطلب التأجيل بقوله: إنه يعرف شعور المصريين وحبهم لتزعم البلاد العربية، وإنه لا يعترض على هذه الزعامة ولا يريدها، وأنه يخشى أن يكون عقد الميثاق في بغداد ومع العراق دون مصر يسبب زعل جمال عبد الناصر وحصول متاعب كثيرة. فرد عليه عدنان مندريس باللغة التركية بشدة بأنه لم يأت إلى بغداد للاستجداء وتساءل بأي وجه سوف يقابل الشعب التركي إذا عاد صفر اليدين مما حمل نوري السعيد على أن يستدعي إلى ديوان مجلس الوزراء جميع رؤساء الوزراء السابقين، ويعرض عليهم الموضوع بالتفصيل مع صورة البيان المشترك المعد للإذاعة فاتفقوا جميعاً على اختلاف مبادئهم على نشره؛ الحسني ج ٩، مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٢) الحسني ج ٩، مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٣) بابان، مرجع سابق، ص٨٧؛ James .nasser at war,P.11 .

أدت لاستقطاب البحري[١]، فبدأ العمل في الإذاعة العراقية بمواجهة صـوت العـرب، مطلقـاً الشعارات "اللاهية" و"التعليقات الساخرة" ضد عبد الناصر[٢].

غير أن ذلك لم يحد من تأثيرا صوت العرب التي "ضاقت بها ذرعـاً" حكومـة نـوري السعيد، فجاء بيانها الذي صدر عبر مديرية التوجيه والإذاعة في ١٩٥٥/٣/٥، معبراً عن تلـك الحالة، وقد حاولت فيه تجميل صورتها عبر إضفاء الطابع القومي على نهجها السياسي إقليميـاً ودولياً، في دحض واضح لما كانت تبثه الدعاية المصرية، عاملة على اختـصار خلافهـا مـع القاهرة بأنه "سوء فهم"، مصنفةً الأساليب الدعائية التي استخدمتها إذاعة صوت العـرب بأنهـا "طرق لم يألفها العالم من قبل"، مؤكدة أنه كان أجدى "اللجوء إلى الأساليب الـسلمية المألوفـة"، مبينة أن السلطات المصرية اتبعت أساليب مغايرة، بالاعتماد على الدعاية المكثفة مـن صـوت العرب، لمدة زادت عن ثلاثة شهور، وقد كانت العناصر الرئيسية فيها، والمـستهدفة للعـراق: "الأكاذيب المختلقة لتشويه سمعته والحط من كرامته، وتفريق كلمته..." مع إدعاء البيان باستخدام مضامين دعائية روَّج لها في الدعايتين السوفيتية والإسرائيلية، مترافقة مع " دعوة سافرة للتمرد والثورة" [٣].

ولم يقتصر تذمر الحكومة العراقية من صوت العرب، ولكنها حددت مصدراً آخر دعتـه "بصوت منكرٍ آخر"، وهو "صوت العراق الحر"، مؤكدة أن التحريات الفنية أثبتت انبعاثه مـن مصر، وفق منهج دعائي "فاق صوت العرب بالبذاءة والكذب والتطاول"؛ فلـم يكتـف بـالمس بالزعماء العراقيين والبرلمان والصحافة، ولكنه نال من "المقام العالي" للملك، مخالفـاً القـوانين

---

[١] سيار الجميل، حقيقة ذكريات يـونس البحـري، محاضـرة، تورنتـو ٢٠١١/٤/٣٠، موقـع الكاردينيـا (www.algardenia.com)، وسيشار إليه فيما بعد: الجميل، محاضرة.

[٢] معن عبد القادر آل زكريا، قراءة معمقة في حياة السائح العراقي يـونس البحـري، مقـال ٢٠١١/٥/١٢، مدونة البيت الآرامي العراقي (Iraqiaramichouse.y007.com) .

[٣] الحسني، ج٩، مرجع سابق، ص٢٤٦.

والأعراف الدولية التي لا تجير التعرض للمقامات العليا غير المسئولة وكذلك الآداب والتقاليد العربية[1]. ورغم أن البيان جاء للرد على صوت العرب إلا أنه أظهر وبطريقة غير مباشرة، عجز الدعاية العراقية عن المواجهة، وهو ما بان عند حديثه عن الأسلوب الرسمي في التعامل معها والذي غلف بقيم أخلاقية سامية.

فذكر أن أساليب "الصبر والحلم والأناة" التي استخدمت "أملاً بيقظة ضمير المشرفين والموجهين" لصوت العرب، كان مصيرها الفشل مع استمرار "غلواء" دعايتها بتصاعد وتمادي في الخطأ، وهو ما سيؤدي إلى خدمة "الأعداء" ونشر الفرقة والانقسام، ولكن البيان أكد على حق الحكومة العراقية بالقيام "بما يحتمه الواجب في مثل هذه الأجواء"[2]، وربما كان ذلك بتعليق بخطوات مستقبليه لتطوير أداء الدعاية العراقية، وهو ما ستشهده في مفاصل لاحقة.

يستدعي الحديث في هذه النقطة، التذكير باستمرارية الحلف القائم منذ أيام الملك فاروق وبين الدعاية المصرية، والمال السعودي الداعم، لها وهو ما بينته الدراسة في فصلها الأول.

فالعداء التقليدي للهاشميين، والخوف من تقاربهما في عمان وبغداد حتى لو كان تحت مظلة حلف بغداد، عاد ليظهر عبر الدعم المالي السعودي المؤثر للدعاية المصرية على الساحة الأردنية، ومؤازرتها[3]، وقد عد الملك حسين الدعاية والمال كسلاحين اعتمدها عبدالناصر لتحقيق أهدافه[4].

وما يلفت الانتباه أن الحلف، بجناحه المالي السعودي، لم يظهر له أي أثر على الساحة العراقية، وهو ما يمكن إرجاعه إلى فكرة قيامه الهادفة أصلاً لمواجهة طموحات الملك عبد الله

---

(١) الحسني، ج٩، مرجع سابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٣) منيب الماضي وسليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩، ج١ (عمان: مكتبة المحتسب، ١٩٥٩)، ص٦٦١.

(٤) كلمة الملك حسين منتصف تشرين الأول ١٩٦١، ج١، ص ٦٣٧.

ومشاريعه الوحدوية، بالإضافة إلى أن المقومات المادية العراقية كانت قادرة على إحباط مفعول المال السعودي، وتكوين بيئة طاردة له، في حين أن تلك المقومات لم تتوفر أردنياً، وهو ما سمح لإغراءاته بأن تكون فاعلة، في مساندتها للدعاية المصرية.

وفي تلك الأجواء صنف الأردن بالدولة العربية المرشحة للسير خلف العراق[١]، وكان لدى الملك حسين رغبة مدعمة بأسباب ترتبط بالحصول على المساعدات العسكرية والاقتصادية[٢]، فمصلحة الأردن حسب رأيه، ورأي بعض المسؤولين كهزاع المجالي، تقتضي الانضمام للحلف[٣].

وأدت الدعاية المصرية للحيلولة دون موقف واضح وصريح، وكانت سياسة الحياد المنتهجة من توفيق أبو الهدى مخرجاً مناسباً[٤]، لموقف يمكن وصفه بالمرتبك بفعل السياسات المتناقضة لبريطانيا والعراق من جهة، ومصر ودعايتها من جهة أخرى. ولم تكن فكرة الحياد قابلة للتطبيق في الدعاية.

فعلى الرغم من وجود قرار حكومي بعدم اتخاذ موقف من الحملات الدعائية بين القاهرة وبغداد[٥]، إلا أن الصحافة اتخذت موقفاً متماشياً مع الرأي العام الذي عد الداعين للحلف بمنزلة "الأعداء للوطن" وللقضية الفلسطينية[٦]، وهو ما كان منسجماً مع رأي كبار المسؤولين من

---

(١) انتوني ايدن: مذكرات، ج٢، ترجمة خيري حماد (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٥٨) ص١٢٣؛ دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٤١.

(٢) حازم نسيبه: تاريخ الأردن السياسي المعاصر ما بين ١٩٥٢-١٩٦٧ (عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٢) ص٤١.

(3) R. J., Vol.9, Record Of Conversation Between Secretary Of State and the Turkish Prime Minister in Bhagdad, F0371/115654, 22/11/1955, P. 28.

(٤) فلسطين، ١٩٥٥/٢/١٠.

(٥) علي محافظة: العلاقات الأردنية البريطانية منذ تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧ (بيروت: دار النهار، ١٩٧٣) ص٢٢٥. وسيشار إليه فيما بعد محافظة، العلاقات الأردنية البريطانية.

(٦) هزاع المجالي: مذكراتي (عمان: د.ن، ١٩٦٠) ص١٠٩.

الضفة الغربية في الدولة الأردنية، والقائل بأن الانضمام للحلف من ضمن الأدوات الخادمة لإسرائيل، بغض النظر عنها، بدلاً من مواجهتها[1].

ولم يكن عبد الناصر يتطلع إلى موقف جدي مناهض للحلف من الجانب الأردني، مع اقتناعه بعدم مقدرتهم في ظل "ظروفهم الخاصة أن يهاجموا مشروعات حماتهم البريطانيين"، وظل الملك وحكومته خارج نطاق حملات صوت العرب، غير أن كلوب كان على جدول حملات الدعاية المصرية المضادة لرموز "الإمبريالية" في المنطقة، كخادم للمصالح البريطانية مستغلاً مركزه في ذلك[2].

عاد أبو الهدى للتأكيد على سياسة الحياد أوائل آذار ١٩٥٥، وهذه المرة كرد على طلب مصري للانضمام لحلف يجمع مصر، والسعودية، وسوريا[3]، وأمام الرغبة الملكية بالانضمام لحلف بغداد، وعجز أبو الهدى عن اتخاذ الخطوة المناسبة لذلك.

جاءت استقالته في ١٩٥٥/٥/٢٨[4]، وكلف سعيد المفتي* بتشكيل الحكومة، غير أنه أكد على عدم الانضمام للحلف حرصاً على العلاقات مع الدول العربية، وبالتحديد مع القاهرة[5]، ولكن الأمور أخذت منحاً سيؤدي بالدفع بالأردن للانضمام للحلف. فإعلان المصريين في

---

(1) R. J, Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 10 December 1955, F0.371/115656, P. 43.

(٢) ناتنج، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.

(٣) فلسطين، ١٩٥٥/٣/٩.

(٤) الدفاع، ١٩٥٥/٢٩.

* ١٨٩٨-١٩٨٩: سياسي أردني تقلد منصب رئاسة الوزارة عدت مرات وهي حسب الترتيب؛ الوزارة الأولى (١٢/٤/-١١/١٠/١٩٥٠)، الوزارة الثانية (١٤/١٠/١٩٥٠-٤/١٢/١٩٥٠)، الوزارة الثالثة (٢٩ أيار ١٩٥٥-٢٤ كانون أول ١٩٥٠)، الوزارة الرابعة (١٩٥٦/٥/٢٢-١٩٥٦/٦/٣٠) وقد اعتزل الحياة السياسية عام ١٩٧٤ للمزيد راجع، فواز محمود عقيل شوقي: سعيد المفتي ودوره في الحياة السياسية الأردنية ١٩٢١-١٩٧٤ رسالة ماجستير غير منشورة، (إربد:جامعة اليرموك، ١٩٩٩).

(٥) الدفاع، ١٩٥٥/٦/١٣.

١٩٥٥/٩/٢٧ عن صفقة الأسلحة التشيكية، المنهية احتكار الغرب لتجارة السلاح مع المنطقة(١)، رأت فيه بريطانيا تأثيراً إضافياً لصالح عبد الناصر على الرأي العام الأردني، وبالتالي مقدرة أكبر على جذب الأردن، ومن هنا فإن سياسة الحياد ما عادت ممكنة(٢)، وتحدثت تقاريرهم السرية عن القدرة والكفاءة المصرية في الدعاية الإذاعية الجاذبة والمؤثرة، والتي هي بحد ذاتها سلاحٌ هائل ومؤثر، معززة بصحافة فاعلة، تصل بشكل يومي إلى الأردن، ما يؤهلهم لنشر نفوذهم وسيطرتهم(٣).

وفي بحثهم عن آليات للتأثير في الرأي العام الأردني تحدثت الوثائق البريطانية عن إمكانية الاستعانة بوصفي التل القائم بأعمال مدير المطبوعات، كونه مؤيداً للحلف، و"لشجاعته" وقدرته على التصريح عن رأيه وموقفه، فبالإمكان الاعتماد عليه في ظل الوضع "المضطرب" للضغط على الصحافة من خلاله، "فهو يمتلك آلية التهديد والرشوة"(٤)، والملاحظ أنه قام بإلقاء محاضرات في كل من عمان والسلط للتعبير عن إيجابيات انضمام الأردن إلى حلف بغداد(٥). ولم تذكر الوثائق البريطانية فيما بعد أي خطوات له في ممارسة الضغط على وسائل الإعلام للتأثير على الرأي العام.

---

(1) Uriel Dann: King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism, Jordan 1955-1967 (New York: Oxford University, Press, 1989), P. 24.

(2) R. J. Vol. 9, Records Of The Conversation Between Secretary Of State and the Turkish Prime Minister in Bhadad, Fo.371/115654, 22/11/1955, PP, 28-29; Betty S. Anderson: Nationalist Voices in Jordan "The Street and the State (Texas: University Of Texas Press, 2005), PP. 157-158.

(3) R. J. Vol. 9, Mr. Mason To Mr. Rose, 3 November, 1955, with Enclosure. Memorandum On Egyptian Policy Towards Jordan, 22 October 1955, Fo371/115654; P. 183.

(4) R. J. Vol. 9, Mr. C. Fouracres To Mr. A Goodsons 29 December 1955, Fo371/121241, P. 490.

(٥) التل، كتابات في القضايا العربية، ص٣٤.

اتخذت السياسة البريطانية طابعاً جدياً لانضمام الأردن، فأرسل رئيس هيئة أركان الجيوش البريطانية، الجنرال تمبلر (Gerald Templer) فوصل عمان في ١٩٥٥/١٢/٦[١]، ولكن الحملات الإذاعية المصرية "الشعواء" انطلقت بمجرد وصوله، بأمر من عبد الناصر، وبأسلوب تحريضي للشارع الأردني ضد تلك المباحثات[٢].

أدت المحادثات مع المسؤولين الأردنيين إلى اتخاذ قرار بالانضمام، بعدما أكدت مسودة الاتفاقية المقترحة بأن الخطوة لن تؤثر على وضع الأردن فيما يتعلق بالحل النهائي للقضية الفلسطينية[٣]، ولكن استقالة* الوزراء الفلسطينيين في حكومة المفتي في ١٩٥٥/١٢/١٣ وبإيعاز من الرئيس عبد الناصر عطلت التنفيذ[٤] الذي سبقه اجتماع مع السادات قبل يوم من اتخاذها مع تقديمه مبالغ مالية "كرشوة"، بعد أن أسهم وجوده في خلق ضغوط نفسية أدت لتعكير أجواء المباحثات، عبر ما قام به من دور دعائي مضاد للحلف من خلال اتصالاته، أو تصريحاته[٥].

وفي تلك الأجواء قدم المفتي استقالته، وكُلّف هزاع المجالي بتشكيل الحكومة في ١٩٥٥/١٢/١٤[٦]، حيث سيحاول مجدداً ضم الأردن لحلف بغداد.

---

(١) محافظة، العلاقات الأردنية البريطانية، ص٢٤٣.

(٢) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(3) R.J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 11 December 1955, Fo 371/115657, P.50.

* الوزراء هم: نعيم عبدالهادي، وعزمي النشاشيبي، و سمعان داوود، وعلي حسنا. وقد اتهموا بتقاضي الرشوة من السعودية؛ شرقي، ص ٤٠-٤١.

(4) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 December 1955, Fo371/115657, PP. 59-60.

(5) Mr. R. Mason To Mr F. Rose, 3 December 1955 with Enclosure: Account Of Visit Of Col. Anwar Sadat To Jordan, 11 December 1955, Fo371/119663, P.187.

(٦) الدفاع، ١٩٥٥/١٢/١٥.

ولا بد من التذكير هنا إلى أن إدارة ملف الحرب النفسية على الساحة الأردنية، أنيطت مهمته بالسادات*[١]، وحينما ندقق في الفهم المصري لأدوات تلك الحرب فسنجد أن بعضاً منها طبق على الساحة الأردنية عام ١٩٥٥م، وفي الأعوام التالية.

فقد حدد هيكل أدواتها كالآتي: "المؤامرة بديل عن المعركة، وقوة المال بديل عن قوة النيران، والاغتيال بديل الاشتباك، والجريدة والتلفزيون والراديو بديل عن الدبابة والطائرة والمدفع، والكلمة بديل عن طلقة الرصاص"، وقد عرفها بأنها النفاذ إلى "عقل الخصم "، وانتزاع ما يخشى من قيم ومبادئ، ومن ثم نشر "بذور الشك والخوف" التي تؤدي لتعطيل قواه [٢]، وقد شهدت تلك الحرب تصعيداً في حكومة هزاع الأولى، الذي فقد حياته لاحقاً بإحدى أدواتها.

وصفت الصحافة البريطانية لحظة مجيء هزاع "بالغامضة والخطيرة"[٣]، فالحملات الدعائية المصرية تجددت ضد الحلف، والبريطانيون يحاولون التخفيف من الأعراض الجانبية للانضمام، ويدركون أن الصعوبات ستكون كبيرة، وقد يكون الوقت متأخراً لذلك القرار[٤] مع إمكانية استثارة الحملات الدعائية باتجاه الأردن حال العزم على اتخاذه[٥].

ومما زاد من "خطورة" الوضع أن الأردنيين الذين اتخذوا في السابق موقفاً "مراوغاً" إزاء الحلف[٦] بات توجههم مع مجيء هزاع واضحا بجلاء[٧]. وقد كان الملك معجباً بجرأته

---

* امتدت زيارته من ١١-١٤/١٢/١٩٥٥م، طاف خلالها في مدن الضفة الغربية، واجتمع بزعماء الحزب الوطني الاشتراكي ساعياً لتأليب الرأي العام ضد الحلف، شرقي، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(1) R.J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 February, 1956, FO371/127462, P. 251.

(٢) محمد حسنين هيكل، عن الحرب النفسية، بصراحة، الأهرام، ٤/١١/١٩٦١.

(٣) الدفاع، ١٥/١٢/١٩٥٥.

(4) R. J. Vol. 9, Sirt H. Trevelyan To Mr. C. Shuchburgh, 18 November 1955 Fo371/115653, P. 22.

(5) R. J. Vol. 9, Sir H. Trevelyan To Mr. C. Duke, 4 November 1955 Fo371/115645, P.179.

(٦) ناتنج، مرجع سابق، ص١١٣.

(7) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 December, 1955, Fo371/115657, P. 60.

المطبوعة بالمخاطرة على القبول بمهمة التنفيذ(١)، ولكن الدعاية المصرية باتت أكثر تحفزاً مع وضوح الصورة بمجيء هزاع.

فتحركتْ معلنة استحالة قيام الحكومة، مما دفعه للإسراع بتشكيلها خلال يوم وليلة كرد فعل يقصد به "تكذيبها"، وفي اليوم التالي ١٩٥٥/١٢/١٥م، أتم فريقه الوزاري، وكان التواصل مع الدعاية المحلية ممثلة بالصحافة خطوته التالية، فاستخدام الترغيب والترهيب محذراً مما دعاه نشر الفوضى والانقسام، والاستياء، في الشارع، مع متابعة للدعاية المصرية، إذاعة وصحافة، ومراقبة للسفارتين السعودية والمصرية، وعزمٍ على اتخاذ خطوات مواجهة للحملات الدعائية(٢)، وعلى ما يبدو فإن رسم تفاصيل المواجهة وأدواتها قد جاء من طرف آخر.

قدم السفير البريطاني مقترحاً لتدعيم موقف الحكومة، يقضي بالتوجه إلى الرأي العام من خلال حملة دعائية داخلية لحشده، بإرسال الوزراء إلى المدن لشرح الأمر، والاعتماد على الصحافة المحلية، وتبيان إيجابيات الانضمام، وهي أفكار راقت للملك، الذي أكد أن هناك حملة إعلامية وإذاعية جاهزة، كما أن عدد ساعات بث الإذاعة تم زيادتها(٣). ولكن تلك الخطة اعترتها عوامل ضعف في الإذاعة والصحافة الأردنية.

طغى الطيف الفلسطيني على كوادر الإذاعة الأردنية برام الله، ولم يكن بإمكانهم الانعزال عن محيطهم(٤)، وحينما قرر الملك توجيه خطاب إلى الرأي العام الأردني كجزء من حملة دعائية في الأيام التالية لتشكيل هزاع للوزارة، أرسل خطاباً مسجلاً إلى إذاعة رام الله، لكنه لم

---

(1) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 17 December, 1955, Fo371/115675, P. 67.

(2) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 16/12/1955, FO371/115657, P. 54-62.

(3) Vol. 9, Fo371/115675, P. 67.

(٤) أبو زيد، مقابلة.

يبث بسبب "تخريب الشريط" وتعطيل البث، فكان انفعال الملك كبيراً*، فعزل حافظ عبد الهـادي مدير الإذاعة، وعُين مديراً آخر مكانه[(١)]، وبخصوص هذه الرواية لا بد من الإشـارة إلـى أن الوثائق البريطانية توردها في أحداث الأزمة السياسية عام ١٩٥٧ وهو ما سنراه لاحقاً، وبغض النظر عن توقيت حدوثها فإن تأثير إذاعة صوت العرب كان في الضفة الغربية "أقوى بكثير" من الضفة الشرقية[(٢)]. وفي تفاصيل آنفة رأينا تعليلاً لذلك الوضع. وفي الوقـت الـذي لـم يكـن باستطاعة الملك بث خطاب من الإذاعة، كان الرئيس عبد الناصر من جهة أخرى فـي وضـع يعبر عن رجحان كبير في موازين القوى الدعائية لصالحة.

فقد صنف محطة الإذاعة المصرية في ١٩٥٥/٧/١٢ بما فيها إذاعة صوت العرب، بأنها: "أكبر قوة إذاعية في الشرق الأوسط"، بعد افتتاح محطة للموجة القصيرة بقـوة مئـة وأربعـين كيلوواط،، ما مكن المحطة من زيادة فترة الإرسال إلى تسع عشرة ساعة يومياً، "وقـد بلغـت ساعات الإرسال... في البرنامج العام، وفي صوت العرب، والإذاعـة الـسودانية، والبرنـامج الأجنبي المحلي الأوروبي، والبرامج الموجهة للأمريكيين الشمالية والجنوبيـة (٣٢٩) سـاعة، وبلغت في الأسبوع (١٠٢٨) ساعة..." [(٣)].

وبالتالي لا يمكننا الحديث عن مواجهة إذاعية في هذه المرحلة، فالحملات كانت تنطلق من طرف واحد، في حين كانت الإذاعة الأردنية تحت وقع نفوذ صوت العرب، الذي وصـل إلـى

* استخدم الخطيب تعبير "انصرع الملك" لتدليل على شدة انفعاله والحالة النفسية الناجمة كـردة فعـل علـى سلوك العاملين في الإذاعة؛ الخطيب، مقابلة.

(١) الخطيب، مقابلة.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي بميدان الجمهورية، بمناسبة العيد الثالث لثورة يوليو ١٩٥٥/٧/٢٢.

العاملين فيها كما رأينا. ولم يكن الوضع يختلف في الصحافة من حيث المفعول وإمكانية الاعتماد عليها.

فالعاملون في الصحف، وكغيرهم من الفلسطينيين، كانوا ضد الحلف، وفرضية الخـــروج عن المسار، قد تعرضهم لغضب الرأي العام، وبشكل قوي، ما جعلهم يخشون على حيـــاتهم، لا سيما بوصول تهديدات "بحرق" الصحف. ولعب العامل المادي دوراً مؤثراً؛ فالرغبة ببيعها لا بد وأن تخضع لمضمون يقبله المحيط، كما أن السلطات أثّرت بطريقة غير مباشرة على موقفهـــا؛ فسماحها بدخول الصحافة السورية والمصرية المنتقدة والمهاجمة للحلف، شجعها على المـــضي بطريقها الناقد أيضاً والمعارض[١]، وفي هذه النقطة بالذات كـــان العراقيـــون أكثـــر حرصـــاً، بتطبيقهم لقانون "منع وسائل الدعاية المضرة" من دخول العراق وهو ما أدى لمنع الصحف غير المرغوبة من تخطي الحدود[٢].

ولعل العامل الأهم في مضي الصحافة بعيداً عـــن رغبـــات الحكومـــة هـــو "الرشـــوات السعودية"[٣]، وتورد الوثائق البريطانية أنها دُفِعَت لمالكي صحف فلسطين، والدفاع، والجهاد[٤]. ولم يتوقف فعل المال السعودي عند الصحافة، فامتد إلى المفاصل المحركة، أو القـــادرة علـــى التأثير في الرأي العام والقيام بنوع من أنواع الدعاية. فدفعت الأموال إلى الشيوخ والمخاتير في القرى والمخيمات[٥]، ووصلت إلى أعضاء البرلمان، والوزراء، والمعارضة، وكل صاحب شأن مؤثر[٦].

---

(1) R.J., Vol. 9, Mr. Fouracrs To Mr. Goodison, 29 December, 1955, Fo 371/121241, P.491.

(٢) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(3) R.J., Vol. 9. Op. Cit., Fo 371/121491., P. 386.

(4) R. J., Vol. 9, Mr. T. Wikkeley To Mr. E Rose, 28 December, 1955, Fo371/121491, P. 386

(5) Ibid, P. 386.

(٦) عبد الرحمن شقير: من قاسيون إلى ربة عمون، رحلة العمر (عمـــان: كتـــاب الأردن الجديـــد، ١٩٩١)، ص١١٢؛ Shwadran, Op. Cit., P. 325.

اعتمدت إذاعة صوت العرب الحملات المكثفة، مع التركيز علـــى فكـــرة "المـــؤامرة"[١]؛ فالحلف "حيلة" غربية لمساعدة إسرائيل، وتفريق العرب، وتسليم أسرارهم العسكرية إليها عبـــر لندن[٢]، وفي حال الانضمام إليه فسيكون الأردن قد وقع في "فخ"، تُثَبَّتُ بموجبه حدود إسرائيل، ويتم بموجبه تجاهل قضية اللاجئين. وزادت صوت العرب، بكشفها عن "اتفاقية سرية" برعايـــة بريطانية يُمنح العراق بموجبها الضفة الشرقية، وإسرائيل الضفة الغربية[٣].

ويبدي البعض استغرابه من الخلط بين الحلف وإسرائيل، مبيناً أنها كانت ضـــد انـــضمام الأردن إليه، خشية تعزيز قدراته العسكرية بواسطة الحلف[٤]، فيما تُقدم أراء أخرى تفسيراً لذلك الربط، محددة تكونه في تفكير عبـــد الناصـــر بعـــد الغـــارة الإســـرائيلية علـــى غـــزة فـــي ١٩٥٥/٢/٢٨[٥]، والتي أراد من خلالها وزير الدفاع الإسرائيلي بن غوريون إحراجـــه لعـــدم مقدرته على الرد، في وقت كان فيه مشغولاً بانضمام العراق إلى الحلف منذ أسابيع قليلة، ومن هناك كان الربط، فأعطى عبد الناصر الإيعاز لصوت العرب "بتشديد الهجوم على نوري السعيد والحلف، وهو ما ترافق أيضاً مع حصول المخابرات المصرية علـــى وثـــائق، تؤكـــد تزويـــد الأمريكيين والبريطانيين لإسرائيل بالأسلحة[٦]، فكانت هذه بداية ربط غير مباشر بين النقطتين.

ويعرض رأي آخر لحقيقة تقول بعدم صحة الربط، وأن وثائق العراق التي نقلـــت بعـــد ١٩٥٨/٧/١٤ إلى القاهرة وتم فحصها، لم تفرز وثيقة واحدة تؤكده[٧]. ويمكن تفسير ذلك الربط

---

(١) نجيب الأحمد: فلسطين تاريخياً ونضالاً (عمان: دار الجليل، ١٩٨٠)، ص٦٣٤.

(٢) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٤٠.

(3) John Bagot Glubb: Soldier With The Arabs (London: Glodder and Sloghton Ltd., 1959), PP. 394-395.

(٤) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(5) James, Nasser at War, Op. cit, P. 12.

(٦) حمروش، ج١، مرجع سابق، ص٥٤١.

(٧) السعيد، مرجع سابق، ص١٧٥.

بأنه تطبيق لأحد الأساليب الدعائية القائمة على تحريك الشارع والرأي العام، من خلال القضايا والموضوعات ذات التأثير الكبير على عواطف الناس.

وهي تهمة توجه لصوت العرب باستخدام "النبرة العاطفية العنيفة" للتغلب على عدم توفر "البراهين الحادة" في بعض القضايا المطروحة(١). مع اتهامها أيضاً باعتماد "الإشاعات والأقاويل"(٢). واتجهت الدعاية المصرية إلى تحريض الشارع بطريقة غير مباشرة ولا سيما عنصر الشباب الأردني، بتأكيدها على أهمية دوره الذي غدا "قدوة وأنموذجاً"يجبُ إتباعه من قبل الشباب العرب في النضال والكفاح ضد الاستعمار(٣).

وبالمحصلة استطاعت الحملات الدعائية "الشرسة" لصوت العرب(٤)، أن "تُشعل العواطف" دافعة الناس إلى الشوارع "بكثافة"(٥)، ورغم وصف أدائها "بالغوغائي"(٦)، إلا أنها امتلكت القدرة على تحريك الشارع "وجعل الجماهير ملتحمة بطريقة عجيبة"(٧).

أكد هزاع أن اعتماد أسلوب الإشاعة من قبل صوت العرب أدى لتثوير الشارع، فالمظاهرات لم تندلع، إلا بعد أن أعلنت "مدعية" سقوط القتلى والجرحى، فتحركت في كل مكان، "وكأنها قامت بإعطاء إشارة لعملائها"(٨). فمنذ اليوم الأول لتشكيل الحكومة في ١٩٥٥/١٢/١٥،

---

(١) إبن حالة، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٢) النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(3) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 19/12/1955, FO3171/115640, P.753.

(4) Micha 1 N. Barnet: Dialogue In Arab Politics: Negotiations In Regional Order (Coulumbia: Coulumbia University Press, 1988), P. 108.

(5) Anderson, Op. Cit. P. 166.

(٦) أبو زيد، مقابلة.

(٧) الخطيب، مقابلة.

(٨) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا تنسى، أحمد سعيد ١٩٦٠/٧/١٩، ج٢٣٢-٢٤٥.

أضربت عمان إضراباً شاملاً[١]، ولم يكن أمامه سوى عقد مؤتمر صحفي والدعوة لعدم الأخذ بالإشاعات التي يرددها "دعاة السوء والفرقة"[٢].

وقد عدَّ المعلمين "عدوه الأول"، لدورهم في تحريض الطلاب على التظاهر، حتى أنهم شكلوا معظم المظاهرات[٣]. من هنا اتجهت الحكومة لمواجهة نقابة المعلمين، فأصدر الديوان المختص بتفسير القوانين، قرارا بعدم شرعية النقابات[٤]، ومع أنه لم يحدد نقابة المعلمين بعينها إلا أن فعلها على أرض الواقع جعلها في عين الهدف، غير أن القرار لم ينفذ إلا في عهد وزارة سمير الرفاعي كما سنرى لاحقاً.

واتخذت الحكومة أمراً بتعطيل المدارس، غير أن ردة فعل الطلاب في ١٩٥٥/١٢/١٨ كانت أكثر "حدة" في عمان، وامتثل عدد كبير من التجار لطلبهم بإغلاق متاجرهم، وخرجوا بمظاهرات قدّرت بالآلاف[٥].

وما يثير الاستغراب أن البريطانيين أرسلوا في هذه الظروف، وتحديداً يوم ١٩٥٥/١٢/١٧، يطلبون الإسراع باتخاذ قرار الدخول في الحلف، والغريب أيضاً أن الملك جدد دعمه لهزاع في سياسته الماضية نحو الحلف، وهو ما بدد خشيته من سحب الدعم الملكي من حكومته، بسبب الدعاية المصرية، وازدياد حدة الاضطرابات، والخوف من وقوع حرب أهلية[٦]، فعاد للتصريح في ١٩٥٥/١٢/١٨ بإصراره بالمضي نحو الانضمام[٧]، فازدادت حدة

(1) R. J. Vol. 8, Telegram From Amman To Foreign Offices, 16 December 1955, Fo371/115639, P. 739.

(٢) الدفاع ١٩٥٥/١٢/١٦.

(3) R. J. Vol. 8, Telegram From Amman To Foreign Offices, 19 December 1955, P.42

(٤) الدفاع ١٩٥٥/١٢/١٧.

(5) R. J. Vol. 8, Telegram from Amman to Foreign Office, 18 December 1955, Fo371/115639, P.741.

(6) R. J. Vol. 9, Extract From Telegram From Office To Amman, 17 December 1955, Fo371/1150567, P.P.64-65, 68.

(٧) الدفاع، ١٩٥٥/١٢/١٩

الاضطرابات والمظاهرات، وسقط قتلى وجرحى في القدس يوم ١٩٥٥/١٢/١٩، مع استمرارية الدعاية المصرية "بتأجيج" الاحتجاجات في الشارع[١].

تكون رأي عام –حسب بعض المصادر– "بولاء قوي" لعبد الناصر، حتى أن عامة الناس جعلوه –أي الولاء–مقياساً لوطنية الأحزاب والأشخاص[٢]، لا بل إن بعض الآراء تؤكد أن صوت العرب أثَّرَت على "شعبية الملك بشكل كبير"، وأصبح النظام أمام معارضة قوية لتوجهاته[٣]. ومن داخل الدائرة الضيقة للنظام نجد وجهة نظر تعبر عن ذلك بحدة حسب اعتقادي.

ونراها في زعم لسمير الرفاعي أكد فيه أن "الملك فقد شعبيته، ومكانته، واعتباره وأصبح مكروهاً"[٤]. فتم توزيع منشورات "معادية" للعائلة المالكة، وهي المرة الأولى التي تسجل في الأردن[٥]، وهو تطور يشي بمدى حساسية الوضع، وإمكانية تطور الأمور بشكل أخطر.

كما تعتبر تلك الخطوة جزءاً من الحرب النفسية التي تعرف بحرب المنشورات[٦]. وأمام هذا الوضع كان لا بد من حل للأزمة. ونجد أن الأطراف ذات العلاقة كان لها آراء متباينة للتعامل مع مفاعيل الدعاية المصرية.

فمالت السفارة البريطانية إلى استخدام نهج "القسوة" وطالبت باستخدام وسائل الدعاية: الإذاعة، والصحافة ومكبرات الصوت، لإبلاغ الناس بذلك[٧]، وهو ما انسجم مع تفكير كلوب

---

(1) R. J. Vol. 8, Telegram From Amman To Foreign Office, 19 December 1955, Fo371/115640, P.743.

(2) Anderson, Op, Cit., P. 160.

(٣) الخطيب، مقابلة.

(٤) مخلوف: رحلاتي في البلاد العربية (بغداد: دار الروائع، ١٩٥٩م)، ص ١٩٤، نقلاً عن الحسني، ج٩، مرجع سابق، ص ٢٤٥. وسيشار إليه فيما بعد: فريد مخلوف، مرجع سابق.

(5) J.R.F., Vol. 2, Extract From Annual Review For 1955, 27 July, 1956, FO371/121461, P.315.

(٦) عبدالمنعم الحفني: الموسوعة النفسية، علم النفس والطب النفسي في حياتنا (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣م)، ص٣٢٩.

(7) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, Fo371/115658, 19 January 1955, P. 75

باستخدام المدفعية لقصف السلط، بعد أن سيطر الأهالي على الدوائر الحكومية، غير أن رفض الضباط للأوامر حال دون ذلك، وهذا الموقف من الضباط لاقى تأييداً من الملك حسين[١].

أما هزاع –ووفقاً لزعم الوثائق البريطانية– فقد أمر بإطلاق النار مباشرة على المحتجين، بعد أن كانت الأوامر تحدد مرماها فوق رؤوسهم لإخافتهم، بعدما فقدت الحكومة السيطرة على الشارع، غير أن عدداً من أفراد الجيش رفضوا التنفيذ[٢]، فتم اعتقالهم[٣]، واستخدمت قوات مدربة لمواجهة المظاهرات، إلا أن كثافة الاحتجاج أضعفت قدرتها على المواجهة[٤]. إن أوامر إطلاق النار مباشرة على المتظاهرين، تشير إلى مدى التوترت والضغوطات النفسية التي كانت الحكومة الأردنية تعمل تحت وتيرتها، وهو واقع يدلل على مدى فاعلية صوت العرب في التأثير على الشارع وتحريكه.

أدرك هزاع استحالة المواجهة بالقوة فلجأ إلى خيار آخر، فكان طلبه من الملك حل مجلس النواب، كإجراء للتهدئة مع بقائه رئيساً للوزراء لسبعة أيام[٥].

ولكن الملك رأى أنه لا بد من تقديم "تنازلات"، وقد جاء في تعبير الوثيقة البريطانية "The King and Hazza felt forced to give ground" فَحُلَ مجلس النواب، وأُقيل هزاع في ١٩٥٥/١٢/٢٠[٦]، وفي اليوم ذاته عهد إلى إبراهيم هاشم* بتشكيل الحكومة، غير أن نواب

---

(١) الأحمد، مرجع سابق، ص٦٣٤.

(2) R. J., Vol. 8, Telegram From Amman To Foreign Office, 19 December, 1955, Fo 371/115640, P. 745, 751.

(3) R.J., Vol. 8, Telegram From Cairo To Foreign Office, 20 December 1955, Fo 371/115640, P.753.

(4) Glubb, Op. Cit., P. 405.

(6) J.R.F.,Vol.2, FO371/121461,P.400.

* إبراهيم هاشم ١٨٨٤–١٩٥٨: سياسي أردني، ولد في نابلس، ودرس في أستنابول تقلد العديد من المنصب الحكومية، تولى منصب رئاسة الحكومة لأول مرة عام ١٩٣٣–١٩٣٨، وكذلك في عام ١٩٤٥ وفي ١٩٥٥ وفي عام ١٩٥٦، ١٩٥٧، وبعد الاتحاد مع العراق عين نائباً لرئيس الوزراء الإتحادي، وقد لقي حتفه خلال أحداث الفراق التي أدت لإنهاء الملكية في ١٩٥٨/٧/١٤؛ الكيالي، ج١، مرجع سابق ١٩–٢٠.

المجلس المنحل طعنوا في دستورية قرار الحل لعدم توقيعه من وزير الداخلية، فاستقالت الحكومة في ١٩٥٦/٦/٧، وكلف سمير الرفاعي بالتشكيل[١]، وأمام ضغط الرأي العام أعلن الرفاعي عدم الارتباط بالأحلاف الأجنبية، وأن سياسة حكومته تقوم على رفضها[٢].

شكل أداء صوت العرب خلال هذه المرحلة، أنموذجاً لأداء بات قاعدة في التعامل مع النظام الأردني فيما بعد، وهو ما ولد بالمقابل نظرة تجسدت لديه إزاءها على مر السنوات التالية.

فقد رأى الملك حسين أن عبد الناصر في بداية انتشاره عربيا وظف "سلاحين"؛ الأول هو "سلاح" الإذاعة، ومهمته "قتل الخلق والمروءة والشرف"، عبر "الافتراء والتزوير". أما السلاح الثاني فهو "المال الحرام"، لـ "قتل العقل والجسم والروح"، وشراء "الضمائر"، وابتياع "العقول"، في سبيل الترويج لأهدافه و"بضاعته"، أو تمهيداً للسيطرة و "الوثوب" إلى مبتغاه[٣]، وهذا ما يقترب من رأي لصلاح أبو زيد، يقول بإمكانية تحول الإذاعة إلى وسيلة "للغش والتخريب"[٤].

وتقدم لنا بعض المصادر وجهة نظر –تنسجم مع ما تقدم– لرئيس الوزراء السوري الأسبق خالد العظم*، أكد فيها أن "سلاح الناصرية"، اعتمد على "نقد تشترى به الضمائر المنتنة،

---

(١) محافظة، العلاقات الأردنية البريطانية، ص٢٣٩.

(2) R. J., Vol. 9, Telegram from Cairo to Foreign Office, 11 January 1956, Fo371/121463, P. 283, Anderson, Op. cit., P.165.

(٣) كلمة الملك حسين، منتصف تشرين الأول، ١٩٦١م، ج١، ص ٦٣٧.

(٤) فلسطين، ١٩٦٢/٨/٣م.

* خالد العظم: ١٩٠٠–١٩٦٥: سياسي ورجل دولة سوري تقلد العديد من المناصب الوزارية، وتولى منصب رئاسة الحكومة عدت مرات. توقف بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨، عن ممارسة أي نشاط سياسي علني، ثم عاد بعد الانفصال فشغل للمرة الأخيرة منصب رئيس الوزراء (١٩٦٢–١٩٦٣). تميزت سياسته بالليبرالية الاقتصادية، وتبنى البرلمانية الغربية، وتأييده للانفصال، وتحالفه مع الشيوعيين السوريين، وتقوية علاقات سوريا بالكتلة الاشتراكية؛ الكيالي، ج٢، مرجع سابق، ص ٦٠٣.

وترانزستور تبث به الدعاية لنفسها، والسم الزعاف لسواها..."[١]. وعلى ما يبدو فإن رأي النظام الأردني الذي رأيناه جاء انعكاساً لنتائج تحققت، ولم تكن في صالحه.

فوفقاً لوجهات نظر تطرح، فإن أهم مخرجات "الحرب النفسية التي جرت" أنها فصلت ما بين النظام، والرأي العام لديه[٢].

استطاع الرأي العام لأول مرة في تاريخ الأردن أن يلعب دوراً مؤثراً في صنع القرار[٣]. ووصل الأمر بالصحافة الأردنية، أن تصفه بعد استقالة هزاع، بأنه "إرادة الله"[٤]، ولا بد من احترامه والانفتاح عليه، وعدم الاستخفاف به، وينبغي التسلح به لا مناجزته العداء، والفهم العميق لمشاعر الناس واتجاهاتهم وعدم تجاهلها"[٥]، وهو ما يعد نقداً غير مباشر لاستعانة السلطة بما يمكن تسميته بأدوات القمع والاستبداد للسيطرة على الرأي العام.

وامتدح عبد الناصر "شجاعته" وقدرته على المواجهة والمحافظة على رباطة جأشه واتزان "أعصابه"، بالمقابل فإن أنصار ومؤيدي الحلف فقدوا "وعيهم واتزانهم"[٦]. ولكن وجهة النظر المخالفة أو شبه الرسمية تعاملت مع الدور الذي قام به الرأي العام الأردني خارج نطاق التبجيل، والتقدير الذي رأيناه في موقف الصحافة، وعبد الناصر.

فمع اعترافها بقدرة الدعاية المصرية على "زعزعة" الولاء لديه، والسيطرة عليه، إلا إنها حاولت الانتقاص* من مكانته، مستحضرة تشبيهه "بالحمار" الذي "يُصنع ليركب"، وهو تمثيل

---

(١) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص٤٣٥.

(2) Anderson, Op. cit., P. 160.
(3) Ibid., P. 160.

(٤) الدفاع، ١٩٥٥/١٢/٢١.
(٥) الدفاع، ١٩٥٥/١٢/٢٥.
(٦) حديث الرئيس جمال عبد الناصر عن "مفتريات نوري السعيد" ١٩٥٦/١/٢٧.
* يعود هذا الرأي للمؤرخ الأردني سليمان الموسى الذي كتب حرفياً "لقد كان من جملة المتاعب التي عانت منها السياسة الأردنية: أن تأثير الإذاعات الخارجية على الناس كان قوياً بحيث شتت ذلك التأثير أفكار كثيرين منهم وزعزع ولاءاتهم، ووجد مكاناً خصباً في القلوب التي اكتوت بنار السياسة البريطانية في=

جيء به في سياق التدليل على دونية الرأي العام في "الدول المتخلفة"، وللتأكيد على عدم إمكانية اعتماده مقياساً للحق والباطل، والخطأ والصواب فهو غير "منزل من السماء"[١]، غير أننا نجـد دحضاً لذلك، يؤكد انتشار الوعي في المجتمعات، بفضل الدور الذي قامت به الصحافة والإذاعة، ما مكن الشعوب من "التمييز" بين الحق والباطل، وبين الصالح وغير الصالح، بين ما هو حقيقي وما هو مزيف..."[٢]. ومن هنا فإن الموقف الرسمي لم يكن مرتاحا لما استجد على الرأي العام من حيث الموقف والدور، ولهذا فإن تفكيراً برز داخل دائرة صنع القرار بضرورة القيام "بخداع" تكتيكي للشارع يتم من خلاله استرداد الرأي العام، واستعادة السيطرة عليه، وهو ما حدث لاحقاً عبر خطوة تعريب الجيش كما يؤكد سمير الرفاعي[٣]. والتي أستُغِلَت الشعبيةُ الناجمة عنها، وفقاً لوجهات نظر، لتصفية "العناصر الوطنية" في الجيش والحياة السياسية عام ١٩٥٧[٤]، وهو الفعل الذي سيكون عنصراً بارزاً في المحتوى الدعائي لصوت العرب في دعايتها المناوئـة للنظـام، التي باتت تثير برأيي تفكير أطراف عدة للعمل على مواجهتها والحد من تأثيرها، لما تركته من أثر بالغ على مصالحها سواء كانت داخل المنطقة أو خارجها.

=خلقها لدولة إسرائيل"، إننا نقرأ ونسمع الكثير عن أهمية الرأي العام وقوته ولكن الرأي العام ليس منـزلاً من السماء، وإنما هو اتجاه يمكن خلقه وتوجيهه في ظروف عديدة. وإذا كان الكاتب البريطـاني الـشهير جورج برنارشو قد وصف الرأي العام بأنه حمار تعده الحكومة وتركبه (وهو يعني الرأي العام في أوروبا) فماذا يقول الإنسان المفكر في الرأي العام في أقطار العالم المتخلفة التي لم يتمتع أهلها بحرية يتعرفون من خلالها على أسلوب المحاكمة العقلانية؟ لقد رأينا كيف أن الدعاية المنظمة لعبت بعقول شعبين من شـعوب أوروبا الراقية هما الشعب الألماني والشعب الإيطالي في أيام هتلر وموسوليني، ورأينا في عالمنا العربـي من تقلبات الرأي العام في هذا القطر أو ذاك ما يبعث على الحيرة والدهشة"؛ التل، كتابـات فـي القـضايا العربية، ص٣٤.

(١) المرجع نفسه، ص٣٤.

(٢) حديث الرئيس جمال عبد الناصر في لقاء مع الصحفيين الأمريكيين ١٩٥٨/١/٢٦.

(٣) مخلوف، مرجع سابق، ص ١٩٤، نقلاً عن الحسني، ج٩، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٤) بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة ١٩٤٩-٢٠٠٠ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسـات، ٢٠٠٤) ص١٢٢.

الباب الثالث

الأردن وآليات المواجهة ١٩٥٥ـ١٩٥٦

قام صوت العرب –وفقاً للرؤية الرسمية المصرية– بدورٍ مؤثرٍ، تمثل بتوجيه "طعنات حادة" لحلف بغداد، و "للحكام المتهاونين مع الاستعمار"، وأسهم بفاعلية في مواجهة الدعاية الاستعمارية[1]. وأفرز ذلك اهتماماً مخابراتياً أميركياً وبريطانياً، ومتابعة "دقيقة" لتسجيلاتها، عبر هيئة المعلومات الأجنبية بقبرص، وبالتحديد ما هو متعلق بالحض على إثارة "الاضطرابات والفتن، واغتيال القادة والزعماء"، وعد اهتمام أجهزة المخابرات الفائق بدعايتها، كأمر لم يعرف له "مثيل" سوى أيام هتلر وموسوليني[2].

واعتُمد الأسلوب العلمي لمعرفة مكامن قوتها، ومدى تأثيرها على المستمع العربي، فمولت المخابرات الأمريكية أوائل ١٩٥٦ دراسة حول ردود فعل المستمعين العرب، وتوصلت إلى "انسياق" العرب لما تقوله، وبطريقة "لاشعورية"، تماثل الوضع المترتب على عملية "التنويم المغناطيسي*"[3]. وهي الحالة ذاتها التي كان إيقاع "الدعاية الهتلرية" يفرضها على المستمعين والمتابعين لها[4].

دفعت تلك النتائج الأمريكيين صوب نقطة المواجهة، فطرح خيار استخدام الإذاعة اللبنانية، وتم استبعاده خوفاً من عواقبه على الاستقرار اللبناني، والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وأما الخيار البديل القائم على تأسيس إذاعة منافسة لصوت العرب في المنطقة

---

(١) حمروش، ج١، مرجع سابق، ص ٥٤١.

(٢) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٢٩، ٢٨٢.

* حالة نفسية يَقْبَلُ فيها العقل الباطن –بعد عملية التنويم– الإيحاءات الموجهة إليه من المنوم بسهولة ويعمل على تحقيقها بقوة تفوق القوة العادية؛ ذلك أنه في حالة النوم المغناطيسي يكون العقل الواعي معطلاً، وهنا تكون الفترة سانحة لأن يصل الإيحاء إلى العقل الباطن دون عائق"؛ أسعد لولو: التنويم المغناطيسي (طرابلس الشرق: جروس برس، ١٩٩٣) ص ١٤. ويعرفه آخرون بأنه إحداث حالة لا تختلف من الناحية الفسيولوجية عن حالة النوم العادي، والفرق بين النوم الطبيعي والمغناطيسي هو أن الطبيعي يقوم به الإنسان نفسه، أما المغناطيسي فلا بد أن يحدثه منومٌ موثوق به من "التابع"؛ موقع المقاتل (www.moqatel.com).

(٣) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٤) حاتم، مرجع سابق، ص ٢١٦.

العربية فتلاشى، لمعرفة الأمريكيين، بانعدام وجود كفاءات، وخبرات مماثلة لما هو في مصر[١]. وسيستمر الدور الأميركي بهذا الخصوص، وسنجده حاضراً في خطوات أردنية قادمة لمواجهة صوت العرب. ولم تكن الأفكار الأمريكية وحيدة في الساحة.

عُني الجانب العراقي، بالحد من تأثير الدعاية المصرية، ولكنه لم يكن يمتلك استراتيجية رد فاعلة، وأخذ بأساليب لا جدوى منها، كبث أغنية "هزلية مشهورة" تدعى "البوسطجي" نكاية بجمال عبد الناصر، الذي كان والده يمتهنها، ولكن الإذاعات المصرية أفقدتها أي نوع من التأثير بوضعها على جدول بثها، وهو الأسلوب الذي أخذت به إذاعة بغداد أيضاً ببث "هجمات أحمد سعيد الداعية لاغتيال نوري السعيد"، سعياً للتخفيف من وقعها على الشارع العراقي[٢]، إن هذا الأسلوب يمكن أن يتموضع في سياق يمكن أن يطلق عليه تكتيك إسقاط الأوراق من يد الخصم، إذ أن التعمية على الدعاية المضادة، سيجعلها هدفاً يسعى المستمعون للبحث عنه والوصول إليه مع إمكانية تضخيمه، كما أنه يجعل من المواضيع المعمى عليها مصدر ضغط وقوة بيده.

وقد تدخل خبراء غربيون لتعديل مسار الدعاية العراقية، بحيث قدرة على الحد من الدعاية المصرية[٣]. وهو ما سيظهر لاحقا بخطوات عملية على أرض الواقع.

ترسخت ضرورة مواجهة دعاية صوت العرب لدى كلوب، الذي كان يرى أن قوتها وتأثيرها في الأردن مرده ضعف أدوات المواجهة[٤]. وسعى الملك حسين أيضاً إلى الحد من تأثير الدعاية المصرية، بالتفكير بآليات تؤدي لإحداث تغيير جذري في المعادلة الدعائية، وذلك

---

(١) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٨٣.

(4) R.J., Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 19 December, Fo 371/115658, P. 76.

بإلغاء سطوة التوأمة ما بين الدعاية المصرية والمال السعودي، على الرأي العام، وبالتحديد على اللاجئين الفلسطينيين[1].

وهو تفكير التقى به مع نوري السعيد الذي سبق وأن "ناشد" الأمريكيين في تشرين الثاني عام ١٩٥٥ لوقف مدفوعات شركة أرامكو النفطية للسعوديين مدة ستة أشهر على الأقل، معتقداً أن التنفيذ سيؤدي لتغيير الوضع كله في سوريا ولبنان والأردن وحتى في مصر، وسيصبح بالإمكان تحقيق الأهداف التي تبدو مستحيلة، كإيجاد تسوية عربية إسرائيلية" وهو ما لم يلبي[2].

وما زاد من تصميم الملك على المواجهة أن البريطانيين الذي أعجبوا "بشجاعته" بمواجهة دعاية صوت العرب خلال الأزمة[3]، أبلغوه عبر سفيرهم في ١٩٥٦/١/٥، أن السادات أوصى باستمرارية الحرب النفسية وتغذيتها ضده، من هنا رأى ضرورة إخضاع الصحف اليومية للسيطرة الحكومية، وتطوير الإذاعة، وتعزيزها بالمعدات اللازمة، والتعاقد مع الخبراء المختصين[4].

وظهر التطبيق العملي لتلك التوجهات بصورة سريعة في الصحافة الأردنية التي أعلنت في ١٩٥٦/١/٨ عن قرار صدر في اليوم السابق بوضعها تحت الرقابة[5]، وجاءت الخطوة التالية بتأسيس إذاعة جبل الحسين، وشغلت بأجهزة نقلت من إذاعة القدس، ببث قوته ٢٠ كيلو واط[6]، وتم افتتاحها في ١٩٥٦/١٠/١ من قبل الملك[7]. ولا بد من التوقف عند الأساليب

---

(1) R. J. Vol. 9, Telegram From Foreign Office To Amman, 9 January 1956, FO371/121463, P. 260.

(٢) الحسني، ج٩، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(3) R.J. Vol. 9, Fo 371/121463, Op. Cot., P. 260.

(4) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 January 1956, FO371/127462, P. 251.

(٥) الدفاع، ١٩٥٦/١/٨.

(٦) تركي نصار: تاريخ الإعلام الأردني "دراسة وصفية تاريخية"، (عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٨)، ص١٣٦-١٣٧.

(٧) خطاب الملك حسين بافتتاح الإذاعة، ١٩٥٦/١٠/١، ج١، ص ١١٥.

المطروحة في دائرة صنع القرار الأردنية للتعامل مع الدعاية المصرية، فالملك حسين مال إلى أسلوب المواجهة، ولكن سمير الرفاعي، كان يفضل المهادنة، بتبرير يقوم على اختلال موازين القوى بين الدعايتين الأردنية والمصرية، فالأخيرة، تمتع بقوة "خارقة"، والمواجهة محسومة لصالحها، والتصدي لها أمرٌ "غير عقلاني"، وعواقبه غير محمودة(١).

وعلى هذا الأساس عارض الرفاعي الاستجابة "لضغوط"، وأفكار نوري السعيد، بإقامة محطة دعائية يقوم عليها يونس البحري(٢)، ولكن الملك وافق عليها لتكون محطة "خاصة" للرد على "مفتريات صوت العرب"(٣). وقد رحب الملك بالبحري الذي جدد ولاءه للعائلة الهاشمية، رغم ما تعرض له من إغراءات مادية سعودية، وضغوط مصرية، حسبما زعم(٤) ولم يقتصر دور السعيد على تقديم الفكرة، بل قدم الدعم المادي المصَاحَب بإسناد دعائي آخر، تمثل بإنشاء جريدة للبحري في بيروت، استغلت مضامينها لتكون المادة الرئيسية لإذاعته في دعايتها غير المباشرة "ضد" القاهرة(٥).

وتصف بعض المصادر تلك المحطة بأنها الإذاعة "السرية" لكلوب، الذي "استأجر البحري من أسياده"(٦)، فيما تؤكد أطراف أخرى أن بثها كان ينطلق من القيادة العامة للجيش الأردني(٧). وقد واجهت معارضة من قبل جهات إعلامية أردنية؛ إذ كان "للمراقب العام" للإذاعة الأردنية ناصر الدين النشاشيبي موقف معارض، ومهاجم لمضامينها الدعائية الموجهة نحو عبد الناصر والثورة المصرية، حتى أنه رفض طلباً من كلوب لإعادة بث حملاتها من المحطة الرسمية

---

(1) R. J. Vol. 9, M. R. Mason To Mr. R. Hadow, 1 March 1956, FO371/121460, P. 301.
(2) R. J., Vol. 9, Fo 371/1214, Op. Cit., P. 301.
(٣) الإذاعة الإسرائيلية: تعليق ٥/٣/١٩٦٠م، ص١٠١-١١٥.
(4) R.J.,Vol. 9, Fo 371/1214, Op, Cit, P. 301.
(5) Ibid, P. 301.
(٦) النشاشيبي، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.
(٧) أبو زيد، مقابلة.

الأردنية، ما أدى لتقديم شكوى ضده إلى رئاسة الوزراء، وإلى محاولة يونس البحري الانتقام منه وقتله* أثناء وجودهما في الديوان الملكي(١).

وامتد الرفض للإذاعة ليشمل ردود الفعل المحلية؛ فعبر الرأي العام مجدداً عن انحيازه لمصر، وعدم رضاه عن وجودها، مع انتقادات موجهة للملك(٢).

بموازاة الأساليب المباشرة في مواجهة صوت العرب، كانت آليات أخرى تأخذ طريقها إلى الأراضي الأردنية.

فمع بداية شهر كانون الثاني ١٩٥٦ سلم البريطانيون معدات ووسائل تقنية للتشويش** إلى الحكومة الأردنية لاستخدامها ضد الدعاية المصرية، وبقيت تعمل لغاية تعريب الجيش(٣)، ونفذت

---

* يقول النشاشيبي: "في صباح ذات يوم من عام ١٩٥٦، دخل علي في الديوان الملكي، وفي مكتب وزير البلاط بالذات المجرم العراقي "الإعلامي" المسمى يونس بحري، وبيده مسدس محشو بالرصاص، وصوب المسدس في وجهي، وشتمني وشتم الثورة المصرية.. وكان ثملاً ورائحة الخمر تفوح من فمه القذر! لماذا؟ لأني هاجمت "جلوب باشا" وإذاعته السرية في عمان، التي كانت تشتم الثورة المصرية وتردح لعبد الناصر. في ذلك الصباح، كنت مدعوا لمقابلة الملك حسين قبل دعوتي إلى بيروت وكانت دينا زوجة الملك يومذاك هي التي قامت بترتيب المقابلة وإبلاغي برغبة الملك في اللقاء معي والتحدث عن أمور أردنية مهمة وكان حاضراً معي في المكتب الأمير "حسن بن عون" عم الملكة دينا الذي شهد تفاصيل هذا الاعتداء الرخيص من عميل نازي رخيص، ولولا إرادة ربي وحكمة الأمير حسن، لكنت اليوم في عداد الموتى برصاص مجرم عراقي مأفون اسمه يونس بحري، كان جلوب باشا قد استأجره من أسياده، وعهد إليه بمنصب إعلامي في عالم عمان! ولم يغفر هذا الباشا الاستعماري أنني خلال وجودي كمراقب عام للإذاعة الأردنية لم أسمح بإذاعة خطبة الممجوجة، ولم أساير هواه كما يبدو من الرسالة الموجهة لي من رئاسة الوزراء بعد الشكوى التي قدمها كلوب ضدي "وبالطبع فقد غادر النشاشيبي بعد هذه الحادثة إلى بيروت ومن ثم مصر. النشاشيبي، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.

(2) R.J., Vol. 9, FO371/1214, OP, Cit., P. 301

** كان الاتحاد السوفيتي أول دولة تقوم بالتشويش عام ١٩٣٠، ضد الإذاعات الألمانية، فتقدمت برلين باحتجاج رسمي ودبلوماسي، وتعرضت الـ BBC لعمليات تشويش ألمانية، فيما قام الرومانيون بالتشويش على الإذاعات السوفيتية عام ١٩٣٢، بينما قام النمساويون بالتشويش على الإذاعة الألمانية عام ١٩٣٤؛ جيهان الرشتي: الإعلام الدولي (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦)، ص١٥٦.

(3) Anderson, Op. Cit., P. 165

عمليات التشويش بواسطة شبكة امتدت بين هيئة الإذاعة البريطانية، ومحطة الـــشرق الأدنـــى، والأمريكيين الذين أسندوها بإقامة محطات خاصة بهم على تلال جنوب الأردن[١].

وتقوم آلية العمل على إصدار صفارات الإنذار وأجهزة التشويش اللاسلكي وتوجيهها على موجات صوت العرب لجعل الاستماع إليها "مستحيلاً"، مع زيادة حدتها، أوقات الأخبار والبرامج ذات الشعبية الواسعة[٢].

وفي رواية لأحد الجنود في سلاح اللاسلكي الملكي آنذاك، فإن عملية التشويش اعتمـــدت أيضاً على محطات متنقلة، استخدم فيها أجهزة أميركية: جهـــاز٣٩٩، وجهـــاز ٤٩٩، وكانـــت تتحرك بين المرتفعات في منطقة عمان، وخاصة منطقة صويلح، ويتم خلالها أيـــضاً إصـــدار صفير قوي موجه نحو ترددات صوت العرب[٣]. والمفارقة أن الصحف الأردنية آنذاك استمرت بعرض جداول برامج صوت العرب وإذاعة القاهرة على صفحاتها، وبشكل يومي[٤].

ولكن التشويش لا تنحصر نتائجه في الإطار الإيجابي للجهة التي تقوم به بشكل كامل، فقد يأتي بتأثير سلبي، إذا ما أخذنا "الناحية السيكولوجية" بعين الاعتبار، فإن استهداف محطة مـــا، سيحفز المستمعين للبحث عنها والتركيز عليها، لاعتقادهم بوجود "محتوى هام" لديها[٥]. وقد كان لسمير الرفاعي خيارات أخرى للسيطرة على حركة الشارع وأدوات التأثير عليه، فاتجه لكبحها بوسائل قانونية.

---

(١) الخطيب، مقابلة.

(٢) يحيى الشاعر، صوت العرب من القاهرة، مقـــال ٢٠١٣/٩/٦، موقـــع مـــصرنا (www.ouregypt.us) وسيشار إليه فيما بعد الشاعر، صوت العرب، مقال.

(٣) رفيق العطيوي، جندي سابق في سلاح اللاسلكي الملكي، مقابلة، المنزل، إربـــد، ٢٠١٢/٤/٢٥. وسيـــشار إليه فيما بعد: العطيوي، جندي سابق.

(٤) انظر أعداد الصحف خلال شهر كانون الثاني ١٩٥٦ كمثال على ذلك.

(٥) حمدي، قنديل: مشكلات الإذاعة الموجهة، نشرة اتحاد الإذاعات العربية، (القاهر: اتحاد الإذاعات العربيـــة، ١٩٧٠) ص٣؛ إبن حالة، مرجع سابق، ص١٦٣.

أدرك الرفاعي أن التأثير "الفعال" لصوت العرب سيجعل من مهمته الهادفة لإعادة الهدوء والاستقرار أمراً "صعباً وعسيراً"[١]، ولذا، اتجه لتعطيل عمل القطاعات التي سبق وأن صــدر عنها ردات فعل قوية متأثرة بدعايتها، مستفيداً في ذلك من الدروس الناجمة عن المظاهرات التي أطاحت بالحكومة السابقة، آخذاً بتطبيق القرار الصادر في عهد حكومة هــزاع بعــدم شــرعية النقابات.

فأصدر قراراً بإلغاء نقابات العمال استناداً لقرار "الديوان الخاص بتفسير القــوانين" رقــم (٢٧) الصادر بتاريخ ١٩٥٥/١٢/١٧، والذي استثنى الموظفين من أحكام نقابات العمال رقم ٣٥ لسنة ١٩٥٣، ونص على أن "جميع نقابات الموظفين التي أُلفت ســابقاً اســتناداً إلــى القــانون المذكور تعتبر غير قانونية، ولا وجود لها، ومن ينتسب إليها بعد اليوم سيعرض نفسه لإجراءات تأديبية منصوص عليها في أنظمة الموظفين"[٢]. لم يحدد القرار نقابة بعينها، إلا أن الدور الفعال لنقابة المعلمين التي كانت قادرة على تحريك الشارع، وإسقاط حكومة هزاع، جعلها هدفا رئيسا لقرارٍ سيظل ساريا لعقود تالية.

وما يؤكد أن نقابة المعلمين هي المستهدفة من ذلك القرار أن حكومــة الرفــاعي أخــذت تدرس وضع نظام "يحرم على المعلمين في المدارس اعتناق المبادئ الحزبية"[٣]. وصاحب هذا القرار وما رافقه من خطوات أخرى استمرارية العمل بآليات تعود لفترات سابقة ذكــرت فــي الفصل الأول من الدراسة.

بقي العمل بنظام التلغراف اللاسلكي لسنة ١٩٤١، والقاضي بالحصول على رخصة حيازة المذياع، ساري المفعول، وتلك الرخصة ما هي إلا ملف يحوي اسم المالك، ومكــان اســتعمال

---

(1) R.J., Vol., 9 ,Telegram From Amman To Foreign Office, 9 January1956, fo371/1211462, P.261

(٢) الدفاع ١٩٥٦/١/١٥.

(٣) الدفاع ١٩٥٦/١/١٨.

الجهاز في البيت "أو الدكان"[1]، ما يسهل عملية مراقبة المستمعين لصوت العرب، إذ ابتـدعت السلطات أدوات جديدة وهي عبارة عن تجنيد أشخاص للقيام بدور "الجاسوس" [2]، وفي تـسمية أخرى "الملاحظون" لمراقبة وتحديد المستمعين[3].

وترتب على تحديد "المتهمين" عقوبات بالحبس والغرامة، فلزم النـاس الحـذر واتخـذوا إجراءات احتياطية، وأمنية، لضمان عدم التعرض لإجراء عقابي، كإغلاق الأبـواب والنوافـذ بإحكام، مع مبالغة من قبل بعض "المرعوبين" وصلت حد "الاختباء" تحت "العباءة" أو "اللحاف"، وهذا ما كان سائداً بالتحديد في القرى، لأن القائمين بعملية المراقبة "والتجسس" اعتادوا "الزحف" أو المشي على أربع، للتنصت قرب النوافذ المنخفضة حتى مستوى الأزقة، حسب نمـط البنـاء الذي كان سائداً. وقد أنتجت آلية المراقبة تلك بحركات أصحابها السالفة، ألقاباً متداولة في القرى "كالسحلية" أو "الكعكل"[4]، وكانت هناك "أحقاد كبرى على جواسيس الدولة"، مع نظـرة دونيـة تجاههم، أدت أحياناً إلى الانتقام منهم ضربا، من قبل الأهالي "لتأديبهم" مثلما جرى في بعـض المخيمات[5].

وشملت تعليمات منع الاستماع، أفراد الجيش، الذين أعطيت لهم أيضاً، تعليمات بممارسة سلطة منع الاستماع لصوت العرب في وسائط النقل العام التي يستقلونها[6]، غيـر أن بعـض

---

(١) انظر الملحق رقم (١).

(٢) نبيل طوالبة، أستاذ جامعي، مقابلة، المنزل، ٢٠١٢/٦/١٥.

(٣) محمد اليعقوب، أستاذ جامعي، مقابلة، المكتب، ٢٠١١/٣/١٧.

(٤) جعرون، مقابلة، ٢٠١٢/٨/٩.

(٥) واصف منصور، سهرات صوب العرب والبي بي سي، مقال، ٢٠١٢/٧/٩، موقـع مغـراس المغربـي (www.maghress.com)، وسيشار إليه فيما بعد: واصف منصور، صوت العرب.

(٦) العطيوي، جندي سابق.

الروايات تؤكد أن هذه التعليمات لم يكن يُلتزمُ بها من قبل بعض الضباط، حتى في داخل وحداتهم العسكرية[١].

وقد تعددت الآليات والأدوات التي أخذ بها لمواجهة صوت العرب، والحد من تأثيرها على الرأي العام، وكان المسار الدبلوماسي طريقاً سلكه الرفاعي لتحقيق ذلك الهدف.

اتجه الرفاعي نحو المسار الدبلوماسي منذ إعلانه عدم انضمام الأردن للأحلاف الأجنبية -كما أسلفت التفاصيل-.

وكان في سيره ذاك على تنسيق وثيق مع البريطانيين، وقد أبلغوه عبر سفارتهم بعمان، حرصهم الحفاظ على أصدقائهم، وعدم التخلي عنهم[٢]، ونجد "إلحاحاً" من السفير البريطاني في عمان على وزارة خارجيته، للمبادرة بخطوات تمنع تأثير صوت العرب على الوضع الداخلي في الأردن[٣].

حاز الأمر اهتمام السفير البريطاني في القاهرة، عبر قيامه بعملية مراقبة لأداء صوت العرب، فأرسل للخارجية يبلغها، وجود تغيير في الدعاية المصرية إزاء الأردن، إثر قرار اتخذه عبد الناصر بوقف الحملات نتيجة موقف الرفاعي من الأحلاف، وهو قرار ذو شق آخر يرتبط بوقفها ضد بريطانيا، غير أن استمرارية سريانه مشروطة، بعدم تجدد محاولات ضم الأردن لحلف بغداد[٤]، والتي ظلت مستمرة حسبما أعلنت الصحافة المصرية[٥].

---

(١) الخطيب، مقابلة.

(2) R. J., Vol. 9, Mr. C. Duke To Mr. E. Rose, 12 January, 1956, FO371/121233, P.237.

(3) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 8 January, Fo 311/122233, P. 255.

(4) R. J. Vol. 9, Telegram From Cairo To Foreign office, 11 January 1956, Fo371/121241, P. 500.

(5) R.J. Vol. 9, Telegram From Cairo To Foreign Office, 11 January 1956, Fo371/121463, P. 283.

ولكن تأكيداً آخر من وزير الخارجية حسين فخري الخالدي صدر في ١٩٥٦/١/١٨ بأن إذاعة صوت العرب باتت أكثر اعتدالاً إزاء الأردن[١]، غير أن هذا الوقت الذي سعى فيه النظام لتلافي الدعاية المضادة، أفرز ظرفاً جعله في وضع هو أقرب إلى المأزق المزعـزع لرغباتـه بالتهدئة والسيطرة على الرأي العام.

فالعرض السعودي السوري المصري الـذي تحـدثت عنـه الوثـائق البريطانيـة فـي ١٩٥٦/١/١١، القاضي بتعويض الأردن عن المساعدات البريطانية مقابل الدخول في معاهـدة جماعية أمر كان الملك "يخشاه"، إذ أن رفضه سيتسبب بدعاية "مدمرة" ضده[٢]، فـدائرة صـنع القرار تعاملت بشك مع العرض، فهو بالنسبة لها ليس إلا عملية دعائية أرادتهـا دول المبـادرة وكان لا بد من توضيح للرأي العام، كي لا يساء فهم الموقف الرسمي بأنه رافض لما قُدم[٣].

ومما زاد من "عسر" موقف النظام أن قبول العرض سيؤدي لتعزيز السيطرة المـصرية على الرأي العام، ولذلك فإن التفكير بالموافقة عليه رُبط بشرط يطالب بعـدم قيـام الإذاعـات المصرية بالإثارة والتحريض[٤].

ولم يكن أحد من أركان النظام يجرؤ على مصارحة الشارع بما يساورهم من شكوك إزاء العرض، فبقيت مكتومة في الدائرة الرسمية، حتى أن الرفاعي تحدث إلى البرلمان عـن تلـك النقطة بجلسة سرية[٥]، ولم يعلن عنه في الصحف المحلية إلا في ١٩٥٦/١/١٨[٦]. ولمواجهـة

---

(1) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 18 January 1956, Fo371/121465, P. 294.

(2) R.J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 11 January, 1956, Fo371/121242, P.503.

(3) R.J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 18 January, 1956, Fo371/121242, P.506.

(4) R.J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 14 January, 1956, Fo371/121241, P.505.

(5) R.J. Vol. 9, Mr. Duk To Mr Selwgn Lioyd, 1 March, 1956, FO371/121243, P. 522.

(٦) الدفاع، ١٩٥٦/١/١٨.

الغرض الدعائي من العرض الاقتصادي، قام الملك حسين بطرح قضية مقابلة لإشغال الرأي العام، ولوضع الطرف المقابل في مأزق، وهو أنموذج لأسلوب دعائي اعتمده الملك والدعاية الأردنية فيما بعد بمواجهة الشعار بشعار مقابل، أو مواجهة المضمون بمضمون دعائي مضاد.

فطَرح في ١٩٥٦/٢/٤ فكرة عقد مؤتمر عربي بعمان، لمناقشة القضية الفلسطينية والأخطار المهددة للأمة، ولنشر الفكرة عربياً، شُكل وفدٌ رسميٌ للترويج لها[١]. فزار سمير الرفاعي القاهرة، واستغل وجوده هناك للاتفاق مع عبد الناصر على وقف دائم للحملات الدعائية[٢]، ولكن جهده تعرض لعقبة أنتجها أداء الدعاية الأردنية.

فقد شَنت حملات دعائية ضد النظام المصري، مستندة إلى أخبار عن رفض مصري لعرض الملك حسين بعقد القمة، وكانت إذاعة القدس هي البادئة، ما شكل استثارة للمصريين برد فعل قوي لوزير الإعلام والإرشاد الوطني حاتم عبد القادر، "استنكر وهاجم" فيه إذاعة القدس، كون ما قامت به يناقض الاتفاق مع الرفاعي، كما وصفه "بالمفاجئ" لأن مصر لم ترفض العرض، وإنما تحفظت كي لا يُجيّر المؤتمر "لخدمة المصالح الإمبريالية بعدما فشل حلف بغداد"، بالإضافة لرغبتها بالحفاظ على سرية المناقشات[٣].

ولم تذكر الوثائق البريطانية الطرف الذي أوعز بإعادة إثارة الحملة الدعائية، فهل هو الملك حسين؟ أم أنه نوري السعيد عبر تحريضه ليونس البحري؟ أم بعض مراكز القوى التي لربما استاءت من توجه الرفاعي للتهدئة مع مصر بما يؤدي الإلغاء فكرة الانضمام للحلف؟. وقد تكون القرارات التي اتخذت تجيب عن تلك التساؤلات. فالأزمة انتهت بقرارات للرفاعي خففت

---

(١) الدفاع، ١٩٥٦/٢/٥.

(٢) الدفاع، ١٩٥٦/٢/١٠.

(3) R. J. Vol. 9, Telegram From Cairo To Foreign, 14 February, 1956, Fo 371/121242, P.514.

أو أضعفت العقبات أمام تجذير الاتفاق المنجز مع عبد الناصر، وفي الوقت نفسه لم يعد لمبادرة الملك بعقد قمة عربية أي أثر.

غدا أكثر تحكماً بالأداء الدعائي ليونس البحري الذي كان يهاجم عبدالناصر بطريقة غير مباشرة[١]، وزاد على ذلك بإبعاد وصفي التل من مديرية المطبوعات، بعد ما أشرف على شن الحملات عبر الإذاعة ضد عبد الناصر، وصدر القرار "دون علم الملك" الذي كان يوجهه لذلك[٢]، وإذا أخرجنا ما تقوله الوثائق البريطانية من دائرة المبالغة، فهذا يعني أن الرفاعي تسيد عملية صنع القرار فيما يتعلق بإدارة العملية الدعائية، التي لربما حاول أشخاص آخرون التدخل بها؛ فمن المعروف أن هزاعٍ كان على علاقة وطيدة بوصفي التل كما سيتضح لاحقا، وهو ما يطرح فرضية قيامه بتحريضه لشن تلك الحملات أيضاً، أو أنها ربما كانت بمبادرة ذاتية من التل.

حيث أدى رفض النظام المصري انضمام الأردن لحلف بغداد إلى "كراهية شديدة لسياسة الهيمنة" لديه، لاعتقاده بأن الأردن أدرى بمصالحه وشؤونه والفوائد التي تعود عليه من الانضمام[٣].

وتضع الوثائق البريطانية الإجراءات المتحكمة بيونس البحري، كاستجابة لضغوط عبد الناصر، وتَحفزه للرد، حال قيام البحري بالهجوم مباشرة على مصر[٤]، مع اعتبارها "نكسة"

---

(1) R. J. Vol. 9, Healing Rift Between Tigress and Nile, Mr. C. Dane To Mr. Selwyn Lioyd, 1 March, 1956, FO371/121473, P. 603.

(2) R. J. Vol. 9, Mr. R. Mason To Mr. R. Hadow, 1 March, 1956, FO371/121460, P. 301.

(٣) سليمان الموسى: أعلام الأردن، ج١، (عمان: دار الشعب، ١٩٨٦م، ص١١٧)، وسيشار إليه فيما بعد: الموسى، أعلام من الأردن، ج١.

(4) R. J. Vol. 9, Telegram From Cairo To Foreign Office, 29 January, 1956, FO371/121242, P. 551.

للملك، غير أنها جاءت مكرسة لجهود الرفاعي الساعية لاستمرارية الاتفاق مع القاهرة[١]. وهذا ما يدعم الفرضية التي طرحت حول تسيد الرفاعي لإدارة الشؤون الدعائية، وهو ما سيمتد إلى صناعة الفبركة الدعائية الهادفة لاسترداد الرأي العام من سيطرة دعاية صوت العرب، عبر قرار تعريب الجيش الذي ادعاه لنفسه كما سنرى، وهو ما ستدحضه أراء أُخرى.

وقد رأى البريطانيون في توجهاته تأكيداً للدور القيادي لمصر في العالم العربي، وطريقاً ممهداً لنشر الدعاية المضادة لحلف بغداد والوجود البريطاني في المنطقة بشكل عام[٢]، والأردن بشكل خاص، وبهذا نجح الخط المهادن للرفاعي، وتراجع خيار الملك حسين بالمواجهة مع الدعاية المصرية، وبقي السؤال عن ماهية الجهة الداعمة لسمير، فقد تمكن من اتخاذ قرارات مخالفة لرغبات الملك حسين كلياً، ولكنه استطاع أن يخفف من حدة الدعاية تجاهه، لكنها ظلت تستهدف أهم أجهزة الدولة وهو الجيش، مركزةً على قيادته البريطانية ممثلة بكلوب والضباط الإنجليز.

وتعزو بعض الآراء أسباب قوة الرفاعي إلى علاقاته الوطيدة مع الأميركيين، فهو "الصديق رقم واحد في المنطقة" بالنسبة لهم، إلا أنها عدته أحياناً أخرى بأنه "عميل الاستعمار رقم واحد"[٣].

---

(1) R.J. Vol. 9, Fo 371/121473, Op. Cit., P. 301.
(2) R.J., Vol., F0371/121437, Op. Cit., P.301.

(٣) الخطيب، مقابلة.

الباب الرابع

الأردن وصوت العرب ١٩٥٦

منذ أن بدأت دعاية صوت العرب تأخذ مجراها تجاه قضايا المنطقة الماسة بالأردن، وبالتحديد القضية الفلسطينية، وحلف بغداد في بداياته، ظل الملك والحكومة خارج نطاق دعايتها. والسبب أن كلوب كان مركز صنع القرار، ترجع إليه الحكومات وتستشيره في سياستها، وبالأخص في الهام من الأمور قبل الرجوع للملك الذي أكد ذلك[١].

لذا حصرت صوت العرب دعايتها الموجهة نحو الأردن به، باعتباره "عميلاً للإمبريالية البريطانية"، يستغل منصبه كقائد للجيش، لخدمة مصالحها وأهدافها، ولاسيما سعيه للانضمام إلى حلف بغداد، مع اتهامه بالعمالة لإسرائيل لإصداره أوامر بقتل "المتسللين" الفلسطينيين باتجاه المنطقة المحتلة[٢]. وربما كانوا من الفدائيين، أو المواطنين العاديين الذين لديهم رغبة بالوصول إلى قراهم.

وامتدت أساليب الدعاية المصرية باستخدام المنشورات المطبوعة في مصر، وتوزيعها داخل الجيش، لتحريض الضباط العرب للعمل ضده[٣]، وكان للملحق العسكري المصري دورٌ "هام" في تأمينها[٤]، ولكن تلك الدعاية بلغت مداها مع ظهور رغبة أردنية بالانضمام لحلف بغداد.

ما دفع كلوب للتأكيد على قوة صوت العرب وتأثيرها على الساحة الأردنية، وضرورة توفير الأدوات اللازمة لمواجهتها[٥]. ورغم هدوء دعايتها نحو الأردن، إثر تصريحات الرفاعي في بدايات كانون الثاني ١٩٥٦ التالية لتولية منصب رئاسة الوزراء، بعدم الانضمام لحلف

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٧.

(٣) كلوب، مذكرات كلوب باشا، ترجمة جورج حتر وفؤاد فياض (عمان: فياض الأهلية للنشر، ٢٠٠٥) ص٢٨٤-٢٨٥.

(٤) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٧.

(5) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 19 December, FO371/115658, P.76.

بغداد، إلا إنها استمرت في "هجومها"، بطريقة تثير "الحقد والنقمة" عليه وعلى بريطانيا، في وقت كانت حالة التوتر لا زالت مستمرة مجسدة باستمرارية المظاهرات التي عملت صوت العرب على "تضخيمها"[١]، وقد كان لاستمرار نشاطاته الدعائية لحلف بغداد بعد سقوط حكومة المجالي أثر في تحريكها.

ولم يكن الأمر بالخافي على السلطات المصرية، التي شن كلوب دعاية ضدها في الجيش، بنشر معلومات تقول برفضها دفع دعم مادي للحرس الوطني، ودفعها بالأردن إلى حرب أهلية، وذلك كله مع استمرار دعايته لحلف بغداد وإبراز محاسنه. ومن سياق المراسلات بين السفير البريطاني في القاهرة، ووزارة الخارجية بلندن، يستنتج أن تدخلاً حصل لوقف الحملات الدعائية لصوت العرب تجاهه، وهو ما قد يكون حصل بالفعل، إذ تورد عبارة تقول: "نأمل أن لا يستأنف المصريون حملاتهم ضد كلوب ؛ لأنها ستكون قوية التأثير"[٢]، مع التذكير بأن المصريين اشترطوا في اتفاقهم مع الرفاعي لوقف الحملات الدعائية، وقف الدعاية لحلف بغداد، فكيف إذا تجددت وكانت بإيعاز من كلوب.

وبمتابعة بسيطة للوثائق البريطانية نجد أن تلك الحملات عادت أواخر شباط ١٩٥٦، وتؤكد المصادر البريطانية أن السلطات المصرية استغلت العرض الاقتصادي –السابق ذكره– لشن حملة دعائية في الأردن مضادة له وللضباط البريطانيين[٣]. وبعودتها إلى التركيز عليه، تكون صوت العرب عادت إلى أسلوبها الأول باستثناء الملك والحكومة من حملاتها.

---

(1) R. J. Vol. 2, Review Disturbances In Jordan Sent to Mr. Sewyn Lioyd Foreign Office from Amman, 16 January 1956, FO 371/121464, PP. 364-365.

(2) R. J., Vol. 9, Telegram From Cairo To Foreign Office, 29 January, 1956, Fo 371/121242, P.511.

(3) R. J., Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 27. 28 February, 1956, Fo 371/121242, P. 521.

مع التذكير بأن الشخصية السياسية التي هاجمتها صوت العرب بطريقة مزدوجة مع كلوب هو هزاع المجالي، فبالرغم من استقالته إلا أن "إذاعات وصحف القاهرة ودمشق" ظلت "تخترع" روايات حول سيرة حياته، مدعية أنه من "محاسيب كلوب" الذي "تولى تعليمه والإنفاق عليه"، وهو ما كان سبباً في إصداره جريدة (صوت الأردن) الأسبوعية، لتكون أداة معبرة عن وجهة نظره(١).

ولربما كانت الدعاية المضادة له، تحذيرا وردعا غير مباشر من المصريين للمسؤولين من أصحاب التوجهات السياسية المعارضة لسياستهم على الساحة الأردنية، بضرورة الاتعاظ.

ولعل النقطة الأهم في استمرارية الحملات الموجهة ضد كلوب، أنها استطاعت تشكيل رأي عام "محتقن" مدني وعسكري يحيط به، فكان لا بد من عملية تنهي وجوده، فجاء قرار التعريب بطرده والضباط البريطانيين(٢)، ما أثار ردة فعل مختلفة حول القرار، وبواعثه، وتساؤلات حول مصدره الحقيقي، وقد تشابكت عوامل عدة في إنتاجه.

تؤكد الوقائع أن وجود كلوب بات يشكل عاملاً من عوامل إنتاج "القلق والضغط النفسي" للملك، لكونه غدا ورقة ضغط تستخدمها صوت العرب في التأثير على الرأي العام(٣). وقد أقر رئيس الوزراء البريطاني إيدن* (Edin) في خطابه بمجلس العموم بدورها بتحريكه ضده بشكل

---

(١) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، ص٣٢.

(٢) الخطيب، مقابلة.

(٣) المرجع نفسه.

* أنطوني روبرت إيدن ٨٩٧-١٩٧٧: سياسي ورجل دولة بريطاني، كان من ضمن أعضاء حزب المحافظين، وتولى مناصب عده، عين وزيراً للخارجية سنة ١٩٣٥، وواجه أزمة احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا، واستقال احتجاجاً على سياسة تشمبرلن المهادنة لهتلر عام ١٩٣٨. عينه تشرشل وزيراً للخارجية بين ١٩٤٠-١٩٤٥، وكان له دورٌ في تشجيع تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٣. عين للمرة الثالثة وزيراً للخارجية بين ١٩٥١-١٩٥٥، وحين استقال تشرشل أصبح رئيساً للوزراء، اشترك في العدوان الثلاثي على مصر، وبفشل العدوان أنسحب من الحياة السياسية تماماً، أصبح بعد ذلك عضواً في مجلس اللوردات تحت لقب لورد أفون، الكيالي، الكيالي، ج١، مرجع سابق، ص٤٢١.

خاص، وضد بريطانيا بشكل عام[١].

كما ارتكز الملك على ذلك الدور لتبرير قراره. وتورد الوثائق البريطانية على لسانه: "... كنت أقاتل الدعاية المصرية المهاجمة" له، لكن التعاون من قبله كان "معدوماً"[٢] ولم يوضح الملك طبيعة التعاون المطلوب، ولماذا انعدمت استجابة كلوب.

وكذلك فإن وجوده أدى لتسلل دعاية صوت العرب إلى أكثر مؤسسات الدولة "حساسية" وهي مؤسسة الجيش، حتى أن بعض العسكريين لم يكن ينصاع لأوامر عدم الاستماع إليها داخل الوحدات والكتائب[٣]، وبعيداً عن الدعاية فإن ترسيخ هيبة الملك والحكم تطلب قراراً فاعلاً لتحقيق ذلك.

فالملك "الشاب" كان يعتقد أنه لن يستطيع "بلوغ مكانته كاملة في ظل العملاق البريطاني"، الذي شكل مرجعية أساسية في صنع القرار للحكومات الأردنية؛ "تستشيره، أو تستشير السفارة البريطانية قبل مليكها"[٤].

وما زاد من "غيظ" الملك أن ما كان يشعر به نشر في الصحافة البريطانية، عبر مقال وصف كلوب بأنه "كل شيء في الأردن"[٥]، وهو ما قد يكون من العوامل الحاسمة الدافعة لإبعاده، والتي جاءت عبر الدعاية البريطانية ؛ فمكانة وهيبة الملك كانتا عرضة للتأثيرات السلبية لذلك المحتوى الذي لربما ترك أثراً في نفسه تجاه كلوب.

---

(1) R. J. Vol. 9, Sir A. Eden Speech In the House Of Commons, 7 March, 1956, Fo 371/121235, P. 235.

(2) R. J. Vol. 2, Telegram From Amman To Foreign Office, 1 March and 2 March, 1956, Fo 371/121540, P. 335.

(٣) الخطيب، مقابلة.

(٤) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٦.

(5) J.R.F.Vol.2, Telegram From Amman To Foreign Office, London, 1 March and 2 March 1956, FO371/121540, P. 335

وربما ظهر هذا بأسلوب إبعاده الموصوفِ من قبل بريطانيا "بافتقاره للكياسة"، إذ أن مدة الإمهال للمغادرة حددت بأربع وعشرين ساعة[١]. ومن التفسيرات المطروحة، أن "تنفيس الشارع" بعد الأحداث التي جرت، احتاج لقرار حاسم "لإنقاذ العرش"، وقد لعب الضباط المتأثرون بدعاية صوت العرب دوراً في إقناع الملك بالإسراع باتخاذه لأنه لم يكن يمتلك "الإرادة أو الرغبة" بطرده، إلا إذا أراد الأميركيون ذلك "للحلول محل" الإنجليز، فالسلطة لم تكن راغبة بالخطوة، إلا أن الوضع كان ينبئ بحصول "انفجار كبير" لو لم يتخذ القرار[٢].

وقد وجدت زعماً لسمير الرفاعي على صلة ببعض نقاط الرأي المتقدم، ينسب فيه الفعل لنفسه سراً، متمنناً على الملك بنسبته إليه في العلن، مع التأكيد على أنه كان متردداً غير مقدم في حين خاطر هو بنفسه مصراً على تنفيذ الفكرة التي أرجَع التوجه نحوها لأسباب تتعلق باستعادة الشعبية والرأي العام لسيطرة الملك بعد الذي جرى في أزمة حلف بغداد عبر ما أسماه بالخداع، وبحرفيه النص يقول: "لقد رأيت أن الملك قد فقد شعبيته وأصبح مكروهاً بعد أزمة حلف بغداد، فأردت أن استرد له تلك الشعبية، والمكانة، والاعتبار، فقررنا إعفاء كلوب من منصبه وعندما فاتحت الملك بالأمر تردد ولم يوافق إلا بعد جهد، وقد أخذت الأمر على عاتقي، وخاطرت بنفسي وأبلغت كلوب خبر إعفائه من منصبه، وأنذرته بمغادرة الأردن على عجل، وعندما تم رحيله كتمت الأمر ونسبت الفضل كله للملك، وبالفعل فقد نجحنا في خداع الجماهير التي صفقت وهللت لذلك، وكنت سعيداً إذ نجحت في خطتي ومسعاي"[٣].

ويرد رأي آخر على ذلك بأن صوت العرب ما كانت تستطيع صناعة رأي عام "يخالف النظام ويصطدم معه"، كما أن هناك محاولة مستمرة "لتجريد الأردن من كل فضيلة، والإصرار

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٢) الخطيب، مقابلة.

(٣) مخلوف، مرجع سابق، ص ١٩٤.

على الاتهامية والتخوين، لأنه أراد النهوض بدور يفوق حجمه"[١]، ولكن الرأي القائـل بوجـود شارع "محتقن" وعلى وشك "الانفجار"، تؤيده ردة الفعل الشعبية بعد إعلان قرار التعريب.

ويظهر ذلك في وصف السفير البريطاني لهتافات الجماهير المبتهجة بـالقرار "بالهمجيـة والعنيفة"، تجاه بريطانيا وكلوب والاستعمار[٢]، وكما كان للقرار تأويلاته الأردنية، فقد كان لـه تأويلاته على الساحتين المصرية والبريطانية التي أصرت على ربطه بتأثير صوب العرب.

أثار القرار "أجواء مسعورة" في دائرة القرار البريطانية، فأرسل إيدن إلى وزير خارجيته سلوين لويد* (Selwyn Loiyd) بعد ظهر ١٩٥٦/٣/١ لمغادرة القاهرة والتوجه إلى عمان لكن حسابات الأخير وخوفه الفشل، وتعظيم الإهانة، حَوَّلت المهمة إلى السفير البريطاني في عمـان للاجتماع بالملك، الذي وصلته رسالة في المساء من إيدن تطلب إعادة النظر بقراره المتعجل[٣]، وكانت ردة الفعل البريطانية "العنيفة" طبيعية، فكلوب كان "آخر تجسيد للإمبراطورية في الشرق الأوسط"[٤]، وقد أصر إيدن على أن كلوب ذهب "ضحية للمؤامرات المصرية وحدها"[٥].

وبلغ به الأمر التصريح عبر البي بي سي، ومـن خـلال البرنـامج الوثـائقي "نهايـة إمبراطورية"؛ "أريد ناصر، أريـده مقتـولاً" "I want this Nasser, I want him dead")، وكلف رئيس جهاز المخابرات جون سنكلير (Jhon Sinclar) بتصفيته[٦].

---

(١) أبو زيد، مقابلة.

(2) R. J. Vol. 10. Telegram From Amman To Foreign Office, 1 March 1956, Fo 371/121541, P.19.

* سلوين لويد: سياسي بريطاني من مواليد ١٩٠٤، كان من أعضاء حزب المحافظين، انتخبت عـام ١٩٤٥ عضواً بمجلس العموم، وخلال وزارة تشرشل الثانية (١٩٥١-١٩٥٥) عين وزيراً للدولة فوزيراً للتمـوين فالدفاع، ثم خلف أيدين بعد توليه رئاسة الوزراء عام ١٩٥٥، وخلال عام ١٩٥٦ نسَّق مع كريستيان بينـو رئيس فرنسا، وبن جوربون لتدبير العدوان الثلاثي. أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص٦٣٣.

(٣) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٣.

(٥) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٦) أبو غريبة، مرجع سابق، ص ١٧٨.

ولكن عبد الناصر ظن للوهلة الأولى أن البريطانيين هم من اتخذ القرار، لذا فقد بادر بتهنئة لويد القادم للقاهرة، على "حكمة" القرار والتصرف[(١)]، وكان يعتقد "باضطرارهم" إلى التراجع بعد الحملة "العنيفة" بواسطة "أدواته الدعائية" ضد كلوب، كمبادرة لحسن النية[(٢)]. وهناك واقعة أخرى تدل على ضعف علاقة عبد الناصر بالقرار، أو حتى انعدامها.

فيؤكد علي أبو نوار* أن الملك حسين أوفده إلى عبد الناصر قبيل اتخاذ القرار، مبلغاً إياه رغبة الملك بذلك، ولكنه حذره من المضي نحو تحقيقه، مبدياً تخوفه من ردة الفعل البريطانية تجاه الأردن، وطارحاً احتمالية الانتقام، مع تأكيده عجز مصر عن اتخاذ خطوات داعمة "لكثافة" الوجود العسكري البريطاني في منطقة السويس، وفسر أبو نوار ذلك الرد بأنه رغبة مصرية بأن "لا يسبقهم" الأردن بإنجاز "خطوات قومية"[(٣)]. وانطلاقاً من هذه الحادثة المبينة لانبثاق الفكرة ومصدرها.

نجد أراءً تجزم بأن مرجعية الفعل والقرار كانت للملك، وليس لأحد آخر"[(٤)]، وقد حمل فيما بعد على الدعايات "المضادة" لمحاولتها تأويل قرار عزل كلوب "بطريقة خادعة ماكرة"[(٥)]،

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٢) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٤٤.

* علي أبو نوار ١٩٢٥-١٩٩١: عسكري ودبلوماسي أردني ولد في السلط وتخرج من "الكليات الحربية البريطانية "برز اسمه في عملية التعريب، وقد عين رئيساً لأركان الجيش الأردني. لجأ إلى مصر على أثر التطورات التي حصلت عام ١٩٥٧، ومكث فيها حتى عام ١٩٦٤، ثم عاد وأصبح الممثل الشخصي للملك حسين في تشرين الأول ١٩٧٠ إلى شباط ١٩٧١. مثل الأردن كسفير في عدد من البلدان الأوربية؛ الكيالي ج٤، مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٣) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، مرجع سابق، ص٦٦.

(٤) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٥) الحسين بن طلال: مهنتي كملك، ترجمة غازي غزيل (عمان: الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧)، ص١١٨-١١٩. وسيشار إليه فيما بعد: الحسين، مهنتي.

إلا إن أيدن أصر على تحميل صوت العرب مسؤولية صناعة البيئة النفسية الدافعة لذلك القرار، بتأثيرها على الرأي العام، وحقنه بالعداء لبريطانيا ووجودها في المنطقة(١).

وتزامن هذا الرأي مع تصميمه على "القضاء" على عبد الناصر، وما يشكله "من تهديـد" للمصالح البريطانية في المنطقة(٢). والحقيقة أن السلطات المصرية رأت فـي القـرار امتـداداً لتوجهاتها وسياستها في المنطقة في إطار عملية التحرر من القيود الاستعمارية.

انعكس قرار التعريب بتغيير جذري على أسلوب الدعاية المصرية في تعاملها مع الملـك حسين، وهو ما أثر أيضاً على الشارع وعلاقته بقيادته.

فصوت العرب كان لها قدرة على التأثير في الرأي العام الأردني "بالـسلب أو الإيجـاب" تجاه الملك، وبعد التعريب سارت نحو "الترويج" له، منتجة "ملامح" جديدة له في "عقل المواطن الأردني"، فصورته كقائد يقف ضد الاستعمار ومخططاته، حتى أن أحمد سعيد شارك في احتفال أقيم بنادي الضباط بالزرقاء، بعد التعريب "وحُمِل على الأكتاف"(٣).

وهذه الشهادة ترينا قدرة صوت العرب على التأثير في تشكيل نفسية المواطن الأردنـي، وتفكيره، وبالطبع فقد لعبت البيئة الخصبة دوراً في ذلك، وتمثلت هذه المرة بقرار طارئ عليها هو التعريب الذي تم إخراجه حسب رأي سمير الرفاعي لخداع الناس واسترداد الرأي العام.

أما أنور السادات المسؤول عن ملف الحرب النفسية ضد الملك ونظامه، كما أسلفنا سابقا، فكتب في صحيفة الجمهورية مقالاً بعنوان "سلمت يداك يا حسين"(٤)، وتحدث الهامي حسين فـي الصحيفة نفسها بتاريخ ١٩٥٦/٣/١٦ عن "الملك الشاب حسين الثاني" وإزاحتـه لـــ "طاغيـة السياسة البريطانية" واصفاً الخطوة بـــ "الضربة، واللطمة، والثورة، والصفعة" التي أدت "لسحق

---

(1) R. J. Vol. 9, Sir Edns Speech In The House Of Commons, 7 March 1956, Fo 371/121235, P.419.

(٢) ناتنج، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٣) محمد الخطيب، مقابلة.

(٤) المرجع نفسه.

الميكروب واهتزاز الدنيا " للقرار الذي عده "أفدح لطمة أصابت الأمبراطورية في تاريخها القديم والحديث"[١]. وأصدر علماء الأزهر "فتوى" أقروا فيها بأن طرد كلــوب، "نــصر للإســلام"[٢]، ووصفه وزير الخارجية المصري الأسبق محمود رياض بالقرار "الحربي"[٣]. وبالتوقف مع أداء الدعاية المصرية قبل وبعد القرار، نجد تبريراً للصورة المتناقضة فيها للنظام الأردني يقول بأن الدعاية كانت تستهدف "تغيير سلوك النظام، وليس النظام، فلم يكونوا "ضد الملك"[٤].

وينسجم هذا الرأي مع وجهة نظر عبد المنعم الرفاعي القائلة بأن الــرئيس جمــال عبــد الناصر لم يكن يحمل أي ضغينة ضد النظام، وأنه لا بد من التمييز بين مضامين إذاعات القاهرة والتصريحات الرسمية المصرية، وبين ما يعتقد به عبد الناصر ومستشاروه في السر[٥]، غيــر أنهم سعوا لدفعه نحو "نهج تحرري"[٦]، قريبٍ من مصر، وهو ما ظهرت بوادره أيــضاً علــى الدعاية الأردنية وعلاقتها بمصر.

فرض غياب كلوب وقعه على موقف الدعاية الأردنية تجاه النظام المصري، خاصة بعــد النهج الداعم للملك من قبل وسائل الدعاية المصرية. فمع صدور قرار التعريب أزيلت محطات التشويش البريطانية لمواجهة الدعاية المصرية، وبالتحديد صوت العرب[٧].

أما القرار التالي فكان بعد شهر تقريباً، عندما وافق الملك على إنهــاء خــدمات يــونس البحري، وإبعاده عن القصر[٨]، وهو ما يثير تساؤلات حول أسباب وجوده في القصر، هل كان

---

[١] الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق، ١٦٩٠/٦/٣٠، ج ٢٠١-٢١٧.

[2] R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 March, 1956, FO 371/121466, P.204.

[٣] رياض، مرجع سابق، ص١٥.

[٤] الخطيب، مقابلة.

[5] R. J., Vol. 14, Minute By Sir R. Steven S. On His Conversation With Abdul Moneim Rifai, 14 March 1963, FO 371/170284, PP. 8-9.

[٦] الخطيب، مقابلة.

[٧] محافظة، العلاقات الأردنية البريطانية، ص٢٥٠؛ Anderson, Op. Cit., P. 163.

[8] R. J., Vol. 9, Mr. C. Duk To Mr. E Rose, 20, 29 March, 1956, FO371/121466, P.310.

للإقامة، أم أن الإذاعة التي استخدمت لمواجهة صوت العرب كانت هناك على نمط إذاعة قصر الزهور التي عمل فيها يونس البحري في عهد الملك غازي، مع التذكير بالرواية القائلة بأن الإذاعة كانت في القيادة العامة للجيش.

ورغم الهدوء السائد دعائياً بعد تعريب الجيش إلا إن الملك ظل على حذره. فالخوف من تحوله "لفريسة" للمصريين، ومن ثم الروس كان مسيطراً عليه(١)، وهو ما تطابق مع التفكير البريطاني، ومخاوفه من حلول المصريين كبديل لنفوذهم، معتمدين على حلفائهم السعوديين، وفي الكتلة الشيوعية لتقديم المساعدات للأردن(٢).

وترافق التفكير البريطاني مع حملات دعائية "عنيفة" شنتها وسائلهم ضد عبد الناصر(٣). رغم اتفاقية مع سلوين لويد على وقف حملاته الدعائية ضد حلف بغداد، مقابل الإحجام عن ضم دول عربية جديدة(٤).

واتجه عبد الناصر لتخفيف حدة التوتر عبر مقابلة مع صحفية الأوبزرفر (Observer) عندما أكد على وجود "مصالح مشتركة بين العرب وبريطانيا"، وهي العبارة التي تم شطبها من المقابلة لدى بثها من صوت العرب، مداراة لشعور "المتحمسين" لعبد الناصر ولشعاراته العلنية في الشارع العربي(٥). وربما جاء الحذف لإرضاء الشارع وهو ما يعد رضوخاً "للخطوط الحمراء" في الدعاية المصرية "رغم الحرية الصحفية" المعلن عنها(٦)، وذلك التصريح يشير إلى تناقض بين المعلن والمخفي في سياسات النظام المصري، وهو ما سيغدوا سمة تتكرر في

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(2) R. J. Vol. 9, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 March 1956, Fo 371/121492, P.409.

(٣) دونالد نييف، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٤) تشارلز جونسون: الأردن على الحافة، ترجمة فهمي شما (عمان: وزارة الثقافة والإعلام، د.ت) ص٣٧.

(5) Laura M. James, Article.

(٦) النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

السياسة المصرية بصفة عامة. وربما جاء لإبقاء الـرأي العـام متقـداً، وداعمـاً، لـسياساته، وقراراته، ومواقفه وبخاصة مع الدول الكبرى، وبالتحديد بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة، لا سيما وأن تفاصيل الأحداث كانت تتجه نحو عقدة جديدة بينه وبين الغرب، وقـد انخـرط فيهـا النظام الأردني برضاه، أو بفعل الظروف المحيطة والمتحكمة بالشارع.

غدا التوتر الطابع المسيطر على علاقات عبد الناصر ببريطانيا وفرنسا بسبب مواقفه من حلف بغداد، والثورة الجزائرية[١]، وبالإضافة لزعم بريطانيا أنه وراء طرد كلوب، فقد اتـسعت مساحة التوتر في علاقاته لتشمل الأميركيين.

فمع تجميدهم قرار دعم مشروع السد العالي، الذي جسد "ذروة الحرب النفسية"[*]، حـسب رؤية عبدالناصر[٢]، وجه خطاباً في ١٩٥٦/٧/٢٤، استخدم فيه لغة بعيدة "عـن الدبلوماسـية"، مخاطباً الأميركيين "موتوا بغيظكم"، وهي لهجة "صعدها" فـي خطـاب إعـلان التـأميم يـوم ١٩٥٦/٧/٢٦، مستحضراً أدوار الاستعمار، والصهيونية في "إذلال"، العرب "وسلبهم حـريتهم، واستقلالهم" و"التنكيل بهم"، مركزاً على ما يلهب عواطف، و "مشاعر الجماهير"، من مفـردات ترتبط بـ"عزة العرب وسيادتهم"، ومشيراً إلى دور الدعاية البريطانية، ومحاولاتها إثارة مخاوف السودانيين من بناء السد العالي، عبر طبع المقالات الصحفية البريطانية ذات الصلة، ونشرها في كتاب وزع في السودان، وبعد ذلك كله أعلن عن قرار تأميم القناة، مبرزاً حجم العوائـد التـي ستسهم في تنفيذ السد العالي، ودعم الاقتصاد المصري[٣]. ولعل المـتمعن فـي خطـاب عبـد

---

(١) ناتتج، مرجع سابق، ص١٥٧-١٥٨.

* يؤكد السادات أن الحملات الدعائية، ضد عبد الناصر بدأت مع صفقة الأسلحة التشيكية، حيث بدأت وسائل الدعاية الأمريكية" كالكلاب الضالة تنبح في هستيريا صاخبة، وتصور مصر كل يوم أبشع من صور اليوم الذي سبقه"؛ أنور السادات: يا ولدي هذا عمك جمال القاهرة: مكتبة بولي، ٢٠٠٥) ص ١٨٣.

(٢) محمد حسنين هيكل، أخطر الوثائق، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/٩/٢١. وسيشار إليه فيمـا بعـد: هيكـل، أخطر الوثائق.

(٣) رياض، مرجع سابق، ص١١٦-١١٧.

الناصر، ودعايته الممهدة للقرار، سيجد أن أسلوبه ركز على تحريك عواطف الرأي العام العربي، بما يؤدي إلى شحنه ودفعه نحو مواقف مساندة له في تحديه الدول الكبرى.

وعلى وقع القرار كثفت صوت العرب دعايتها لحشد الشارع العربي لدعمه في موقفه من البريطانيين والفرنسيين(١)، فكان تأييد الدول العربية شاملاً باستثناء نوري السعيد*، وأرسل الملك حسين، برقية تأييد، كان لها "وقع نفسي مؤثر" على القيادة المصرية، نظراً لمعرفتهم بالظروف المحيطة به، وتحديات النفوذ البريطاني(٢)، "العدو المشترك"، وفقاً لمضمون الرد المصري المبَجِل للموقف الملكي لدعمه "الدائم لقضايا العروبة"(٣).

وفي مجلة المصور بتاريخ ١٩٥٦/٨/١٧، كان الملك "العاهل العربي الكبير" الذي "سبق رجال العروبة في تأييد مصر" فهو "الملك الحر لشعب حر"، وقد عادت في ١٩٥٦/٨/٢١ لتحييه مدحاً وشعراً*(٤)، ما جعل الدعاية الأردنية ممثلة بالصحافة ترتقي بموقف الملك إلى "مرتبة

---

(١) رياض، مرجع سابق، ص١١٩.

* طلب نوري السعيد من وزير الخارجية البريطانية خلال وجوده في لندن، لحظة صدور قرار التأميم بضرب عبد الناصر ضربة قاضية؛ James, Nasser At War, P. 37.

(٢) رياض، مرجع سابق، ص١١٧-١١٩.

(٣) الدفاع، ١٩٥٦/٧/٢٩.

*

يا محلى التاج على جبينك ... يصونه المولى ويصونك
يا غالي وهمتك غالية ... غلاوة القدس والحرمين
فرحنالك يا بو عالية ... رفعت جبينّا وجبينك
يا محلى التاج على جبينك ... يصونه المولى ويصونك

باسم الشعب والثورة نوطي للعلا ديَنكَ
زي كل الدنيا بنغني ... وبنقول العرب أبطال
ومصر الليلة بتغني ... غنوتها حسين وجمال
وكل الشرق مستني ... أمل في عينيه وعينك

؛ الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق ١٩٦٠/٨/٣، ج ٢٧٥-٢٨٨.

(٤) المرجع نفسه.

الدعوة إلى الجهاد المشترك ضد العدو المشترك"[١].

ولم يقتصر ترويج الصحافة للموقف الملكي، لكنه شمل خطاب التـأميم لعبـد الناصـر، مفصلاً بسماته وأسلوبه؛ فهو خطاب جاء خالياً من "النفاق، انطلق من القلب إلى قلوب العـرب التي جرحتها جرائم الاستعمار في تاريخها الطويل..." راسماً طريق "الخلاص" لاسترداد ما هو مسلوب ومغتصب[٢]، ولكن خطاباً بهذه المواصفات كان لا بد أن يولّد ردة فعل غربيـة، لمـا أنتجه من دعاية مؤثرة في الرأي العام، وهو ما أدى لدعاية مضادة تشمل مساحة تأثير صـوت العرب وعبد الناصر، وهو ما دفعها للقيام بحرب نفسية لإبطال مفاعيل التأثير الدعائي للحـدث على الساحة العربية.

اعتمدت الدعاية الغربية ضد عبد الناصر على ما كان يعرف بالإذاعات السرية، وأطلـق هذا المصطلح، أو "الراديو الأسود" على الإذاعات مجهولة المصدر في الحرب العالمية الثانيـة، التي تستهدف "تحطيم الروح المعنوية للعدو"، وتمثلت في المنطقة العربية –بشكل كبير– بما تم تدشينه من إذاعات سرية بعد تأميم قناة السويس وما تلاها من أحداث[٣].

وقد امتلكت بريطانيا "خبرة واسعة"، استندت إلى نشاطها الدعائي في تلك الحرب، المتمثل بتوجيه الإذاعات السرية إلى أوروبا، والمنطقة العربية[٤].

وقد جاء قرار التأميم محركاً ومستفزاً لما برعوا به، فشكل إيدن لجنة للدعاية والإعـلام لتكون إلى جانب الرد العسكري والدبلوماسي، ومهمتها مواجهة الدعاية المصرية، بتبني خطـة

---

(١) الدفاع، ١٩٥٦/٧/٢٩.
(٢) الدفاع، ١٩٥٦/٧/٢٧
(٣) قنديل، مشكلات الإذاعة الموجهة، ص٧.
(٤) بويد، مرجع سابق، ص٨٥.

للدعاية السوداء تقوم "باختراق" أدوات الدعاية في المنطقة، أو الموجهة إليها، لتعويض ما فقدته السياسة البريطانية من تأثير[١].

فحرضت الــ BBC على سياسة "أشد عدوانية"، وأطلقت اللجنة والمخابرات البريطانيــة حملة من "الدس والوقيعة" وبث المعلومات الملفقة، باستخدام الجرائد ووكالــة الأنبــاء العربيــة التابعة للمخابرات البريطانية، كنشر أخبار باسم هيئة الاستعلامات المصري، تدعو للسيطرة على الأقطار العربية في المنطقة وثرواتها وخاصة البترول"[٢].

واتهم عبد الناصر في إطار ما تقدم بالسعي "لخلق إمبراطورية عربية، مع إلصاق صفات "الفاشية" و"النازية" و"الماركسية" بنظامه[٣]، واتجهت في ١٩٥٦/٧/٢٨ لتأسيس إذاعة "صــوت مصر الحرة" في عدن، وكان المصريون يعتقدون بوجودها في فرنسا، فأســرعت المخــابرات البريطانية لتأكيد ذلك الاعتقاد، لمزيد من التعمية والتمويه، وكانت تدار من قِبل مــوظفي مــن أسرة أبو الفتح المصرية[٤]، الذين كانوا على خلاف مع الثورة، ما أدى لإسقاط الجنسية عنهم في ١٩٥٤/٩/٢٣، بقرار من مجلس قيادة الثورة[٥].

واللافت للنظر أن الاستشعار البريطاني "لخطورة" الأوضاع في المنطقة العربية، جعلهــم يستعدون دعائياً لاحتمال وقوع طارئ مستجد منذ ١٩٥٥، فزادوا من قوة إرسال إذاعة الــشرق

---

(١) سامي شرف: من التأميم إلى العدوان الثلاثي، مجلــة الــوعي العربــي، حلقــة ٤، (elwyalarbi.org)، وسيشار إليه فيما بعد: شرف، دراسة، حلقة ٤.

(٢) المرجع نفسه، حلقة ٤.

(٣) حديث صحفي للرئيس جمال عبد لناصر لمراسل الأسوشيتدبرس في القاهرة، ١٩٥٦/١١/٢١.

(٤) شرف، دراسة، حلقة ٤.

(٥) قــرارات مجلــس قيــادة الثــورة، الأرشــيف الإلكترونــي للــرئيس جمــال عبــد الناصــر (nasser.bibalex.orgspeeches).

الأدنى البريطانية في قبرص، وعززوا إرسالها بجهاز الموجة المتوسطة، بقوة (١٠٠,٠٠٠ مئة ألف) كيلو واط لضمان تغطية قوية، واتضحت أهمية الخطوة بعد طرد كلوب وقرار التأميم[١].

وقد كان للرأي العام الأردني ردة فعل سلبية تجاهها تجسدت في ١٩٥٦/١/١٦، عندما قام المتظاهرون "المشحونون" بدعاية صوت العرب بإحراق مكتب الإذاعة في عمان، والتنديد بها وببريطانيا[٢]، التي أخذت دعايتها السرية تنطلق صوب المنطقة مستهدفة عبد الناصر ونظامه.

واتسمت حملاتها بإغراقها في "السباب والشتم ضده، ووصفه بألفاظ "بذيئة"، لدرجة أن جريدة التايمز وصفتها بغير القابلة للنشر. وغاية ذلك الأسلوب، أن يتعود المصريون "تحقير زعمائهم"، كما دأبت على الحديث عن الدولة "البوليسية المستبدة"، والترويج لفشل الخطوات الاقتصادية لعبد الناصر، والسعي لصبغ نظامه بالشيوعية لإثارة الرأي العام العربي ضده[٣].

ولاقت "حرب الأعصاب" البريطانية، المتسمة بالتهديد والوعيد بعد التأميم[٤]، دعماً ومساندة من بعض الأطراف العربية وبالتحديد نوري السعيد، إذ جعل من منزله مقراً لإذاعة سرية تدعى "صوت الحق"، وكانت مهمتها التمهيد للعدوان الثلاثي[٥]، وحسب رئيس الوزراء البريطاني إيدن، فإن السعيد كان على "وعي تام" "بمخاطر" دعاية عبد لناصر "السامة"[٦].

وهو ما دفعه لشراء قسم التشويش من محطة الشرق الأدنى* التي غدت تحت سيطرة الجيش البريطاني المباشرة، وتم نصبها في منزل أحد كبار موظفي الإذاعة العراقية للتشويش

---

(١) بويد، مرجع سابق، ص٩٢.

(2) R. J. Vol. 2, Review Of Disturbances In Jordan Sent To Mr. Selwyn Lioyd, Foreign Office, From Amman, 16 January, 1956, Fo 371/1211464, PP. 364-365.

(٣) صلاح نصر: الحرب النفسية (د.م: د.ن، ١٩٦٧م)، ص٥٥٢.

(٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر، التأميم، الإسكندرية، ١٩٥٦/٧/٢٦.

(٥) نصر، مرجع سابق، ص٥٥٠-٥٥١.

(٦) رياض، مرجع سابق، ص١٦٨.

* ذكر الحسني في موقع آخر من الجزء العاشر، وبالتحديد ص ١٦٨ أن نوري السعيد ابتاع محطات التشويش من محطة الشرق الأردني بعد إغلاقها إثر انتهاء العدوان الثلاثي؛ الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٦٨.

على الإذاعات المصرية والسورية للحد من تأثيرها على الرأي العام العراقي لا سيما وأن الاتهامات كانت توجه للحكومة العراقية بمحاولة قلب نظام الحكم بمصر[١].

واتجهت الدعاية السرية إلى الربط ما بين شخصية عبد الناصر، وشخصيات لها وقع نفسي غير محبب لدى الرأي العام الغربي، فركزت على وصفه بالدكتاتور، وهتلر[٢] و"الفرعون"[٣]، وكان لذلك ردة فعل رافضة في الصحافة الأردنية، حينما نفت منطقية إسقاط سلوكيات هتلر وسياساته على ما قام به عبد الناصر، فيما يتعلق بشؤون مصرية خاصة، سواء شراء السلاح، أو تأميم القناة[٤].

كثفت تلك الإذاعات من دعايتها "ليل نهار" معتمدة أسلوب "التضليل والخداع"، "فزورت" بعض وسائل الدعاية المصرية كمجلة روز اليوسف، ونشرت في الدول العربية معلومات "تزور" أهداف مصر القوية –كما سبق وذكر–، وتعاونت معهم بعض الصحف العراقية، ورافق ذلك توزيع صور الكاريكاتور* المستهترة والساخرة من عبد الناصر في البلاد العربية[٥]. وهو

---

(١) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص٩٧.

(٢) رياض، مرجع سابق، ص١١٦–١١٩؛ محمد حسنين هيكل، أشباح السويس، بصراحة الأهرام، ١٩٦٦.

(٣) المؤتمر الصحفي العالمي للرئيس جمال عبد الناصر بخصوص تأميم قناة السويس، ١٩٥٦/٨/٦.

(٤) الدفاع، ١٩٥٦/٩/٣٠.

* الكاريكاتور: "اشتقت لفظة كاريكاتور Caricature من الفعل Caricare في اللغة الإيطالية الذي يقصد به في اللغة الإنجليزية To Load أما في اللغة العربية فيعني يحشو أو يقوم بإضافات إلى الواقع، أي إلى موضوعات الرسومات الكاريكاتورية. ويرى البعض أن مصدر هذه اللفظة كاريكاتور قد اشتق من لفظة Character في اللغة الإنجليزية، أو لفظة Carattere الإيطالية التي تعني لفظة Character في اللغة الإنجليزية، أو أنها قد اشتقت من لفظة Cara الأسبانية التي تعني Face في اللغة الإنجليزية (الوجه)، وعلى كل حال يبدو أن وجه الإنسان قد عد لدى أغلبية الرسامين الكاريكاتوريين نقطة انطلاق، بحيث يركز بعض الرسامين على وجوه الشخصيات. فيقوم على سبيل المثال بإدخال بعض إضافات على وجه الشخصية، ثم يقوم بتكبير حجم الأنف أو ذقن الشخصية أو الجبهة أو يعمل على بروزهما في أحيان أخرى مما يثير في ذهن المشاهد أو القارئ مزيجاً من الهزل والسخرية"؛ محمد منير حجاب: المعجم الإعلامي (عمان: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤) ص ٤٣٨.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بافتتاح مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٥.

ما يعرف بالكاريكاتير النفسي[١]، والذي عاد ما يزاوج بينه وبين النكته*، حيث يعد وإياها "سلاحين خطيرين"، ليث الوهن والضعف، و"تشويش" الأهداف والمقاصد، و"تخريب النفوس"، و"تجذير الشقاق"[٢].

وحاول الفرنسيون تزوير صوت العرب، بالبث على تردداتها من قِبل محطات كليبر في الجزائر، وبتقليد صوت مذيعيها، لتحطيم ثقة المناضلين الجزائريين بها[٣]، ووصل عدد الإذاعات السرية بعد التأميم بأسبوع إلى تسع إذاعات[٤]، إلا أن العدد النهائي لحظة العدوان الثلاثي وصل إلى إحدى عشرة محطة[٥]. وأما الكيفية التي تمت بها مواجهة تلك المحطات مصرياً، فتبرزها بعض الآراء بصورة تكاد تكون فيها متناقضة.

فهي تتحدث عن أهمية الكتابة عنها والتوعية بها، ثم تذكر أن الرئيس عبد الناصر تعامل معها على قاعدة "دع الكلاب تعوي بما أن القافلة تسير"، وهذا قريب من السخرية والاستهتار التي تعامل بها الرأي العام المصري –حسب الدعاية المصرية– مع الإذاعات السرية، مع التأكيد على أن مضمونها "الرديء" أسهم برفع شعبيته[٦]. وقد يكون الحديث عن أسلوب مواجهتها

---

(١) موقع المقاتل، الكاريكاتير النفسي، د.ت، (www.moqatel.com).

* بعد حرب حزيران تحدث عبد الناصر عن الحرب النفسية التي تواجهها مصر، وحددها باتجاهين؛ خارجي وتمثله الإذاعة الإسرائيلية، والإذاعات الأجنبية الهادفة "لغرس اليأس والاستسلام في النفوس"، وداخلي ويمثله سيل النكات الشعبية التي انتشرت، ساخرة من أداء الجيش المصري خلال المعركة، وهو ما دفعه للتخدير من خطورتها، لدورها في تثبيط العزيمة، وإضعاف الثقة بالقوات المسلحة، لذا طلب من المصريين التوقف عن إبداع المزيد منها؛ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في العيد الخامس عشر للثورة، ١٩٦٧/٧/٢٣.

(٢) الحفني، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

(٣) نصر، مرجع سابق، ص٥٥٠-٥٥١.

(٤) خطاب الرئيس عبد الناصر بافتتاح مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٥.

(٥) قنديل، مرجع سابق، ص٧.

(٦) بويد، مرجع سابق، ص٩٤.

المذكور من قبل عبد الناصر، والشعب جزءاً من الحرب النفسية في مواجهة تلك المحطات للتأكيد على عدم فاعليتها وجدواها.

ولكن مؤشرات ظهرت في وقت لاحق تظهر مدى تأثيرها عليه، حيث تذمر واشتكى في رسالته إلى كنيدي* (Kennedy) أوائل أيلول ١٩٦٢، من نشاط تلك الإذاعات وتحديداً النصف الثاني من الخمسينيات، عاداً إياه كجزء من الحرب النفسية، وواصفاً دعايتها " بالمسمومة" الهادفة للتأثير على الرأي العام وتحريضه ضد حكومته "الثورية"[١].

ومع الاندفاع الدعائي البريطاني والفرنسي تجاه المنطقة، أخذ الأميركيون بالترويج لدعايتهم بعد أن كبحوا توجهها نحو المنطقة في الحرب العالمية الثانية، فلم يكن من "اللائق" بالنسبة لهم، منافسة حلفائهم في المنطقة في تلك الظروف، وظل بث صوت أميركا العربية لساعات قصيرة، بلغت أسبوعياً (٤٩ ساعة) في حين أن البث المنتظم كان عام ١٩٥١[٢].

فقاموا بنشر إعلانات في الصحف الأردنية تروج للاستماع لصوت أميركيا بمضامينها الإخبارية والغنائية، والفنية، وبرامجها الأخرى[٣]. وفي ظل أثير مزدحم بالدعاية والحرب النفسية والتنافس ما بين الدول لاستقطاب المستمعين العرب.

---

* جون كنيدي، ١٩١٧-١٩٦٣: الرئيس الأمريكي الخامس والثلاثون. أصبح رئيساً وهو ما يزال في الثالثة والأربعين، فكان بذلك أصغر رئيس أمريكي سناً، وأول كاثوليكي يتولى المنصب، عمل على بسط النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية في بداية عهده من خلال التقارب مع عبد الناصر. وفي عهده بدأ التورط الأمريكي في فيتنام. واجه معارضة ديغول له في الهيمنة على أوربا الغربية. لم يحقق نجاحاً كبيراً في تشريعاته وبرامجه الداخلية نظراً لعدم الوفاق بينه وبين الكونجرس. اغتيل في تكساس في تشرين الثاني ١٩٦٣. ؛ الكيالي، ج٥، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

(١) هيكل، أخطر الوثائق.

(٢) إبن حاله، مرجع سابق، ص١٢٧-١٢٨.

(٣) الدفاع، ١٩٥٦/٩/٢٣.

أعلن الملك حسين افتتاح الإذاعة الأردنية* في ١٩٥٦/١٠/١، مقدماً إياها كـ "منبر الحر" لتاريخ الأمة.. وحاضرها.. ومستقبلها"، و"صيحة" الأردن "بأن العروبة هي صاحبة الحق في الدفاع عن أوطانها وصد كل اعتداء على العالم العربي الكبير"[١]. جاءت تلك العبارات والمفردات منسجمة مع الظرف النفسي، الذي كان يمر به، بسبب الأوضاع العسكرية على الحدود مع إسرائيل، وما أفرزته من تأثير على الرأي العام.

فقد تكثفت الهجمات الإسرائيلية على القرى الأمامية في شهر أيلول، بعدما سحب عبد الناصر جزءاً كبيراً من قواته من سيناء إلى غرب القناة لمواجهة تهديدات الحشود البريطانية والفرنسية بقبرص، كما أن لندن تخاذلت في تنفيذ الشق الدفاعي من المعاهدة مع الأردن، وكل ذلك أسهم بوصول سليمان النابلسي إلى رئاسة الوزراء في ١٩٥٦/١٠/٦، إثر الانتخابات النيابية، وكان من أول القرارات التي اتخذها، استبعاد التعاون مع نوري السعيد وحصره بسوريا ومصر[٢]، التي قامت دعايتها الإذاعية، حسب بعض المصادر بالترويج لحزب النابلسي[٣]، ومع استمرارية الهجمات الإسرائيلية، وإزاء "حدة" التهديدات الفرنسية والبريطانية لمصر، وقّع اتفاقية عسكرية في عمان مع مصر وسوريا[٤]، قِبل الحرب بأيام قليلة، وقد كانت خطوة النابلسي باستبعاد التعاون مع نوري السعيد معبرة عن تباينٍ في المزاجين السياسي، والدعائي بين الجانبين.

---

* كان موقعها في جبل الحسين بجانب سينما القدس، ومن مذيعيها آنذاك: سمير مطاوع، غالب الحديدي، وإسحق المشيني، وليلى المدفعي، وإنعام المفتي، وغيرهم. ؛ إبراهيم شاهزادة، مقابلة، مجلة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون (عمان: مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ٢٠١٤) ص٨. وسيشار إليها فيما بعد: شاهزادة، مجلة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون.

(١) خطاب الملك حسين بافتتاح الإذاعة، ١٩٥٦/١٠/١، ج١، ص١١٥ .

(٢) رياض، مرجع سابق، ص١٢٢.

(3) Peter Snow: Hussein (London: Barrie and Jenkins, 1972), PP. 98-99.

(4) Ibid., P.122

بدأت الحرب في ١٩٥٦/١٠/٢٩، وتوغلت القوات الإسرائيلية في سيناء يـوم ١٠/٣٠، فيما بدأ القصف الجوي الفرنسي والبريطاني مساء ١٠/٣١، وأخذ صوت العرب بحشد الـرأي العام العربي، بعد قصف الطائرات للمدن المصرية، فخرجت المظاهرات في عمان وسائر المدن العربية[1].

وفي العراق كان لأداء صوت العرب وقع خاص، فأمام "التهييج" الذي مارسته في الشارع العراقي، أرسل السفير البريطاني في بغداد تقريراً إلى وزراء الخارجية يحذر بأنه "إذا لم يوقف الهجوم بسرعة فلن يكون هناك قوة في الأرض قادرة على حماية نوري السعيد"[2].

لا سيما وأن الدعاية المصرية اعتمدت أساليب مهيجة للرأي العام العراقي، عبـر بـث أخبار عن استخدام الطائرات البريطانية للقواعد العراقية، "لتدمير القرى المـصرية"، وافتتـاح المستشفيات العراقية، لمعالجة الجرحى البريطانيين "لتلبسهم برود الصحة والعافية"، حسبما كانت تذيع، وهو ما استفز الحكومة العراقية، ودفعها لدعوة الحكومة المصرية لإرسال من يتأكد ممـا أسمته "زيف" دعاية إذاعات القاهرة[3].

وسواءً كانت تلك المعلومات حقيقية، أم مفبركة، فقد تركت أثرا نفسياً على نوري السعيد، دفعه للطلب رسمياً من الحكومة البريطانية، لتوجيه ضربة لصوت العرب، بهدف إسكاتها، وهو ما تم بالفعل. وسنرى لاحقاً الأساليب الأخرى، التي استخدمتها دعايته الموجهـة ضـد النظـام المصري[4].

---

(١) حمروش، ج١، مرجع سابق، ص١٢٥-١٢٦.

(٢) محمد حمدي الجعفري: نوري السعيد وبريطانيا، إخفاق أم اتفاق (دمشق الأوائل، ٢٠٠٥) ص١٠٤.

(٣) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) الجعفري، مرجع سابق، ص ١٠٤.

لقد كان أمراً مستغرباً لدى عبد الناصر، أن تُعامل الإذاعة كهدف عسكري[١]، وفي رأي آخر فإن القصف حدث بعد الدور الدعائي الفاعل لها في مواجهة إذاعة الشرق الأدنى، وتبيان دور المخابرات البريطانية في إدارتها[٢]، وإلى جانب ذلك سيطرت إذاعة صوت بريطانيا "الشرق الأدنى سابقاً" في ١٩٥٦/١١/٢ على موجات إذاعة القاهرة، وبدأت بالبث عليها[٣].

وكان لذلك تأثيره "السلبي" على النفسية العربية، مع تفرد الإذاعات "المعادية" ببث أخبار قصف المدن المصرية، و"تقدم الجيوش المعتدية"[٤]، وهنا كان للإذاعة الأردنية دور مساند وداعم.

فبقرار من الملك "عاد صوت العرب" إلى الأثير عبرها، وبصوت المذيع المصري المتواجد بعمان نبيل بدر[٥]، كما اعتمدت على صوت نبيل محمد فخري إنشاصي، الطالب في مدرسة رغدان الثانوية آنذاك، وكان سري عويضة مدير إذاعة جبل الحسين يقدمه بـ"أحمد سعيد الصغير" لقدرته على تقليده بإتقان[٦]، وحتى في هذا الإجراء، فإننا نجد تفسيراً يقول برغبة الملك بتنفيس الشارع والاقتراب منه[٧]، وقد عبرت الإذاعة أيضاً عن "السخط" على دول العدوان[٨]، ومن خلالها أطلق الملك نداءً إلى العرب يدعوهم "لتأييد مصر ومشاركتها في نضالها"[٩].

---

[١] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي بميدان المنشية بالإسكندرية، بمناسبة الاحتفال بعيد الثورة، ١٩٥٧/٧/٢٦.

[٢] بويد، مرجع سابق، ص٩٣.

[3] James, Nasser At War, P. 43.

[٤] العظم، ج١، مرجع سابق، ص٤٨٣.

[٥] الخطيب، مقابلة.

[٦] نبيل إنشاصي، مقابلة عبر الهاتف، ٢٠١٤/١/١٣.

[٧] الخطيب، مقابلة.

[٨] الجعفري، مرجع سابق، ص١٤٤.

[٩] الدفاع ١٩٥٦/١١/٢.

وعملت بريطانيا على حشد جهود دعايتها في المواجهة بما فيها الـBBC، فكانت حرب ١٩٥٦، من المواقف التي ابتعدت فيها عن "الصدق والموضوعية"[١]. وتحولت إذاعة الشرق الأدنى إلى "صوت بريطانيا" لبث أخبار العدوان، وإثارة الشعب المصري[٢]، ولكنها واجهت صعوبات باستقالة الموظفين العرب[٣].

وقد استطاع المصريون التعرف على العاملين في الإذاعة بمساعدة من "ثوار المنظمة الوطنية للكفاح القبرصي" وكانوا يتلقون دعماً مصرياً ونجحوا بالحصول على صور فوتوغرافية لهم داخل الاستوديوهات، وقد اتهم العاملون فيها "بالخيانة"[٤].

وكانت ردة فعل المذيعين أن أعلنوا عبر الهواء وقوفهم إلى جانب مصر، ومنهم المذيع جواد زادة، الذي عاد للعمل في الإذاعة الأردنية، وصار فيما بعد مديراً للبرامج الأجنبية[٥]، والشيء الذي لا بد من قوله هنا، أن المذيعين العرب في إذاعة الشرق الأدنى كان لهم موقف وطني في حرب ١٩٤٨، شهدناها في الفصل الأول، بتحريضهم المقاتلين العرب في حيفا، ما أثار احتجاجاً يهودياً، وبرلمانياً بريطانياً، أي أن استبعاد العاطفة الوطنية كعامل دافع لتركهم للمحطة، قد يكون فيه إجحاف بحقهم.

وقد اضطر البريطانيون إلى استخدام مذيعين فرنسيين وإسرائيليين يجيدون العربية، مع انعدام قدرة البي بي سي (BBC) على تغطية النقص، لانشغالها بزيادة ساعات بثها العربي والتوسع في برامجها[٦]، وربما كان ذلك من العوامل التي وضعت حداً لاستمرارية الإذاعة.

---

(١) الحلواني، مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) نصر، مرجع سابق، ص٥٥١؛ حمروش، ج١، مرجع سابق، ص٤٨.

(٣) بويد، مرجع سابق، ص٩٣-٩٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٩٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٩٣-٩٤.

(٦) المرجع نفسه، ص٩٢.

حيث تم إغلاقها بعد توقف الحرب[١]. وفيما كان العاملون في الإذاعة الأردنية، وإذاعة الـشرق الأدنى يقومون بدور ينسجم مع البعد الوطني والقومي، كانت للإذاعة العراقية موقفها الخـاص؛ فالدعاية الغربية السرية التي ساندها نوري السعيد في حربها النفسية قبل العدوان، ساندها خلاله، وهو ما يظهر من مضامين الإذاعة العراقية آنذاك.

فبرز استخدام الغناء للتعبير عن طبيعة الموقف الرسمي المتسم بـروح التـشفي فبثـت التسجيلات الخليعة " لبعض المغنين[٢]، كمثال يعبر عن تلك الروح، كانت الإذاعة تبث أغنيـة لمغنية مصرية مطلعها "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها"[٣].

وحسب المصادر العراقية، فقد اتضحت "الشماتة والاستهزاء" أيضاً عبـر الأداء "الـوقح" لبعض المذيعين العراقيين[٤]، وهو ما ظهر بشكل جلي بطريقة قراءتهم للأخبار و"مآسـيها"[٥]، مخالفين بذلك "القيم الإنسانية" التي عبر عنها الشعب العراقي حينما كان "يغلي كالبركان الثـائر" طالباً مساعدة مصر "بالأموال والأرواح"، وهو ما عبرت عنه احتجاجات المعارضة المرفوعـة للقصر، الرافضة لموقف الحكومة ودعايتها[٦].

ولدّ ذلك ردة فعل "غاضبه"، لدى الرأي العام العراقي، حتى أن كثيراً من الأفراد "حطموا" أجهزة المذياع "لحنقهم" من أسلوبها، كما "حرَّم الكثيرون على أنفسهم سماع أصوات المغنيـين" الذين انخرطوا بتلك الدعاية[٧]، وأدى أيضاً إلى فقدان ثقة المستمعين بالإذاعة، وبات التـشكيك ردة فعل معتادة على ما تبثه، حتى مع الحقائق البديهية والمسلم بها[٨].

---

(١) الحسني، مرجع سابق، ص ١٦٨.
(٢) المرجع نفسه، ج١٠، ص ١٢٠-١٢٨.
(٣) محمد حسنين هيكل، يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، ١٩٥٧/١/١٩.
(٤) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٢٠.
(٥) محمد حسنين هيكل، يوميات أخبار اليوم، أخبار اليوم، ١٩٥٧/١/١٩.
(٦) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٢٠.
(٧) المرجع نفسه، ص ١٢٨.
(٨) الجعفري، مرجع سابق، ص ١٠٤.

واتسعت الشقة بين الرأي العام والحكومة، واهتزت هيبة النظام واحترامه، وغدت أوضاع العرش في مهب الريح"، في وقت كانت تتطور فيه "الأمور من سيء إلى أسوء"، وأصبح العراق في عزله عربية ترافقت مع ازدياد حدة الدعاية الموجهة تجاهه، وكانت الحملات الإذاعية تنطلق من إذاعات القاهرة، وعمان والرياض بعد الحرب، وهو ما أدى لاستقالة نوري السعيد في ١٩٥٧/٦/٨[١].

ولكن الإنذار السوفيتي الذي وجه صباح ١٩٥٦/١١/٦ إلى كل من بريطانيا وفرنسا، مهدداً بالتدخل حال عدم وقف القتال[٢]، غير مجرى الأحداث، فكان قرار مجلس الأمن بوقف الحرب يوم ١٩٥٦/١١/٧[٣]. وقد جرت بعد الحرب عملية تصفية حسابات بعد الحرب باتجاهين متناقضين.

فقد شهدت الدعاية المصرية بعد الحرب ما يشبه عملية محاسبة دعائية، فمن وقف ضد الحرب، كوفئ بالدعاية له، ومن شمتت دعايته عوقب بحملات مضادة؛ فنوري السعيد قوبل "بشتم" متواصل من صوت العرب، مع تحريض على قتله، ما دفع العراق للاحتجاج من خلال سفارته في القاهرة، ولكن دونما جدوى، فذريعة استقلالية صوت العرب عن القيادة المصرية تبرير قدمه عبد الناصر للسفير العراقي، فظلت الحملات مستمرة، ولمواجهة ذلك أنشأ العراق وزارة الإرشاد والأنباء[٤]. ولكن الصورة المغايرة، تمثلت بموقف الدعاية المصرية من الملك حسين الذي قام بخطوات جذبتها إليه، وجعلت صوت العرب تخاطبه بلطف واحترام وتقدير.

---

(١) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٢٨، ١١٩، ١٤١، ١٤٢.
(٢) الدفاع ١٩٥٦/١١/٧.
(٣) فلسطين ١٩٥٦/١١/٧.
(٤) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٣.

فنجدها تعلن أنه "حفظه الله"، ألغى مراسيم الاحتفال بعيد ميلاده في ١٩٥٦/١١/١٤، انسجاماً و"الظروف العصيبة" في مصر[١]، ثم كان منحه وسام النهضة المرصع لمدينة بورسعيد[٢]، التي قدّرت للإذاعة الأردنية قيامها بدور بديل لصوت العرب، وبمضامين عززت "هممهم... وشحذت نضالهم وكفاحهم" ضد قوات العدوان[٣]، وتثير هذه المعلومة تساؤلا حول مدى صحتها انطلاقاً من الحقيقة القائلة بضعف بث الإذاعة الأردنية، والمحدد آنذاك بعشرين كيلواط، فكيف وصل إذاً إلى بورسعيد؟.

وامتد المديح في الدعاية المصرية إلى الملكة زين الشرف؛ فهي صاحبة "الفضل والحكمة والحزم..."، والدور البارز في استقرار العرش، بجهود مضنية، أدت لإصابتها بنوبة قلبية، أثرت على صحتها وظلت مصدر معاناة لها[٤]. صورة إيجابية للملك وعائلته لم تلبث أن تغيرت بعد شهور قليلة نتيجة لتجدد حملات صوت العرب.

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية: برنامج أكاذيب وحقائق ١٩٦٠/٦/٣٠، ج٢١٨-٢٣١,

(٢) الدفاع ١٩٥٦/١٢/٢٨.

(٣) زيادة، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج٢٧٥-٢٨٨.

الفصل الثاني

تأزم الوضع الداخلي الأردني عام ١٩٥٧
وتجدد الحملات الدعائية لصوت العرب

الباب الأول

تجدد الحملات الدعائية

الباب الأول

تجدد الحملات الدعائية

أدى انبهار الشارع بالإنذار السوفياتي وبدء الدعاية السوفياتية بالتمدد في الأردن، وازدياد شعبية، وجاذبية عبد الناصر، وتأثير دعايته، والدعوة الأمريكية لمشروع أيزنهاور في المنطقة، وما أدت إليه من خلافات بين الملك وحكومة النابلسي إلى التأثير بشكل كبير على تجدد الحملات الدعائية لصوت العرب، وسنرى فاعلية النقاط السالفة فيما سيعرض من تفاصيل.

لعب الموقف السوفيتي تجاه العدوان الثلاثي دوراً أدى إلى زيادة فاعلية الدعاية الشيوعية في الأردن[١]، وهو ما بانت أثاره في المؤسسات الإعلامية وحتى الرسمية منها.

فالشعارات القائلة بأن الاتحاد السوفيتي هو "حامي الحرية"، والقادر على تحقيق أهداف العرب، بثت من إذاعة القدس[٢]، وانسجم هذا مع نبرة عالية المديح في الصحافة الأردنية، فجريدة فلسطين وجهت "تحية لروسيا السوفيتية" تقديراً لموقفها "المشرف ضد البغي والعدوان.."، طارحة الفكرة القائلة بأن العرب أصدقاء "مخلصون" لمن يساندهم في "الشدة"[٣]. ويجدر القول: إن مثل هذه التصريحات تنطوي على مخالفة للقوانين الأردنية.

إذ ينص قانون مكافحة الشيوعية الصادر عام ١٩٥٣، على حظرها، ويضعها في سياق الممنوع، ورغم ذلك، إلا أن الشيوعيين أصبحوا يتجرؤون على إعلان نشاطاتهم[٤]، وقد تنوعت

---

(1) R.J., Vol. 10, Sir C. Jhonston To Mr Selwyn Lioyd, 6 February 1957, With Two Enclousers (1) Leafttet Destributed By The Other Communist Controlled Bodies (2)Law No. 91 of 1953: Law Combating Communisty, FO371/127897, PP. 567-569.

(٢) زيادة، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٣) فلسطين ١٩٥٦/١١/٧.

(4) R.J. Vol. 10, Fo 371/127897, Op. Cit., P. 567-569.

تفاصيل وملامح الصعود الشيوعي في الأردن. فظهرت صحيفة الجماهير، وهي صحيفة شيوعية على الساحة في ١٩٥٩/١٢/٣١[١].

وباتت الصحافة المحلية الأردنية مزدحمة بما تبثه وكالة الشرق الأوسط المصرية من نشرات تتحدث عن الإنجازات السوفيتية في الفضاء، والصحف الشيوعية تدخل بحرية، وشراء الكتب والمجلات الشيوعية متاح للعامة، وافتتحت مكتبة الجمهور لأمين القطب، ممثل وكالة تاس، التي أصبح لديها حرية العمل في البلاد، ووقع عقداً لاستيراد الأفلام السوفيتية. وغدت خطوط العمل سالكة ما بين الإذاعة الأردنية وتاس، كما فتح الباب أمام النشرات الدورية السوفيتية. وفوق ذلك كله استقبال وفد إذاعة موسكو "بحفاوة بالغة" لا تقل عما يلاقيه الأميركيون والبريطانيون، وهذا كله وضع "عبئاً على الملك" في "مقاومة الشيوعية المهددة لعرشه"[٢]، وفيما تقدم نجد ملامح قلق وتوتر لدى الدوائر الغربية عبّر عنه توثيق السفارة البريطانية للنشاطات الدعائية الشيوعية في الأردن، وهو ما ترافق مع بروز عامل آخر، زاد من تأثير الدعاية المصرية على الساحة الأردنية.

أدت الحرب إلى نتائج عكسية بخلاف الرغبة والإرادة الدافعة لشنها، فانتهاءها وبقاء عبد الناصر ونظامه، أدى لزيادة قوته وشعبيته وتأثير دعايته في الساحة العربية. فالكاريزما التي تمتع بها غدت أكثر جاذبية وإبهاراً، وتجذراً، وهو ما أعطاه قوة أكبر للتأثير بالمنطقة العربية[٣].

غير أن آراءً تؤقت "العبور التاريخي" لتلك الكاريزما مع قرار التأميم، إذ هيأ له الظرف المناسب لدخول "العقول... والقلوب"[٤]، وهي حالة من الارتباط وضعته في منزلة، بالغت بعض الآراء بوصفها والتعبير عنها.

---

(١) الحسين: مهنتي، ص١١٨.

(2) R.J. Vol. 10, Fo 371/127897, Op., Cit., P. 567-569.

(3) James, Nasser at War, Op. Cit., P. 48.

(٤) عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٥٥.

وقد تدرجت فيما ذهبت إليه؛ فتارة تقول بأن "الشعوب المستعبدة تردد اسم عبد الناصر* صباح مساء حتى لكأنها تشركه مع أنبيائها وزعمائها..."، وتارة أخرى ".... أصبح اسمه بعد الباري تعالى والرسول المعظم..."، واستقر الرأي في النهاية على أن اسمه بات يتردد "على الألسنة أكثر مما يتردد اسم خالق السموات على السنة عبادة..."[1]. وبينما عزا هذا الرأي فعل التأليه للشعوب.

نجد رأياً آخر للملك حسين يرجع الفعل "للحاكم المتأله" الذي لا يرى الشعب سوى "قطعان من النعاج... والخراف تصفق وتهزج وتغني للمجرم الجزار..."[2].

وما تقدم من حديث عن الكاريزما، يعبر عن "مفارقة" فهي تأتي عادة من "إنجازات، ومعجزات وانتصارات تحققت..."، ولكنها هنا جاءت بعد "هزيمة"* تحققت عام ١٩٥٦، غير أن أداء الإعلام المصري أسهم في "خلقها وتعزيزها وإشهارها..."، إضافة إلى "مواهب" عبد الناصر الشخصية، وهي التي مكنته من تجاوز محطات صعبة في مسيرته، وبالتحديد هزيمة ١٩٦٧[3].

وهناك من يؤكد أن المشاعر الشعبية تجاهه إثر العدوان الثلاثي، غطت على الحقيقة الناجمة عن الحرب وأدت لتجاهلها، كما أن الدعاية لم تسلط عليها، واعتبرتها "أمراً ثانوياً لا يفسد روعة النتيجة النهائية"، للانتصار السياسي، مبينا أن ما جرى على أرض الواقع كان

---

* لم تكن تلك الجماهير تعلم أن عبد الناصر وحسبما تذكر بعض المصادر، منح الأميركيين وعداً في رسالة سرية أرسلها إلى وزير الخارجية الأمريكية دالاس في ١٩٥٦/١١/٢ أثناء العدوان، بالقيام بدور مواجه للشيوعية، مع رد الاعتبار لقضية السلام مع إسرائيل، وذلك تقديراً للموقف الأمريكي المعارض للحرب.
James, Nasser At War, Op. Cit., P. 45;

(١) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص٣٣٨.

(٢) خطاب الملك حسين بمناسبة مرور عام على سلسلة خطابات فلنين هذا البلد ولنخدم هذه الأمة ١٩٦١/١٢/١٥، ج١، ص٦٧٥.

(٣) عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٥٥-٥٦.

يختلف تماماً؛ فشروط جلاء القوات الفرنسية، والبريطانية، والإسرائيلية تضمنت وضع قوات للأمم المتحدة على الحدود بين مصر وإسرائيل، وفتح مضائق نيران أمام الملاحة الإسرائيلية، وإخلاء شرم الشيخ لهيئة رقابة دولية، وتجريد سيناء من السلاح، باستثناء أنواع محددة. وقد انسحبت القوات الفرنسية والبريطانية في ١٩٥٦/١٢/٢٣، فيما القوات الإسرائيلية لم تنسحب إلا في شهر آذار ١٩٥٧[١]. وأمام هذا النصر المعنوي، والانسحاب البريطاني والفرنسي والإسرائيلي كان الأميركيون يتطلعون لملء الفراغ، فيما اتجه الإسرائيليون إلى الاستعداد لمواجهة عسكرية حاسمة في المستقبل، كما سنرى.

سعت الإدارة الأمريكية للحلول كبديل لبريطانيا وفرنسا "ووراثة" نفوذهما[٢]، وفي ١٩٥٧/١/٥ طرح الرئيس الأميركي إيزنهاور المشروع المتضمن قيام الولايات المتحدة بحماية أي دولة تتعرض لعدوان مسلح من "دولة تابعة للشيوعية الدولية"، وتقديم المساعدات الاقتصادية، ومنح مساعدات عسكرية لدول الراغبة بذلك[٣].

وهي قضية أنتجت تبايناً ما بين موقف الملك حسين الراغب بالانضمام، وبين الحكومة المعارضة لها[٤]. وبهذا غداً الأردن أمام ثلاثة عوامل مؤثرة اختلفت إزاءها توجهات الحكومة والملك مما أثر على الاستقرار السياسي الأردني، وحدوث تباين حاد أدى إلى إقالتها ومن ثم تجدد الدعاية المصرية، وهو ما ستُظهره الوقائع.

بالرغم من العلاقات الحسنة بين النظامين الأردني والمصري، إلا أن الملك حسين كانت له مقاييسه المتحكمة بهذه العلاقة. حيث كان يميل إلى الحفاظ على توازن ما بين علاقاته بعبد

---

(١) حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص٦١، ٥٢، ٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٣.

(٣) رياض، مرجع سابق، ص١٤٦؛ البشتاوي: مرجع سابق، ص ٨٤–٨٥؛ كوبلاند، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٤) البشتاوي، مرجع سابق، ص٨٦–٨٧.

الناصر والإبقاء على علاقاته مع الغرب، ففكرة "التبعية" للقاهرة كانت مرفوضة، وتحديداً بعد طرده لكلوب[١].

غير أن رئيس الوزراء كان له مساره الخاص، وعبر عنه بخطاب في ١٩٥٦/١٢/٣١، حسبما بين الملك حسين، وقد "أفاض" فيه بمديح الرئيس عبد الناصر، ما أثار "استياء" الملك وانزعاجه[٢]. وما يلفت الانتباه أن أعداد الصحف في اليوم التالي للموعد المذكور لا تشير إلى وجود هكذا خطاب[٣].

إلا أن أقرب خطاب للنابلسي إلى هذا التوقيت كان قبل ذلك بأسبوع تقريباً، بمناسبة الذكرى الأولى "لإحباط"، انضمام الأردن إلى حلف بغداد في ١٩٥٦/١٢/٢٢، ولدى مراجعته تبين أن الإشادة شملت الموقف الشعبي، مع تذكير بأن "الانتصار" كان "بفضل قيادة المليك البطل..." الذي قاد شعبه "... إلى طريق الحرية والكرامة..."، غير أنه أشاد بالرئيس جمال عبدالناصر واستعداده لتقديم معونة اقتصادية، حتى لو تأخر إعادة إعمار بورسعيد، وتلاها إشادة مماثلة بسوريا، وبجهوزيتها لتحمل مزيد من الديون في سبيل أن يبقى الأردنيون "أسياداً" في وطنهم، ولكن ذلك سبقه تنديد بنوري السعيد وسياساته، رافضاً أن يكون الأردن "اللواء الخامس عشر في مملكته التعيسة" وأن هذه الوحدة لن تتم إلا بعد "تحرير العراق منه ومن أذنابه"[٤].

وجاءت الخطوة التالية للحكومة بتوقيع اتفاقية التضامن العربي في ١٩٥٧/١/١٩، مع مصر والسعودية وسوريا، لتقديم معونة مالية، كبديل للمساعدات البريطانية، والمعاهدة الأردنية

---

(١) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(٢) الحسين، مهنتي، ص١١٨.

(٣) انظر أعداد الدفاع، وفلسطين ١٩٥٦/١٢/٣١.

(٤) فلسطين، ١٩٥٦/١٢/٢٣.

البريطانية التي عدت لاغية اعتباراً من ١٩٥٧/٣/١[١]، وتلا ذلك التوقيع خطوة تتعلق بالمجال التربوي.

ففكرة توحيد المناهج بين الأردن وسوريا ومصر كانت حاضرة، وجرت اجتماعات في القاهرة، بهذا الشأن، ضمت وفوداً من الأردن ومصر وسوريا، وهو عمل عده عبد الناصر "من أركان القومية"[٢].

ولعل من أهم الملامح التي ظهر فيها التأثير المصري هو الجانب الدعائي والذي برز بطريقة تكاد تكون غريبة في دولة ذات سيادة وهي صورة عبّر عنها هزاع المجالي في مذكراته وتمثلت بتنافس الوزراء "وسعيهم" لنشر أخبارهم و"بطولاتهم" في الصحف المصرية وصوت العرب، وكان الإعلاميون المصريون يجدون "حفاوة وترحيباً"، واندفاعاً لإطلاعهم "على أسرار الدولة" مع طلب التوجيه والنصح والمشورة منهم في "بعض المسائل"[٣].

والرأي السالف قد يكون فيه شيء من المبالغة؛ إذ أن صاحبه كانت علاقاته مع المصريين مشوبة بشيء من الحساسية والتوتر، وربما يكون ما ذكره طبيعيٌ في ظل التأثير الكبير الذي رأيناه لكاريزما عبد الناصر وقوة دعايته بعد العدوان، وقد شكل موضوع الدعاية نقطة خلافية أخرى بين الملك والحكومة ولكن على محور ثاني.

اتجه الملك لوضع حد للدعاية الشيوعية المصنفة حسب الوثائق البريطانية كخطر كامن يهدد العرش كما رأينا.

---

(١) الماضي، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في أعضاء الوفود الأردنية والسورية والمصرية في مؤتمر توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية ١٩٥٧/٢/٢٠.

(٣) هزاع المجالي: مذكراتي (عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٩) ص٢١١. وسيشار إليه فيما بعد المجالي، ٢٠٠٩.

وقد صنفها كدعاية غير قانونية بموجب قانون مكافحة الشيوعية لعام ١٩٥٣[١]، بالإضافة لتعارضها مع المعتقد الديني للشعب، وسعيها لتجذير الوجود الصهيوني "بمؤاخاتها" بين الشيوعي العربي ومثيله الصهيوني، وتحالفها مع "أدعياء" القومية، الآخذين بأساليب "التهريج والتضليل وادعاء البطولات"، ولكل ذلك، فهي "دعايات تشويش" ولا بد من تحرك حكومي لوضع حد لها[٢]، وأبلغ النابلسي ذلك برسالة في ١٩٥٧/١/٣١[٣].

وعُدّت الرسالة من قبل هزاع المجالي "ناقوس خطر" نبه الحكومة إلى الانحراف الذي كاد أن "يطوح" بالأردن إلى "هوة الملحدين المستهترين"، واللافت للنظر أن الرسالة ظلت سرية ولم يعلن عنها مباشرة، ومن ثم تم بثها إذاعياً يوم ١٩٥٧/٢/٢[٤]، وعبر الصحف يوم ١٩٥٧/٢/٤[٥].

وفُسر اللجوء إلى الإذاعة كدليل "لانعدام" الثقة بالحكومة، وعدم رضوخها "للقوانين والأنظمة"[٦]، وهو ما قد يؤول حسب رأيي بعدم استجابتها لرغبات الملك بالإضافة إلى أن اللجوء إلى الإذاعة والصحف فيه حشد للرأي العام، واستثارة لعواطفه الدينية عبر ما ورد من معاني تؤكد عدم انسجام الدعاية الشيوعية والمبادئ الدينية، تمهيداً لإقالتها. ونجد أن الدعاية المروجة لتلك الرسالة تليت بإجراءات على أرض الواقع للحد من الدعاية الشيوعية من قبل الجهات الأمنية.

---

(١) الحسين، مهنتي، ص١١٨، ١١٤.

(٢) الماضي، مرجع سابق، ص٦٦٥-٦٦٦؛

Ben Jamin Shwadran: Jordan A stat of Tension (New York: Bembo Typographers, 1959), PP. 103-104.

(٣) الحسين، مهنتي، ص١١٨، ١١٤.

(٤) المجالي، ٢٠٠٩، ص٢١٢.

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/٢/٤.

(٦) المجالي، ٢٠٠٩، ص٢١٢.

فأغلقت صحيفة الجماهير، وصودرت أعدادها، وبدأت عملية جمع الكتب الشيوعية، ومنع عرض الأفلام السوفيتية[١]، وأوقف عمل وكالة تاس[٢]، ولكن الحكومة مضت في سيرها نحو توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي[٣] فأقرت في ١٩٥٧/٤/٣ إقامة علاقات دبلوماسية[٤]، كما كشفت عن نيتها إقامة علاقة مماثلة مع (الصين الشيوعية) وهو ما جعل الملك يتجه "لحسم" الأمر مع النابلسي[٥]. لا سيما أن الوثائق البريطانية تؤكد تبنية موقفاً حازماً يدعو "لمحاربة الشيوعية"[٦]، وهو ما أدى لدعاية مضادة من أعضاء الحزب الشيوعي الأردني عبر مناشير وزعت سراً، تدعوه "للعودة إلى الحجاز"[٧].

وقد انتقل التباين بين الطرفين من التقارب مع السوفيتي الشيوعي، إلى النقطة الخلافية الثالثة هي التقارب مع الولايات المتحدة عبر مشروع إيزنهاور.

أطلقت الحكومة حملة دعائية تعلن فيها رفضها المشروع سواءً عبر التصريح للصحافة الأجنبية، أو بواسطة المؤتمرات الصحفية[٨]، وهذا ما كان منسجماً مع موقف عبد الناصر الذي عده خطوة "خطرة تهدد" مصر[٩]، ولكن الملك حسين طلب من الحكومة في ١٩٥٧/٢/١٨ الكف عن "الهجمات" الصحفية على المشروع[١٠]، وبهذا ائتلفت جملة عوامل خلافية في السياسات

---

(1) R. H. D., (Ed.,) By Alan de.Rush, vol.8 (oxford: Archive Edition, 1996) Telegram From Amman To Foreign Office , 1 March 1957, Fo371/ 127878, P.703 .Snow, Op. Cit. p. 104.

(2) Ibid., P. 104.

(٣) الماضي، مرجع سابق، ص٦٦٧.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/٤/٤.

(٥) الماضي، مرجع سابق، ص٦٦٧.

(6) R.J. Vol. 10, Mr. Mason To Mr. Hadou, 10 April 1957, FO 371/127878, P. 120.

(7) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 April 1957, Fo371/127878, P.104

(٨) الدفاع، ١٩٥٧/١٠/٢١.

(٩) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(10) Satloff, Op.cit., PP. 162-163.

الداخلية والخارجية وجعلت من استمرار الحكومة يقترب من الاستحالة وبخاصة وأن أزمة مالية بدأت تخيم على البلاد.

فمع مجيء نيسان ١٩٥٧، كانت المعونة البريطانية قد توقفت، واستحق موعد المعونة العربية، بموجب اتفاقية التضامن العربي، ولكن الخزينة ظلت فارغة، وعد نيسان شهر "الإفلاس"، وبات الأردن في وضع أقرب إلى الانهيار(١)، ولعبت المعونة السعودية*، والدعم الأمريكي دوراً في إنقاذ الموقف عبر تقديم المساعدات المالية(٢).

وإزاء هذا الوضع اتخذ الملك حسين قراراً بإقالة الحكومة وهو ما تم في ١٩٥٧/٤/١٠(٣)، ولم يكن تحديد مصيرها مقتصراً على الملك فحسب، فقد تلقى النابلسي قبل الاستقالة بقليل برقية من عبد الناصر تحرضه على البقاء وعدم الإذعان(٤)، مع وعد بتقديم دعم دعائي عبر الإذاعات المصرية، وجعل النابلسي "بطلاً" على المستوى العربي، وهو ما تم الاتفاق عليه مع علي أبو نوار رئيس هيئة الأركان في زيارة سابقة إلى القاهرة، حيث كان حريصاً على وجود دعم مصري للحكومة(٥).

وجاءت الاستقالة مستفزة له –أبو نوار–، ووصل به الأمر حسب رأي الملك حد التصرف "بوقاحة"، وتقديم إنذار للقصر بضرورة تشكيل حكومة يرضى عنها الشعب، وتجاوز ذلك محاولاً القيام بانقلاب عسكري في ١٩٥٧/٤/١٤، أفشلته العناصر العسكرية الموالية للملك،

(١) الماضي، مرجع سابق، ص٢٩٠؛

Dann, Op. Cit., PP.43-44.

* كانت السعودية في هذه الأثناء قد أخذت بالاقتراب من الأردن بناء على الرغبة الأمريكية وهو ما سنراه في الأحداث اللاحقة، الباحث.

(2) Dann, Op. Cit., PP. 43-44.

(٣) الحسين، مهنتي، ص١٢٩.

(4) Dann, Op. Cit., P. 78.

(٥) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٤٥-٢٤٦.

فعُزل وعُين بدلاً منه علي الحياري لكنه هرب أيضاً إلى دمشق [1]. وقد كلف الملك حسين الخالدي* برئاسة الحكومة في ١٩٥٧/٤/١٥[2]، وعين حابس المجالي رئيساً لهيئة الأركان بالوكالة في ١٩٥٧/٤/٢٠[3].

---

(١) الحسين، مهنتي، ص١٠٠-١٠٥.

* حسين فخري الخالدي: ١٨٩٢-١٩٦٢: سياسي أردني من أصل فلسطيني ولد في القدس ودرس الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، وقد كان ناشطاً في الحركة الوطنية الفلسطينية زمن الانتداب. عينه الملك عبد الله عام ١٩٥٠ حارساً للأماكن المقدسة، وبعد ثلاث سنوات عين وزيراً للخارجية، وعضواً في مجلس الأعيان؛ الكيالي، ج٢ مرجع سابق، ص٥٤٤.

(٢) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج٢، ص٢٩.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/٤/٢١.

الباب الثاني

الدعاية المصرية والنظام الأردني والإقالة

أطاحت الإقالة بحكومة منسجمة مع النظام المصري، ما ولد ردة فعل دعائية أطرت الإقالة بالمخططات المضادة لمصر وفرض مشروع أيزنهاور، فما أسماها الملك بالإقالة لإنقاذ الوضع، كان لعبد الناصر رأي آخر فيه، فقد صنفها "كانقلاب ضد العناصر الوطنية"، قائم على نهج تبريري بوجود "تآمر" مصري، وهو ما قاد الأردن نحو "السيطرة الاستعمارية"[١] الداعمة، والدافعة لذلك الفعل[٢] وامتد التشكيك بموضوع الانقلاب أو دحضه إلى وجهات نظر لا تمت لأي إطار رسمي، وقد ظهرت في زمن لاحق للحدث.

ومنها رأي آفي شلايم (Avi Shlaim)، القائل بأن ما جرى "انقلاب ملكي"، أو بتسمية أخرى "انقلاب القصر"، بدعم أمريكي للتخلص من الفئات السياسية والعسكرية غير المرغوب بها "بعد تشويه صورتها" دعائياُ، ويضيف شلايم بأن الملك "حرض العناصر الموالية له في الجيش" للقيام "بانتفاضة الزرقاء" المناوئة لمن قيل بأنهم قائمون على الانقلاب، ولم يكتف بذلك، ولكنه صنف تلك الأحداث تحت عنوان "فضيحة الزرقاء"[٣].

ودعَّم رأيه بما توصل إليه الصحفي الأيرلندي أرسكين تشايلدرز (Erskine Childers)، الذي عمل على دحض الرواية التي روج لها دعائياً في الغرب والمبنية على اتهام القاهرة بالتخطيط، وإذاعاتها بالإسناد الدعائي "للمتآمرين"[٤]، واتبع تشايلدرز الأسلوب العلمي لتدعيم هذه الفكرة، بدراسة "دقيقة لمحتويات البث الإذاعي" المرصودة في فترة تصاعد الأحداث، وتبين من

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر، المؤتمر الشعبي بميدان الجمهورية، ١٩٥٨/٣/٢٠.

(٢) حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص٦٢.

(٣) آفي شلايم: أسد الأردن "حياة الملك حسين في الحرب والسلام"، ترجمة سليمان عوض (عمان: مركز الكتاب الأردني، ٢٠١١م)، ص٧٢.

(٤) شلايم، مرجع سابق، ص ٧٢.

خلالها بأن الإذاعات المصرية لم تتخذ في البداية أي موقف دعائي داعم لها، بأمر من الرئيس عبدالناصر الذي كتب إلى النابلسي* يناشده عدم "تفتيت الأردن بين الملك والشعب"[1].

وأوضحت الدراسة أيضاً أن "الهجوم الإذاعي"، بدأ من الإذاعات الصديقة للغرب، فهاجمت إذاعة بغداد النابلسي، وتحدثت عن علاقته بالسفير السوفيتي بإسرائيل، كما هاجمته الإذاعة الإسرائيلية مدعية وصوله إلى السلطة بمساعدة "عملاء مصريين"، مع سعيه لتحويل الأردن إلى قاعدة سوفيتية[2]. واستناداً إلى ما قدمه شلايم، فما حدث كان فبركه دعائية واسعة أُخذ بها لتحقيق أهداف سياسية.

وامتد التشكيك إلى مايلز كوبلاند (Miles Copeland)، معتمداً على النهاية التي آلت إليها العلاقة بين الملك وأبو نوار الذي عُين سفيراً في باريس بعد عشر سنوات[3]، ولكن هذا الرأي، لا يرتقي قوة تشكيكه أو نقصه للحدث إلى مستوى ما طرحه شلايم، آنفاً، أو ما سنراه تالياً في وجهة نظر بهجت أبو غربية*.

---

* أكد النابلسي في مصدر آخر بأن عبدالناصر نصحه بالإبقاء على علاقات حسنه مع الملك حسين، وبين أن الانقلاب كان بتدبير من الملك والعرب لخلق الظروف المواتية للسيطرة على الأردن بحجة مواجهة الخطر الذي يتهدده؛

Snow, Op. Cit., P. 116.

(1) شلايم، مرجع سابق، ص ٧٣.

(2) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(3) كوبلاند، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

* بهجت أبو غربية ١٩١٦-٢٠١٢: ولد بخان يونس، وقضى معظم حياته في القدس، واشترك في جميع مراحل النضال الفلسطيني المسلح خصوصاً ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، وحرب ١٩٤٧-١٩٤٩، حيث كان أحد قادة جيش الجهاد المقدس، وخاض معارك كثيرة منها معركة القسطل التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني، كما جرح عدة مرات، ودخل السجون والمعتقلات بعد سنة ١٩٤٨. انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن، وأصبح عضواً في القيادة القطرية ١٩٤٩-١٩٥٩، وكذلك في المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية منذ تأسيسها، وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذية عدة مرات"؛ الموقع الرسمي لمؤسسة الدراسات الفلسطينية. وللمزيد راجع، بهجت أبو غربية: من النكبة حتى الانتفاضة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤) .

فقد وصف ما جرى بـ"المؤامرة"[١]، الناجمة عن رغبة المخابرات الأمريكية، إقصاء العناصر "الوطنية" السياسية والعسكرية المعارضة لانضمام الأردن لمشروع إيزنهاور، الموافق عليه من الملك، بما يؤدي في النهاية لإدخال البلاد في حالة من "التبعية" والابتعاد عن نهج التضامن القومي و "الوحدوي"، وتلك المهمة حَملت المخابرات الأمريكية عبْ تنفيذها عبر من جندتهم من "أعوان وعملاء"، بعد أن اتخذت من عمان مركز عمل إقليمي، مدعم بملايين الدولارات، وبزيادة ملحوظة في عدد أفراد السفارة الأمريكية[٢].

وتمهيداً لإزالة عقبة المعارضة بيَّن أبو غربية، أن خطة دعائية من محاور ثلاث تم تطبيقها، المحول الأول، "قادة الملك بنفسه" وبإسناد من "أجهزة داخلية وخارجية"، ومهمته الترويج لوجود خطر شيوعي "كافر ملحد داهم" بفعل سياسات حكومة النابلسي، والأحزاب "الغوغائية"، ومثلث رسالة الملك الموجهة إلى النابلسي وطلب وضع حد لذلك الخطر جزءاً من هذه الدعاية. وكان هدف هذا المحور متطابقاً مع مبرر واشنطن لإعلان مبدأ إيزنهاور[٣].

أما المحور الثاني فقام على الدعاية لفكرة تعرض الأردن للانهيار الاقتصادي والإفلاس بفعل تمسك الحكومة بإلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية بما فيها من مساعدات اقتصادية، والإصرار على قبول المساعدة المالية العربية في وقت لم تدفع فيه سوريا ومصر ما ترتب عليهما من التزامات[٤]، رغم أن وقت الدفع لم يكن قد حان بعد، كما أن تقديم المعونة اشترط بإنهاء النفوذ الأجنبي[٥].

---

(١) أبو غربية، مرجع سابق، ص ١٨٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٧٨، ١٨١، ١٨٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٤.
(٤) المرجع نفسه، ص١٨٤–١٨٥.
(٥) المرجع نفسه، ص١٨٢.

وبني المحور الدعائي الثالث على بث الإشاعات القائلة بوجود مؤامرات اغتيال تستهدف حياة الملك والانقلاب عليه، ولعب الملحق العسكري في السفارة الأمريكية ســويني (Sweeny) دوراً مهماً في صناعتها وبثها؛ فكان يعقد اجتماعات مع ضباط في الجيش، ليبلغهم دعم واشنطن لأي محاولة انقلابية ضد الملك، ثم يخرج مروجاً لوجود محاولات انقلابيــة يلــصقها بأســماء الضباط الذين قابلهم[(١)].

وقد نجحت الحملة الدعائية بمحاورها الثلاث في صناعة جو نفسي لدى الرأي العام يسمح ببدء تنفيذ "المؤامرة"، وإقالة حكومة النابلسي، ومن ثم افتعال انقلاب عسكري لتصفية الــضباط "الوطنيين عبر فتنة "الزرقاء"[(٢)]، ووفقا لما تقدم، فإن الجانب الدعائي كان حاضــراً لــدى أبــو غربية، وشلايم في دحضهما لفكرة التآمر والانقلاب على النظام؛ الأول أكد على وجود حملــة دعائية أردنية، أميركية ممهدة للحدث، في حين أكد الثاني أن الحملات الدعائية بعد حصوله لــم تنطلق من القاهرة. والمفارقة أن ما جرى اعتبر من قبل الطرفين الأردني والمصري، مــؤامرة موجهة ضده، لذا فإن صوت العرب وإذاعة القاهرة انطلقتا بحملة دعائية وبإسناد مــن إذاعــة دمشق التي كانت صاحبة المبادرة في ذلك.

حيث قام على الحياري من خلالها، في ١٩٥٧/٤/٢٠ بنفي فكرة الانقلاب مؤكــداً فكــرة "المؤامرة" محدداً العناصر "العميلة" القائمة عليها بــالملحقين العــسكريين لــبعض الــسفارات* "لتصفية" العناصر الوطنية من الجيش، داحضاً وجود الحزبية بداخله، وإنما اســتخدمت كــأداة

---

(١) أبو غربية، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٧، ١٩١.

* في مصدر آخر تحدث علي الحياري مباشرة عن الدور الأمريكي في تدبير الانقلاب؛ Snow, Op. Cit., P. 113.

للقضاء على الحركة الوطنية؛ إحكاماً لسيطرة "الامبريالية وعملائها"، وقهراً للإرادة الـشعبية"، وهذه الدعاية عملت إذاعات القاهرة على إعادة تكرارها وبثها مرة أخرى(1).

كما منحت أبو نوار الفرصة ليقوم بدور دعائي أيضاً، فاعتمد أسلوب "التضخيم" لما قالـه الحياري، مع التأكيد على الأفكار الأساسية، لكنه حدد "المتآمرين" بوضوح أكبـر فهـم رجـال القصر، يعاونهم السفير والملحق العسكري الأمريكي، وسمير الرفاعي، وهو ما أنتج إدانة مـن رئيس الوزراء المكلف حسين فخري الخالدي، و"قلقاً" من السفارة الأمريكيـة(٢)، ولـم يتـضح المقصود "بالتضخيم" في الوثائق البريطانية، وربما كان حديثه المباشر عن أسماء محـددة هـي المقصودة بذلك.

وامتدت فكرة اتهام الأمريكيين لتشمل الدعاية السوفيتية، إذاعة وصحفاً، عبـر حمـلات دعائية بينت أن الهدف الأمريكي من التدخل بالشأن الأردني، هو جـزء مـن مخطـط شـامل للسيطرة على المنطقة(٣)، ومما يجدر ذكره أن اعتماد الدعاية المصرية لم يقتصر على استخدام أبو نوار في الحملات المضادة للنظام.

فقد عمل محمد الخطيب* بعد لجوئه السياسي إلى القاهرة منتصف الخمسينيات مذيعاً فـي صوت العرب، واشترك في الحملات الموجهة ضد النظام، وهذا ما عاتبه عليه الملك فيما بعد،

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, Statement By Major General Ali Hiyari Damascus, 20 April 1957, (As Reported By Cairo Radio Fo 371/127882, PP. 193-194.

(2) R.J. Vol. 10, Minual By Selwyn Lioyd, 29 April 1957, Situation In Jordan FO, 371/127880, P. 520.

(3) R.J.Vol.10, Minual By Selwyn Lioyd, 29 April 1957, Situation In Jordan Fo 371/127880, P. 520.

* أورد الخطيب خلال مقابلته قصة ذات دلالة حصلت بداية ١٩٥٧ أثناء خدمته في صوت العرب، حيث بين أن وفداً مكوناً من ضباط كبار في الشرطة الأردنية، زار صوت العرب، أثناء وجودهم في القاهرة، وهناك مدحوا عبدالناصر و "وأوصلوه إلى السماء"، وتم تسجيل ما قالوا، ومن ثم أسـمعوهم إيـاه، وقـد أبلغهـم الخطيب. "في الوقت الذي تقمعون فيه المظاهرات سنذيع الكلام"، وبقوا تحت "الإرهاب النفسي لـسنوات"، وضم الوفد كلاً من كاظم أبو غزالة مدير الأمن العام، والعميد عبدالكريم البرغـوثي، وحكمـت مهيـار، وعبدالله الرافعي.

غير أنه رد بأن "جهده كان منصباً على مواجهة الاستعمار وعملائه، وعلى رأسهم سمير الرفاعي"[1]. وما يجدر قوله هنا أن عمله الإذاعي لم يكن غريباً بتلك الفترة باعتقادي، مع التأكيد هنا أن ذهابه للقاهرة ليس للعمل في صوت العرب، وإنما كلاجئ سياسي، غير أن اعتماد الإذاعات العربية على مذيعين عرب من الأقطار المستهدفة بحملاتها كان متداولاً في ذلك الزمن.

وصنف ذلك كامتداد "لمدرسة" يونس البحري القائمة على "تقديم الخدمة لمن يدفع الثمن"، وهو ما جعل بعض المذيعين يتنقل بين توجهات دعائية متناقضة، فنجد "أصوات مذيعين أو معلقين يتنقلون من بغداد إلى عمان ومن القاهرة إلى بغداد، ومن دمشق إلى عمان"[2].

ويبدو أن الدعاية المصرية، وكما استخدمت المعارضين الأردنيين كأدوات في دعايتها، فقد اتجهت لاستخدام ما أسمته الإطاحة بالحكم الوطني، كأداة أخرى للتدليل على وجود مشروع أو مخطط أمريكي هادف لإضعاف مصر ودورها في المنطقة العربية، عبر عزلها، وبتنسيق مع النظامين الأردني والسعودي، وبمؤازرة دعائية أمريكية، -كما سيتضح لاحقاً-، ومن هنا فإن ردة فعل الشارع الأردني المنبثقة من الفعل الدعائي المصري إزاء قرار الإقالة لابد وأن يسبقها توضيح للمخطط المُنتج له بحسب الدعاية المصرية أيضاً.

يتضح للمدقق في مبررات قيام مشروع أيزنهاور أن مصر هي الدولة المستهدفة[3]، ففكرته حسب التقدير المصري، بادرت بها الإدارة الأميريكية إثر فشل العدوان الثلاثي، مترافقة مع نهج "عزل" مصر، فهي تجسيد لمخططات وزير الخارجية الأمريكي دالاس، الراسم لعملية

(١) الخطيب، مقابلة.

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٣/٥، ج١٠١-١١٥.

(٣) كوبلاند، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

عزل السعودية، ومن ثم الأردن، فسوريا[١]، التي ستواجه لاحقاً حمــلات إعلاميــة وتهديــدات عسكرية تركية كما سنرى. ولتوضيح خطورة ذلك النهج التي اعتقدت بها الدعايــة المــصرية، استخدمت مفردات تعبر عن مدى تحسسها وتخوفها، مع تحديد الأطراف المعنية بتنفيذ المشروع ومن ضمنها الملك حسين.

فنجدها تصف العزل بأنه "قتل من غير إراقة دماء"[٢]، و"غزو من الداخل"[٣]، و "تفتيــت" لشمل الأمة وتقطيع أوصالها"، وأما "سلاح" تحقيقه فهم "أعوان الاســتعمار... أعــداء القوميــة العربية"[٤]. وأصرت على فشله وانعدام فرص نجاحه[٥]، مبينة أن العزل الحقيقي سيقتصر على من استخدموا في المشروع[٦]، فالولايات المتحدة لم تستطع عزل الأردن عن مصر، وإنما الفعل الحقيقي الذي تم، هو عزل "الملك" عن شعبه[٧].

وقد مهد الأمريكيون لتلك الخطوة –أي عزل الملــك– بــدفع الأردن للقبــول بمــشروع أيزنهاور، وما تنطق به الأحداث وفقاً للدعاية المصرية هو "تآمر أمريكي عليه"، و "ليس معه"، والواضح من العنوان الذي اندرج تحته هذا التحليل، أن الخلاف، كان آخذ بالتــصاعد، بحيــث وضع الطرفين، الأردني والمصري، باتجاهين متضادين، حتى أن هيكل بين أن الأركان التــي يقوم عليها النظام الأردني والمشتملة على من أسماهم بــ "مهربي الحشيش"، و"ساسة للبيع"، هم

---

(١) محمد حسنين هيكل، سياسة عزل مصر عن المنطقة واتجاهاتها، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٧/٥/١٢.

(٢) محمد حسنين هيكل، أسرار المواقف، أسئلة كان يحملها هندرسون عــن ســوريا، بــصراحة، الأهــرام، ١٩٥٧/٩/٢.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في افتتاح مجلــس الأمــة، ١٩٥٧/٧/٢٢. وسيــشار إليــه فيمــا بعــد عبدالناصر، مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

(٤) خطاب الرئيس عبدالناصر في بورسعيد في ذكرى يوم النصر، ١٩٥٨/١٢/٢٣.

(٥) هيكل، عزل مصر.

(٦) عبدالناصر، مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

(٧) هيكل، عزل مصر.

على استعداد دائم لتنفيذ "المؤامرات"[١]. ولتعزيز صحة ومنطقية المضامين المضادة لمشروع أيزنهاور كان اللجوء للتاريخ فقدم المصريون أسبقية تاريخية للتعاون مع الغرب.

فذكروا بالوعود المقدمة للعرب مع قيام الثورة العربية الكبرى، وكيف استحالت استعماراً، وتقسيماً، و"اغتصاباً" لفلسطين[٢]، وبالإضافة لتوضيح الدعاية المصرية لسياسة العزل، والمتضرر منها، أخذت بتبيان ما اعتمد من آليات للدفع بزعماء الأطراف المحيطة بمصر بعيداً عنها، نحو جبهة مقابلة.

يتطلب الحديث عن تلك الآليات، التطرق لوجهة نظر تقر بوجود رغبة لدى الزعامات المحيطة بمصر بالابتعاد عن عبد الناصر حتى قبل طرح المشروع أو المخطط.

فبالرغم من "تكاتفهم" معه خلال أزمة السويس إلا أن "قلوبهم" ظلت بعيدةً عنه، وبقيت "نفوسهم" ترنو للنأي[٣]. ووفقاً لهذه الصورة فإن تلك الدول تعاملت على أساس يقوم على جانب علني وآخر مخفي فالأردن الذي رأينا موقفه المؤيد لمصر عبر السياسة والدعاية نرى له موقفاً آخر، والرواية الساكنة في هذا الإطار تنطق بذلك.

فخلال مؤتمر الرؤساء العرب يومي ١٣ و١٤/١١/١٩٥٦ في بيروت والمنعقد –بدون عبد الناصر– أثناء العدوان الثلاثي على مصر، كان "الصراع عنيفاً" بين مَنْ هو معها ومَنْ هو ضدها، ففي ذلك المؤتمر كان الموقف السوري إلى جانبها في حين أن "كميل شمعون، والملك حسين، ونوري السعيد" كان موقفهم "عدائياً" تجاهها، ومع أن الرواية لم توضح الحيثيات المتعلقة

---

(١) محمد حسنين هيكل، هذه هي الحقيقة الواضحة في الأردن (تجارة نفوذ + مهربي حشيش+ ساسة للبيع + أصدقاء جلوب = مؤامرة جديدة)، بصراحة، الأهرام، ١/٥/١٩٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، الحقيقة الواضحة.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني بجامعة القاهرة، ٥/١٢/١٩٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، المؤتمر التعاوني، ٥/١٢/١٩٥٧.

(٣) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٣٤، ٤٨٢.

بموقف الملك حسين، إلا أنها بينت أن كميل شمعون رفـض قطـع العلاقـات مـع بريطانيـا وفرنسا[١]. غير أن أحداً لم يكن "يتجرأ بالخروج عن سياساته المبنية على "الترهيب"، فالحكـام العرب كانوا "يخشون دعايته، وما تنتجه من "مؤامرات" تصل أحياناً إلى الاغتيال، وحسب هذا الرأي فقد سار على نهج هتلر، القائم على شن حملات دعائية ضد خصومه في الدول المجاورة، عند رفضهم الانقياد والخضوع لسياساته[٢].

فدعايته "السامة" كان يستشعر "خطرها" الجميع[٣] وإذاعة صوت العـرب قـادرة علـى "تعريضهم" لقلاقل خطيرة بإثارة الشارع مجرد التلميح، بتوجههم نحـو الإمبرياليـة[٤]. وأمـام المخاطر السالفة، فإن تقديم الإغراءات الاقتصادية والسياسية، للخروج عن خط سير عبد الناصر بات أمراً ملحاً لتنفيذ المشروع.

طرح الأمريكيون الدعم الاقتصادي "كإغراء" لجذب الأطراف نحو مشروع أيزنهـاور[٥] وقدر ما خصصته وكالة المخابرات الأمريكية بمئتي بليون دولار خلال "النشاط السري والعلني" في المنطقة[٦]، وزعمت الدعاية المصرية أن ما وصل إلى الملك حسين بلغ سبعين مليون دولار كمقابل للخط السياسي الجديد الذي سلكه بعيداً عن عبد الناصر، الذي عد المبلغ كثمن* "الانحراف

---

(١) العظم، ج٢، مرجع سابق، ص٤٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ج٣، مرجع سابق، ص١٧٥، ٤٣٤.

(٣) محمد مهدي كبه، مذكراتي، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص٣٦٨.

(٤) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٥) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، ١٩٥٧/٩/٨.

(٦) محمد حسنين هيكل، الليلة والبارحة، بصراحة الأهرام، ١٩٦٦/٥/٢٠. وسيشار إليـه فيمـا بعـد: هيكل، الليلة والبارحة.

* يدعي آفي شلايم في كتابه أسد الأردن، قيام الصحافة الأمريكية بالكشف عن قصة تلك الأموال حيث يزعم أن المخابرات الأمريكية كلفت كيم روزفلت "الذي اشتهرت سمعته بتدبير الانقلاب الـذي أطـاح بحكومـة مصدق في إيران عام ١٩٥٣، وأعاد الشاه إلى السلطة"، كلفته بوضع خطة "لتدعيم الحسين شخصيا"، وقـد أختار " شيفرة نوبيف" (لا تغذية) كرمز لبرنامج المساعدة المالية للملك" والذي بقي سـراً إلـى أن " وقـع شخص ما وبمحض المصادفة على هذا الاسم الرمز وفضحه في الصحف "وقد جاء أمر الافتضاح في مقالة مثيرة لبوب وودوارد، امتدت على طول الصفحة الأولى في صحيفة الواشنطن بوست، يـوم ١٨ شـباط=

الملك، وابتعاده عن شعبه إلى أحضان الاستعمار"[١]. ولكن آراءً أخرى تقلل من الفوائد الاقتصادية وجدواها.

فمشروع أيزنهاور لم يعد على "أعداء ناصر" سوى بمزيد من "الإحراج والتوريط"، ولم يقدم مساعدة تؤدي إلى تغيير جذري في الجانب الاقتصادي، فضلاً عن أنهم أمسوا بحاجة إلى المساعدة "للصمود في وجه دعايته المكثفة والقاسية"[٢].

=١٩٧٧، تحت عنوان "وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية دفعت الملايين للعاهل الأردني الملك حسين". وقد شكل دفع هذه الأموال بالقطارة، لأحد زعماء الدول العربية، وواحداً من أكثر العمليات السرية كتماناً وحساسية بين كل عمليات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ولهذا اندهشت الطبقة السياسية والجمهور العام الأوسع. وذكر وودارد أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قدّمت دفعات نقدية سنوية سرية للملك حسين على مدى عشرين سنة بلغت ملايين الدولارات منذ إدارة الرئيس إيزنهاور. وما شك فيه أن هذه الدفعات الأولية بلغت ملايين الدولارات، لكنها قلصت بشكل حاد إلى ٧٥٠,٠٠٠ دولار عام ١٩٧٦. وبمقتضى الاسم الشيفري للمشروع "نوبيف" كانت الأموال تسلم نقداً إلى الملك من رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في عمّان.

وقال وودارد في تقريره إن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بررت الدفعات النقدية المباشرة بإدعائها أن الحسين سمح لأجهزة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بالعمل بحرية في بلاده ذات الموقع الإستراتيجي. وقام الحسين نفسه بتوفير معلومات إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، واستعمل أموالها للدفع لبعض المسئولين الحكوميين الذين زوّدوا وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بمعلومات، أو تعاونوا معها. ومع كل ذلك، فقد أعتبر بعض مسئولي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية هذه الدفعات "رشاوي" لا أكثر، وقدموا فيها تقارير إلى "هيئة الرقابة على المعلومات"، وحسب مصادر وودوارد، اعتبر الحسين .. وببساطة الدفعات المالية إليه شكلاً آخر من المساعدات الأمريكية، وداخل أروقة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، صنفت شيفرة " نو بيف" كواحدة من انجح عملياتها، ووفرت للولايات المتحدة تأثيراً عظيماً ووصولاً غير معتاد إلى زعيم دولة ذات سيادة.

وأبلغ وودوارد قرّاءه بأن الحسين كان في الحادية والعشرين فقط حين استفاد أول مرة من أموال وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، قائلا: "كان ذلك زماناً كان الأردن فيه عملياً تحت وصاية الولايات المتحدة، ولم تتوافر للحسين فيه أموال كافية لتغطية تكاليف نمط حياته. وتضمنت المقالة أن الحسين كان مدرجاً على قائمة متلقي الرواتب الخاصين لدى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وما قيل في هذا المقال حقيقة إن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية كانت تدبر برنامجها الخاص لمساعدة الأردن بعيداً عن أية رقابة بيروقراطية أو إشرافها عليه. وأكدت المقالة أيضاً على أن الأموال لم تقدم إلى الحكومة الأردنية، بل إلى الملك ونقداً؛ شلايم، مرجع سابق، ص١٨٢-١٨٣.

(١) حديث الرئيس جمال عبد الناصر مع الصحفي الهندي كارانجيا، رئيس تحرير صحيفة بليتز، ١٩٥٨/٩/٢٨.

(٢) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٤٤.

وأما الإغراء السياسي –الذي سبق وأشير إليه– فالمقصود به حصرياً هو إغراء الزعامة والقيادة، المقدم للملك سعود[١]، ما استوجب إطلاق حملة دعائية واسعة مــن قبــل الأمــريكيين لإخراج الزعامة الجديدة بلقبها الجديد "حامي الحرمين" إلى حيــز الواقــع، بتجنيــد عــشرات الصحفيين والكتّاب، فانتشرت المقالات بهذا الخصوص بلغات شتى[٢]. وحاولت الدعاية أن تجسد سعود كرمز للإسلام، ساعية لجعله "الخصم" المقابل لعبد الناصر، استناداً إلى مرجعيــة دينيــة. ورغم اندفاعه في القيام بدور الزعامة، إلا أنه كان بحاجة لحماية نفسه أمام هجمات الــصحافة والإذاعة المصرية[٣]، وبالتأكيد فإن صوت العرب تأتي في المقدمة، ولتأمين دعاية مضادة لما قد يلقاه ومن معه في سيرهم نحو المواجهة مع عبد الناصر ودعايته، كان لابد من تحرك دعــائي مساند.

فبدأت "حملة الكراهية وحرب الأعصاب"[٤]، بواسطة عشرات المحطات السرية والرسمية نحو مصر، حتى أن هيكل أبدى استغرابه من تخصيص ذلك العدد الكبير من المحطات، لــشن "حرب" أعصاب لا تنتهي على شعب لا يتجاوز العشرين مليون نسمة، فــي حــين أن الــشعب الروسي خلال الحرب العالمية الثانية، كان تعداده يقدر بمئتي مليون نسمة، وجهت إليه إذاعــة علنية، وأخرى سرية من قبل الألمان، فالدعاية الموجهة صوب مصر، دعاية مكثفــة للــسيطرة على "العقل والقلب"[٥]، وقد وصف عبدالناصر القائمين عليها بــــ "بقــوى الــشر والإرهــاب" ومواجهتهم يتطلب مزيداً من الوعي"[٦].

---

(١) أنور السادات: البحث عن الذات، (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨)، ص ١٩٤. وسيشار إليــه فيما بعد السادات: البحث عن الذات.

(٢) هيكل، الليلة والبارحة.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عبد الناصر، مجلس الأمة.

(٥) محمد حسنين هيكل، مقالات بصراحة، أخبار اليوم، ١٩٥٧/٣/٢.

(٦) عبد الناصر، مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

وكجزء من حرب "الأعصاب" أخذت تلك الدعاية بنشر الإشاعات، ومنها بث أخبار عن مقتل عبد الناصر، مع التركيز على أن الملك سعود هو "زعيم" العالم العربي[١]، وهو ما وجد صدى في الصحافة الأردنية أيضاً، حيث ركزت على مظاهر الحفاوة الأمريكية المحيطة بزيارة الملك سعود إلى الولايات المتحدة.

فتحدثت عن تجاوز الرئيس الأمريكي أيزنهاور لقواعد البروتوكول، والذهاب بنفسه لاستقباله في المطار يوم ١٩٥٧/١/٢٩، وهو ما لم يفعله رئيس أمريكي مع أي زعيم آخر، وهو ما لقي ردة فعل واسعة في الصحف والإذاعات الأمريكية[٢]. ومُبالغةً بالتكريم منحه الأمريكيون مفتاح مدينة واشنطن[٣]. وربما كان ذلك جزءاً من الحملة الدعائية، وكتعزيز نفسي للملك سعود للنهوض بالدور المناط به.

ولتحقيق شرخ أوسع، وبوقت أسرع في العلاقات ما بين مصر من جهة والسعودية والأردن من جهة أخرى لجأت الدعاية الغربية لأسلوب بث الشك، فتم اختراع وتصنيع "الوثائق المزورة"، عن رغبة مصر بقلب الأنظمة الملكية[٤]، سعياً لتحقيق طموح عبد الناصر "بالإمبراطورية"، وهو أمرٌ كفيل بإثارة الشكوك، والفتنة والانقسام[٥]. وللتعزيز الفرقة والتباعد، غذيت الدعاية بفكرة الربط ما بين النظام المصري والشيوعية، كجزء من مخطط عزل مصر[٦].

---

(١) محمد حسنين هيكل، بصراحة، أخبار اليوم، ١٩٥٧/٢/٢. وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، أخبار اليوم، ١٩٥٧/٢/٢.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/١/٣٠.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١/٣١.

(٤) عبد الناصر، مجلس الأمة.

(٥) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر لوكالة الأسوشيتدبرس، وشركة الإذاعة الأهلية الأمريكية، ١٩٥٧/٩/٢٧.

(٦) عبد الناصر، مجلس الأمة.

ومع المباعدة ما بين مصر والأنظمة الملكية، كانت الخطوة التالية، التقريب بينها لصناعة جبهة متماسكة.

استمرت الإدارة الأمريكية في سعيها المتواصل لإضعاف النفـوذ المـصري ودعايتـه القومية[١]، فمارسوا ضغطاً على الهاشميين والسعوديين لترسيخ العلاقـات، وإزالـة الـشكوك، وتناسي الأحقاد[٢]. ومن يدقق الزيارات المتبادلة ما بين عمان والرياض وبغداد يستشعر الـنمط الجديد للعلاقات وقد بدأت بفارق زمني بسيط بعد إقرار مشروع أيزنهاور في ١٩٥٧/١/٥.

ففي ١٩٥٧/١/١٦ زار الملك حسين الملك سعود في المدينة المنورة واتفقا على تطـوير العلاقات "الأخوية" وتوثيقها[٣]، وتبعتها زيارة أخرى نهاية نيسان ١٩٥٧[٤]، وتلاها زيارة الملك سعود إلى العراق في ١٩٥٧/٥/١١، وعدت "صفحة جديدة" في العمل "القومي"[٥].

وبدا ذلك كتحالف هاشمي سعودي[٦]، أطلقت الدعاية المصرية عليه "نقابة الملوك" بزعامة سعود[٧]. ولتحقيق مزيد من التقارب النفسي بين الطرفين بعيداً عن أحقاد الماضي كان لا بد من إشعارهما بالخطر المشترك وهذه المرة بأسلوب عملي.

وحسب الرأي المصري، فقد تم "إغراء" النابلسي، وعلي أبو نوار لتنفيذ الانقلاب في سياق فخ دبر لهما من قبل الملك والأميركيين، الذين استطاعوا بهذه الطريقة انتزاع النظام الأردني من

---

(١) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٢) ممدوح أنيس فتحي: مصر من الثورة إلى النكسة، (أبو ظبـي: مركـز الإمـارات للدراسـات، ٢٠٠٣)، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١/١٧.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/٤/٣٠.

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/٥/١٢.

(٦) هيكل، أخبار اليوم، ١٩٥٧/٢/٢.

(٧) هيكل، الليلة والبارحة.

"براثن ناصر"[١]، فالأميركيون منحوا الملك الحجة أمام الرأي العام [٢] للتخلص مـن النابلسي وأبو نوار، وجعل ذلك كذريعة للابتعاد عن القاهرة.

وبالنسبة للملك سعود فدبرت محاولة لاغتياله عبر شخص مصري يعمل في قصره، وكانت اعترافاته تدين عبد الناصر، المتيقن بان المخابرات الأمريكية صنعت وحاكت القصة[٢]. وبهذا فقد أدى التقارب الأردني السعودي، لانفكاك عقدة التحالف ما بين الدعاية المصرية والمال السعودي، والذي شكل عنصراً مسانداً لها ضد الهاشميين من أيام الملك فاروق، وقد رأينا قوة التأثير لذلك الحلف على الساحة الأردنية عام ١٩٥٥، وكان من المنطقي أن ينتقل تأثير المال السعودي إلى مواجهة الدعاية المصرية، بعد أحداث نيسان ١٩٥٧ وهو ما أدى لظهور فئات على الشارع الداعم للملك بمواجهة الدعاية المصرية، بعد غيابها عنه في أحداث حلف بغداد.

منذ اليوم الأول لقرار إقالة النابلسي، تحول الأردن إلى بؤرة جاذبة للإعلاميين العرب والأجانب، وكانت الدعاية المصرية من ضمن ذلك الحشد ممثلة بأحمد سعيد، وضباط الاستخبارات المصرية[٣]، وحينما بادرت صوت العرب "بالهجوم"، حملت عليه ووصفته "بالانقلاب الأمريكي"؛ مع دعوتها الشعب الأردني للتحرك ضده بقوة؛ فانتشرت المظاهرات المطالبة بالعدول عن القرار، مع اتهام الملك بالإذعان للمؤامرة الأمريكية[٤]. ومما يجدر ذكره هنا أن تأثير دعاية صوت العرب حول هذه القضية لم يقتصر على الشارع الأردني.

ويتضح ذلك من تحريك دعايتها لمظاهرات في الشارع اللبناني لاحقا[٥]، انتهت بالهجوم بالديناميت على السفارة الأردنية والمركز الثقافي الأمريكي في ١٩٥٧/٧/٣١[٦].

---

[١] كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٨١.

[٢] رياض، مرجع سابق، ص١٥١.

[3] R.H.D.Vol.8, Telegram From Amman To Foreign Office, 8 May 1957, FO 371/127880, P. 727.

[٤] الخطيب، مقابلة.

[٥] الشاعر، مقال.

[٦] الدفاع، ١٩٥٧/٨/١.

واتخذت التظاهرات "طابعاً عنيفاً" في عمان والقدس وباقي المدن الأردنية ضد التدخل الأمريكي[١]، ومخططاته[٢]، مع نشاط مؤثر لأنصار حكومة النابلسي "الذين تسللوا في كل مكان تقريباً" واتخذت الحملات الصحفية والإذاعية من دمشق والقاهرة مساراً اتهامياً للملك حسين[٣].

ولم تأخذ تلك "الهجمات" بعين الاعتبار تأكيدات الملك بالاستمرار على النهج الوطني المناهض للأحلاف الأجنبية، والالتزام بالقضية الفلسطينية[٤]، وعلى ما يبدو فإن وسائل الدعاية تلك تعاملت مع التصريحات كخدعة للتخفيف من فعلها الدعائي المثير للشعب، والمستفز للملك حسين.

حيث حاول أن يقدم دليلاً آخر لانعدام شرعية تلك الحملات، المتدخلة بالشأن الأردني بما تنشره من "أراجيف"، كون قرار الإقالة لا علاقة له بالسياسة الخارجية، وإنما هو شأن داخلي[٥]؛ غير أن تلك الدعاية الإذاعية "ازدادت حدة وعنفاً"[٦]. حتى أنها وصلت إلى مؤسسة الإذاعة التي كان من المنطقي والمفروض أن تكون مركزاً للدفاع عن سياسات النظام وقراراته، ولكن مفعول الدعاية المضادة أخرجها من نطاق سيطرته.

فقد عُطِلَ بَث إذاعة القدس في ذلك الظرف "العصيب"، من قبل موظفيها من أصحاب "الانتماء الشيوعي"، لمنع بث خطاب الملك المسجل والهادف للتواصل مع الرأي العام، وتهدئته بشرح الموقف[٧]. ومما يجدر ذكره هنا أن تسمية إذاعة القدس جاءت لاحقاً بعد أن نقلت إليها

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤٠.

(٢) الحسين، مهنتي، ص١٢٩.

(٣) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤٠.

(4) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 18 June 1957, Fo 371/127752, PP. 388-389.

(٥) خطاب الملك حسين، في ١٩٥٧/٤/٢٥، ج١، ص١٥١.

(٦) الحسين، مهنتي، ص١٤١.

(٧) المرجع نفسه، ص١٤١.

إذاعة رام الله عام ١٩٥٩[١].أي أن التعطيل وكما تؤكد الوثائق البريطانية، جرى فيها في إذاعة رام الله يوم ١٩٥٧/٤/١٤، حيث كان الملك يحاول شكر الجيش على وقوفه ضد العناصر "المخربة" ولم تذكر شيئاً عن انتماء الموظفين*، ولكنها بررت ما جرى بتأثير "المحيط المتطرف" سياسياً، والمعروف بتأييده للنابلسي، وقد اتخذ الملك قراراً باعتقال مدير الإذاعة، والمحرر المسؤول عن البرامج الإنجليزية، وهو ما ترتب عليه احتجاجات خرجت برام الله تطالب بتعطيل بث الإذاعة، حتى تشكل حكومة وطنية، ولكن العناصر "الموالية" فرضت استمرارية البث[٢].

ويتضح للمدقق أن التناقض بين ما ورد في رواية الملك حسين، والرواية البريطانية، لا يتوقف على موقع الإذاعة فقط، وإنما على الهدف من الخطاب، ففي حين أن الملك تحدث عن رغبته بالتواصل مع الرأي العام، بينت الوثائق أن الهدف هو "شكر الجيش"، ولكن الأمر الذي لم يذكر في الروايتين، هو غياب إذاعة عمان عن المشهد في هذا الحدث، لا سما وأنها افتتحت في ١٩٥٦/١/١٠، والتساؤل الذي يخطر للوهلة الأولى: هل كان إرسال الخطاب إلى إذاعة القدس حسب رواية الملك، أو إذاعة رام الله، حسب الرواية البريطانية، إذعاناً لأسباب تقنية تتعلق بعدم قدرة إذاعة عمان على تغطية الضفة الغربية؟، أم أن إرسال الخطاب كان يستهدف التأثير على الفئة الأكثر تأثراً بصوت العرب.

---

(١) خطاب الملك بمناسبة افتتاح دار الإذاعة بالقدس، ١٩٥٩/٨/١٧، ج١، ص ٣٦٥.

* رغم أن الملك حدد الانتماء الفكري لأولئك الموظفين بالشيوعية، إلا أن مصادر أخرى صنفتهم على أساس الموقف محددة إياهم بالقوة المضادة للملك؛

Shwadran, Op. Cit., P. 350.

(2) R.J.Vol,10, Minute By Mr. Sylwyn Lioyd, 29 April 1957, Fo 371/127880, P. 181.

ولكن سرعان ما يختفي التساؤل أمام رواية يتيمة تؤكد أن البث الإذاعي لمحطة عمان قد تعطل[١] دون أن تحدد الأسباب، التي لربما ارتبطت بالاضطرابات التي اندلعت في تلك الفترة؛ أي أن العمل التخريبي أمرٌ ممكن الحدوث آنذاك، وظهر ذلك فيما أنتجته من أجواء.

أدت لاستقالة حكومة حسين الخالدي الذي كلفه الملك في ١٩٥٧/٤/١٥[٢]. ونجد وجهة نظر تقول بأن المؤتمر "الوطني للأحزاب" والذي عقد في نابلس ١٩٥٧/٤/٢٢، تم عقده بتنسيق واضح مع الحملة الإذاعية التي قام بها أبو نوار من القاهرة، حيث صدرت القرارات في اليوم التالي تطالب بإقالة بعض موظفي القصر، وطرد السفير الأمريكي والملحق العسكري، والعمل من أجل وحدة فدرالية مع مصر وسوريا، وإقالة حكومة الخالدي، وتشكيل حكومة ائتلافية من الضباط المقالين والمعتقلين والمبعدين، ورفض مبدأ أيزنهاور، وشكلت تلك المطالب وفقاً للوثائق البريطانية "برنامجاً متطرفاً بامتياز" يسنده مقررات بالإضراب والتظاهر[٣].

ووفر انعقاد المؤتمر بنابلس، بيئة ملائمة لما تقدم من قرارات؛ فالاتجاهات "المتطرفة" كانت تهيمن عليها، مع "انعدام الولاء للملك"، حتى أن الاجتماع كان بمثابة حكومة للضفة الغربية...، إن لم يكن للأردن بأجمعه" وتصل المبالغة إلى الحديث عن طموح حكمت المصري رئيس البرلمان– الذي حمل المطالب إلى الحكومة بتزعم "جمهورية الأردن". وكل هذه التفاصيل، جاءت بإسهام من الدعاية المصرية ودورها في صناعة الظروف الملائمة لهكذا طروحات[٤].

---

(1) Shwadran, Op. Cit., P. 350.

(٢) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج٢، ص٢٩.

(3) R.J.Vol,10, Minute By Mr. Sylwyn Lioyd, 29 April 1957, Situation In Jordan, Fo 371/127880, P. 187-188.

(4) R.J.Vol,10., Fo 371/127880, Op. Cit., P. 187-188.

وقد امتد دعمها إلى تركيزها على تلك المقررات في برامجها ونشراتها، والترويج لها في الأيام التالية لانتهاء المؤتمر[١]، في حين أن الإذاعة الأردنية امتنعت عن التطرق إليه[٢].

شكل نفوذ صوت العرب مصدر إشغال للملك، وخاصة مع تسلل تأثيرها إلى داخل الجيش، وهو أمر لم يستغربه، لأنه جاء بفعل دعايتها المتواصلة والمكثفة[٣]، وقد اعترف علي الحياري لاحقاً، بأن الدعاية المصرية* أسهمت "بإسقاط" الكثير من الضباط، بالسيطرة عليهم نفسياً، وفكرياً من خلال إغراءات الشعارات "الرومانسية" عن القومية العربية[٤].

شمل تأثير الدعاية المصرية حسبما تبين الوقائع، الحالة النفسية للملك، وهو ما بان في تعبيراته الواصفة لمشاعره آنذاك، أو من خلال خطاباته التالية للحدث.

إذ طغت حالات "التوتر"، و "الغضب"، و "القلق" على حالته الشعورية، ولعبت مضامين الدعاية المصرية دوراً في تفاقمها؛ لاسيما أنها سعت حسب الملك إلى تشويه دوره في تعريب

---

(1) Snow, Op. Cit., P. 113.

(2) James Lunt: Hussein Of Jordan (London: Macmillan, 1989), P. 43.

(٣) الحسين، مهنتي، ص ١١٨-١١٩.

* لم يتوقف تأثير الدعاية المصرية داخل الجيش في السنوات التالية، فخلال الحملات الدعائية المُعبرة عن المواقف المتباينة من الثورة اليمنية التي قامت في ١٩٦٢/٩/٢٦، والتي استُغلت مصرياً للقيام بحرب نفسية، سخَّرت فيها ارتدادات الثورة السلبية على النظام الأردني لتعميق معاناته النفسية، التي أعطتها الدعاية المصرية صفات "الألم النفسي، والصدمة العنيفة، والمفاجأة النفسية العميقة"؛ محمد حسنين هيكل، الوضوح القاطع ومعركة اليمن، بصراحة الأهرام، ١٩٦٢/١٠/١٢.

وقد عد رئيس سلاح الجو الأردني سهل حمزة، والطيارين حربي صندوقة وتحسين صايمة، "طيارين أحرار"؛ محمد حسنين هيكل، عن الملك حسين، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٦/٢/١٦.

وصنف ما قاموا به كتعبير عن "تيار عام في الجيش الأردني"، وكتعبير أيضاً عن عدم قدرة النظام عن التخلص من المعارضة المتوالدة داخل صفوفه؛ محمد حسنين هيكل، نار تحت الرماد في المشرق العربي، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٣/١/١٨.

والأهم بالنسبة للدعاية المصرية أن فعلهم نقل المعركة من الدفاع إلى الهجوم"؛ محمد حسنين هيكل، لماذا الحرب في اليمن، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/١١/١٦. وبالطبع فإن الهجوم الدعائي والنفسي كان الأهم في ذلك السياق.

(٤) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤٠.

الجيش، وتجاهل موقفه في حرب السويس[١]، وهو ما ظهر أكثر وضوحاً في سياق عاطفي في أحد خطاباته التالية للأزمة بأيام قليلة: "أنا الذي نذرت دمي لمصر العزيزة أيام محنتهــا، كنــت أعتقد أن أقل واجبات الود والوفاء تقتضي من أخواننا أن يكفوا على الأقل عن استثارة الــشعب بالإذاعة والصحافة، والتعرض لشخصي..." [٢].

وتؤكد بعض المصادر أن الملك تعرض في سنواته حكمة الأولى لظــروف "ضــاغطة"، كانت الحملات الدعائية جزءاً منها، ورغم صموده أمامها وعدم سماحة "للتشاؤم" بالسيطرة عليه، إلا أنها، أدت لإلحاق الأذى النفسي به، "بإيلامه وجرحه"، وبالتحديد عبر سيل الدعاية الإذاعيــة المصرية والسورية، ومن خلال ما دعاه المصدر بــ "بذاءات الــصحافة الــصفراء" (Gutter Press)، والتي أنتجت أيضاً، شعوراً كبيراً "بالمرارة والاستياء" لديه، لتتناولها لسمعته الشخصية وبطريقة "حادة"، أثرت عليها وأسهمت "بتصديعها وتشويــشها " His personal reputation was turn to shreds" ولكن تلك الحملات وما رافقها من "مؤامرات" وظروف أدت لنــضجه المبكــر. "It changed him from boy to man surprisingly quickly"[٣] مــع تنميــة وصقل عناصر النباهة والفطنة والحذر لديه، بالإضافة للتفكير الدقيق قبل إصــدار القــرارات، وبالتحديد المتعلقة باختيار الشخصيات المقربة منه، وعلى الأخص في "الدائرة الضيقة"[٤].

ووفقاً لمعطيات التحليل فقد جاءت تعبيرات الملك في خطابه السالف لتؤكد على انقــلاب صورته في الدعاية المصرية، فبعدما وصفته "بالعاهل العربي الكبير" و"الملك الحر" كما رأينــاه في الفصل السابق، باتت تشوه دوره، فيما عدته في لحظة سابقة إنجازات قومية. وأمــام قــوة

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.

(٢) خطاب الملك حسين حول أحداث ربيع ١٩٥٧، ١٩٥٧/٤/٢٥، ج١، ص١٥٠.

(3) Lunt, Op. Cit., P. 56.

(4) Ibid, P. 56.

وتأثير الدعاية المصرية والسورية في الشارع، اتجه إلى خطوات لمواجهة الدعاية المصرية، وقد سمح له التحول الذي طرأ على دور المال السعودي في تنفيذ المهمة، ربما بسهولة، مع إمكانية التأثير بدرجة أكبر.

كلف الملك إبراهيم هاشم الذي جاء خلفاً للخالدي باتخاذ الإجراءات الكفيلة بما أسماه "بصيانة الوطن وأهله من الخطر، والعبث والفساد، فأعلنت الأحكام العرفية"[١]، وتمركزت قوات الجيش في المناطق الهامة[٢]، وأعلن أيضاً عن تقديم الحياري وأبو نوار إلى المحاكمة بتهمة "الخيانة"[٣]. وترتب على فرض الأحكام العرفية حل الأحزاب السياسية و"تجميد البرلمان"، وحل المجالس البلدية المنتخبة، وفرض رقابة "صارمة" على الإذاعة والصحافة[٤]، وعطل صدور صحف حزب البعث، والجبهة الوطنية، وصحيفة الجماهير الشيوعية، والميثاق الناطقة باسم الحزب الوطني الاشتراكي، وصوت الشعب[٥].

وشكلت الإجراءات السالفة مادةً استخدمتها إذاعات القاهرة ودمشق في حملاتها ضد النظام، مقدمة صورة "مؤلمة" للحالة العامة تحت السياسات "القاسية" التي "يئن" بسببها الأردنيون[٦].

وعلى صلة بفرض الأحكام العرفية، يُلقى اللوم على الأجهزة المصرية- دون تحديد ماهيتها، استخبارية أم دعائية- لتسببها "بفشل" التجربة الديمقراطية الأردنية، وعودة "الحكم الأبوي"، الذي بات فيه "الولاء" بات كشرط أساسي للانخراط في دائرة الحكم ومؤسساته[٧].

---

(١) الماضي، مرجع سابق، ص٢٩.

(2) Lunt, Op. Cit., P. 42.

(٣) ناتنج، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(4) R.J.Vol,10, Despatehh No.4, Sit Jhonston To Mr. Selwy Lioyd, 3 July 1957, Fo 371/127880, P. 198.

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/٥/٦.

(6) R.J., Vol., 10, Fo 371/127880, Op. Cit, P. 198.

(٧) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج٢، مرجع سابق، ص١٧-٢٧.

حرص الملك حسين على تعزيز تواصله مع وحدات الجيش مع تركيزه على قضية الولاء والانتماء[١]، وجاء حرصه على توثيق علاقاته بالجيش، لا سيما مع استمرارية استهدافه من دعاية صوت العرب، التي لم تتوقف عن بث "الإشاعات" حول شؤونه ومنها؛ إذاعة أخبار عن استقالة حابس المجالي من منصبه في ١٩٥٧/٧/٥، ما اضطره لعقد مؤتمر صحفي للنفي وللرد على ما أسماه "صوت العرب المزعوم والموتور والحاقد" مؤكداً أن الجيش في "وحدة وتكاتف وولاء للملك". وعدت الصحافة الأردنية ما قامت به صوت العرب، كوسيلة للدفع بالجيوش إلى الحياة السياسية، وإبعادها عن دورها المحدد والمعين لها، وأن ما قامت به هو محاولة لصناعة "البلبلة" في صفوفه، وهو أمر "يستحيل عليها تحقيقه"[٢].

بادرت الصحافة الأردنية لاقتناص ما تيسر لها من أخبار يمكن استخدامها ضد النظام المصري، ومن النماذج نشرها لأخبار عن وقوع "قتلى وجرحى" في الانتخابات المصرية أثناء شهر تموز ١٩٥٧[٣]، وعن سوء الأوضاع الداخلية، واعتقال عمال مصريين لتوزيعهم منشورات معادية للنظام، واعتمدت على ما تنشره بعض الصحف العربية من نقد لعبد الناصر وحملته الدعائية على الأردن[٤].

وفي ردها على الحملات الدعائية التي وسمتها بـ "الظالمة" ركزت الصحافة على توضيح "الدور" المصري في "مؤامرات" نيسان، واضعة وصول ضباط المخابرات المصرية، وأحمد سعيد، المترافق مع قيام القوات السورية بتطويق مدينة اربد*، في إطار الأدلة القاطعة على المسؤولية المصرية عن تلك الأحداث[٥].

---

(١) راجع خطابات الملك حسين التالية لإقالة وزارة النابلسي، ج١، ص١٤٣-٢٠٣.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٦.

(٣) الدفاع ١٩٥٧/٧/١٥.

(٤) انظر أعداد جريدة الدفاع في شهر تشرين الثاني ١٩٥٧.

* دخلت لتعزيز الجبهة الأردنية خلال العدوان الثلاثي على مصر؛ الحسين، مهنتي، ص١٤١.

(5) R. J. Vol., 10, Telegram From Amman To Foreign Office, July 1957, FO371/127880, P. 203.

وكان الترويج لـ"طموحات" عبد الناصر "بالسيطرة، على البلاد العربية حاضراً في أدوات المواجهة الدعائية[١]، فتم تصنيفها "كنوايا استعمارية، ورغبات إمبراطورية"، وفي شهر تشرين الأول ١٩٥٧ دعا الملك حسين لمؤتمر صحفي لعرض، ما اعتبره "وثيقة خطيرة" تسربت من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية، فجرى عرضها في الصحافة الأردنية، والصحافة العالمية[٢].

ولم تخلُ الدعاية الأردنية من الاستعانة بالمعارضة المصرية لعبد الناصر لتقديم صورة غير إيجابية له، فأبرزت الصحافة استنكاراً لما يسمى بـ"لجنة مصر الحرة" بنيويورك للحملات الدعائية "الشريرة للبكباشي"، والمشهرة بالملك، باعتبارها ضد مبادئ الإسلام والشعوب العربية، وأنها أداة يستخدمها لتحويل أنظار الرأي العام عن حكمه "المزعزع وعهد الظلم والفساد"، وتَحَوله من أداة للسياسة الأنكلو أمريكية إلى أداة بيد الشيوعية[٣].

كما أسندت الدعاية الأردنية دوراً للعناصر المصرية الهاربة للقيام بدور دعائي عبر الصحافة الأردنية، فبعد لجوء قائد اللواء الجوي المصري عبد المنعم عبد الرؤوف –الذي قابل الملك ومنحه اللجوء السياسي–، قدم مضموناً دعائياً قارن فيه بين أسلوب الحكم الأردني والمصري، مستنداً إلى الطريقة التي تعامل بها الملك مع أفراد "المحاولة الانقلابية"، والمتسمة "بالتسامح"، في حين أن فعلاً مماثلاً في مصر كان سيحكم على القائمين به "بالشنق"، مبيناً أن ذلك شكل عاملاً جاذباً له للإقامة في الأردن مقدماً أدلته على السياسات "الخاطئة" لمجلس قيادة الثورة الذي وصف أعضاءه بـ"ضباط الانقلاب"، حيث أدت "لإفشال" أهداف الثورة وبالتحديد،

---

(١) الدفاع ١٩٥٧/٧/٣.

(٢) محمد حسنين هيكل، تطور هام في الموقف، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٩/٢/١٠.

(٣) الدفاع ١٩٥٧/١١/١٨.

تحقيق حرية الشعب، والقضاء على الفساد، وإقامة حياة نيابية، وتحقيق وحدة وادي النيل. فما حدث هو النقيض، إذ أن الشعب المصري بات تحت "الاضطهاد والاستبداد"(١).

سعى النظام الأردني للاعتماد على الصحافة العربية، في سياق بحثه عن أدوات فاعلة تسهم بالحد من تأثير الدعاية المصرية، والترويج لمواقفه ووجهات نظره.

وتنفي الأطراف المؤيدة للنظام دفع أي مبالغ مالية لها، وتبرر دفاعها عن النظام الأردني لقناعات مبدئية و"لوجود رجالات إعلام يؤمنون بصوابية المواقف الأردنية، وعدم صوابية المواقف المصرية، ومثال ذلك جريدة الحياة اللبنانية"(٢).

لكننا نجد رأياً مخالفاً، يقول بدفع المال للصحافة اللبنانية، وخاصة الصحيفة المذكورة، بالإضافة لجريدة النهار، لنشر مقالات وأخبار ضد مصر و"للتطبيل والتزمير للملك، ومهاجمة عبد الناصر"، وكانت توجه لهم الدعوات لزيارة الأردن"، مع الاحتفاء بهم من قبل المسؤولين(٣). ومما يجدر ذكره أن الحياة والنهار تصنفان ضمن الصحف ذات التوجهات الموالية للغرب، والمتعاطفة مع وجهات نظره(٤).

ويقدم ما حدث أواخر شهر تشرين الثاني ١٩٥٧، كمثال واضح؛ تجلى وذلك بمجيء وفود صحفية عراقية ولبنانية لإطلاعها على حقيقة الأوضاع في الأردن، لتكوين صورة "واضحة"، أمام ما تطلقه الدعاية المصرية من حملات "مضللة ومزيفة" وللتعرف على النهج السياسي الأردني عربياً ودولياً، ونظمت لهم مقابلات مع الملك وسمير الرفاعي نائب رئيس الوزراء، وزير الخارجية(٥).

---

(١) الدفاع ١٩٥٧/١٢/١٦.

(٢) أبو زيد، مقابلة.

(٣) الخطيب، مقابلة.

(٤) محمد خير الوادي: دليل أجهزة الإعلام في العالم (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٢)، ص ٤٤-٤٥.

(٥) الدفاع ٢٥، ١٩٥٧/١١/٢٧.

وكان من أبرز ما ظهر من نتائج ذلك التواصل، ظهور مقالات في الصحافة اللبنانية تدافع عن النظام، وتنقض التهم الموجهة إليه بطريقة منطقية ومهنية لربما افتقدتها الصحافة الأردنية، وقدم مقال جبران حايك مدير صحيفة "الناس" أنموذجاً لذلك، وقد جير مقاله للـدفاع عـن رأي عام، وشعب بأكمله لا عن النظام، ليظهر المواجهة القائمة على أنها بين طرفين وهما؛ الـشعب الأردني من جهة، والدعاية المصرية ممثلة بصوت العرب والإذاعات الأخرى، وصحفها مـن جهة أخرى.

فأكد أن الرأي العام الأردني "يعيب تورط الثورة المصرية" بـالحملات الدعائيـة ضـد الأردن، لدعوتها "للفوضى والتخريب"، واستنادها إلـى "الأضـاليل والإشـاعات والأكاذيـب"، و"وصم" شعب بأكمله "بالخيانة والتآمر"، ما أنتج رد فعل سلبية في الشارع الأردني إزاء الثورة المصرية وهو مشابهُ لما جرى في السودان في شهري آب وأيلول ١٩٥٥، عندما أدت دعايـة صوت العرب "تعطيل"، و"تضييع" فرصة توحيد "وادي النيل" على الرغم من التأييـد الواسـع للثورة في العالم العربي[١].

ونلحظ هنا تبديلاً لأهداف التهم المصرية المتعلقة بالخيانة والتآمر، فهي موجهة في الأصل للملك، ولكن الحايك حورها باتجاه الشعب الأردني، الذي أشادت الدعايـة المـصرية بمواقفـه القومية والوطنية، وهو ما قدمته مفاصل سابقة في الدراسة.

وسار الحايك بأسلوب يؤكد على خطورة الدعاية المصرية بإذاعاتها وصحفها على الثورة وعلى عبد الناصر، لاعتمادها الأساليب غير المهنية، فهي "تُسيء" إلى مصر أكثر مما "تـسيء" للأردن، فالمستمع الأردني لصوت العرب وغيرها من الإذاعات المصرية، تقـدم لـه أخبـار

---

[١] الدفاع، ١٩٥٧/١٢/٤.

ومضامين لا حقيقة لها في الواقع، فهو يستمع لأخبار عن "مظاهرات وقتلى وجرحـــى، وعـــن زيارات ومباحثات أردنية إسرائيلية، ما ولد لديهم "شك" بالدعاية المصرية.

وأكد الحايك على المفعول العكسي لدعاية صوت العرب وأن "الأســاليب المتهــورة والخطــط المحمومة، والسياسات الارتجالية، والإذاعات العنترية" أدت لالتفاف الشعب حول الملك، الذي لم تكن مواقفه "القومية" بتعريب الجيش، أو وقوفه إلى جانب مصر "تستحق" تلك المعاملة[١]. وسار الحايك لإظهار ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين لدى عبدالناصر.

لاسيما حينما تحدث عن المساعدات الأمريكية للأردن، والتي استغلتها الدعاية المــصرية كمضمون في حملاتها الموجهة ضد الملك، فنجده يوجه خطابه للرئيس عبدالناصر مؤكداً أنهـــا "ليست عيباً وقد سعيتم إليها، وأقمتم الدنيا ولم تقعدوها لأن أمريكا لم تقدم المساعدات الكافية لبناء السد العالي فلماذا تحرمون الأردن الفقير من هذه المساعدات وأنتم دوختم العالم للحصول عليها، وإذا كنتم لا تريدون للأردن قبولها، فلماذا حنثتم بعهودكم بتزويده بالمساعدات الاقتصادية"، مما أدى إلى وضعه في حالة أقرب إلى "الانهيار الكامل"[٢]. وقد شكل هذا الموقف ما يمكن اعتباره بالمرافعة الدعائية عن النظام الذي حفز كل ما لديه من أدوات ووسائل.

حرص الملك حسين على توثيق الصلة بوجهاء العشائر والقرى والمخيمات، لاسيما فـــي الضفة الغربية، وهو ما تسجله الاستقبالات المتكررة لهم في الديوان الملكي، والتي كانت علـــى الدوام تتضمن كلمات يلقيها، وتكون نقاطها الرئيسة عادة، متضمنة الحديث عن سلبية الحمـــلات الدعائية المضادة، والوحدة الوطنية والتزام الأردن بمواجهة إسرائيل[٣].

---

[١] الدفاع، ١٩٥٧/١٢/٤.

[٢] المرجع نفسه.

[٣] انظر: خطابات الملك حسين التالية لإقالة الوزارة، ج١، ص ١٤٣-٢٠٣.

واعتمدت السلطات على الوجهاء والمخاتير، ورؤساء البلديات، لمساندة النظام، من خلال الإجراء التقليدي الذي كان يتم عبر دعوتهم لعقد الاجتماعات الشعبية، ومن ثم إرسال البرقيات للتعبير عن "إخلاصهم" للملك، و"إدانتهم" للحملات الإذاعية المصرية(١).

ولطالما غصت صفحات الجرائد بالحديث عن البرقيات المنددة، والمستنكرة للحملات الدعائية المصرية والتي وصفت أحياناً لكثافتها "بالسيل العرم"، مع التأكيد على ولاء مرسليها للنظام(٢)، بل إنها امتدت وصولاً إلى الرئيس عبد الناصر وشكري القوتلي، مطالبة وقف الحملات ضد النظام، استناداً إلى الحجة القائلة بخدمتها لإسرائيل(٣).

لجأت الحكومة إلى ما يمكن تسميته، تكتيك إسقاط الأوراق، مطبقة مبدأ عدم التعمية على ما تبثه الدعاية المصرية بحق النظام، والعمل على نشره عبر الصحافة والإذاعة، إذ أن بقاء المعلومة المنشورة أو المبثوثة ضمن الممنوع، سيحولها كما مر سابقاً إلى رواية شفوية يتم تناقلها، فتصبح ورقة ضاغطة على النظام بترويجها لدعاية مضادة، يتم تضخيمها في العادة.

وظهر في الصحافة الأردنية ما يعرف "بشريط الأكاذيب" المصرية، وبدء العمل به في ١٩٥٧/١١/١١(٤)، وأُخذ بهذا النهج كردة فعل على نشر جريدة الشعب المصرية في شهر تشرين الثاني ١٩٥٧ عن اجتماع في نابلس، منتصف أيلول ١٩٥٧ ضم الملك حسين والملكة زين، وسمير الرفاعي، ورئيس الوزراء الإسرائيلي بن غوريون، ووزير الخارجية جولدامئير، لتسوية قضية اللاجئين(٥).

---

(1) R. J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 November, 1957, Fo371/127882, P. 243.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٢٢.

(4) J.R. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 November 1957, FO 371/127891, P. 241.

(5) R. J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 25 November 1957, FO371/127891, P. 394

وكان الإجراء الحكومي "تنظيم "هجوم مضاد"، بواسطة وسائل الدعاية، اعتماداً على الأسلوب الجديد، فنشرت المقالة كاملة في الصحف والإذاعة، مع الإشارة إلى لا منطقية الخبر؛ إذ أن مكان عقد المفاوضات وهو نابلس، آخر مكان يمكن أن يعقد به هكذا اجتماع، ولو قيل العقبة لكان بالإمكان تصديقه، بالإضافة إلى أن الإسرائيليين أعلنوا أن جولدامئير، كانت في وقت الاجتماع المحدد من قبل الصحيفة المصرية في نيويورك [(١)]. وقد تضمنت أخبار صوت العرب في شريط الأكاذيب مضامين خبرية متنوعة، تحمل دلالات مختلفة، ولكنها تهدف لشيء واحد هو زعزعة استقرار النظام وإضعاف الثقة به وصولاً إلى تخوينه كما اتضح من خبر اجتماع نابلس.

فبالإضافة للعلاقات الوطيدة مع إسرائيل، تحدثت عن الرشوة والفساد السياسي، والاضطرابات الأمنية المرتبطة بالمظاهرات وقطع الطرق، وسقوط القتلى والجرحى، وتحدثت أيضاً عن هروب مسؤولين، وفشل آخرين، واعتقال بعض منهم[(٢)]. ونجد من يقدم تفسيراً لمثل هذه الأخبار التي وردت في "شريط الأكاذيب" على أنه من ضمن أدوات التصدي لصوت العرب.

حيث عملت السلطات الأردنية على مواجهتها من خلال التأثير على مصداقيتها، ووضع أخبارها في إطار غير منطقي بما يؤدي إلى تشكيك الناس بمحتواها، عبر تسريب أخبار غير

---

(1) R. J. Vol., 10, Mr. R. Mason To Mr. R. Hadou, 27 November 1957, FO371/127891, P.399.

(٢) الدفاع، ١٣، ١٩٥٧/١١/١٨ ومن الأمثلة التي وردت في الدفاع: قيام السلطات الأردنية بتسليم منطقة الخليل لليهود، وزيارة عاكف الفايز وزير الزراعة إلى إسرائيل برفقة وزير الزراعة الأمريكي. وتحدثت عن عرض سمير الرفاعي مبلغ ألف دينار وسيارة أميريكية فاخرة على عبدالحليم النمر ليكون صوته إلى جانب الحكومة، ومن ضمن أخبار صوت العرب أيضاً إعلانها عن اجتياح المظاهرات للمدن الأردنية، وخاصة عمان وسقوط القتلى في إربد والقدس ونابلس، مع قطع الطريق بين عمان والقدس، ومنع المسافرين من السفر حتى إشعار آخر. أما المسافرون بين إربد وعمان فمنعوا من حمل حقائبهم خوفاً من تهريب الأسلحة. وأما السياسيون؛ ففوزي الملقي معتقل في بيته، وسمير الرفاعي يصفي أملاكه استعداداً للهرب، وعلي الهنداوي وزير التربية والعدل الأسبق يمكث في المعتقل.

صحيحة تكون بمنزلة الشائعة*، وبطرق عدة، وبمجرد بثها، تقوم الحكومة بالترويج لهـا فـي وسائل الدعاية الأردنية ونفيها[1]، ولربما كانت الأخبار الواردة في شريط الأكاذيب تدخل فـي سياق هذا التفسير. وقد يكون هذا الأسلوب باعتقادي قريبا مما أعتمده جوبلز لمواجهة وإضعاف مصداقية الدعاية المضادة للنظام النازي والحد من تأثيرها.

ويُقدم ما حدث صيف ١٩٤٣ كأنموذج معبر؛ فبعد انتشار الإشاعات عن إعدام شخصيات نازية "هامة"، أعتمد جوبلز أسلوب "المزايدة" فأوعز للأجهزة ذات العلاقة بنشر شـائعة تقـول بالقبض على هتلر، ومحاكمته، وإعدامه، مما أحدث أثراً "عميقاً"، وفي اللحظة المناسبة، ظهـر في كل مكان، "فتحطمت" الدعاية المضادة[2]، بالاعتماد على ظهور إشاعة أكبر منها، وهو مـا يمكن تسميته برأيي بالإشاعة الكبرى، والتي لا يمكن فصلها عن الكذبة الكبرى التي ذكرت في الفصل الأول من الدراسة.

وتتضح "المزاودة" في الدعاية الأردنية – إن استندنا لرأي محمد الخطيب– فـي الخبـر المتعلق باجتماع نابلس؛ فمن المعروف أن الدعاية المصرية ومنذ ما قبل حـرب ١٩٤٨ وهـي تروج للعلاقات ما بين النظام الأردني واليهود، وهنا كان لا بد من استخدام أسـلوب المـزاودة لمواجهتها، فكان خبر الاجتماع الأردني الإسرائيلي في نابلس التي وصفتها الوثائق البريطانيـة كما مر سابقا بالنهج المتشدد والمعارض للنظام، ما يعني أن المستمع للخبر من صوت العـرب لن يكون متقبلاً له لمعرفته بطبيعة نابلس وأهلها وموقفهم من النظام، وكذلك الأمر فقد اتضحت

---

* يروي محمد الخطيب وكمثال على ذلك أن صوت العرب بثت خبرا عن انفجار وقع في منزل عاكف الفايز ببيت لحم، في حين أنه كان يسكن في عمان وليس له منزل هناك.

(١) الخطيب، مقابلة.

(٢) حاتم، مرجع سابق، ص ٢١٩.

المزاودة في خبر تسليم منطقة الخليل لإسرائيل، والحديث عن اعتقالات السياسيين، ومحاولة هروبهم، والمظاهرات وأعداد القتلى والجرحى.

وقد أسهم ذلك الأسلوب "بحشد" الصف خلف الملك(١)، فحسب الوثائق البريطانية فإن الحملات المصرية أنتجت ردة فعل ملحوظة لصالح النظام، وهو ما دفعه لاستغلالها لتقوية وضعه الداخلي(٢)، كما أنها أدت لتحسين وضع الحكومة حسب رأي سمير الرفاعي وزير الخارجية(٣)، وأما النائب عبد الباقي جمو فبين في ١٩٧٥/١٢/٣ "أن صوت العرب خدمت الأردن عندما تحدثت عن الدماء التي تسيل في شوارع عمان في حين أن الناس لا يرون ذلك وهو ما سيخلف ردة فعل سلبية تجاهها وتجاه مصداقيتها بعد أن كانت مصدقة"(٤). وقد أدت الرغبة الرسمية بالحد من تأثيرها إلى الأخذ بأسلوب آخر، أعتمد عند بدايات المواجهة معها.

أفرزت الأحكام العرفية أمراً بإعادة التشويش على صوت العرب(٥)، وتتحدث تقارير السفارة البريطانية في ١٩٥٧/١١/١٧ عن العودة مجدداً إلى الأسلوب التقني في مواجهتها، حيث تجددت عمليات التشويش على الموجة المتوسطة لها، ما أدى للحد من قوة بثها، غير أن المستمعين تحولوا إلى الموجة القصيرة للاستماع إليها، ولإذاعة القاهرة على المتوسطة، وترافق هذا مع اعتماد الرواية الشفهية لنقل الأخبار، وحتى "الحملات المليئة بالأكاذيب" كتلك المتعلقة بمفاوضات بين الملك والإسرائيليين، إلا أنها كانت تلاقي مصداقية وخاصة بين الفلسطينيين(٦).

---

(1) R. J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 November 1957, Fo 371/127882, P. 243.

(2) R.J.Vol.10 Telegram From Amman To Foreign Office, 24 November1957, Fo 371/127882, P. 255.

(3) R.J., Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 13 November 1957, Fo 371/127882, P. 245.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/١٢/٤.

(5) Snow, Op. Cit., P. 114.

(6) R. J. Vol. 10, Mr. R. Mason To Mr. Hadou, 21 November 1957, Fo 371/127891, P.395.

وأجد في التقرير السالف إصراراً من الرأي العام الأردني على الاستماع لصوت العرب، وهو ما يتناقض مع ما ذكرته الآراء والتقارير البريطانية السالفة عن انحسار في مصداقيتها، وزيادة في قوة النظام، وهو ما يتناقض أيضاً مع التقرير ذاته الوارد في ١٩٥٧/١١/٢٧ عندما أكد على استمرارية ملاحقة المستمعين لبثها، وتصديقهم "للحملات الكاذبة" ونقل أخبارها شفاهية.

إلا أنه عاد للتأكيد على صعوبة استعادة وضعها السابق، حتى وإن استعادته فلا بد من أخذ التغيرات التي جدَّت على أرض الواقع بعين الاعتبار، وهي فرض الأحكام العرفية بإجراءاتها "الكابتة" لحرية التعبير، واستمرار عمليات التشويش والرقابة الصارمة على المطبوعات والمنشورات المصرية والسورية، إضافة لفقدان السياسة المصرية لمصداقيتها- دون توضيح ذلك- غير أن التقرير عاد للتأكيد على استحالة استعادة صوت العرب لمكانتها إلا إذا تباطأت الحكومة عن القيام بدورها، أو سمحت لها بالبث من فوق جبل المشارف المطل على القدس. وحتى مع ذلك، فإن تأثرها سيقتصر على "العامة، والغوغاء"(١).

وهذا تناقض آخر يقع فيه التقرير -حسب اعتقادي- ذلك أن "العامة" هم السواد الأكبر من الرأي العام الأردني، وإذا ما أخذنا نسبة الأمية المرتفعة في ذلك الوقت كعامل من عوامل تحديد "العامة" فإن نسبة هذه الفئة كبيرة جداً، بمعنى أن تأثير صوت العرب سيبقى له حيز ووجود مؤثر. وإلى جانب التشويش حاولت السلطات أن تأخذ آلية التقليد التي اتبعها الفرنسيون من قبل، وهذه المرة ليس بالمعنى الشامل* كما فعلوا، وإنما كانت في جزئية فقط.

---

(1) R.J., Vol. 10, Fo371/127891. Op., Cit, P. 396.

* كما مر في موقع سابق من الدراسة فقد أنشأ الفرنسيون إذاعة باسم صوت العرب، وكانت تبث على الترددات ذاتها مع تقليد أصوات المذيعين فيها.

فما ترويه بعض المصادر، يؤكد أن "مدير المخابرات الأردنية"، ومدير الأمن العام، وقائد شرطة العاصمة، حاولوا إجبار الطالب نبيل إنشاصي*، تحت التهديد وأحياناً باستعمال الترغيب على تقليد صوت أحمد سعيد في برنامج مشابه لبرنامج حقائق وأكاذيب، وبما ينسجم مع السياسة الأردنية، غير أن تلك المحاولات لم تنجح[1].

ظلت معاناة الملك حسين قائمة نتيجة لاستمرارية ضعف البث الإذاعي الأردني كعائق يحول دون الترويج لسياساته والدفاع عنها[2]، في حين كان عبد الناصر يعلن في ١٩٥٧/٧/٢٢ عن امتلاكه "أقوى محطات إذاعية في الشرق الأوسط"[3]، وأرى أن معاناة الملك حسين من ضعف البث الإذاعي الأردني، وعدم قدرته على مواجهة الحملات الدعائية المضادة، أدت لتوطيد علاقته مع محطات الإذاعة والتلفزة العالمية القادرة على إيصال صوته والترويج له وهو ما يظهر في وجهة نظر تعبر عن ذلك.

ويقدم صاحبها ناصر الدين النشاشيبي تصوره لتلك العلاقة، الذي نقرأ فيه: "لا أعرف ملكاً" أو حاكماً كان يشعر "بالضعف" الشديد أمام أجهزة الإذاعة والتلفزيون، كما كان الملك حسين بن طلال. كانت الإذاعة هي هواه الكبير! وكان التلفزيون هو ملعبه الواسع وكلما جاء إلى لندن في زيارة رسمية أو زيارة خاصة، كان يطلبني بالتلفون لكي يقول لي بأنه سيلتقي في

---

* عند الاتصال بنبيل انشاصي، لم ينف أو يؤكد المعلومة، وكل ما قاله: "أنا عروبي ناصري وأحب مصر وعبد الناصر، كما وإنني أنتمي لهذا البلد وأعتز به، وأفديه بروحي، وهاي مواضيع بحبش أحكي فيها"، أما صلاح نصر –الذي ذكر الواقعة في كتابه– فلم أراه إلا مرة واحدة في حياتي، وأنا أعمل مندوب للدفاع لتغطية محاكمته في القاهرة بعد حرب ١٩٦٧، وقد حضرت جلسة النطق بالحكم، أما أحمد سعيد فالتقيته في مكتبة للمحاماة الذي افتتحه بعد تركه لصوت العرب، مقابلة عبر الهاتف بتاريخ ٢٠١٤/١/١٣.

(١) نصر، مرجع سابق، ص٥٥٦.

(٢) الحسين، مهنتي، ص١٤٣.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

ذلك اليوم مع الموظفين أو رجال التسجيل أو الإعلاميين في إذاعة لندن، لأنهم يريدون –هم– منه أن يحدثهم عن أخباره... وهكذا أصبحت إذاعة لندن هي المحطة الأولى في قطار الملك حسين فوق الأراضي البريطانية.. إذاعة، ثم تلفزيون أو تلفزيون، ثم إذاعة، أو إذاعة وتلفزيون ومؤتمر صحفي! ولم لا!؟ إن الإذاعة، وخاصة الإذاعة البريطانية.. هي المدرسة الأولى*، التي عاش الملك وهو يلتقي فيها الدروس المهمة في السياسة والتعليق والأخبار!"[١].

ويؤكد النشاشيبي أن قضية الدعاية والترويج ظلت تشغل** الملك وحتى اللحظات الأخيرة في حياته، مبيناً أنه طلب منه قبل "رحلة العلاج.. أو رحلة الموت" الانتقال إلى عمان لتأسيس دار صحفية "عالمية"، تصدر جريدة يومية ومجلات أسبوعية تطبع في مختلف عواصم العالم "وتقول للأعور أعور بعينه" وفقاً لتعبير الملك حسين[٢].إذاً فقد كان همه الأول على الدوام الارتقاء بالدعاية الأردنية وجعلها أكثر قدرة على تلبية طموحاته.

ومع ما واجهه من دعايات مكثفة وصلت بتأثيرها إلى الإذاعة الرسمية، وتعطيل بث خطابه، اتجه التفكير الرسمي جدياً لتطوير الإذاعة بالاعتماد على الخبرة الأمريكية، وقد استقبل المسؤولون الخبير الأمريكي (Ding) في ١٩٥٧/١٢/٩، فقدم تقريراً عن مشروع إنشاء إذاعة

---

* يروي الإعلامي علي أسعد أحد مذيعي البي بي سي أن الملك أبلغه متابعته الحثيثة، للبي بي سي العربية والإنجليزية، خلال مقابلة أجراها معه؛ القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، برنامج من ذاكرة الإذاعة، مقابلة مع علي أسعد، 2014/١١/١ (www.bbbc.co.uk/arabic/tvandradio).

(١) النشاشيبي، مرجع سابق، ص ١٣٤.

** ظلت الإذاعة كأداة مواجهة في إطار العلاقات والصراع السياسي تشغل حيزاً مهماً في تفكير الملك حسين، ففي نهاية عقد السبعينات، ومع توتر العلاقات الأردنية السورية، حاول تأسيس إذاعة في منطقة النعيمة بمحافظة إربد، حيث التربة المنبسطة التي لا تؤثر على قوة الموجة المعمول بها آنذاك، وتسهم بقوة البث، ولكن الفكرة لم تنفذ لوقوعها في نطاق مرمى المدفعية السورية الثقيلة. بلال المومني، مهندس في الإذاعة الأردنية، مقابلة، عمان، ٢٠١٢/١٠/٧.

(٢) النشاشيبي، مرجع سابق، ص ١٢.

جديدة في عمان، واتفق على وضعه موضع التنفيذ[١]، بعدما أكدت أحداث تلك السنة على الحاجة "الكبيرة الماسة" إلى إذاعة فعالة وقوية[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن غياب الإذاعة المؤثرة، والقادرة على مواجهة الدعاية المصرية، دفع للأخذ بأساليب أخرى لسد النقص، فاعتمدت عملية تأليف الكتب كأداة للتثقيف السياسي، والدعاية، فظهر كتاب الحسين بن طلال، وفي مضمونه توضيح لما جرى عام ١٩٥٧ وما قبلها بعامين، لصلاح أبو زيد "الذي اشترك بمعركة الإذاعة والتأليف" وهو ما مهد فيما بعد لظهور كتب أخرى لذات الهدف[٣].

ظهرت العشائر على مسرح الأحداث كمؤيد للملك بمواجهة الدعاية المصرية وهو ما لم يلحظ في أحداث حلف بغداد ١٩٥٥. ويبدو أن التحول الذي حصل في الموقف السعودي متمثلاً بفك الارتباط بين المال السعودي والدعاية المصرية لعب أثراً في ذلك.

وتمثل الدور الذي قامت به بشقين، الأول: النزول إلى الشارع، والتظاهر، معلنة الولاء للملك حسين، ورفضها لمحاولات تغيير النظام[٤]. أما الثاني: فعقد المؤتمرات العشائرية المؤيدة والمساندة له، والمطالبة "بالضرب بشدة على أيدي الفئة العابثة" "وتطهير" المدارس من المعلمين الحزبيين لما لهم من تأثير على الطلاب ولدورهم بإثارة الشارع، وإرسال البرقيات إلى السلطات المصرية ودعوتها لوقف الحملات الدعائية لإذاعاتها وصحفها المتسببة بنشر "الفرقة والبلبلة" وعدم الاستقرار، وبالمقابل توجيه برقيات الشكر للملك سعود على موقفه الداعم للملك حسين[٥].

---

[١] الدفاع، ١٩٥٧/١٢/١٠.

[٢] أبو زيد، مقابلة.

[٣] سعد أبو دية، دور الكتاب والأغنية في الإعلام الأردني تاريخياً قبل وبعد ١٩٦٠، ٢٠١٠/٩/١٣ مقال، موقع عمون الالكتروني (www.ammonnew.com).

[٤] الأحمد، مرجع سابق، ص٦٤٧.

[٥] الدفاع، ٢٩، ١٩٥٧/٤/٣٠.

أما الأخوان فالتقوا مع النظام في مواجهة "خصومهم" من الشيوعيين واليساريين والقوميين[١]، وعبروا عن رفضهم لحكومة النابلسي، وأعلنوا تأييدهم للملك حسين[٢]، وأسهموا بمواجهة الدعاية المصرية الموجهة ضده، ومن ضمنها التهم الموجهة إليه بالتفاوض مع إسرائيل، رادين التهمة إلى الرئيس عبد الناصر[٣]. ومع مجيء الأخوان المسلمين من المصريين، كمحمود الشريف وكامل الشريف، فقد اعتمد عليهم في القيام بحملات دعائية ضد النظام المصري[٤]، وهذا ما دفع عبد الناصر لاعتبار تنظيم الأخوان كأداة في يد الدعاية الغربية و"الرجعية" حتى إنهم اعتبروا المسؤولين عن تنفيذ ما دعي "بحملات الأكاذيب والسب والشتم فيها"[٥].

اشتركت الدعاية السورية في حملاتها ضد النظام منذ بداية الأزمة في نيسان، وتعدى النظام السوري مرحلة الدعاية إلى قيام قواته الموجودة في الأردن منذ حرب السويس إلى تطويق مدينة اربد[٦].

وتسببت المطالبة الأردنية بسحبها أواخر أيار ١٩٥٧ بزيادة حدة الدعاية السورية ضد الأردن، وقد دخلت رئاسة الأركان السورية على خط الدعاية بإصدار بيان "تهاجم" فيه النظام الأردني، وكانت ردة الفعل ببيان مقابل لرئاسة الأركان الأردنية، وضع البيان السوري في إطار "التهجم والافتراء على رجالات البلد" ومحاولة "لتشويه" موقف الأردن "المرابط على خطوط

---

(١) مشاري الزايدي: الإخوان المسلمون في الأردن والعرش الهاشمي "صداقة الضرورات"، مقال، الشرق الأوسط ٢٠٠٥/١٠/٩.

(٢) الأحمد، مرجع سابق، ص٦٤٧؛ جونسون، مرجع سابق، ص٩٥.

(٣) الخطيب، مقابلة.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) صوت العرب، برنامج أعداء الله، محمد عروق، ١٩٦٧/٥/٣، د.م.

(٦) الحسين، مهنتي، ص١٤١.

الجهة" وخاطب بيان الجيش الأردني الرأي العام السوري لتوضيح الدور الذي يقوم به الجيش السوري، فوضع بيان الأخير خارج نطاق اختصاصاته العسكرية، وأن ما قام به عمل للدعاية السياسية، وهو ما يشكل انحرافاً عن الدور الأساسي له في حماية الوطن ومواجهة "العدو"، ولكنه استبدله بأن أصبح "وسيلة للتضليل والاستعباد"، وتحول إلى أداة بيد "أقلية مأجورة لأعداء القومية العربية" تحاول فرض وجودها على أكثرية السوريين المدركين لهذه الحقيقة، ويعجزون عن مواجهتها، لتحول الجيش إلى شرطة سياسية "توجه عدوانها إلى المواطنين". ومن الملاحظ أن بيان رئاسة الأركان الأردنية لم يصدر إلى الإعلام مباشرة، وإنما تم بواسطة الجهة المخولة بعملية الدعية، وهي دائرة المطبوعات والنشر[١].

وضع هيكل المواجهة تحت عنوان "المؤامرة الأردنية ضد سوريا"، وبدت ملامحها وفقاً له من حشد القوات الأردنية بالتزامن مع فعل إسرائيلي مماثل على الحدود مع سوريا في ١٩٥٧/٥/١٠، ما دفع سوريا لتقديم شكوى لمجلس الأمن[٢]، ولم يكتف النظام الأردني بذلك، بل طلب من الأمريكيين استخدام القوة ضدها، مستغلاً تضييقهم عليها بداعي مقاومة انتشار الشيوعية فيها[٣].

ووضع المصريون الموقف الأردني في إطار "حرب الأعصاب" التي كانت تشن من قبل الأمريكيين والأتراك، والتهديد باستخدام القوة العسكرية ضدها. ولكن الحملة الدعائية المصرية ضد تركيا، وإرسال القوات المصرية إلى سوريا غير موازين القوى[٤].

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٥/٢٩؛

R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 28 May 1957, Fo 371/ 127897, PP.422-428

(٢) محمد حسنين هيكل، الليلة والبارحة، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٦/٥/٢٠.

(٣) محمد حسنين هيكل، أسرار المواقف، أسئلة هندرسون يحملها معه عن سوريا، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٧/٩/٢.

(٤) رياض، مرجع سابق، ص١٥٢-١٥٥.

قدم السفير البريطاني في عمان وجهة نظر مغايره لما سلف؛ فاشتداد الحملات الدعائيــة ضد الأردن والذي اشترك فيه راديو موسكو أيضاً هو للتغطية على النظام "المتزعزع والفاشل" في دمشق، لا سيما بعد فشل "حرب الأعصاب" التي خاضتها سوريا ومصر ضد تركيــا، مــا تطلب شن حرب إعلامية ضد الأردن للتغطية على ذلك الفشل. وكذلك الأمر فإن عبد الناصــر أراد من تلك الحملات للتغطية على عملية فتح القنوات مع البريطانيين والفرنسيين وهو ما يعــد تراجعاً في سياساته تجاههم(١).

وفي غمرة الانشغال العربي بالدعايات البينية وانقساماتها، كانت إسرائيل تستعد للمواجهة الحاسمة بإعداد خططها العسكرية الإستراتيجية، وما يلزمها من خطوات تفصيلية لتحقيقها، فــي حين كانت الحملات الدعائية العربية، تفيض بتفصيلات كثيرة على ارتباطٍ بإسرائيل.

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 November 1957, Fo 371/127882, PP. 239-240.

الباب الثالث

إسرائيل في الحملات الدعائية

سجلت إسرائيل حضوراً لافتاً، كما سنرى، في ثنايا الحملات الدعائية العربية، وكانت هذه الحملات حاضرة أيضاً في التفكير الإسرائيلي، ولكن من زاوية تـرتبط بـالخطط الإسـرائيلية للمواجهة الحاسمة مع العرب، فما أحدثته تلك الحملات من انقسام كان هدفاً يسعى المخططـون الإسرائيليون لتحقيقه، لضمان نجاحهم العسكري مستقبلاً، والحديث عـن إسـرائيل والحمـلات الدعائية العربية، لابد وأن يقود للحديث عن الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بعـد العـدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.

بادرت إسرائيل بمجرد انتهاء حرب السويس إلى دراسة الأسباب* التي أدت إلـى عـدم تحقيق أهدافها الإستراتيجية العسكرية والسياسية، ولذلك تبنت نظريتها العسكرية الجديدة القائمة على الاعتماد على القوة الذاتية، وقوة كبرى تسند وتحمي، ولتحقيق ذلك كان لا بد من الحصول على السلاح الحديث والفعال الذي يحقق لها قوة ردع كبرى وحاسمة تجاه العـرب، وخاصـة تكوين الردع النفسي عن التفكير بالمواجهة، بالإضافة لاعتماد الحرب الخاطفة[١].

وفي ١٩٥٧/٥/١٨ اجمع مجلس الوزراء الإسرائيلي، فحدد الهدف الإستراتيجي بـاحتلال الأراضي العربية، وفرض السيطرة عليها، واستغلال ثرواتها المائية لتثبيت دعـائم إسـرائيل. للانطلاق بعدها لتحقيق "إسرائيل الكبرى"[٢].

---

* حددت إسرائيل أسباب الفشل في تحقيق أهدافها الإستراتيجية العسكرية والسياسية بما يلـي: ١- الاعتمـاد عسكرياً وسياسياً على قوى أجنبية "استعمارية" اعتماداً سافراً لتحقيق أهدافها الأساسية للحرب. ٢- تحـدي الولايات المتحدة وعدم الرضوخ لرغباتها وإستراتيجياتها في المنطقة. ٣- صمود القوات المـصرية فـي مواقعها الدفاعية، وفشل القوات الإسرائيلية في تحقيق أي نصر حاسم في أي معركة بسبب ضعف القـوات المسلحة وضعف تدريب المقاتل الإسرائيلي"؛ فتحي، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٠.

(١) المرجع نفسه، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٢.

وحُددت القوة العسكرية المصرية* كهدفٍ إستراتيجي الأولوية، كونها القوة الأولى في المنطقة التي تشكل خطراً على أمن إسرائيل وتقف عائقاً أمام تحقيق أهدافها، لذلك تقرر إيقاع الهزيمة بأكبر دولة عربية وهي مصر، والاستيلاء على أراضي جديدة لتوسيع "أرض إسرائيل"، وخاصة الضفة الغربية وغزة، وضرورة الاستيلاء على القدس الشرقية، وإعلان القدس العاصمة الموحدة لإسرائيل، وتهيئة الظروف السياسية والإعلامية الدولية لتقبل قيام إسرائيل بالهجوم، وتحقيق مؤازرة الرأي العام الدولي للعمليات الهجومية الإسرائيلية، ولتحقيق الخطة لا بد من توافر أربعة محددات رئيسة تشمل؛ ضمان التفوق العسكري على الدول المحيطة، وإعداد المسرح الدولي لتقبل عدوانها على الدول العربية، ومن ثم تأييدها، وضمان الدعم الأمريكي الكامل، وتفجير الخلافات العربية إلى الحد الذي يحول دون نجاح الدول العربية في تكوين جبهة** قادرة على التصدي لإسرائيل[1].

واستناداً لما سبق فإن من أهم البنود التي تلتقي ومسار البحث، هو التركيز على أهمية الإعلام والدعاية لتهيئة الظروف على الساحة الدولية، مما يجعل الرأي العام متقبلاً ومؤازراً للعدوان الإسرائيلي، وكذلك، التركيز على "تفجير الخلافات" والانقسامات العربية، بما يحول دون تكوين جبهة موحدة مقابل إسرائيل. بينما العرب منشغلون بتحقيق ذلك.

---

* بعد حرب ١٩٦٧ قال شمعون بيريز نائب وزير الدفاع الإسرائيلي: "لقد استغرق الأمر من القوات البرية والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الأولى من الحرب" والتي تم فيها تدمير سلاح الجو المصري تقريباً، حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص١٢٨.

** كان من أسباب اختيار إسرائيل لعام ١٩٦٧ لشن الحرب أن النزاعات والمهاترات الدعائية التي أدت لتقسيم الصف العربي بلغت مداها، كما أن دعاية إسرائيل كانت قد نجحت في تهيئة الرأي العام الدولي لتقبل ذلك وتأييده؛ رفعت السيد أحمد: ثورة الجنرال "قصة جمال عبد الناصر كاملة من الميلاد إلى الموت ١٩١٨-١٩٧٠" (القاهرة: دار الهدى، ١٩٩٣)، ص٩٥٤.

(١) فتحي، مرجع سابق، ص١٤٣.

انطلقت الدعاية الإسرائيلية بنشاط كبير في مجال الدعاية والإعلام على الصعيد العالمي* وخاصة في الغرب، ذات التأثير الحقيقي في المنطقة، وقدمت إسرائيل على أنها عصرية وديمقراطية متمدنة تدافع عن كيانها الصغير بوجه دول تحيطها وتعمل للقضاء عليها[١] مع بث ما يهول ويضخم، كالقول بعزم العرب على إلقاء** اليهود في البحر[٢]، مع تقديمهم للعالم بصورة أقرب إلى التخلف والبدائية. ومن هنا أخذ الغرب يقتنع بالمبررات التي تقدما إسرائيل

---

* بعد هزيمة ١٩٦٧ اتجه العرب لوضع إستراتيجية للدعاية العربية، وكان ذلك خلال مؤتمر وزراء الإعلام الذي عقد في تونس أواخر أيلول وأوائل تشرين الأول ١٩٦٧، حيث حددوا الأدوات والآليات المناسبة في التعامل مع الدعاية الإسرائيلية على الساحتين العربية والدولية والأساليب اللازمة لتوضيح القضية العربية للرأي العام. للمزيد؛ الدستور، ١/١٠/١٩٦٧.

(١) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج٢، ص ٣٩٧.

** يعود أصل هذه المقولة إلى عام ١٩٤٧، وبالتحديد إلى الاحتجاجات العربية التي اندلعت إثر توصية اللجنة الدولية المنبثقة عن الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، ومن ضمنها ما جرى في حيفا؛ وكان أحد الخطباء ويدعى الشيخ صبري عابدين في قمة حماسته حينما قال:"إذا كان هدف اليهود اغتصاب فلسطين فوالله سوف نقذف بهم في البحر" الذي لم يكن يبعد عنه سوى مئات الأمتار، فضجت الجماهير بالهتاف والتصفيق، وأطلقت العيارات النارية، وهو ما جذب أحد الصحفيين الأميركيين وكان يتبع إما لوكالة الأسوشيتدبرس، أو اليونايتدبرس، ما دفعه للاستفسار من مترجمه عما قاله الشيخ، فكانت الإجابة: "إذا كان اليهود يستهدفون اغتصاب فلسطين فسنلقيهم في البحر"، وعلى أثرها ترك الاجتماع ليرسل برقية نشرت بعناوين بارزة على صفحات كبريات الصحف الأمريكية والأوروبية بعنوان "عشرة آلاف عربي مجتمعون في حيفا يقررون إلقاء اليهود في البحر"، وقد التصقت هذه المقولة "المجتزأة والمفتراة في عقول ونفوس العالم الغربي وأحدثت من الضرر ما أحدثته"، حازم نسيبة: ذكريات مقدسية (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠١٠) ص٧٨-٧٩. وقد اتهم أحمد الشقيري بترديدها قبل حرب ١٩٦٧، لكن نفى متحدياً أياً "شخص أو دولة أو صحيفة" إثبات ذلك على لسانه مبيناً أن الصهيونية "تعيش على بث أسطورة سياسية ونفسية معينة تصورها بأنها هي وحدها الضحية المهددة بالفناء على يد المتطرفين العرب"، وهو ما ضمن لها تدفق المال العالمي واستمرارية الحماية الأمريكية، فاليهود وفقاً للشقيري "ماهرون في فنون الدعاية واختلاق الأقاويل، متحسراً في الوقت نفسه على ما أصدره من بيانات متعددة تفيد بعدم صلته بذلك ولم ينشر منها شيء"؛ النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٧.

لشن غاراتها واعتداءاتها، وغداً الغربيون يعتبرونها "امتداداً حضارياً لهم، وكياناً يستحق الدعم في النضال من أجل بقائه"[1].

وقد أجادت إسرائيل استخدام دعاية التضليل*، في مخاطبتها للرأي العام العالمي، ولم تتخل عنها حتى وهي في قمة انتصارها** عام ١٩٦٧، فبينما كانت الدعاية العربية ممثلة

---

(١) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج٢، مرجع سابق، ص ١٣.

* كتب هيكل بعد هزيمة حزيران "... ولقد خرجت بعد أيام قضيتها مع كل ما كتبته صحافة العالم الخارجية وفي الذات بالغرب بإحساس حزين لأن وجهة النظر العربية في كل ما كتبت لا وجود لها... ولقد أحسست أن صحافة العالم الخارجي وبالذات في الغرب كانت بالنسبة لنا ظالمة.. ظالمة... ظالمة..؛ محمد حسنين هيكل، أمام مفترق طرق، بصراحة الأهرام، ١٩٦٧/٧/١٢.

** وصلت ممارسة التعمية الدعائية من قبل القيادة الإسرائيلية إلى حد إخفاء حقيقة ما جرى على الجبهة في الساعات الأولى عن أعضاء لجنة الشؤون الخارجية والأمن بالكنيست، حيث أبلغهم دايان أن القوات الإسرائيلية تقوم بهجوم مضاد في البر والجو لصد الهجوم المصري. وحتى حينما خاطبت القيادة الإسرائيلية الرأي العام، حرصت على استمرار التعمية، فتحدثت عن نية العرب "احتلال الأراضي الإسرائيلية"، شارحة لهم ما تلقته مصر من دعم عسكري من الدول العربية، وما لدى العرب من تفوق عددي، وفي ذلك نقرا:"إن الخصم الذي يواجهنا هو أكثر عدداً، ولكننا سنجبرهم على الهرب، فنحن شعب صغير لكننا أقوياء، نحن نحب السلام، لكننا على استعداد للقتال في سبيل وجودنا وبلدنا، لاشك أن المدنيين سيواجهون التضحيات والعذاب، ولكن المجهود الأكبر مطلوب منكم، أنتم الذين تقاتلون في البحر والبر، فيا مقاتلي قوات الدفاع الإسرائيلية إن مستقبلنا كله وآمالنا كلها معلقة عليكم". ويؤكد دايان أن النزعة العربية نحو التضخيم، خدمت المصلحة الإسرائيلية، ولذا طلب من المسؤولين عن الدعاية عدم التحدث عن "الانتصارات" في يومها الأول "لنشر الفوضى" في صفوف العدو"؛ موشيه دايان: مذكرات، ترجمة جوزيف ضفر (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٨)، ص ٢٨٦-٢٨٧. والأهم أن الدعاية العربية استمرت بتضخيم الانتصارات الوهمية، حتى الساعات الأخيرة من الحرب، ولعل المتتبع لبيانات الإذاعات العربية ابتداءً من ١٩٦٧/٦/٥، سيرى تعدد أشكال الانتصارات، من حيث الاختراقات البرية، أو من حيث الأعداد المتصاعدة للطائرات الإسرائيلية المدمرة؛ بيانات الإذاعات المصرية والسورية والأردنية خلال أيام الحرب في مجلدات الرصد الإذاعي ٦، ٧، ٨، ١٩٦٧/٩، وكذلك أعداد الدستور آنذاك. ولإيضاح المفارقة نعرض لليومين الثامن والتاسع وما حدث فيهما، فقد تحدث أحمد سعيد في البيان رقم ٢٢ ليوم ١٩٦٧/٦/٨ عن القبر الواسع الذي حفر "لدفن العدوان"، وعن "العصابات" الصهيونية التي "تبعثرت" على امتداد الجبهات العربية، وعن انتصارات القوات السورية، لكن ١٩٦٧/٦/٩ شهد صدور بيان وقف إطلاق النار وانسحاب القوات المصرية غرب القناة؛ إذاعات ج.ع.م، البيان، ١٩٦٧/٨/٢٢، والبيان ١٧، ١٩٦٧/٦/٩، والمفارقة، أنه ورغم صدور البيان النهائي من القاهرة إلا أن إذاعة دمشق واصلت حديثها بعد ثلاث ساعات من صدوره وتحديداً في بيانها رقم ٤٠ عن استمرار "موسم سقوط الذباب" للطائرات الإسرائيلية؛ إذاعة=

بإذاعتها تزدحم بأخبار الانتصارات الوهمية، ركزت الدعاية الإسرائيلية على تدوير تلك الانتصارات على الساحة الدولية لتتيح لإسرائيل مجالاً زمنياً أوسع لتحقيق أهدافها، ومنع صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، ونجحت تلك الدعاية، لدرجة أن المندوبين الأردني والمصري في الأمم المتحدة، لم يستجيبا "لتوسلات" حكومتيهما المتتالية، للطلب من الأمم المتحدة، إصدار قرار لوقف إطلاق النار استناداً لما سمعا به من انتصارات عبر الدعاية الإسرائيلية[1]، وهذا ما يطرح تساؤلات حول مدى إدراك القائمين على الدعاية العربية آنذاك، ومدى معرفتهم بأساليب عمل الدعاية الإسرائيلية والأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها، وما إذا عملوا لمواجهتها وإحباطها.

أشار عبد الناصر إلى خطرها بشكل مباشر في أكثر من محطة، فبين "أن العناصر الصهيونية والدول الاستعمارية" تجهدان للقضاء على فكرة التضامن العربي[2]، مع العمل على توسيع "الهوة" بين العرب، وذلك يحقق أهدافها[3]، ولذلك فقد بدأت الصهيونية حملة دعائية "عنيفة" في الغرب بوسائلها المختلفة من إذاعات وصحف وتلفزيون، لتضليل الرأي العام،

=دمشق البيان رقم ٤٠، ١٩٦٧/٦/٩، والحقيقة أن الدعاية العربية لم تسهم بإنتاج الهزيمة من خلال ما تقدم فقط، إذ أسهمت قبل حزيران بالكشف عن الأسرار العسكرية في نطاق الحملات الدعائية المتنافسة في إبراز استعدادات كل طرف للمواجهة، ونفي تهمة الخيانة عن نفسه، وسيجد المدقق في تلك الفترة أخباراً وصوراً تفصيلية عن الأسلحة لدى الجيوش العربية، ومثال ذلك ما فعلته الدستور الأردنية بنشرها لصور تفصيلية لعملية تركيب وتجميع طائرات إف خمسة منتصف أيار ١٩٦٧، الدستور ١٩٦٧/٥/١٥؛ والأكثر غرابة، كان قيام وزارة الإعلام الأردنية بتصوير فلم سينمائي كامل عن تحرك الجيش الأردني إلى مواقع الحشد على الجبهة، وقد عم عرضه على التلفزيون اللبناني، وكذلك قي دور السينما الأردنية؛ الدستور، ١٩٦٧/٥/٢٩. كما قامت الأهرام بنشر صور وأخبار عن تحركات القوات المصرية نحو سيناء مع تحديد مساراتها، ونشرت أسماء وصور كبار قادتها بتاريخ ١٩٦٧/٥/١٧؛ الدستور، ١٩٦٧/٥/١٨. وهو الأمر الذي لم ينته حتى بعد الهزيمة، حينما نشرت الأهرام أسماء وصور ضباط وجنود البحرية المصرية الذين قاموا بتدمير السفينة الحربية الإسرائيلية إيلات؛ الدستور، ١٩٦٧/١٠/٢٨.

(١) نسيبة، مرجع سابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) تصريح الرئيس جمال عبد الناصر لصحيفة البلاد العراقية، ١٩٥٧/١١/٢٤.

(٣) حديث الرئيس جمال عبد الناصر للتلفزيون البريطاني، ١٩٥٧/٧/١.

وتحقيق أهدافها بزرع الكراهية للعرب[١]، الذين عملت على تضليلهم أيضاً، و تحويل أنظـــارهم عن الخطر الصهيوني إلى "الخطر الشيوعي"[٢] وعلى الرغم من هــذا الإدراك لقــوة الدعايـــة الإسرائيلية، وأهدافها وهو ما كان يستدعي جهداً عربياً لمواجهتها، إلا أن الدعاية المصرية ظلت موجهة للأردن الذي كان يعبر عن وعي مماثل بالأهداف والمرامي الإسرائيلية.

ركزت الدعاية الأردنية على "خطورة التصدع" والانقسام في العلاقات العربية، وصنفته كمنتج للدعاية المصرية التي لطالما أكدت أن وجود إسرائيل ينبغي أن يــؤدي لعلاقـــات قويـــة ومتينة[٣]، ولكن تلك الدعاية وقعت في تناقض ما بين النظرية والتطبيـــق، لا بـــل إن الدعايـــة الأردنية وضعت الجهد الدعائي المصري والسوري والإسرائيلي في خانة الفعل الواحد الموجـــه ضد الأردن عبر ما يبثه من "إشاعات" عن اضطرابات داخلية و"مؤامرات مزعومة" [٤].

أما مجلس النواب الأردني، فتحدث عن تناقض ما بين الدور المؤمل الذي انتظرته الأمـــة العربية من مصر للقيام بدور مؤثر ورادع في مواجهة إسرائيل، والدور الفعلي الـــذي تحـــول بواسطة دعايتها الإذاعية وما فيها من "تهم"، و "دسائس ومؤامرات" إلى "معول هدم وتخريـــب" تجاه الدول العربية "واحدة تلو الأخرى"[٥]. فإسرائيل هي المستفيد الأول، وقد استطاعت أن تدق "أسافين" الخلافات في المنطقة العربية، حتى باتت الأجواء "خصبة" لوجودها في ظـــل "الفتنـــة القاتلة".

ولقد استطاعت أن تحقق أهدافاً مهمة لقوتها وهيمنتها، حيث زادت أعداد المهاجرين بشكل كبير، وحققت "اختراقات" في آسيا وأفريقيا عادت على اقتصادها بفوائد جمة، كمـــا أن حركـــة

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

(٢) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، ١٩٥٧/٩/٨.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٥.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١٧.

(٥) انظر الملحق رقم (٢).

إنشاء المستعمرات والمنشآت الصناعية تنمو بشكل تصاعدي[١]. ولم يقتصر الرأي القائل بخدمة الدعاية المصرية للأهداف الإسرائيلية على ما كنت تردده الدعاية الأردنية.

فقد اتُهم عبد الناصر من قبل خالد العظم، الذي شغل منصب رئاسة الــوزارة الــسورية مرات عدة، "بخدمة المصلحة الصهيونية و بتفريق كلمة العرب، وتشتيت شملهم، وإلهائهم عــن الاستعداد لاسترداد فلسطين، بما أثار من فتن داخلية، وبما عَمِدَ بوسائله الإذاعية إلى هدم كيــان كل بلد عربي حتى يشغل حكامه بالدفاع عن استقلال بلادهم ومواجهة الفتن الداخلية". ولذلك فإن تهمة العمالة والخيانة للاستعمار والصهيونية "أجدر أن توجه إليه فنتائج أعماله التخريبيــة فــي الجو العربي كانت تنسجم والرغبات اليهودية"[٢].

وتقدم الأحداث في سنوات لاحقة أنموذجاً حياً لتلبية الحملات الدعائية العربيــة للرغبــة الإسرائيلية في تحقيق الانقسام، والتأثير سلباً علــى التنــسيق العــسكري العربــي، فقــد أدت الحــمـــلات المتبادلة بين صوت العرب والإذاعة الأردنية بما فيها من "مسبات وشــتائم" إلــى تعطيــل* أول محاولة لدول المواجهة، لتأسيس قيادة عسكرية موحـــــدة أواخـــــر تشريــــــن

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٩/٢٨.

(٢) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص٤٣٥-٤٣٧.

* يذكر عامر خماش الذي كان مديراً للتخطيط والتنظيم في الجيش الأردني التفاصيل المتعلقة بذلك فيقول: "على أثر بدء إسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن وجهت الأمانة العسكرية في الجامعة العربية الدعوة لدول الطوق لحضور اجتماع عسكري في مقرها بالجامعة لبحث ما يمكن عمله لمواجهة هذا الأمر. عقد الاجتماع في أواخر تشرين ثاني ١٩٦٣ برئاسة الفريق علي علي عامر (الذي مثل الجانب المصري أيضاً) وحضرت أنا الاجتماع (الزعيم الركن الطيار عامر الخماش) عن الأردن وكنت آنذاك مديراً للتخطيط والتنظيم في القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية). وبعد أن شرح الفريق علي علي عامر الأسباب التي أدت إلى هذا الاجتماع والهدف منه طلبت أنا رأسا أن أوجه الكلمة التالية (نقطة نظام) مقاطعاً الفريق علي علي عامر حتى لا يسترسل في الكلام: قلت: أعتذر لسيدي الأخ الفريق على هذه المقاطعة لكن أردت أن أوفر عليكم مؤونة الشرح وأضفت قائلا: (كلاوسزه فيتز) (أستاذ الإستراتيجية في العالم أجمع) قال: "لا يمكن أن يكون هناك تعاون عسكري بين الدول ما لم يكن هناك تفاهم سياسي بين تلك الدول" وأنا متأكد يا سيادة الفريق أنكم على علم بهذه المقولة كونكم=

الثاني ١٩٦٣[١].

ونجد رأياً آخر ذي صلة، للقيادي البعثي السوري أكرم الحوراني، يؤكد على وجود اختراقات للمخابرات الأمريكية لأجهزة الدعاية المصرية، أدت لاستمرارية توتير الأجواء العربية وبث الانقسامات وتعميقها، والعمل لوأد أي فرصة للتهدئة، وممن قام بهذا الدور الكاتب مصطفى أمين، حيث أدت علاقته بالمخابرات الأمريكية –وفقاً لهذا الرأي– إلى سجنه، ولا ينسى هذا الطرح، الإشارة للعلاقات الوثيقة التي كانت تربطه بمحمد حسنين هيكل، الذي كان دائم الزيارة له، حتى أنه ألح على السادات فيما بعد لإخراجه من السجن[٢]. وعلى ما يبدو لي فإن الإشارة لهيكل، قد تكون حاملة لسمة التوريط لاسيما أنه كان له كثير من الانتقادات الموجهة[*] لصاحب الرأي في بعض المحطات الفاصلة.

=خريج كلية الأركان البريطانية عام ١٩٣٧ عندما كنت أنا لا أزال على مقاعد الدراسة. يا سيدي الفريق: صباح هذا اليوم وأنا في طريقي إلى مطار عمان لحضور هذا الاجتماع سمعت من خلال المذياع الذي بالسيارة: صوت العرب تكيل الشتائم للأردن وللمسئولين في الأردن وكانت الإذاعة الأردنية بدورها تقوم بالإجابة بنفس الأسلوب (كما تدين تدان). هذا الوضع ما بيننا لا يساعد على أي نوع من التعاون وعليه أطلب إنهاء الاجتماع عند هذا الحد، وتدخل مندوب سورية العميد الركن يوسف شكور مدير العمليات في رئاسة الأركان السورية. وقد أبدنى بقوله: أثنى على ما جاء على لسان المندوب الأردني"عندها قال علي علي عامر: " أغلقوا الملفات التي أمامكم يا أخوان لم يعد هناك ما يبحث، ويا أخ عامر خماش ما هو اقتراحكم طالما تقدمتم بهذا الإيضاح فأجبته: على كل واحد منا أن يبلغ رئيس دولته بما تم اليوم حتى إذا ألهمهم الله على التفاهم السياسي عدنا للاجتماع لبحث موضوع التعاون العسكري؛ العرب اليوم، ٢٠٠٩/٩/١٣.

(١) العرب اليوم، ٢٠٠٩/٩/١٣.

(٢) العرب اليوم، ١٩٩٧/٩/١.

* كان لهيكل مواقف يمكن وصفها بالحادة من حزب البعث وقادته، ومن ضمنهم أكرم الحوراني، فقد هاجمهم بسلسلة من المقالات خلال شهري آذار ونيسان ١٩٦٣، نتيجة لمواقفهم المموهة، التي كانت تعيق مباحثات الوحدة الثلاثية، وأدت لإفشالها لاحقا، ومن تلك المقالات، المقال الأشهر "إني اعترض"، والذي هاجم فيه قيادة حزب البعث، مبيناً أن أكرم الحوراني رئيس حزب البعث لحظة وقوع الانفصال، وقع عريضة الانفصال، وشارك في حكمه" وكان عقله المفكر حتى آخر يوم لسقوطه، كما أن صلاح البيطار وقع أيضاً على العريضة، وقدم ميشيل عفلق تبريرات متعددة للانفصال؛ محمد حسنين هيكل، إني أعترض، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٣/٣/٣١.

وللتدليل على خدمة الدور المصري لصالح إسرائيل ضربت الدعاية الأردنية مثلاً بالملحق العسكري المصري محمد يونس الذي خول بتنسيق الاتصالات بين الأردنيين والسعوديين والسوريين والمصريين في القيادة الموحدة بمواجهة إسرائيل، ولكنه استبدل دوره بالتنسيق بين الضباط "المتآمرين" والسلطات المصرية[١].

ورغم ذلك تؤكد الدعاية الأردنية أنه وبعد وقوع الأحداث فإن الأردن ارتأى أن تبقى كقضية داخلية مقابل إصرار مصري على "نشر الغسيل"، وهو ما جعل القضية سلاحاً دعائياً بيد إسرائيل، لإحداث المزيد من الانقسام[٢]، المترافق مع انعكاس سلبي على الصورة العربية في الدعاية العالمية، أدى لإضعاف المطالب العربية بحل القضية الفلسطينية[٣]. وقد واجهت الإذاعة الإسرائيلية فكرة إخفاء الخلافات بسخرية مؤكدة أن العالم يراها فهي "مكشوفة للعيان"، فلا يمكن أن يخفى أمرٌ واضح.. وضوح الشمس في الصحراء العربية المحرقة"[٤]. ولعل المفردات التي استخدمتها الدعاية الإسرائيلية تعطي انطباعاً للمستمع بفضائحيه ما يجري على مرأى من الرأي العام الدولي، وهو ما يعد جزءاً من الحرب النفسية الساعية لتعزيز فكرة الضعف والوهن لدى المواطن العربي.

ورأت الدعاية الأردنية عبر صحافتها أيضاً، أن الحملات الدعائية العربية البينية وفرت على إسرائيل عبء القيام بدعاية مضادة للعرب، لدرجة وصلت إلى تأخير تمديد بثها الإذاعي باللغة العربية[٥]، إلى ست ساعات، وعزت صحيفة فلسطين الأمر إلى تكفل أطراف الدعاية

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 17 June 1957, Fo 371/127891, P.386.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٥/٢٩.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٢١.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٤/٢، ج ١٠١-١٤١.

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/١١/١٨.

العربية المتضادة بدور من المفروض أن يناط بإسرائيل وأدواتها[١]، ولكن الدعاية العربية لعبت دوراً مؤثراً في صناعة الانقسام العربي وبطرق شتى.

فالدعاية المصرية -مثلاً- اتجهت لتثوير "العاطفة العدائية" في الشارع الأردني ضد النظام، بحديثها عن وجود اتصالات واجتماعات "لتصفية" قضية اللاجئين، وهي نقطة ظل الإعلام المصري متأهباً لاستخدمها للضغط على النظام باستمرار لإثارة القلاقل[٢]. وهو ما عده الملك حسين "تشويشاً لن يستفيد منه سوى الأعداء"[٣]، ولكنه أفرز موقفاً "حازماً"، فجريدة الجهاد أكدت أن الملك على استعداد للتضحية بعرشه في سبيل "إبادة إسرائيل"[٤]. وأرى أن هذا الإفراط في التعبير جاء لمواجهة حدة الدعاية المصرية وما تحمله من معاني التخوين والعمالة.

وقد أثر استخدام الإعلام والدعاية المصرية لمقولة، أو إشاعة العلاقات مع إسرائيل أو "العمالة لها" إلى موقف أردني متصلب فيما يتعلق بتفتيش القوافل الإسرائيلية المزودة للجامعة العبرية ومستشفى هداسا- الواقعتين في إطار المساحة الخاضعة للسيطرة* الأردنية في القدس- بالمؤن، فالتعنت بات سمة رئيسية لموقف الملك في هذه القضية. حيث أصدر أوامره لقيادة الجيش "بالحزم" مع الاستفزازات الإسرائيلية المتمثلة "بإقامة التحصينات في تلك الأماكن"، حيث

---

(1) R.J.Vol, 10. Mr. Mason To Mr. Hadou, 27 November 1957, Fo 371/127891, P. 395.

(2) R.J.Vol,10, Extract From Letter From Mr. Mason To Mr. Hadou, 17 July 1957, P. 545.

(٣) خطاب الملك حسين بوفود لاجئي نابلس، ١٩٥٧/٧/٢٤، ج١، ص١٦٧.

(4) R. J. Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 24 July 1957, FO371/128115, P.543.

* ظلت هداسا والجامعة العربية تحت السيادة الإسرائيلية، رغم وقوعهما في منطقة السيطرة الأردنية، وتم ذلك بموجب اتفاقية وقعتها القيادة البريطانية للجيش الأردني مع اليهود في ١٩٤٨/٧/٧ وقبل إنهاء الهدنة الأول بيوم واحد. مع العلم بأن المكانين كان في حالة تطويق من قبل الجيش الأردني وفي عزلة عن المواقع اليهودية الأخرى، وتحت مرمى مدفعيته، وقد كان عازماً على احتلالهما وبسهولة لولا معارضته كلوب. وتضمنت الاتفاقية: تجريد المنطقة الحاوية لهداسا والجامعة العبرية من السلاح، ووضعها تحت إشراف الأمم المتحدة وإنشاء منطقة حرام بين الجانبين العربي والإسرائيلي على أن تقام فيها مراكز تفتيش للأمم المتحدة، مع تزويدها بالمؤن، كما تمت الاتفاقية بعدم استخدام المنطقة لأغراض عسكرية، وهو ما لم يف به اليهود، حيث حولوا المكانين لقلاع عسكرية في الخطوط الخلفية للقوات العربية، وهو ما أسهم بتغيير موازين القوى إثر تجدد المعارك بعد انتهاء الهدنة الأولى؛ الكيالي، ج٤، مرجع سابق، ص ٥١٢.

أن التهاون معها كان سيمنح الدعاية المصرية والسورية محتوىً جديداً لحملاتها ضد الأردن بما يسهم بتأجيج الانقسام(١).

وقد أدى الموقف الأردني إلى إيصال "التعديات" الإسرائيلية إلى مجلس الأمن الدولي، وفي هذه اللحظة كان الملك يخشى ردة فعل "سلبية" للإدارة الأمريكية إزاء الشكوى، ما سيقدم "سلاحاً" جديداً يستخدم ضده في الحملات الدعائية للمصريين والسوريين(٢)، غير أن النتيجة النهائية كانت لصالح الملك، ففي ١٩٥٨/١/٢٢ أقر مجلس الأمن وقف اختراقات الهدنة في جبل المكبر(٣).

أكد الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٥٧/٧/٢٢ أن الصورة لم تتبدل بالنسبة للدور الذي يلعبه النظام الأردني في خدمة إسرائيل والمصالح الاستعمارية. فلا زال يراوح مكانه في إطار "التآمر.. والخيانة" كما حدث عام ١٩٤٨ حينما ترك الجيش المصري* وحيداً في ساحة القتال أمام القوات الإسرائيلية التي فُتحت لها الطريق "للهجوم" عليه، وكل ذلك مع الانسحاب الأردني من اللد والرملة، والتقاعس عن نجدة المحاصرين المصريين في الفالوجه، في حين أن الجيش السوري وصل الخليل، ولكن معوقات حالت دون وصوله(٤).

وفي السياق السالف نجد أن الرئيس جمال عبد الناصر يقدم دوراً مضخماً للجيش السوري ودوراً خيانياً للجيش الأردني، تم توجيهه إليه من قبل النظام مما أدى لتثبيط جهود الجيش

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 25 July 1957, Fo3FO 371/128162.P.492; Memorandum By Mr. Hadou, 22November1957 FO371/128162 PP.524-525.

(2) R.J.Vol.10, Telegram From New York To Foreign Office, 26 November 1957, Fo 371/128149, P.540

(٣) الدفاع، ١٩٥٨/١/٢٣.

* في خطاب له بمناسبة تخريج دفعة جديدة من الكلية الحربية بتاريخ ١٩٥٥/٣/٣ أكد عبد الناصر أن "... الجيش المصري لم يحارب مطلقاً في حرب ١٩٤٨، ولكنه كان "ضحية للغدر والخيانة، ضحية للهدنة، ضحية لحلفاء إسرائيل"؛ الأرشيف الإلكتروني للرئيس جمال عبدالناصر.

(٤) عبدالناصر، مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

المصري صاحب المظلومية، ولعل الاستعانة برأي فلسطيني بتعلق بوقائع ١٩٤٨ يمكن أن يبين لنا مدى التحوير الدعائي الذي تم لتحريك العواطف وتثويرها.

يوضح لنا ذلك الرأي أن الجيش الأردني كان "كفوءاً للقتال" وهو "مؤلف من رجال لا يقلون إخلاصاً لواطنهم من رجال أي قطر آخر من الأقطار العربية"، إلا أن الأردن "جيشاً وحكومة وملكاً" كان تحت السيطرة البريطانية "ولا يستطيع أن يفعل إلا ما ترضاه". أما الجيش السورية فلم يكن يمتلك الجهوزية القتالية عام ١٩٤٨، وكان تعداده خمسة عشر ألف رجل "قليل منهم المدربون على القتال ومعظمهم من الأشخاص الذين خبروا أعمال الأمن والدرك فقط" في حين أن من زحف منهم إلى فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ لم يزد عن ألف وخمسمائة مقاتل، خاضوا عدة معارك شمال فلسطين، لكنهم ما لبثوا أن انسحبوا أمام التفوق العسكري اليهودي في ١٩٤٨/٥/٢١ حيث كان سقوط سمخ[١].

لقد اعتبر الملك حسين أن دعاية عبدالناصر بخصوص حرب ١٩٤٨ "مغالطة" تاريخية و"جهل فاضح بالحقيقة"[٢]، واندفعت الدعاية الأردنية تقدم القراءة الرسمية الأردنية للحدث عام ١٩٤٨، وقبل ذلك التأكيد على ثوابت ومنطلقات تنازعت أحقيتها الدعاية المصرية.

فأكدت أن "القومية العربية لم تستيقظ على ضفاف النيل، وإنما قامت في بطاح مكة المكرمة وبادية الشام وشواطئ دجلة، وليس من السهل أن يدعي قيادتها من لم يكونوا من أبنائها، أما الوحدة العربية فالأردن هو وريثها وهو الذي يقف على خط الدفاع الأطول مدافعاً عنها"[٣]، وبعد هذا التأصيل لأحقية النظام الأردني بوراثة الأفكار القومية، الوحدوية، ومحاولة

---

(١) عارف العارف: نكبة فلسطين والفردوس المفقود، ج٢، (د.م: دار المهد، ١٩٥٦).

(٢) خطاب الملك حسين بنادي الضباط، ١٩٥٧/٨/٧، ج١، ١٧٢؛ الدفاع، ١٩٥٧/٨/٨.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٩.

نزع الشرعية عمن ادعاها وفقاً للموقف الأردني، انطلقت الدعاية الرسمية إلى تفاصيل الهزيمة عام ١٩٤٨.

فادعت أن حصار الفالوجة "أسطورة " لإلهاء المصريين عن هزيمة الجيش المصري....." وأما معاهدة رودس، فمصر أول من وقعها مع اليهود، وأما الجيش الأردني، فذكّرت بمحدودية قدراته من حيث العدد والعدة مقارنة بالجيش المصري والسوري، مع التأكيد والتذكير بأن من أسباب ثورة عبد الناصر هي "الخداع والتضليل وطمس الحقائق"(١)، فلولا النتائج " المؤسفة والخطيرة" لتلك الحرب ما استطاع الوصول لحكم مصر، فالأجدر أن يتعامل مع الهزيمة كعبرة وليس "كسلاح لتجريح"، والدعاية وإثارة الانقسامات(٢).

استغلت الدعاية الأردنية الإطار الذي وضعه عبد الناصر للدور الأردني في حرب ١٩٤٨ وما أدى إليه من أجواء للنفاذ منه، والحديث عن آلية حكمه للشعب المصري بوضعه في سياق من القلق والخوف المستمر لوجود أخطار خارجية محدقة كـ"الحرب النفسية، والضغوط الاقتصادية، والجوع والحقد والكراهية، والغزو من الداخل" بما يؤدي في النهاية "لاستسلامه للسلطة المطلقة"، وتسييره كيفما شاء عبد الناصر، الذي يعد نفسه العارف الوحيد بحقيقة الأخطار، وفي الوقت نفسه صانع الانتصارات في القناة وسيناء، وحتى حرب ١٩٤٨، واتفاقية رودس التي أدت إلى تسليم النقب، وهو أيضاً متحدي الضغوط الاقتصادية، فيما الهزائم والنكسات تعزى لغيره، إذ أن الانتصارات أمر ضروري لإضفاء هالة على الزعيم "وإبقاء الشعب في قبضته" في واقع يعاني هو شخصياً من انعدام الاستقرار النفسي(٣).

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٩.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٨.

(٣) المرجع نفسه.

لقد شكل وجود إسرائيل والقضية الفلسطينية وما للأردن من ارتباط بهما عبر أحداث مضت، أو إشاعات تطلق أو تفسيرات غير منطقية بالنسبة للنظام، أو اتهامات بالعمالة والخيانة والتآمر، حافزاً نفسياً له للبحث عن مضامين أكثر تأثيراً وفاعلية في مواجهة الدعاية المصرية التي جعلت من النقطتين السالفتين وما يتعلق بهما سلاحاً للحرب النفسية وتشويه الصورة، ومن هنا اتجهت الدعاية الأردنية إلى مضمون دعائي ظل يستخدم في مواجهة عبد الناصر حتى ما قبل ١٩٦٧[١].

يخبرنا التدقيق بمسار الدعاية الأردنية، أن الترويج لتلك الفكرة انطلق عبر صحيفة أمريكية، أجرت مقابلة مع الملك حسين في بداية شهر تموز ١٩٥٧ دعا فيها لضرورة انسحاب قوات الطوارئ الدولية وحلول القوات المصرية مكانها، ولكن الأهم تركيزه على ضرورة تنوير الرأي العام العربي بالترتيبات التالية لانتهاء حرب ١٩٥٦[٢]، وهي الترتيبات التي لم تلق اهتماماً دعائياً كما سلف، وهو ما تحدثت به المصادر المصرية نفسها أيضاً، وقد أخذت الدعاية الأردنية ذلك الدور لاسيما بعد خطاب ناصر السالف في ١٩٥٧/٧/١٢.

فما أسمته الدعاية الأردنية "بالمصدر السياسي" الذي خرج للرد على الخطاب، قدم ولأول مرة النقاط التي صنفت تحت بند ما يؤخذ على من "أضفى على أعماله هالةً من النور ليستمر في الحكم" وهي خروج الجيش المصري من غزة وتركها في حماية القوات الدولية، "واحتلال قسم عزيز من أرض مصر الشقيقة من قبل تلك القوات التي لا تزال تمكث في شرم الشيخ، ومضائق خليج العقبة، والسماح للسفن اليهودية والأسطول اليهودي بحرية المرور والتنقل بالخليج تحت سمع مصر وبصرها، وبحراسة القطع البحرية المصرية ومنها: إبراهيم الأول،

---

(1) Richard Bordeaux Parker: The Sex Day War Retrospective, (Florida: University Press Of Florida, 1996), P. 179.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٤.

وتشكيل وحدات مدرعة وآلية ووحدات مشاه إسرائيلية بالأسلحة المصرية التي خلفتها لهم القوات المصرية في سيناء، والسماح لسفينة التجربة التي فتحت بها إسرائيل القناة بالمرور، في الوقت الذي كان فيه الرئيس المصري يلغي خطابه... في مجلس الأمة..."[١].

وظلت الدعاية الأردنية تؤكد باستمرار أنه مهما حاولت الدعاية المصرية القيام بعمليات التعمية والتغطية، فإن وجود قوات الطوارئ الدولية يبقى "أكبر ثغرة في التخطيط العربي المشترك"، وهو ما يبقى الجبهة المصرية جبهة مغلقة وغير مفتوحة على القتال[٢].

وكانت دائرة صنع القرار الأردني، تدرك أن ذلك المحتوى "لعب بالنار" لأنه يدفع بالرئيس جمال عبد الناصر نحو قرار أو فعل "ضار" بالقضية العربية[٣]. ولكننا نجد تبريراً يقول بأن "حرب الإعلام"، وما كان فيها من حملات "مستعرة" ضد الأردن، دفعته للأخذ بذلك المضمون كخيار دفاعي[٤].

وأكدت الإذاعة الإسرائيلية في برنامج أكاذيب وحقائق بتاريخ ٨/٢٢ /١٩٦٠، أن استخدام إذاعة عمان موضوع قوات الطوارئ الدولية، لمهاجمة الرئيس جمال عبد الناصر، بأنه محاولة لرد "الصاع صاعين" على تهم الخيانة والعمالة التي يوجهها للنظام الأردني وتحميله مسؤولية "ضياع فلسطين"، "فحكام الأردن لا يبحثون عن الحقيقة" وإنما هي محاولة للتضييق عليه في "حرب الدعاية، وهم بذلك يدفعونه نحو الانتحار"، لأن قرار سحب قوات الطوارئ سيؤدي إلى حرب مع إسرائيل، "يعرف الأردنيون نتيجتها مسبقاً"، ورغم ذلك يستمرون بالتركيز على

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٩.

(٢) الدستور ١٩٦٦/٢/١١.

(3) Parker, Op. Cit. P. 179.

(٤) نسيبة، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

ضرورة سحبها[١]. ويدفعنا تنبؤ الدعاية الإسرائيلية السالف، للتوقف عند بعض الآراء المصرة على تحميل الدعاية الأردنية وزْرَ دفع عبد الناصر نحو حرب حزيران ١٩٦٧ لاسيما وأنها استمرت حتى قبيل وقوعها بوقت قصير مشهرة بما تلا حرب ١٩٥٦ من ترتيبات وتحديداً ما كانت تسميه "اختباء الرئيس جمال عبدالناصر خلف قوات الطوارئ" كسلاح فعال لمواجهة دعايته[٢]. وتقدم لنا المصادر أراءً متنوعة حول تلك النقطة من حيث أسلوب تناولها، أو من حيث ارتداداتها على حالته النفسية.

فيذكر أنتوني ناتنج في مؤلفه "ناصر"، أن الدعاية الأردنية استمرت " ترددها بنغمة ساخرة"[٣]، في حين يؤكد رفعت السيد في كتابه "ثورة الجنرال"، بأن تكرار الدعاية الأردنية لها مع "وصمة بالجبن"، كان يستفزه[٤]، أما حازم نسيبة وزير الخارجية الأردني الأسبق، فيؤكد بأن استخدام ذلك المضمون سبب "حرجاً وحساسية" للرئيس جمال عبد الناصر، والقيادة المصرية[٥]، ويذكر محمد حسنين هيكل في "الانفجار" أن المحتوى الدعائي المتعلق بقوات الطوارئ، دفع بوزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة المصرية، عبد الحكيم عامر ليطلب من عبد الناصر في كانون أول ١٩٦٦، "ضرورة بحث سحب القوات الدولية"، لإسقاط الورقة من يد أولئك "المشهرين" بمصر"[٦].

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق، ١٩٦٠/٨/٢٢، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(2) Parker, Op. Cit. P. 178-181.

(٣) ناتنج، مرجع سابق، ص ٤٤٢.

(٤) السيد، مرجع سابق، ص ٩٠٨؛ كوبلاند، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٥) نسيبة، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٦) محمد حسنين هيكل: الانفجار (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤)، ص ٤٠٨.

وهي الخطوة التي حدثت بمنتصف أيار ١٩٦٧[١]، بعدما "صعدت الحملة الإعلامية الهجومية الأردنية من حدة الحرب الباردة العربية"، وأسهمت بدفع عبد الناصر إلى الحرب، دونما تخطيط، أو رغبة بها[٢]، وظهر ملامح ذلك بعد الهزيمة وتحديداً في ١٩٦٧/٧/٢٣، بتبريره لقرار سحب القوات الدولية، حينما أكد أن ما فعله كان " من الأمور التي ألح عليها إخواننا العرب دائماً وطالبونا بها..." [٣]، ولعل المدقق بأعداد الصحافة الأردنية في الفترة السابقة لاتخاذه القرار سيجد أنها كانت تكرر اتهامها له بالتخاذل عن القيام بعمل حقيقي لصالح فلسطين، استنادا لما أفرزته حرب ١٩٥٦ من وقائع.

واستبقت ذلك بتركيزها الساخر على ما لدعايته من " قدرة ذكية على تحريف الحقائق و"التعمية الدعائية" على النتائج الفعلية للحرب وبالتحديد ما هو متعلق بقوات الطوارئ، وما ترتب عليها من "انسحاب مصر الفعلي من مسرح العمل الفلسطيني" وهو ما أخفته عن الرأي العام العربي، وعلى الأخص ما فيه من "أبرياء وبسطاء"، ليبقوا في جهل عما أقدم عليه، وهو ما لم يفعله "أي زعيم عربي آخر"، ممن يوجه إليهم " تهم الخيانة"، في حين يبقى "آمناً على نفسه من كل حساب وعقاب"، ولكن مع معاناة "وإحساس داخلي بالتقصير بحق فلسطين"[٤].

وقد سعت الدعاية الأردنية عام ١٩٥٧ لتغليف دعايتها المرتبطة بحرب عام ٥٦، بشيء من المصداقية والمنطقية، عبر الاعتماد على بعض أفراد المعارضة المصرية، للقيام بما أكدت على أهمية من تنويرٍ للشارع بحقيقة ما جرى، فاستغلت هروب من دعته بقائد اللواء الجوي المصري عبد المنعم عبد الرؤوف، ونظمت له مؤتمراً صحفياً تحدث فيه مجدداً عن النتائج

---

(١) الدفاع، ١٩٦٧/٥/١٨.

(٢) شلايم، مرجع سابق، ص ٢٨١.

(٣) خطاب الرئيس عبدالناصر بمناسبة العيد الخامس عشر للثورة، ١٩٦٧/٧/٢٣.

(٤) الدستور، ١٩٦٧/٥/٢.

العسكرية التي تشكل "اعتداءً على السيادة الوطنية"[1] والواقع أن مضمون الدعاية الأردنية كـــان له من يؤيده داخل دائرة الحكم المصري، وهو ما لم يظهر إلا في وقت لاحق.

حينما أكد أنور السادات في مذكراته أن نتيجة حرب ١٩٥٦ كانت هزيمة عسكرية حولت إلى نصر سياسي، أقرب إلى "خرافة كبيرة" صدقها عبد الناصر وجعلتـــه بطـــلاً فـــي العـــالم العربي[2]. وما يجدر ذكره، أن المضمون الجديد في الدعاية الأردنية حـــول قـــوات الطـــوارئ الدولية، ترافق بمضامين أخرى ذات ارتباط.

فها هو الملك حسين يربط بين تخلف الجانبين السوري والمصري عن دفع "التزامـــاتهم" العربية، و"نقضهما لواجب قومي مقدس" ما أعاق تغطية نفقات الجيش الأردني[3]، وهو ما عده تنكراً لقضية فلسطين، بعد أن جمدها، من ادعوا البطولة وجعلوها تتراجع، وتعود للخلف مراحل وأشواط[4]، وبالمقابل يحدد دوره بطموح يصل إلى تحرير واسترداد فلسطين[5]، مـــع التمـــسك بالدور الأردني في الدفاع عن الأمة[6]، بغض النظر عما يلاقيه من دعايات تحاول ثنيـــه عـــن مواجهات إسرائيل[7].

وتلخص وجهة النظر الرسمية الدور الذي قامت به الدعاية المصرية، وبالتحديد صـــوت العرب بالباعث على "البهجة" والعائد "بالفائدة" على إسرائيل فهي الجهة الوحيدة التي سلمت من

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/١٢/١٦.

(٢) السادات البحث عن الذات، ص١٩٤.

(٣) خطاب الملك حسين بافتتاح الدورة الثانية لمجلس الأمة، ١٩٥٧/١٠/١٠، ج١، ص ١٧٩-١٨٠.

(٤) خطاب الملك حسين بنادي ضباط الجيش العربي، ١٩٥٧/٨/٧، ج١، ص ١٧٠.

(٥) خطاب الملك حسين في إحدى الوحدات العسكرية المرابطة فـــي الـــضفة الغربيـــة، ١٩٥٧/١٢/١٢، ج١، ص٢٠٠.

(٥) أبوزيد، مقابلة.

(٧) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٢٠.

أذاها[١]، وهو ما جعل خالد العظم يعبر بسخرية عن الدور التي كانت تقوم به تلك الدعاية، حينما تمنى أن يقوم عبد الناصر "بالهجوم بالإذاعات على بن غوريون وأعوانه اليهود" لعل وعسى أن يؤدي ذلك لزوال إسرائيل من الوجود[٢] واستناداً إلى تلك الحملات الدعائية وما خلفته من انقسام، تكونت صورتين متناقضتين لطرفي الصراع في الشرق الأوسط.

طرف تسوده الفوضى والانقسام والاضطراب ويمثله العرب، والطرف الآخـر، تمثلـه إسرائيل، باستعدادها العسكري على أساس التخطيط والإعداد على قواعد علمية[٣] مع استمرارية أدواتها الدعائية بتغذية الحملات الدعائية البينية في الجانب العربي.

تقدم الآراء تأكيداً على أن صوت العرب كان "سلاحاً" فعالاً أكثر من كونه "صوتاً جامعاً"، ولكنه لم يكن إيجابياً في محصلته النهائية؛ إذ أنه أنتج الأذى "لمن أوجده، ولمن وجه إليـه مـن "الخصوم والأعداء"[٤]، ولعل الواقع والتحليل، يبين لنا أن أولئك الخصوم والأعداء ما كـانوا إلا عناصر الجبهة المفككة، بفعل الدعاية البينية، التي استغلتها إسرائيل بأسلوب علمـي، ويرينـا الجانب التاريخي للدعاية سابقةً تبين أهمية اعتماد هذا الأسلوب للتعرف علـى تفكيـر الآخـر، والتنبؤ بخطواته المستقبلية.

وتتضمن سيرة الدعاية البريطانية تجربة مهمة في هذا المجال؛ فمن خلال المتابعة الدقيقة لمحتوى الدعاية الألمانية مع بداية الحرب العالمية الثانية، بما فيها من صحف وإذاعات وأفـلام سينمائية، سواءٌ الموجه منها إلى الداخل أو الخارج، تمكن البريطانيون من توقع الغزو الألماني

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, Fo 371/127752, PP. 286-289.

(٢) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص١٧٦.

(٣) ناتتج، مرجع سابق، ص٤٤٢.

(4) Laura M. James, "Article" whose voice? Nasser, The Arabs. And "Sout al-Arabs" Radio (www.tbs.Journal. com/James. html).

للجزر البريطانية عام ١٩٤٠[١]. وبالإضافة إلى التعرف على نوايا العدو، من خلال هذا النهج، فقد استغل من الطرف الإسرائيلي للقيام بحرب نفسية مناوئة للعرب.

فقد كانت الإذاعة الإسرائيلية تقوم بمتابعة دقيقة للإذاعات العربية، وحملاتها الدعائية البينية على مدار الساعة، تسجلها، وتوثقها وتؤرشفها، وتحدد موضوعاتها، وتوقيتها، وأسماء المذيعين، وكتاب المقالات، لتقوم بتدويرها، وإنتاجها، من جديد من خلال برامج وتعليقات متنوعة، بما يسهم في استمرارية الانقسام، وبث الحرارة فيه، حال خموله أو سكونه متعمدة إثارة روح الثأر والتشظي، مع التركيز على إبراز الشتائم* والمسبات، ضمن أسلوب من الوعظ والإرشاد، يدعو لاتباع الحوار والمنطق في الدعاية العربية بعيداً عن استخدام المنهج البذيء[٢]. ويستوجب البحث في هذه النقطة التذكير بأن الدعاية الإسرائيلية الناطقة بالعربية والمستهدفة

---

[1] Bruce Lannes Smith, Hrold D. Lasswell, And Raleph D. Casey: Propogranda Communication, And Public Opinion, A Comprehensive Reference Guide (Princeon: Princeton University Press, 1946), P. 81.

* مثال ذلك ما بثته الإذاعة الإسرائيلية في ١٩٦٠/١١/٢٠ لمقتطفات من تعليقات تعود لعام ١٩٥٧ وما بعد، وتحوي ألفاظاً "بذيئة" ومنها صوت صلاح أبو زيد: "باستطاعتنا أخي المواطن العربي أن نقول لك تعال نبصق سويه في وجه جمال عبد الناصر وفي وجه الدعارة والخيانة وصوت الدعارة والخيانة". صوت مذيع عراقي: " ... كلاب، أنذال، خونة، مجرمين، مطايا للمستعمرين" صوت مذيع دمشق: " .. أعتقد أن الملك المرتزق أصابه الجنون"، صوت مذيع القاهرة " الحبيب البغيض بورقيبة ينفث سمومه في تصريحات تفوح منها الخيانة"، صوت أحمد سعيد" " ...تصور يا أخي أنهم علقوه من أعضائه التناسلية". هتافات لمظاهرات في عمان: "يا جمال يا ديوث". صوت صلاح أبو زيد: "ثم ينتهي صوت الدعارة والخيانة.. فيورد في حمأة التحشيش..". صوت طارق مصاروة من عمان: "الشعب الأردني عظيم ... قبل أن يولد البوسطجية في مصر" ويعلق المذيع: إن القصد من بث تلك الحملات "البذيئة" هو ليس من شتم أم لم يشتم، القصد هو تحليل ظاهرة الشتم؛ الإذاعة الإسرائيلية التعليق السياسي، صالح هندي وبشير أمين، ١٩٦٠/١١/٢٠، ج ٣٥٢-٣٦٦.

[٢] انظر تقارير الرصد الإذاعي ومثال ذلك تعليق الإذاعة الإسرائيلية في إطار برنامج أكاذيب وحقائق بتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٠، ج ٣٥-٥٠. وكذلك تعليقها في ١٩٦٠/٦/٢٣، ج٢٠١-٢٧٧، وكذلك ١٩٦٠/١٠/٢٧، ج٣٣٦-٣٥٣.

للرأي العام العربي كانت تخضع بتفاصيلها ودقائقها، وحتى بكل "حرف" منها إلى التوجيه الرسمي للحكومة الإسرائيلية[١].

وقد نبهت الدعاية الأردنية إلى عواقب تدوير الخلافات العربية بوسائل الدعاية الإسرائيلية[٢]، ونجدها تؤكد أن "الدعاية العربية تنسى وبكثير من الجرأة والتطاول أن ثمة دعاية نفاثة السموم، تترصد بأخطائها وأقوالها وتفيد من المزالق والمهاوي، أبعد الفوائد وأكبرها، هذه الدعاية السَّماعة، هي دعاية إسرائيل عدو العرب الأول المباشر"[٣]. وهذا يدلل على أن القائمين على الدعاية العربية لم يأخذوا الدعاية الإسرائيلية بعين الاعتبار ولم يقدروا خطرها بالشكل السليم على أرض الواقع وبخطوات عملية.

ولكن الانتباه الجدي للآثار المترتبة على دعايتها جاء متأخراً، بعد وقوع الهزيمة عام ١٩٦٧، إذ أن الدعاية الإسرائيلية استمرت بممارسة الحرب النفسية تطبيقاً للمفهوم الزمني لها، القائل بديمومتها قبل وخلال وبعد الحرب، كما مر في محطات سالفة من الدراسة.

وقد تجلى ذلك الانتباه بشكل واضح في الصحافة الأردنية، التي ظهر فيها التحذير من الحرب النفسية للإذاعة الإسرائيلية، الهادفة لتكريس فكرة "القوة التي لا تقهر، مقابل جماعات مفككة مهترئة لا مجال لها إلا أن تركع"، بما يسمح لها بتحقيق الهزيمة النفسية بعد العسكرية، وتجدير وتركيز الهزيمة للأبد[٤].

ووصل الأمر ببعض الآراء إلى المطالبة بعد الاستماع إليها حتى ولو بقصد الاستهراء لأن حربها النفسية مبنية على أساس علمي، من قبل مختصين بعلم النفس، وضعوا آليات

---

(١) النشاشيبي، مرجع سابق، ص٤٠٨.

(٢) فلسطين، ١٩٦٠/٣/١٦.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

(٤) الدستور، ١٩٦٧/١٠/١٢.

وأساليب استدراج "البسطاء، والأغبياء، والأبرياء"، ومن ثم العمل للقضاء على ما لديهم من "مناعة"، وبث الشك في نفوسهم إزاء ما يؤمنون به من مقومات الأمة ومرتكزاتها، ومن هنا " فلا فرق بين العدو الواقف على الجسر، والعدو خلف الميكرفون، كلاهما يفتح النار، الأول يقتل الجسد والثاني يحطم الروح"[١]، وتكررت الأفكار السالفة في مواقف تالية للرئيس جمال عبد الناصر.

حينما حذر في ١٩٦٨/٧/٢٣، من خطورة الحرب النفسية التي تشنها الإذاعة الإسرائيلية، مبيناً أن هدفها هو بث اليأس والإحباط وتجدير الهزيمة وإعاقة النهوض[٢]. وكانت الإذاعة الإسرائيلية تقابل في العادة تلك التحذيرات، بتبرير يؤكد بان ما تقدمه لمستمعيها هو الحقائق والتحليلات المنطقية، وهو ما أنتج لها جمهوراً عربياً "ينتظرها"، وهي "سمعة" بزعمها لا يمكن لأحد أن "ينتقض منها حتى لو كان احمد سعيد بتهويشاته المعروفة"[٣]. والحقيقة أن المستمعين العرب أقبلوا على الإذاعة الإسرائيلية بعد الهزيمة، ولذلك رأينا التحذيرات التالية للحرب من خطورتها موجهة إليهم، في حين أنها كانت موجهة إلى القائمين على الدعاية العربية والذين أسهموا بإنتاج هذه الحالة، قبل قيامها.

وبالرغم من إدراك الطرفين الأردني والمصري لمخاطر استمرارية الحملات الدعائية وما تحققه للعدد من أهداف إلا أنها ظلت على ما هي عليه بسمات بعيدة عما يسمى بأخلاقيات المهنة، ولغة التخاطب وأدب الحوار، ما ولد زيادة في الشقة والتباعد النفسي وصعوبة جسر الهوة، مع وصول المضمون إلى الجانب الشخصي والعائلي وبمفردات غير لائقة.

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة العيد الخامس عشر للثورة، ١٩٦٨/٧/٢٣.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٥٩/١٢/٥، ج١٨-٣٤.

الباب الرابع

السباب والشتيمة بين الدعايتين المصرية والأردنية

يحدد الرئيس جمال عبد الناصر "كأول رئيس عربي يستعين بالسب والشتم " للقضاء" على خصومه[١]، و يُحَمَلُ أحمد سعيد ومحمد حسنين هيكل المسئولية عن تأسيس ما سمى بـــ "مدرسة السباب والشتم في الإعلام العربي"[٢]، وهو ما كان ينحدر في مستوياته حسب بعض الآراء إلى حد "الحملات البذيئة"[٣]، وهو رأي يلتقي مع الرأي الرسمي الأردني المصنف لها كـــ "قاذورات لم يسبق لها مثيل في البهتان والوقاحة، وخراب الضمير، وتعهير القيم التي أدت إلى تأثير سلبي بإفساد خلق جيل بأكمله" [٤].

وقد لا يكون ذلك غريباً إذا ما عرفنا أن من أبرز أهداف دعاية عبد الناصر، تأطير سمعة الأعداء والخصوم بتشويه للسمعة، ووصفهم بصفات "الخليع، والداعر، والفاسـق" ولا بـد مـن التذكير بأن "البذاءة" لم تكن يتيمة المصدر[٥]؛ فالدعاية السورية أخذت بها أثناء مؤازرتها للدعاية المصرية ضد الأردن[٦]، الذي أخذ بها أحيانا، كأسلوب في دعايته كما سـنرى. ولـم تقتـصر البذاءة بالطبع على مصادر دعائية عربية فقط.

فالرئيس عبد الناصر لطالما اشتكى من حملات دعائية "بذيئة" من قبل الإذاعات الـسرية الموجهة من الغرب وهو ما اعترف به البريطانيون[٧]. وإلى جانب الشتائم والمسبات، اعتمدت الدعاية المصرية على أساليب أخرى.

---

[١] العظم، ج٣، مرجع سابق، ص٤٣٤؛ الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

[٢] شاكر النابلسي، السيرة الهاشمية على الربابة الناصرية، مقال، ٢٠٠٩/٣/٢٣، موقع أهل القرآن، .(www.ahalquran.com).

[٣] العظم، ج٣، مرجع سابق، ص ١٧٦.

[٤] الدفاع، ١٩٥٧/٨/٣١.

[٥] كوبلاند، مرجع سابق، ص١٤٥.

[6] R.J. Vol,10, Mr. Mason To Mr. Hadou, 27 November 1957, Fo 371/127891, P. 396.

[٧] خطاب الرئيس جمال عبدالناصر بافتتاح المؤتمر التعاوني بالقاهرة، ١٩٥٧/١٢/٥.

فاستغلت المصداقية العالية التي حازتها صوت العرب من القائمين على الدعائية المصرية "لتلفيق الأكاذيب"[١]، والغريب هنا إذا ما صح هذا الرأي أن تنبعث الأكاذيب من مخزون المصداقية التي تكونت في الشارع العربي.

وحذرت الدعاية الأردنية من العواقب السلبية لاعتماد الكذب في وسائل الدعاية وضرورة الالتزام بالحقيقة والصدق في ما يذاع ويكتب "وإلا لانقلبت الإذاعات والصحف إلى مدارس تقدم لمئات من تلاميذها أسوء ما يقدم من ضرورة الحث على الاختلاف والبهتان وإشاعة الفساد والتحلل من الأفراد والجماعات..." [٢].

ويطرح الكذب كعنصر تميزت به الدعاية المصرية، حيث غدا من أساسياتها، ولتدعيم هذه الفكرة، يستشهد بعبارة لعبد القادر حاتم وزير الإرشاد المصري الأسبق في عهد عبدالناصر "أكذبوا، إكذبوا فلا بد أن يعلق شيء من الكذب في آخر الأمر"[٣].

غير أن الدعاية الأردنية كانت تؤكد بالمقابل "فشل" اعتماد مبدأ جوبلز "الكذبة الكبرى" في الدعاية المصرية، لأن المتغيرات في عصر الانفتاح ألغت مفعول تلك القاعدة[٤]، التي دفعت جبران حايك مدير صحيفة الناس اللبنانية إلى مطالبة عبد الناصر بطرد ما أسماه "تلاميذ صلاح سالم"* من الإذاعة والصحافة، ودعاه للتحري والتأكد بنفسه مما يصل إليه من معلومات عن العالم العربي، لأن اعتماد الفبركه و"الكذب" لن يأت إلا "بالخسارة"، ولن تكون نتائجه محمودة[٥]، ورأينا الدعاية الأردنية تقدم في التفاصيل السابقة ما أسمته بشريط الأكاذيب المصرية.

---

(1) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office 4 August, 1957, Fo 371/127881, P. 437; R.J., Vol. 10, Mr Mason To Mr Hadou 27 November 1957, Fo 371/127891, PP.394-395.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

(٣) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص٧٢.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١٠.

* أول وزير للدعاية في عهد عبدالناصر، وهو ما سبق أن ذكر في الفصل الثاني من الدراسة.

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/١٢/٤.

كما حاولت تأكيد فشل الكذب كمبدأ في الدعاية، عبر مثال يدلل على ذلك، وهو المؤتمر الصحفي الذي عقده سمير الرفاعي في ١٩٥٧/٩/١٠، لتوضيح حقيقة الوضع الداخلي، وتقديم تفاصيل لتعتمدها الصحافة بعيداً عن الأساليب غير المهنية، "ولاتقاء الأخطاء والخطيئة في كل ما يقال ويذاع أو يكتب عن الأردن"، إلا أن الصحافة والإذاعات في مصر وسوريا حرفت مضمون الواقعة، غير أن المصادر الدعائية الأجنبية بما نشرته اعتماداً على مراسليها كشف التلاعب الذي تم[١]، وهو ما عد من قبل الدعاية الأردنية كباعث على "اليأس" لما فيه من إصرار على قلب الحقائق و"التجني والاستفزاز"[٢].

يمكن تحديد انطلاقة نهج الشتائم والكذب المناوئ للنظام الأردني منذ نيسان ١٩٥٧، وبالتحديد بعد عملية إقالة النابلسي، وإبعاد أبو نوار وما تلاها من حملات دعائية انطلقت من إذاعتي دمشق والقاهرة، طغى عليها "سيل من الشتائم" الموجهة للملك حسين[٣] فوصف "بالخائن، والعميل، والرجعي"[٤]، وعمدت صوت العرب إلى السخرية منه ومناداته بـ "دلوعة ماما" "Mother boy" [٥]. وبينما كانت الدعاية الأردنية تفخم الملك وتبجله عبر عناوين "القائد القاهر الناصر"[٦] كان هيكل يسخر من لام التعريف، بقوله "... الحسين كما يسمى في الصحافة الأردنية..."، ويصر على تسميته "حسين" مجرداً منها[٧]، ووصلت السخرية إلى حد يمكن وصفه بالدونية حتى عند معالجة القضايا السياسية.

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١١.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١٢.

(٣) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤٠.

(٤) أبو زيد، مقابلة، ٢٠١١/٦/٢٧.

(5) R.J.Vol.10, M. R. Mason To Mr. Hadou, 27 November 1957, Fo 371/127891, P. 395.

(٦) الدفاع، ١٩٥٧/١٢/١٣.

(٧) هيكل، أسرار المواقف، ٤٠٠، أسئلة كان يحملها هندرسون عن سوريا، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٧/٩/٢، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، أسئلة كان يحملها هندرسون.

فعند حديثه عن محاولات الملك "التنسيق" مع الولايات المتحدة بمواجهة سوريا والعقاب الاقتصادي الذي باستطاعتها –أي سوريا– أن تنزله بالأردن يقدم تلك الاستطاعة حال حصولها بقوله "فليس أمام صاحب الجلالة الهاشمية ملك الأردن إلا أن يشرب من مياه خليج العقبة، وحتى آخر قطرة فيها". و"سيصبح أميراً على الصحراء"[١]، ولم تتوقف السخرية والاستهزاء على هيكل.

فالدعاية السورية صنفت الكيان الأردني على أنه "اختراع بريطاني"[٢]. وقد وسع هيكل من دائرة الشتم والسخرية لتشمل الدائرة المحيطة بالملك بما فيها العائلة المالكة.

ففي مقاله الوارد في الأهرام بتاريخ ١٩٥٧/٥/١ نجد عنواناً جامعاً لعدة شتائم: "هذه هي الحقيقة الواضحة في الأردن "تجارة نفوذ + مهربي حشيش + ساسة للبيع + أصدقاء للغرب = مؤامرة جديدة"، وتحدث فيه عن "نساء ورجال القصر" وتجارتهم بالحشيش، وسعيهم "لبيع أنفسهم وخدماتهم في سوق العمالة"، كسمير الرفاعي "الذي اشترته أمريكا"، و"كشيوخ البدو" الذين تحول ولاءهم بعد كلوب إلى السفير الأمريكي[٣]، ونجد في مقاله السالف معادلة ساخرة حاصل جمع شتائمها يساوي "مؤامرة جديدة يشترك فيها كافة أركان الحكم.

ونرى أن أدوات السخرية في الدعاية المصرية، تنوعت لتشمل الرسوم الكاريكاتورية الماسة بالملك وشخصيات النظام، بما فيها من مواصفات عدتها الدعاية الأردنية وسيلة للنيل من "الذوق"، أكثر من أي شيء آخر[٤]. ولم تتوقف الدعاية المصرية عند حد يردعها عن التطرق

---

(١) هيكل، أسئلة كان يحملها هندرسون.

(2) R.J.Vol.10, Mr. Scott (V) To Mr. Hadou, 8 August 1957, FO 371/127881, P. 443.

(٣) محمد حسنين هيكل، هذه هي الحقيقة الواضحة في الأردن، تجارة نفود + مهربي حشيش + ساسة للبيع + أصدقاء للغرب = مؤامرة جديدة، ١٩٥٧/٥/١.

(٤) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٢٤.

حتى للخصوصيات الشخصية للملك، وربما تعمدت ذلك لما فيه من تأثير نفسي علـــى الإنـــسان وصورته حتى لو دخلت المادة المنشورة في إطار الكذب.

فنشرت مجلة روز اليوسف في تموز ١٩٥٧ أخباراً تتعلق بما أسمته "صـــديقة الملـــك"، فلافيو تيسيو (Flavio Tesio)، فكان قرار حضر دخولها إلى الأردن[١]. وقد يكون ذلك الخبر فبركة قامت بها الدعاية المصرية، وفي تلك الأجواء كان ذلك أمر ممكن الحدوث، غير أن قرار المنع لربما أعطى الخبر شيئاً من المصداقية، وكان أجدى أن يستخدم معها ما أطلق عليه سابقاً بتكتيك إسقاط الأوراق، والسماح بدخولها، إذ أن المنع والتعمية على حدثٍ ما، يؤدي في العـــادة للترويج له ونشره وتحفيز الجمهور على البحث عنه، وهذا ما يفتح باب النقاش فيمـــا اعتمدتـــه الدعاية الأردنية للتعامل مع الشتائم والأكاذيب.

تدرجت وتنوعت أساليب الدعاية الأردنية في مواجهتها مع الدعاية المضادة الشاتمة، فمع إبداء الضيق من الأساليب "المؤذية" المعتمدة في الدعايات المضادة، تجاه الملـــك وشخـــصيات النظام[٢]، و"التطاول" عليها، ومع ما تنتجه وتولده تلك "الشتائم والتخرصات" من "ألـــم وحـــزن، وغضب واشمئزاز... تجاوز حدود التعقل والذوق السليم والتفكير النظيف"[٣] ورغم ما يـــشكل ذلك، من بعد عن أخلاق المهنة، والأسلوب الراقي في الحوار[٤]، فإن الصحافة الأردنية أكـــدت رغم كل ذلك على تمسكها "بالخلق الرفيع" وعدم التطرق للمـــسائل الشخـــصية، مبـــررة ذلـــك بالحرص على إبقاء قنوات الاتصال سالكة، وعدم إغلاق الجسور، معللة هـــذا بوجـــود رغبـــة

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 June 1957, FO 371/127889, PP. 381-382.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١٧.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

(4) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 4 August 1957, Fo 371/127881, PP. 437.

أردنية للإبقاء على إمكانية عودة العلاقات الطبيعية[1]. وقد دعت إلى اعتماد قواعد في التعامل مع الزعامات والقيادات وأركان الأنظمة.

فما أسمته بالأسماء الكبيرة والسامية المقام، يجب أن تبقى بعيدة عن حملات التجريح بما فيها من "تشهير وسب وشتم"، مهما بلغ التوتر والانفعال، ودعت للاقتداء بالدعايات المتضادة "النظيفة" الخالية من الإساءة للزعماء، كما هو الحال بين الدول المتحضرة، والأهم من كل ما تقدم الاحتكام لقواعد الأخلاق العربية، النابذة لكل الأساليب المصنعة للصورة "القاتمة" التي هزت "وجرفت" ما أسمته "روائع الفقه والاحترام"[2] ومع كل هذا التنظير فقد كانت هناك أساليب أخرى يركن إليها، وكان الاحتجاج واحدٌ منها.

ونراه بقيام سمير الرفاعي نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية بتقديم احتجاج لدى القائم بالأعمال السوري في ١٩٥٧/٨/٣ على ما ورد في وسائل الدعاية السورية من "تهجم" على الملك وأفراد العائلة المالكة، وكبار المسؤولين، ولكن دونما جدوى، إذ استمرت دعايتها على ما هي عليه[3]. ومع استمرار الحملات الدعائية المصرية والسورية المزدحمة بالمضامين المضادة للنظام الأردني، فإن القلق والتوتر ساد دائرة صنع القرار، وامتد إلى الدول الغربية، إذ أن الشعور باستهداف النظام بشكل مباشر أخذت حدته بالإزدياد وهو ما ستظهره الوقائع.

ففد بات سقوط النظام من المسلمات لدى المصريين،، ففي آب ١٩٥٧، كانوا شبه متأكدين من سقوط متسلسل لكل من: كميل شمعون، والملك حسين، ونوري السعيد[4] ويبدو أن ثقتهم بمفاعيل دعايتهم أوصلهم لتلك النتيجة.

---

(١) الدفاع، ١٩٥٧/٩/١٧.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/١١/٥.

(3) R.J.Vol.10, Fo 371/127881, Op. Cit., P 437.

(٤) كوبلاند، مرجع سابق، ص٢٥٩.

لاسيما أنها وصلت إلى حد التحريض على الثورة[١]، حتى أن الملك حسين رأى فيها تمهيداً مقصوداً لاغتياله، وهو ما كان مدعاة للاهتمام بالإجراءات الأمنية، لكنه لم يكن "خائفاً أو متكدراً" كالمحيطين به في دائرة الحكم[٢]، ولكن ذلك تسبب بطلب قدم لمصر لسحب ملحقها العسكري أوائل شهر حزيران ١٩٥٧، لاتهامه بالتخطيط لاغتيال الملك وشخصيات أردنية أخرى[٣]، وهذا الاتهام نجد له ملمحاً في خطابات عبد الناصر.

ويتضح هذا من خطابه في ١٩٥٧/٧/٢٢، إذ حمل في طياته نبوءة بقرب زوال معارضيه في المنطقة، من "أعوان الاستعمار"، الذين إن استطاعوا "أن يعمروا بعض الوقت، فستكون نهايتهم محتومة[٤]، وهذا ما يتناقض مع رأي سابق قال بأن عبد الناصر لم يكن يهدف إلى تغيير النظام وإنما تعديل سلوكه، وربما كان ذلك جزءا من الحرب النفسية بين الطرفين الأردني والمصري.

وقد غدا اغتيال الملك حسين هاجساً قائماً، ليس في الأردن وحسب، وإنما في دول الجوار كما هو الحال في العراق[٥]، وهو ما تظهره تقارير السفارة البريطانية في شهر تشرين الثاني ١٩٥٧، حيث كان هناك تخوف آخر محتمل وقوعه أيضاً وهو الإطاحة بالنظام الأردني[٦]، خاصة وأن الحملات الدعائية ترافقت أحياناً مع محاولات لزرع المتفجرات في مناطق متفرقة

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 20 September 1957, Fo 371/127891, P. 452.

(2) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 November 1957, Fo 371/127882, PP. 239-240; R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 13 November 1957, Fo 371/127882, PP. 243-245.

(3) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 11 June 1957, Fo 371/127891, PP.384-385.

(٤) عبد الناصر، مجلس الأمة، ١٩٥٧/٧/٢٢.

(5) R.J.Vol.10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, 14 November 1957, Fo 371/127882, P. 247.

(6) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 17 November 1957, Fo 371/127882, P. 252.

من المملكة[1]، وهو ما دفع العراقيين للتفكير بالخيار العسكري لتدعيم وضع النظام جراء الحملات الدعائية التي باتت تشكل بنتائجها "خطراً كبيراً" عليه، وهذا ما استدعى تنسيقاً مع الأمريكيين، والبريطانيين، والأتراك[2]، ولم تذكر الوثائق فحوى التنسيق، غير أنني أرجح ارتباطه بمواجهة الدعاية المصرية والنفوذ المصري في المنطقة.

دفعت الأفكار المرتبطة بالاغتيال أو الإطاحة بالنظام، الدعاية الأردنية لردة فعل اتسمت بحدة النبرة فنجدها تضف ما أسمته بأساليب "السيطرة" المصرية على الآخرين في خانة واحدة مع "الفاشية، والنازية، والشيوعية"، الأمر الذي دفع الكثير من الدول العربية التي مسها ذلك، للطلب من مصر لسحب ملحقيها العسكريين، إلا أن هذا الأسلوب لم يؤدي إلى "الردع والزجر"، وبقيت الدعاية "المؤذية" على حالها[3]. وسيجد المتمعن بأداء الدعاية المصرية، أنها شكلت عبئاً نفسياً على النظام، وجعلت الرد أمراً مطلوباً لما يمكن تسميته بالدفاع عن النفس بالنسبة له، وفي خطابات الملك أفكار تعبر عن هذه النقطة.

وبالرغم من جنوحه أحياناً لتجاهل مفاعيلها الموجهة نحوه عبر الاتكاء على النص القرآني ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما... ﴾[4]، إلا أنه وجد "أن الصبر الطويل" لم يعد له مكاناً في التعامل مع الدعاية المصرية بصحفها وإذاعاتها، بعد أن "تمادت" في "المس والتجريح"، الذي بات السكوت عليه نوعاً من الرضوخ "للظلم والظلام"، بفعل أداء إعلامي تمنى الملك لو لم

---

(1) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 13 August 1957, Fo 371/127881, PP. 210-211.

(2) R.J.Vol.10, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 November 1957, Fo 371/127882, P. 250; R.J.Vol.10, FO 371/127882, Op. Cit., P. 254; R.J. Vol. 10, Fo 371/127882, Op. Cit. PP. 247-246.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/٧/٣.

(٤) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية رقم ٦٣.

يكن[1]، لكنه فَرض عليه القيام برد أكره أو أُجبر عليه وفي تعبيره "دفعنا إليه"[2]. ولمزيد من التبرير لموقفه قدم توصيفات لما واجهه من دعاية مسته وأسرته والدائرة المقربة منه.

فنعتها بأنها "دعاية خبيثة سامة"[3]، وهي دعاية "المهوشين" التي تستعين "بالحثالات في كل بلد"[4]، معتمدة على "الدجل الرخيص" متتبعة طريق "الصحافة الصفراء"[5]، التي "تهذي بها ألسنة مأجورة تهدف إلى الدس والوقيعة"[6]. وهذه الأفكار شكلت مساراً للدعاية الأردنية في التعامل بالمثل مع الدعاية المضادة، وظهرت ملامحها وتفاصيلها بشكل جلي في الإذاعة.

تؤكد الوثائق البريطانية أن الإذاعة والصحافة الأردنية كانت تأخذ الإيعاز "بشن الهجوم" كرد على الحملات المصرية، من الملك مباشرة[7]، غير أن صلاح أبو زيد بين أن الرد كان يعتمد على مبادرة ذاتية منه، ومن وصفي التل فيما بعد وقد كان له نشاط مؤثر في الرد على الحملات الموجهة نحو النظام، وهناك من يعتبر دوره في الإذاعة الأردنية، كمقابل لأحمد سعيد في صوت العرب، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أداءه المتسم بـ"الطابع التعبوي التشنيعي"[8]. ولابد من التذكير هنا أنه كان يكتب خطابات الملك في هذه الفترة الحاسمة وهو ما استمر حتى عام ١٩٦١[9].

---

(١) خطاب الملك حسين حول أحداث ربيع ١٩٥٧، ١٩٥٧/٤/٢٥، ج١، ص١٥١.

(٢) خطاب الملك حسين في إحدى القواعد العسكرية، ١٩٥٧/٥/١٢، ج١، ص٢٠٠.

(٣) خطاب الملك إلى الشعب الأردني، ١٩٥٧/٤/١٧، ج١، ص١٤٣.

(٤) خطاب الملك حسين بمناسبة جلاء القوات البريطانية عن قاعدة المفرق، ١٩٥٧/٥/٣١، ج١، ص١٥٩.

(٥) خطاب الملك حسين في نادي الضباط، ١٩٥٧/٨/٧، ج١، ص ١٧٠.

(٦) خطاب الملك حسين، ١٩٥٧/٩/٢٦، ج١، ص١٧٥.

(7) R.J.Vol.10,Telegram From Amman To Foreign office, 21 September, Fo371/127897, P.452

(٨) محمود الريماوي، صلاح أبو زيد مؤسس الإعلام الرسمي، مقال ٢٠٠٨/٩/٤، صحيفة السجل. وسيشار إليه فيما بعد: الريماوي، السجل.

(٩) أبو زيد مقابلة.

وقد أشار إلى أنه من الطبيعي أن تكون الإذاعة معبرة عن الواقع السياسي، مقـراً بلعبـه دوراً مؤثراً وبارزاً في تلك المواجهة* مع الإصرار على أن الأسلوب كان مهنياً، مع الاضطرار أحياناً لمخاطبة "الآخر" بلغته التي لم تكن "قاسية" ولكنها "عادلة" فهي ردة فعل على "قسوة الآخر" الواصلة لحد التخوين، فمن غير المنطقي أن لا يكون هناك رد علـى "العـدوان" بمـا ينـسجم ومواقف الأردن السياسية، ومع اعترافه بقسوة الرد إلا أنه عاد وناقض نفسه، حينما حدد "العقل والمنطق" كأساس اعتمدته الإذاعة في الرد، بمقابل "التعبير المجنون" لصوت العـرب، ورغـم اعترافه بالرد بالمثل، إلا أنه نفى قيامه بتوجيه عبارات "قاسية وحادة" للرئيس عبد الناصـر[١]. ولكن الإجابة وجدت لدى مصادر أخرى.

وجاءت الإجابة من محمد الخطيب وزير الإعلام الأردني الأسبق، مبيناً أن صوت العرب سجلت ردود صلاح أبو زيد وما كان يتلفظ به[٢]. وهو ما وثقته أيضاً الإذاعة الإسرائيلية فـي سياق تعليقها في ١٩٦٠/١١/٢٠ على الألفاظ "البذيئة" والشتائم الصادرة عن الإذاعات العربية، وقدمت تسجيلات من إذاعات عربية مختلفة، وكان من ضمنها ما قاله أبو زيد بحـق الـرئيس المصري وجاء فيها "باستطاعتنا يا أخي العربي أن نقول لك تعال نبصق سوية في وجه جمـال عبد الناصر، وفي وجه الدعارة والخيانة، وصوت الدعارة والخيانة"[٣]، غير أن العبـارة فـي

---

* يقول أبو زيد "كنت أقوم بدور المهاجم وما تخليت في يوم من الأيام عن واجبي نحو مليكي وبلـدي، ومـا كانت الوطنية زائفة بحيث تسمح بالقفز من فوق مصلحة الأردن لنيل رضا هذه الجهة أو تلـك، فأنـا لـم أعرف الحزبية السياسية إلا للأردن، ولم أدخل سوق البيع والشراء السياسي العربي ثم أعود واستغفر". أبو زيد، مقابلة.

(١) أبو زيد، مقابلة.

(٢) الخطيب، مقابلة.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، صالح هندي وبشير أمين، ١٩٦٠/١١/٢٠، ج٣٥٤-٣٦٦.

إحدى المقالات لهيكل اقتصرت على "تعالوا جميعاً لنبصق في وجه جمال عبد الناصر"(١)، وقدمت الإذاعة الإسرائيلية تسجيلاً للمذيع عمر الخطيب يصف حملات صوت العرب "بالمسعورة" وأسلوبها "بالرخيص"(٢).

وتحدثت الوثائق البريطانية عن حملات دعائية "قاسية"، وبعيدة عن روح الأخوة، بلغت "قمة القذف المقذع" بين صوت العرب، والإذاعة الأردنية التي وصفت عبد الناصر "بعبد الخاسر"، كتجذير للنهج القائم على "رد الصاع بصاعين"(٣).

وبهذا الصدد تشير المصادر البريطانية في عام ١٩٦٤ نقلاً عن صلاح أبو زيد بعد زيارته للقاهرة كوزير للإعلام، أن ردوده عام ١٩٥٧ قد أشغلت "أدمغة المصريين، الذين "تكدروا" لاستخدامه "تكتيكهم" الدعائي في الحملات الإذاعية الموجهة ضدهم(٤)، ولم تقتصر الحملات الموجهة ضد النظام المصري على الإذاعة، فصحيفة الجهاد* التي عدتها السفارة البريطانية كتابعة للقصر(٥)، كانت الأكثر "جرأة واندفاعاً" بين الصحف، فعدت "الهزيمة" في معركة السويس كمنتج من منتجات "النظام الأسود"(٦).

---

(١) محمد حسنين هيكل، عن الملك حسين ... حكايات الصفحة الجديدة، ١٩٦٦/١٢/٩.

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق، صالح هندي، ١٩٦٠/٣/٧.

(3) R.J. Vol. 10, Mr. R Mason To Mr. Hadon, 27 November 1957. Fo 371/127891. PP. 394-395.

(4) R.J. Vol. 14, Mr. A Goodison, 26 February 1964. Fo 371/175646. P. 230

* "صدرت في مدينة القدس لأصحابها محمود أبو الزلف، وسليم الشريف ومحمود يعيش، وكان الأول محرراً مسؤولاً والثاني رئيساً للتحرير، والثالث مديراً للإدارة، وهي "صحيفة أردنية واسعة الانتشار"، تأسست عام ١٩٥٣، وبقيت تصدر حتى عام ١٩٦٧؛ تركي نصار: تاريخ الإعلام الأردني (عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٨)، ص٨٦.

(5) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 16 April 1957. Fo 371/127878, P.119.

(6) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 25 November 1957, Fo 371/127891, P. 392-393.

أدت الحملات الأردنية إلى صنع "توازن" في الرد، جعل الحكومة الأردنية تشعر بثقة بالنفس، كونها تفردت بمواجهة صوت العرب ودعاية الرئيس جمال عبد الناصر على الصعيد العربي، فهي "الجرأة" التي لم يقدم عليها أي بلد عربي آخر، وهي بالنسبة للحكومة دليل على السيطرة على الأوضاع الداخلية(١). وتمثلت تلك الثقة بردها على الرغبة البرلمانية بالتهدئة والتي لا بد من التفصيل فيها قليلاً.

فقد تكونت لدى أعضاء مجلس النواب قناعة بأن المعركة الدعائية مع مصر "لا تشرف أحداً"، وأنها طالت أكثر من اللازم(٢)، وتلازم هذا الطرح مع الدعوة بضرورة التفكير بآلية جديدة للتوصل إلى وقف دائم للحملات بعيداً عن فكرة الهدنة، والتي تنتهي عادة برجوع "أسلحة الدعاية للعمل"، فالوصول إلى الاستقرار الدائم يتطلب ابتعاداً عن "الدس والمؤامرات الخادمة لإسرائيل، والتركيز على نقاط التوافق، وتجنب أسباب الخلاف والاختلاف"(٣).

والأهم أن النواب دعوا الحكومة في ١٩٥٧/١٢/٣ إلى المبادرة بوقف الرد على "حملات الإساءة" عبر الإذاعة(٤)، كإثبات لحسن النية، لعل وعسى أن تسهم هكذا خطوة بدفع المصريين لوقف حملاتهم(٥).

قابلت الحكومة طلب النواب بمنطق يحمل في طياته ملامح التحدي والثقة. فرفض في ١٩٥٧/١٢/٣ وقف الحملات الإذاعية متحججة بأن "شتائم" صوت العرب لم تكن من "النوع العادي"، بل إنها تمادت إلى درجة لا يمكن السكوت عليها، فما أذاعته من "إشاعات" مس الملك والحكومة، وحتى الشعب. وقدمت الحكومة دافعاً آخر للاستمرارية، وهو أن الأردن لم يكن

---

(1) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 November 1957, FO 371/127882, P. 240.

(2) R. J. Vol. 10, Mr. H. Dudgeon To Mr. R. Hadou Without Enclosere, 4 December 957, FO371/127882, P. 258.

(٣) الدفاع، ١٩٥٧/١٢/٤.

(4) R.J. Vol. 10, Fo 371/127882, Op. Cit., P. 247-248

(٥) انظر الملحق رقم (٣).

البادئ، وبالتالي فإن وقفها يعتمد على قرار مصري، وعدم صدوره سيؤدي لـــدوام ردة الفعـــل الأردنية[١]. وقد يعزى هذا الموقف أيضاً إلى الشعور الرسمي بوجود حليف دعائي يساندهم.

فالملك فيصل بن غازي ملك العراق، أصدر في منتصف تشرين الثـــاني أوامـــره إلـــى الإذاعة والصحافة العراقية بدعم الدعاية الأردنية لمواجهة الحملات الدعائية المصرية[٢]، ومـــن التفسيرات الممكن الأخذ بها أن ذلك الموقف الحكومي جاء بعد فشل سلسلة محـــاولات لوقـــف الحملات الدعائية منذ بداية حزيران ١٩٥٧.

انبثقت أولى المحاولات من قبل عبد المنعم الرفاعي السفير الأردني في القاهرة، أوائـــل شهر حزيران، وهناك من يضع إشارات استفهام حول دوافعها، منوهاً بأنها جاءت بإيعاز مـــن أخيه سمير الرفاعي لتحسين صورته المطبوعة لدى الكثيرين "بالعمالة" للغـــرب[٣]. وقـــد كـــان الأردنيون يدركون عدم جدواها، وما دعم هذا الرأي، أن المصريين لم يكونوا راغبين بوقفهـــا، فنشر "مضامين مسيئة" للملك في هذه الفترة كان كفيلاً بإفشالها[٤].

وهو المصير الذي لاقته محاولة الأمين العام للجامعة العربية عبد الخالق حسونة* الـــذي زار عمان في الفترة بين ١٦-١٩/٨/١٩٥٧، إذ لم تكن الرغبة الأردنية بإيقاف الحملات كافية

---

(١) الدفاع، ٤/١٢/١٩٥٧.

(2) R.J. Vol. 10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, 14 November 1957. Fo 371/127882, PP. 246-247.

(3) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 16161 1957. Fo 371/127889, PP. 381.

(4) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 Jun 1957. Fo 371/127889, P. 381-382.

* عبد الخالق حسونة ١٨٩٨-١٩٩٢- دبلوماسي مصري وأمين عام سابق لجامعة الدول العربية. شغل عدة مناصب حكومية بوزارة الشؤون الاجتماعية وغيرها بمصر. كان محافظاً للإسكندرية فـــي ١٩٤٦. عـــين وزيراً للشؤون الاجتماعية في وزارة حسين سري الانتقالية من تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٤٩ إلى كـــانون الثاني – يناير ١٩٥٠. ووزيراً للمعارف ثم الخارجية في وزارات علي ماهر والهلالي من كانون الثاني – يناير إلى تموز– يوليو ١٩٥٢. خلف عبد الرحمن عزام في منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية في ١٩٥٢، أعيد انتخابه لهذا المنصب ثلاث مرات في ١٩٥٧، ١٩٦٧. وخلفه محمود ريـــاض فـــي ١٩٧٢، الكيالي، ج٣، ص ٨١٤.

لإنجاح المهمة، في ظل عجزه عن التأثير على عبد الناصر لوضع حد للحملات[1]، التي استمرت "بصخب وقوة"[2] وكانت المحاولة الأخيرة عراقية.

فبعد تعيين علي جودت الأيوبي* رئيساً للوزراء في ١٩٥٧/٦/٢٠[3]، انسجاماً مع نصيحة عبد الخالق حسونه، بضرورة وجود شخصية قومية بدلاً من نوري السعيد لإعادة العراق إلى محيطه القومي[4] أعلن في البيان الوزاري أن المنطلقات القومية هي الركيزة الأساسية لسياسة حكومته مع بذل الجهد لتصفية الخلافات العربية[5].

وتمهيداً لذلك طلب الأيوبي من الصحافة العراقية الاعتدال في تناولها للقضايا العربية والابتعاد عن "تجريح عن عواطف شقيقات العراق في مقالاتها وتعليقاتها"، كما أمر مديرية التوجيه والإذاعة العامة بوقف عمليات التشويش على الإذاعات السورية والمصرية والسعودية، ووقف البث من الإذاعة "المعادية" السرية التي نصبها نوري السعيد في حديقة منزل أحد المسئولين[6]، ثم زار سوريا نهاية أيلول ١٩٥٧[7].

---

(1) R.J. Vol. 10, Mr. H. Dudgeom To Mr. Hadou, 21 August. Fo 371/127889, P. 39.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٨/١٩.

* علي جودت الأيوبي ١٨٨٦-١٩٦٩ ضابط وسياسي عراقي من الرعيل القديم. ولد في الموصل وتخرج برتبة ضابط في الكلية الحربية في استانبول. أنضم إلى الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، وعين حاكماً لحلب إبان الحكم العربي ١٩١٩-١٩٢٠، ورحل مع فيصل عام ١٩١٢ إلى العراق، حيث تقلب في مناصب وزارية عدة حتى أصبح رئيساً للوزارة عام ١٩٣٤-١٩٣٥ ورئيساً لمجلس النواب عام ١٩٣٥. وقد غادر العراق على أثر نجاح ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ثم عاد بعد أن نجح الإنكليز في سحقها وأصبح وزيراً للخارجية عام ١٩٤٨-١٩٤٩ ورئيساً للوزراء عام ١٩٥٧. استقر في لبنان بعد ثورة ١٤ تموز- يوليو ١٩٥٨؛ الكيالي، ج٤، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٣) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٤) خالد خلف داخل، الوزارة الأيوبية الثانية، مقال، ٢٠١٢/١٠/١٧ موقع أحرار العراق (www.ahraraliraq).

(٥) الدفاع، ١٩٥٧/٦/٢١.

(٦) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٤٤؛ أحمد مختار بابان، مذكرات، مرجع سابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٧) الدفاع، ١٩٥٧/٩/٢٧.

وتذكر الوثائق البريطانية أن الملك حسين كان يراقب تلك التحركات، مع أمنية بتوقف الحملات الدعائية بين البلدين[١]، وهو ما يعطي انطباعاً بالتناقض وما بين موقفه وموقف الحكومة الـذي رأيناه آنفاً.

وقد انعكست جهود الأيوبي، هدوءاً في الحملات الدعائية في الصحف والإذاعة، ولاقـت النتيجة صدى طيباً في وسائل الدعاية العربية، مع التأكيد على ضرورة امتدادها بـشكل أوسـع وأشمل، في حين أن الدعاية الإسرائيلية "عبرت عن خيبة أملها" بهذا التطور[٢]. ونرى من يفسر تجاوب السوريين مع تلك الوساطة على أنه رغبة منهم بتخفيف الضغوط الأمريكية بعد اتهامهم بالتحول إلى ساحة للامتداد الشيوعي بداية أيلول ١٩٥٧، وهو ما اعتبـر كنتيجـة لحملاتهـم الدعائية ضد الأردن[٣]. غير أن التوقعات بتجذر النجاح وتوسعه كانت ضعيفة.

وهو ما عبر عنه السفير البريطاني في عمان، في آب ١٩٥٧، عندما أكد أن تأثير تلـك الوساطة لن يدوم طويلاً على الدعاية السورية[٤]، ولعل هذا كان يرتبط بـسبب آخـر؛ فجديـة الأيوبي بتحسين العلاقات مع مصر لم تلق صدى مماثلاً تجاه العراق، وهو ما ظهر باستمرارية الحملات الدعائية عبر صوت العرب، كما كانت زمن نوري السعيد[٥]، وهو ما دفـع حكومتـه لتقديم احتجاج "جاد" إلى عبد الناصر عبر السفير المصري ببغداد، ومن ثم كان توجهها للتنسيق مع لبنان والسعودية للقيام بتحرك مشترك نحو الحملات المصرية[٦].

---

(1) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 20 December1957. Fo 371/127898, P. 414.

(٢) الدفاع، ١٩٥٧/٩/٢٩.

(3) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 20 september1957. Fo 371/127892, PP. 454-456.

(4) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 11 August 1957. Fo 371/127898, P.570.

(٥) بابان، مذكرات، مرجع سابق، ص٢٣٠-٢٣٦.

(6) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 17 November1957. Fo 371/127882, P. 254.

وترافق ذلك مع تحرك من علماء الدين في العراق الذين طالبوا الملــك ســعود بالتــدخل لوقفها، فكان رده معبراً عن عجزه بالقيام بجهد مؤثر، واكتفى بالتأسف لما تلحقه بمصالح الأمة من أذى[١]، مع مناشدة مشتركة مع الملك فيصل لوقفها[٢]. ونجد أراءً تفسر وتعلل عدم استجابة المصريين وحتى السوريين لتلك المحاولات.

فالقاهرة كانت مستفيدة من استمراريتها ضد الأردن للتغطية على ما سمي فــي الوثــائق البريطانية بالأوضاع "السيئة" والضعف، و"الفشل" في الداخل[٣]، ولكنها لم تُفــصِّل فــي تلــك الأوضاع، ولكن هناك تساؤلات تطرح في السياق؛ هل كانت النتائج العسكرية للعدوان الثلاثي، والتي بدأت الدعاية المضادة تركز عليها من الأسباب، وهل كانت الحملات الدعائيــة "حــرب الأعصاب" والضغوط الاقتصادية التي لطالما تحدث عنها عبد الناصر تدخل في الدوافع أيــضاً؟ وبالرغم من كل هذه الأسئلة إلا أن الأمور أخذت بالتحول.

فالتقارير المخابراتية التي وصلت إلى عبد الناصر، تحدثت عن "خطورة تفجر" الأوضاع في الأردن، مع تخوف من قيام ثورة، –عمودها الفقري اللاجئون الفلسطينيون– ضــد الملــك حسين "والهجوم على قصره"، وهو ما كان يتناقض مع تعليماته، الحريصة على عــدم إيــصال الاضطرابات إلى حد الانقلاب، فأدت تلك المعلومات إلى إيقاف الحملات الدعائية "فجأة" نهايــة ١٩٥٧، ولكن المصدر نفسه يعود يقدم دافعاً آخر للقرار، وهو تمكن الملك حسين من الــسيطرة على الأوضاع لديه بما اتخذه من إجراءات، وهو ما عطل فاعليــة الحمــلات الدعائيــة، وأدى

---

[١] الدفاع، ١٩٥٧/١١/١٦.

[٢] ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤١.

[3] R.J. Vol. 10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, 16 November1957. Fo 371/127882, P. 250,.; R.J. Vol. 10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, November 1957, Fo 371/127882, P. 247-96.

"لفشل" عبد الناصر بربط الملك حسين بسياساته(١). وربما كان الجمع بين التفسيرين أكثر منطقية لتفسير التحول.

ونجد تأييداً للتفسير الأول لإيقاف الحملات، يؤكد على أن عبد الناصر لم يكــن يهــدف لإسقاط النظام ولكن تغيير سلوكه، مستدلاً بإبلاغه الملك عن ثلاث محاولات انقلابية ضـــده(٢)، وبغض النظر عن الأسباب التي أدت لوقف الحملات.

فقد مكنت النظام من معرفة أصدقائه من "أعدائه"، فإذاعة وصـــحف موســكو، ودمـــشق شاركت في الحملات إلى جانب إذاعات وصحف عبد الناصر، أما إذاعة العراق وصحفه فوقفت "بقوة" إلى جانب الملك، في حين انقسمت الصحافة اللبنانية، مع وضد، وأما الملك سعود، فلــزم جانب الحذر، فقد كان يخشى على عرشه من "هجمات" أحمد سعيد وصوت العرب، وحمــلات "الردح والشتم" فوجد بالصمت خياره الأمثل(٣). ولكن فصل العلاقة الوثيقة بين المال الــسعودي والدعاية المصرية كان عاملاً مخففاً عن الملك ومساعداً له في السيطرة النسبية على الشارع.

وبالنسبة للسوفييات فالعراقيون كانوا يعتقدون بدفعهم بالرئيس جمال عبد الناصر لمهاجمة الملك حسين(٤)، وعلى ما يبدو فلربما جاء ذلك كرد فعل على إقالة النابلسي الــذي كــان لديــه توجهات لإقامة علاقات وثيقة معهم، إضافة لما اتخذه الملك من إجــراءات لتــصفية الوجــود الشيوعي في الأردن.

أما الصحافة الأجنبية فكانت تنشر أحياناً ما هو منسجم مــع الدعايــة المــضادة للملــك، لاعتمادها على مصادر أخبار معارضة للنظام، أو عبر مراسليها في بيروت والمتأثرين بمصادر

---

(١) ناتنج، مرجع سابق، ص٢٤١.

(٢) الخطيب، مقابلة.

(3) R.J. Vol. 10, Mr. Mason To Mr. Hadou, 27 November1957. Fo 371/127891, P. 395.

(4) R.J. Vol. 10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, 17 November1957. Fo 371/127882, P. 252.

سورية، وهو ما كان يدفع الملك حسين لعقد مؤتمرات صحفية لتوضيح حقيقة الأوضاع الداخلية[١].

وقد كان للحلف الدعائي المضاد للنظام قاعدة عريضة في الشارع، وبدرجة كبيرة بين الفلسطينيين، مع درجة أقل بين الأردنيين[٢]، وعلى صلة بذلك، اتهم العراقيون الرئيس جمال عبد الناصر بالتركيز على الضفة الغربية "لتثوير سكانها وتحريضهم ضد الملك"، خلال أحداث أزمة ١٩٥٧[٣].

وسنجد أن ذلك الحلف سيزداد رسوخاً بعد قيام الوحدة المصرية السورية، مع زيادةٍ في التأثير على قاعدته العريضة في الشارع الأردني؛ كما أن النظام الذي كان يواجه دعاية سورية متضامنة مع دعاية الإذاعات المصرية، وبالتحديد صوت العرب، سيصبح أمام منظومة دعائية، سورية مصرية تعمل وفقاً لتوجيهٍ موحد، وتشمل إذاعات دمشق وحلب وصوت العرب والقاهرة، فخطابات عبد الناصر ومقالات محمد حسنين هيكل والدعاية المضادة بشكل عام، ستأخذ حيزاً أوسع على أمواج الأثير، أي أن النظام سيصبح أمام ضغوط نفسية أكبر.

---

(1) R.J. Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 13 November1957. Fo 371/127882, P. 245.

(٢) الخطيب، مقابلة.

(3) R.J. Vol. 10, Telegram From Baghdad To Foreign Office, 24/4/1957. Fo 321/127879, P. 139.

الفصل الثالث

الدعاية البينية من قيام الوحدة إلى تأسيس
الإذاعة الأردنية ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩

الباب الأول

الحملات الدعائية من قيام الوحدة إلى انهيار الاتحاد

الباب الأول

الحملات الدعائية من قيام الوحدة إلى انهيار الاتحاد

لعل المدقق في منطلقات ومحفزات الحملات الدعائية السالفة سيجد أنها جاءت كردة فعل على أفكار ومشاريع من خارج المنطقة العربية، كحلف بغداد، ومشروع أيزنهاور، ولكن عـام ١٩٥٨ أطل بمشروعين منبثقين من السياق المحلي، بقصد تحقيق فكرة الوحدة وهما:الجمهورية العربية المتحدة، فيما بين مصر وسوريا، والاتحاد العربي بين العراق والأردن، وهو ما أنـتج محطة دعائية بارزة في الفترة ما بين ١٩٥٨ – ١٩٦١. ورغم القول بمحلية الدافع إلا أن العامل الخارجي لعب دوراً في إخراج المشروعين إلي حيز الوجود؛ الوحدة لمواجهة تحدياته، والاتحاد كامتداد لرغباته بمواجهتها، حسبما تعرض الوقائع والآراء.

وتمثل الشق الأول بالتهديدات التركية المتزايدة نهاية ١٩٥٧ ضد سوريا والمترافقة مـع حملة دعائية حول تزايد النفوذ الشيوعي فيها، وما شكله من مخاطر على دول الجوار[١]، وقـد رأينا صورة لهذا الوضع في الفصل السابق من الدراسة. وأمام تلك الأخطـار ظهـر موقـف مصري مساند لسوريا عبر التأكيد على فكرة التقارب.

وقد أعلنت الدعاية المصرية بإذاعتها وصحفها في ٣/١٠/ ١٩٥٨، أن الوحدة بين البلدين قد اقتربت[٢]، وكان هذا البعد الدعائي فاتحةً لخطوات ومباحثات استمرت طيلة شـهر كـانون الثاني[٣]، انتهت بقيام الوحدة المصرية السورية في ١٩٥٨/١/٢٩[٤]، والتي تم بموجبها إعـلان

---

(١) وليد الأعظمي: الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ في الوثائق السرية البريطانية (بغداد: المكتبـة العالميـة، ١٩٩٠): FO 371/134392, 19/12/1957، ص ١٢. وسيتم فيما بعد الإشارة إلى كل وثيقـة حـسب توثيق المؤلف.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣: .FO 371/134386, 3/1/1958.

(٣) الأعظمي مرجع سابق، ص ١٤-٢٠: FO371/134386, 3/1/1958.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٣: FO 371/134386, 29/1/1958 .

قيام الجمهورية العربية المتحدة* في ١٩٥٨/٢/٢١[١]. وأنتجت الخطوة ارتدادات على مستوى المنطقة، ومن ارتبط بها من القوى الكبرى بمصالح وطيدة، وهنا يظهر أثر العامل الخارجي، في قيام ردة فعل مقابلة للوحدة.

فالبريطانيون اعتبروا قيام ج. ع. م "ضربةً" دعائية ناجحة، أنجزها عبد الناصر، مانحة إياه تأثيراً فاعلاً على الرأي العام العربي مع تعميق قوته ونفوذه وتمكينه من ضم دول عربية أخرى[٢] وهو ما حفز التفكير الغربي بضرورة إيجاد آلية للمواجهة والحد من تأثيرات الحدث على الشارع العربي، وظهر هذا بشكل جدي قبل قيام الوحدة بيوم واحد. ففي اجتماعات الحلف المركزي "بغداد"، والتي جرت ببغداد يوم ٢٨/ ١/ ١٩٥٨، أصر البريطانيون والأميركيون على إنشاء اتحاد* بين الأردن والعراق، مع أو بدون السعودية[٣].

غير أن المدقق في أحداث تلك الفترة، سيرى تصريحاً أردنياً مرحباً بمباحثات الوحدة المصرية السورية، من سمير الرفاعي وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء، حينما أعلن أمام البرلمان تأييد كل مسعى لتحقيق الوحدة العربية الشاملة[٤]. وهو ما يمكن وضعه بسياق الرد الدبلوماسي المساير لمشاعر الشارع، في فترة كانت تجري فيها مباحثات الوحدة، كما أن ترحيبه بأي مسعى لتحقيق الوحدة الشاملة لم يكن ليقتصر على الجهد السوري المصري، وكأنه كان مطلعاً على جهود أخرى بمسارات ستكون متباينة.

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٢/٢٢.

(٢) الأعظمي، مرجع سابق، ص ٥٠؛

FO 371/134387, Secret United Arab Republic, Nat For the JIC.

* هناك من يعزو فكرة إنشاء الإتحاد لوزير الخارجية البريطاني في سلوين لويد بالتحديد؛ الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٣) الأعظمي، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦:

FO 371/134386, From Ankara To FO, No, 195, Top Secret 28 January 1958.

(٤) الدفاع، ١٩٥٨/١/٢٢.

فبعد أيام قلائل وبالتحديد في ١٩٥٨/١/٢٦ عاد ليرحب باقتراح عراقي لإقامة اتحاد عربي[١]، وأُتبع هذا في ١٩٥٨/١/٢٩ بإرسال الملك حسين سليمان طوقان وزير البلاط، لتأكيد رغبته بذلك[٢]، فكانت سلسلة اتصالات ومباحثات أدت في النهاية إلى قيام الاتحاد العربي في ١٩٥٨/٢/١٤[٣]. مع العلم بأن الحكومة الإتحادية لم تشكل إلا في ١٩٥٨/٥/١٨[٤].

وما بين مباحثات الوحدة، ومن ثم قيام الاتحاد، تراكمت خطوات سياسية ودعائية، زادت من حساسية ج. ع. م، ما أنتج إثارة لدعايتها حسبما تعرض وجهات النظر ذات العلاقة بها.

كان لفكرة التوقيت في قيام الاتحاد بين العراق والأردن دوراً في إثارة الحملات الدعائية، وبرز هذا العامل في خطابات الرئيس عبد الناصر الذي بيّن أن فكرة الاتحاد لدى الهاشميين ساكنة منذ سنوات طويلة، لكنها لم تُفعّل إلا عند قيام ج. ع. م، عازياً ذلك إلى الدور البريطاني الهادف "لمقاومة" الوحدة، والعمل لتصديعها، ومما زاد في نقده واحتجاجه، الجهد المبذول هاشمياً "لإستعداء الدول" حتى لا تعترف بدولة الوحدة، وفي الاقتباس الدال على ذلك، فأنه رغم "رجاء نوري السعيد، ورجاء أعوان الاستعمار في العراق والأردن، البلدين اللي ما اعترفوش بينا هُمْ إنجلترا وفرنسا – دول العدوان ثم بغداد وعمان"[٥].

وفي الوثائق البريطانية إقرار باتفاق الحكومتين العراقية والأردنية، عدم الاعتراف بـ ج. ع. م، إلا بعد تشكيل حكومة الاتحاد، كما طلبت الحكومة العراقية من حكومات الحلف المركزي عدم الاعتراف بـ ج. ع. م[٦].

---

(١) الدفاع، ١٩٥٨/١/٢٧.

(٢) الدفاع، ١٩٥٨/١/٣٠.

(٣) انظر أعداد فلسطين والدفاع في الفترة ما بين ١/٣١-١٩٥٨/٢/١٤.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٥/١٠.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في المؤتمر الشعبي بميدان عابدين، ١٩٥٨/٨/٢٠، وسيشار إليه فيما بعد: عبدالناصر، المؤتمر الشعبي، ١٩٥٨/٨/٢٠.

(٦) الأعظمي، مرجع سابق، ص ٩٥-٩٦:
FO 371/134388 From Baghdad to FO No. 272, 20 February 1956

أكد محمد حسنين هيكل في ١٩٥٨/٣/١٠، أن "المعركة" الدعائية لم تكن هدفاً لـ ج. ع. م، وإنما سعت إليها "الأسرة الهاشمية"، ولم يحدد بالاسم أي فرد من أفرادها، لكنه أكد أن "الغمز واللمز" بدأ بمجرد قيام الوحدة، وبدأت تصريحات المسؤولين العراقيين تهاجمها، وتتحدث عن "دعم شرعية" انضمام سوريا للوحدة، محددين موقعها الطبيعي في إطار "اتحاد هاشمي"، فتلك التصريحات حسب رأيه وضعت حداً للمجاملات، وأصبح السكوت عليها "يعتبر تهاوناً وتقصيراً.... وأصبح لا بد من تسمية الأشياء بأسمائها، فيقال للخائن خائن...."، وأما تحليله للأسباب الدافعة للعائلة الهاشمية، وخاصة في بغداد للقيام بتلك "المعركة" لإنهاء الوحدة فيعود لمطامع الأمير عبدالإله بعرش سوريا، ووأدها لفكرة ظلت ماثلة لدى كثير من القوميين، بأن الوحدة العربية لا يمكن أن تقوم إلا تحت "تاج يرتضيه الجميع، وكان عرش فيصل الأول بالنسبة لهم، هو المنفذ لتحقيق ذلك ولكن قيام الوحدة في ظل نظام جمهوري، "شكل صدمة مريرة لبلاط بغداد"[١]. لدرجة أن عبدالإله عاش حالة من "الاضطراب"، والانفعال النفسي، الذي أدى "لانفجار"* إحدى عينيه[٢]، وربما يتضح هذا الأثر النفسي أيضاً من خلال تجاهل قيام الوحدة من الطرفين الهاشميين، وعبّر عنه غياب سلوك يقع ضمن الشكل والمجاملة وكان بالإمكان القيام به؛ فلم ترسل برقية تهنئته بالوحدة، وترك هذا أثراً نفسياً لدى عبد الناصر[٣].

---

(١) محمد حسنين هيكل، تقرير دمشق، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٣/١٠.

* ينفي الرأي الطبي المختص وجود أي ارتباط بين الضغوط النفسية وانفجار العين، ويؤكد أن الربط بينهما لا أساس له من الصحة في طب العيون، وأن القول بذلك الربط لا مكان له إلا في إطار "الكذب والهراء أو السخافة"، لكنه بين أن الانفجار الذي حدث في عين الأمير عبدالإله ربما ارتبط بعوامل مرضية أخرى بالعين تصادفت، وحدث الوحدة، ومثال ذلك: وجود التهاب بالقرنية، أو ضعف في جدارها أدى لانفجارها. رائد الشطناوي، مستشار أمراض وجراحة العيون، مقابلة عبر الهاتف، ٢٠١٥/١/١٨.

(٢) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٣) عبدالناصر، المؤتمر الشعبي، ١٩٥٨/٨/٢٠.

ومما زاد في تعميقه، أن مبادرته بإرسال التهنئة إلى الملك فيصل بقيام الاتحاد العربي، لم يرد عليها "إلا بعد ثمان وأربعين ساعة"، وبأسلوب وصف بـــ "الفاتر"، وبمضمون لم يرق له، إذ ركز على "مآثر الهاشميين" على الوحدة العربية وما قدموه عبر التاريخ في سبيلها[١].

يمكن تسجيل جملة من الملاحظات المتعلقة بالدعاية الأردنية والتي تقترب مـــن "الغمـــز واللمز" الذي تحدث عنه هيكل، لا بل وأشار إليه النواب في إحدى جلسات البرلمان الأردنـــي، كما سنرى لاحقاً، وقبل ذلك، التجاهل والتعمية على أخبار الوحدة في الصحافة الأردنية، وهـــو موقف يعبر عن توجه ذي دلالة سياسية للنظام إزاء التطور الحاصل.

فالمتتبع لأعداد الصحف في الفترة الممتدة ما بين مباحثـــات الوحـــدة، وحتـــى قيامهـــا، سيتوصل إلى نتيجةٍ عنوانها اللامبالاة وعدم الاكتراث، من خلال ندرة الأخبار المتعلقة بالحدث، وإن وجدت ففي نطاق ضيق[٢]، وأما الإذاعة فكان لها موقف أثار ردود فعـــل نيابيـــة مـــضادة لأدائها.

فقد كان مناهضاً لمباحثات الوحدة برأي العديد من النواب؛ فتعليقاتها كانت "تهزأ" بالفكرة و"تسفهها"، وهو ما وصف بالأمر الخطير، على العلاقات مع الدول العربية، وبلغ الأمر ببعض النواب إلى القول بصلاحية مضمون الإذاعة إزاء محادثـــات الوحـــدة، للبـــث عبـــر الإذاعـــة الإسرائيلية، وهو ما لا ينسجم مع "جهود الأردن الساعية لتوحيد الصف العربي"، وانطلاقاً مـــن ذلك لابد من العمل على وضع حد لهذا السلوك[٣]، من قبل الحكومة، التي جاء ردها غير منطقي بإخلاء طرفها من المسؤولية.

---

(١) هيكل، تقرير من دمشق؛ الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ٢٠٢-٢٠٤.

(٢) انظر أعداد الصحف الأردنية في كانون الثاني وشباط، وكمثال على ذلك فلسطين والدفاع.

(٣) الدفاع، ١٩٥٨/١/٢٢.

حمّل سمير الرفاعي المذيع عبء ما قاله، فهو لا يمثل وجهة النظر الرسمية المسيرة من قبل الملك لخدمة الوحدة العربية والتضامن العربي[١]، وكأن الإذاعة لم توجد للتعبير عن الموقف الرسمي، وكأنها مخيرة فيما تبثه من مضامين، غير أن التساؤلات عادت لتحوم حـــول موقفهـــا والصحافة الأردنية مع قيام الوحدة.

فقد تعاملت الإذاعة الأردنية مع إعلان الوحدة كحدث عادي، ولـــم تعطـــه الأهميـــة اللازمة[٢]، غير أن هيكل أكد على اتخاذها موقفاً مضاداً لها، ومنسجماً مع الإذاعتين العراقيـــة والإسرائيلية. إذ وصفت الوحدة بابتلاع " مصري لسوريا، في حين أن إذاعة بغداد عدته "كتسلط مصري على سوريا"، أما الإذاعة الإسرائيلية الموصوفة من قبله بـــ "صوت عـــدو العـــرب" فعرفت الفعل "كخطوة في أحلام عبد الناصر بإقامة إمبراطورية عربيـــة مـــن المحـــيط إلـــى الخليج"[٣] وبالنسبة للصحافة الأردنية فبالرغم من عدم اتخاذها موقفاً مشابهاً لما تحدث عنه هيكل بالنسبة للإذاعة، فإن الأسلوب الذي تعاملت به هو دليل على موقف سياسي، ودليل صامت لمـــا يمكن تصنيفه بعدم الرضا.

وهو ما يتضح من آلية التعامل مع نشر خبر الوحدة الذي وضع في نطاق ضيق، وحتـــى عند حديث بعضها في الافتتاحيات عن الوحدة، فلم تتطرق لولادة ج. ع. م، وإنما تحدثت عـــن جهود الهاشميين كونهم "أول من دعا إلى الوحدة العربية، ولم "شعث العرب" في دولة واحدة[٤]، ولم تكتف بذلك، ولكنها أجرت مقارنة بين أعداد النواب الممثلين لطرفي الوحدة، بينـــت فيهـــا

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/١/٢٢.

(٢) الأعظمي، مرجع سابق ص ٣٩:

FO 371/134286, From Amman to FO, 3 February 1958.

(٣) محمد حسنين هيكل، ما الذي جرى في سوريا؛ بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/١٠/٢٧.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٢/٢.

التفوق المصري؛ فتعداد نواب مصر في البرلمان خمسة أضعاف نواب سوريا[١]، ويتبدى في دلالات الخبر معني "التسلط" و"الابتلاع" في الموقف الدعائي للإذاعتين الأردنية والعراقية المطروقة في نقطة سالفة.

أما الحكومة التي حاولت التنصل من المسؤولية إزاء سلوك الدعاية الأردنية، فنجد من يحملها وزرها، فتقارير السفارة البريطانية، تؤكد وجود أوامر حكومية حددت الأسلوب الدعائي الواجب إتباعه في التعامل مع الوحدة المصرية السورية[٢]، وإذا كان المقصود هو الحد من تأثير الدعاية المتزايدة –والمترافقة مع قيام الوحدة– على الشارع، فإن التجارب السابقة تثبت تقريباً استحالة تحقق ذلك، فكيف إذا كانت الدعاية تجيء في ظل مشروع يعبر عن فكرة وأمل الوحدة، وبالتالي فأن المدقق فيما سبق من تفاصيل سياسية ودعائية، سيجد أنها شكلت عوامل إثارة لانطلاق الدعاية المضادة أو تصاعدها، صوبَ نظامين لهما أسبقيات قريبة زمنياً في التعرض للحملات الدعائية المناوئة، وهو ما سنراه يتجدد لاحقاً في الدعاية المرسلة نحو الاتحاد، والتي يستوجب التطرق إليها المرور عبر عاملين دافعين لها وهما: الرأي العام في الاتحاد، ودخول أطراف أجنبية في المواجهة الدعائية معها.

أدى قيام الوحدة إلى ردة فعل متباينة على الساحة الأردنية؛النظام الذي بات تحت وطأة "القلق"، والرأي العام بتأثره وانجذابه نحوها، لاسيما في الضفة الغربية، وهو ورقة ستمارس ج.ع.م "ضغوطها" من خلاله[٣]، وأما الرأي العام العراقي، فكان دعاية صوت العرب تتمتع

---

[١] فلسطين، ١٩٥٨/٢/٤.

[٢] الأعظمي، مرجع سابق، ص ٣٥:

FO 371/134386, From Amman to FO, 3 February 1958.

[٣] الأعظمي، مرجع سابق ص ٤٠:

FO 371/134386, From Baghdad to FO No. 164, 4 February 1958.

بمصداقية وشعبية كبيرة، في ظل تدني تأثير الدعاية المحلية بإذاعتها وصحفها "لبعدها عن النهج القومي"[١].

وربما تبالغ الوثائق البريطانية بتوضيح مستوى الدعم والتأييد لعبد الناصر ومشروعه الوحدوي بين الطلبة العراقيين، إذ وصل إلى "عبادته من الناحية العاطفية"، في ظل ضعف حماس الشارع للاتحاد مع الأردن[٢]، وتشير الوثائق إلى خطورة الدور الممكن ممارسته من دعاية القاهرة، بوجود هكذا تعاطف، ما سيحوله إلى حالة من "الهياج"[٣].

وبناء على ما تقدم، فإن مواجهة تأثيرات الدعاية الناجمة عن الوحدة، كان أمراً لا بد منه في ذهنية الدعاية المضادة لها، والتي كانت تعمل بجهد دؤوب لتثبيت وجودها وزيادة تأثيرها في المنطقة، وتزامنت بعض خطواتها الساعية لهذا الهدف مع مباحثات الوحدة وقبيل إعلانها بقليل، وهو ما تم تسخيره فيما بعد للمواجهة مع ج.ع.م. ودعايتها.

أوردت الصحافة الأردنية مضامين إخبارية قبل قيام الوحدة بفترة قصيرة، تقترب من الترويج لحلف الدعائي المضاد لجمال عبدالناصر، مع إظهار تفوقه وقوته.

حيث قدمت صحيفة فلسطين في ١٩٥٨/١/١٨ شرحاً للجهود البريطانية لتطوير محطة الشرق الأدنى لتكون "أقوى" محطة إذاعية في المنطقة لخدمة وإشاعة وجهة النظر البريطانية في الشرق الأوسط وأوربا الشرقية، ويؤكد الخبر على أن موقع قبرص الجغرافي يجعلها تحظى بميزة كبيرة، فالجزيرة لا تبعد عن المناطق المأهولة في سوريا، ولبنان، والأردن، ومصر سوى ثلاثمائة ميل "في المجال الإذاعي" ورغم إشارته إلى وجود مشروع مصري مماثل قرب

---

[١] الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص٢٤٨.

[٢] الأعظمي، مرجع سابق، ص٥٤:

FO 371/134387, British Embassy, Baghdad, to FO, 4 February, 1958

[٣] المرجع نفسه، ص ٥٦-٥٨:

FO 371/134387, 6/2/1958.

الإسكندرية، لتقوية وتطوير البث الإذاعي، إلا أنه يعود ويؤكد على أن "أقوى مرسل" يعمل على الموجه المتوسطة في الشرق الأوسط هو راديو بغداد، إذ يبلغ قوته ٢٠٠ كيلو واط، في حين أن أجهزة القاهرة الثلاثة تعمل علة موجة متوسطة قوتها ١٠٠ كيلو واط، ويضيف الخبر على ذلك تذكيراً بالإذاعات السرية، المساهمة "بحرب الدعاية" كمصر الحرة، وصوت الحق والتي تبث بقوة ١٠٠كيلو واط على الموجه المتوسطة، مع التأكيد على موقعها المجهول[١]، وبالطبع فذلك كله كان يجري لاستقطاب الرأي العام ومحاولة التأثير عليه.

وهو ما ولّد حالة تنافسية بين الدول العربية لزيادة قوة البث الإذاعي في النصف الثاني من الخمسينيات[٢] ولم يطل الوقت، حتى عادت فلسطين لنشر خبر في ١٩٥٨/١/٢٢، عن ردود سمير الرفاعي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، على أسئلة النواب، حول إنشاء محطة إذاعية جديدة، وتبيان المبلغ المرصود والمقدر ب١٦٠٠٠٠ ألف دينار، مع إيضاحٍ ببقاء إذاعة القدس "دونما تأثير" على دورها، وأما السبب المعلن لإنشاء المحطة "فلضرورة تثقيف الشعب وتوجيهه"[٣].

لم تكن تلك الخطوات التي روّج لها سالفاً أثناء مباحثات الوحدة ببعيدة عن توقيت طرح مضامين المواجهة الدعائية التي قدمها البريطانيون للتصدي للوحدة المصرية السورية قبل إعلانها بيوم واحد.

فاجتماعات الحلف المركزي ببغداد في ١٩٥٨/١/٢٨، شهدت إجماعاً على "معارضتها بالسِّن والأظفر، ومحاولة تخريبها فوراً، أو القبول بها والعمل على تخريبها في النهاية"، مع تحديد خط دعائي للسير عليه وإظهار الوحدة بأنها "صفقه سيئة" للسوريين الذين لم يتمكنوا من

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/١/١٨.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/١/٢٢.

ممارسة حرية الخيار واتخاذ القرار الحر، ما سيؤدي لفقدانهم السيادة[١]، وتشير التوقعات البريطانية إلى جملة من العوامل التي ستؤدي إلى إنهاء الوحدة وهي ما سيتم استخدامها أيضاً في الحملات الدعائية اللاحقة.

ومن ضمنها ما أسمته "بالمعاملة السطحية للسوريين من قبل المصريين"، والخسائر الاقتصادية المترتبة على فقدان السوريين لوظائفهم، وشعورهم بأنهم "أكثر تفوقاً من المصريين"، فتلك العناصر "ستؤدي بعد فترة شهر العسل إلى التحرر من الأوهام.." [٢]، وأما تلك الأفكار والتوجهات الدعائية المضادة للوحدة، فقد كانت لدعايات ج.ع.م، مضامينها الموجهة للرد و التحريض ضد الاتحاد.

حاولت دعاية ج.ع.م أن تفصل في البداية ما بين فكرة الاتحاد وبين القائمين عليها، ففي ١٩٥٨/١/٩، فصل هيكل ما بين الاتحاد ككيان سياسي، وكآلية للوصول للهدف الاستراتيجي وهو الوحدة، منطلقاً من قاعدة فناء الأشخاص، وبقاء المشروع، فبالنسبة له، "أمر غير ذي شأن إن وقَّع عليها سمير الرفاعي أو نوري السعيد فهم إلى زوال"[٣]، وفي سبيل ذلك الهدف يتجاوز هيكل بمقال له بتاريخ ١٩٥٨/١/١٥ عن بقاء حكم "أصحاب العروش والألقاب"، وعن استمرارية التزام الطرفين بحلف بغداد ومبدأ ايزانهاور[٤].

عاد هيكل ليشن حملة على فكرة الاتحاد، واضعاً الحملة في سياق التعبير عن الرأي العام العربي، ليكون غطاءً للتحول عما أبداه من وجهات نظر سالفة.

---

(١) الأعظمي، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٦:

FO 371/134386, From, Ankara to FO No. 195, Top Secret, 28 January 1958.

(٢) الأعظمي، مرجع سابق، ص ٢٨:

FO 371/134386, From FO To Brute, Washington, 28 January 1958.

(٣) محمد حسنين هيكل، أضيئوا شمعه، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٢/٩.

(٤) محمد حسنين هيكل، أضيئت شمعة، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٢/١٥.

فمن خلال الرأي العام العربي أكد في ١٩٥٨/٢/١٨ على أن الاتحاد "مناورة لمواجهة مصر وسوريا" قام بها أتباع "الحلف"، "المشروع"، وكلاهما يتبع نفس "النبي" ويصلي لنفس "الإله" متجهاً إلى "الكعبة" في واشنطن، فالرأي العام العربي لا يرى أن قيام الاتحاد يهدف فقط " لصيانة العروش... وصيانة مصالح أعضائه الذاتية... وتأمين مستقبلهم وأعمالهم فهو مجرد اتحاد أو نقابة" ولذا فلن يكون هناك إيجابية ستنعكس على موازين القوى بما يضمن رجحان الكفة في المواجهة مع إسرائيل، وحسب رأيه فهذا أمر طبيعي، فالاتحاد لم يقم إلا بعد اخذ إذن وموافقة إسرائيل، وفي سخرية واضحة لم ينسى أن يعتذر في نهاية مقاله " لاتحاد مصدري القطن..... ونقابة مستخدمين المحلات التجارية"، مؤكداً لهم عدم قصده "التعريض لهم" حينما وصف الاتحاد العربي بأنه نقابة أو إتحاد[١].

ولم يقف عند هذا الحد، لكنه وانتقل لإظهار متناقضات العناصر الداخلة في الإتحاد، فما يجمعها هو وئام ظاهري، يخفي أحقاداً و "كراهية" بينيه حسب رأيه؛ فالملك حسين "ينقم" على فيصل لتحكمه بمصير بلد غني وقوي، وهي ميزات يفتقدها، في وقت يرى فيه أن مزاياه الشخصية وعلى رأسها الذكاء، تتفوق كثيراً على نظيره العراقي، وامتد تفصيله إلى حالة "الكراهية" ما بين نوري السعيد والملكة زين الشرف، عازياً السبب لمعرفة كل منهما "أكثر مما يجب عن الآخر"[٢].

اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر نهجاً دعائياً يبشر بسقوط الاتحاد نهائياً، وانتهاء رموزه، واتضح هذا في خطابه بدمشق يوم ١٩٥٨/٢/٢٧، فقد كان يرى أن "الاستعمار وأعوانه" باشروا بإقامة محطات سرية جديدة للدعاية ضد الثورة، وهو فعلٌ ائتلف مع دعاية مماثلة نفذتها

---

(١) محمد حسنين هيكل، نقابة ملوك الأسرة الهاشمية، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٢/١٨.

(٢) محمد حسنين هكيل، تقرير من دمشق، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٣/١٥. وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، تقرير من دمشق.

شخصيات أردنية وعراقية، وقد صنفهم ودعايتهم في إطار "العمالة"، "وبخطر" يفوق نظيره الاستعماري، ولكنه خص سمير الرفاعي بالتحديد أكثر من غيره، سواءً من حيث وصفه المتكرر "كعميل" أو "كزبون الاستعمار الأول منذ سنين طويلة"، أو من حيث التهديد بمصيره المحتوم على أيدي "الأحرار" غير أنه أكد بشكل عام على أن "الخونة العرب لهم يوم قريب" وأن عمرهم قصير، وأن حساب شعوبهم لهم لن يطول، وأن الوحدة هي "المسمار الأول في نعش وجودهم" ووجود الاستعمار، جازماً بعدم جدوى ما يؤسسه من إذاعات سريه وما يقوم به من دعاية، فالنصر بالنسبة له أمر محسوم[١].

تركت تلك الدعاية من جانب عبد الناصر أثراً في دائرة صنع القرار الأردني. فكان وقعها "قاسياً ومستفزاً" على الملك وسمير الرفاعي، مع وصفهما لها بالمبالغة، ورغم ذلك أكدوا انعدام تأثيرها على الرأي العام الأردني، لا بل إنها اصطدمت معه، نتيجة لأسلوبها "الرخيص"[٢]. والسؤال الذي لابد من طرحه هنا هو: كيف كان لذلك الخطاب ولتلك الدعاية، أن تجعلاهما في حالة من القلق، وفي الوقت نفسه ينعدم تأثيرها على الرأي العام الأردني، لاسيما إذا ما نظرنا إلى تأثير الدعاية المصرية من خلال أسبقيات ماضية، وإذا ما عرفنا أيضاً أن الملك اقترح خطوات للتعامل مع عبد الناصر ودعايته.

إذ أكد أن الرد عليه بفاعلية، يستوجب الإجابة بأسلوب ولغة مماثلة، وهو ما نسق من أجله مع العراقيين لاتخاذ "خط قوي" تجاه عبد الناصر في الإذاعة العراقية، كما تم إنجاز خطوة في مجال الدعاية المضادة لـ ج.ع.م، بتأسيس إذاعة موجهة إلى سوريا على الموجه القصيرة ما

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في احتفالات الوحدة بدمشق، ١٩٥٨/٢/٢٧. وكذلك خطابه بدمشق في ١٩٥٨/٤/٢٦.

(2) R.J. Vol. 11, Telegram From Amman To Foreign Office, 5 March 1958, FO 371/134027, P. 35.

جعل الرفاعي يشعر بتفاؤل كبير لاسيما وأن عبدالناصر يواجه حسب رأيه صعوبات في سوريا، وإذا ما سارت الأمور "على ما يرام" فستتحول دمشق إلى الاتحاد العربي خلال شهر"[1]. امتدت ردود الفعل المضادة له إلى الصحافة ولكن مع ظهور بعض البوادر غير السلمية الرافضة لنهجها الدعائي.

فجريدة الجهاد المحسوبة على القصر والمدعومة منه بمرتبات ثابتة للمحررين[2]، دفعت ثمن مشاركتها في المواجهة الدعائية ضد ج.ع.م، ودفاعها عن الأهداف التي أنشئ لأجلها الاتحاد العربي، ومهاجمة المصريين والسوريين ودعايتهم المضادة للهاشميين، وكانت النتيجة، تفجير مبنى الجريدة بواسطة متفجرات وضعت داخل مقرها، غير أن استعانتها بالمعدات الاحتياطية أدى لعدم تعطيل نشرها، وقدمت التقارير الأمنية تفسيراً يضع المسؤولية على عملاء عبد الناصر، معاقبةً منهم للصحافة المعارضة لنهجه، وليكون ذلك الفعل رادعاً لها عن الوقوف بوجه دعايته بما يسمع "بفتح الباب على مصراعيه" لمرورها دون "مقاومة"[3]، ولم يقتصر موقف الدعاية الأردنية في الرد على دعاية ج.ع.م على ما هو في إطار الاتحاد العربي، لكنها دافعت عن الملك سعود والحملات الدعائية المستهدفة له.

فبعد اتهامه بتقديم أموال* لمنع قيام الوحدة، ووجه بحملة دعائية مكثفة من دعاية ج.ع.م، صحفاً وإذاعات، فكان موقف الملك حسين رافضاً ومهاجماً ومصنفاً لها كـ "نغمة مألوفة نفثتها

(1) Vol.11, FO 371/`34027, OP. Cit, P. 25.

(٢) نصر، مرجع سابق، ص ٥٦٠.

(3) R.J. Vol. 11, Consulate General Jerusalem To Levant Department, 5 March 1958. FO 371/137027, P. 631.

* اعترف الملك سعود بعد عزله وذهابه للإقامة في مصر عام ١٩٦٦ بدفع أموال المسؤولين سوريين للقضاء على الوحدة وقد عاتبه عبدالناصر "وسأله كيف تدفع من جيبك سبعة ملايين من الدولارات لإسقاط الوحدة فإذا بالملك يرد عليه قائلاً: "لا والله يا أخ جمال – ما كانوا سبعة ... بل اثنى عشر"؛ كمال حسن علي: مشاوير العمر (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤)، ص ١٥٤.

سموم الحقد والحسد والخسة نحو ملوك العرب البررة الذين نذروا أنفسهم لخدمة دينهم ومقدساتهم ضد قوى الشر والإلحاد..." وكنكران للجميل" الذي تبدى في مواقف سعود تجاه مصر لحظات "الشدة والضيق"[١]، وقد كان الملك حسين مدركاً لأبعاد الدعاية المصرية الهادفة للتأثير على الداخل السعودي، بما يؤدي لإبعاد سعود واستبداله بالأمير فيصل، وكان ذلك الإدراك مبنياً على قوة الحملات الدعائية لـ ج.ع.م، وبإسناد من الصحافة اللبنانية الموالية لعبد الناصر والمدعومة مادياً من قبله[٢]، ولكن وفي الوقت الذي كانت الدعاية الأردنية تجتهد للوقوف في صف الملك سعود، نجده يتخذ موقفاً مغايراً لها بعد عدة أيام.

فجاء إصداره أمراً في ١٩٥٨/٣/١٤ بمنع الإذاعة السعودية بث برقيات التأييد "المعبرة عن موجات السخط"، على ما تبنه دعاية ج.ع.م، مبرراً هذه السياسة بهدف إبعاد الإذاعة عن "دنيا المهاترات"، ولأنها والصحافة "رسالة وخلق"[٣]. وعلى ما يبدو فأن التذرع بالمبدأ الأخلاقي للانسحاب من المواجهة مع الدعاية المؤثرة للطرف المقابل كان هو الخيار الأفضل، ذلك أن الاستمرارية تعني مزيداً من الإثارة للداخل السعودي والتركيز عليه، ولم يكن ذلك في مصلحة النظام الذي تأثر بتلك الدعاية بطريقة أو بأخرى، مما أدى لتراجع دور الملك سعود في الحكم.

وتمثل هذا التطور بصدور مرسوم ملكي تاريخ ١٩٥٨/١/٢٢، يمنح الأمير فيصل رئيس الوزراء صلاحيات كاملة لرسم سياسة الدولة الخارجية والداخلية والاقتصادية[٤]. وبهذا ربما يكون هذا الإجراء قد فوت فرصة على الأردن بشكل خاص، والاتحاد العربي بشكل عام للبناء

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٣/٧.

(2) R.J. Vol.11 Telegram From Amman To Foreign office, 14 March 1958, FO 371/34019, P.81.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/٣/١٥.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٣/٢٣.

على الخلاف السعودي مع ج.ع.م بما يسمح بتشكيل حلف دعائي مثلث الزوايا من الأردن والعراق والسعودية، ما ترك المواجهة الدعائية محصورة بين الوحدة والاتحاد.

ظهرت في بداية شهر آذار ١٩٥٨ محاولة دعائية عراقية من قبل رئيس الوزراء عبد الوهاب مرجان* تعتمد أسلوب الفصل ما بين عبد الناصر والشعب السوري، بإظهار الأخير "لا حول ولا قوة له"، وأنه لا يملك سوى ترديد الهتاف، فكان رد عبد الناصر داحضاً لتلك الفكرة عبر التذكير بقدرة الشعوب على الحسم والفصل مستشهداً بمواقفها من العدوان الثلاثي وإسهامها "بهزيمة دول عظمى" وتحويلها إلى دول من الدرجة "الثانية والثالثة"، وانتصارها على "أعوان الاستعمار"، في معركة الأحلاف، في الوقت الذي كان فيه الزعماء أمثال نوري السعيد "يخذلون" الأمة، ولم يكتف بذلك ففي تأكيده على قدرة الشعوب وفاعليتها تحدى مرجان بالنزول إلى الشعب العراقي(١)، وفي هذا رد منه على محاولة الفصل الآنفة، ليؤكد له أن التباعد الحقيقي موجود ما بين الشعب العراقي ورجالات حكمه، وعلى ما يبدو فإن الوصفة الدعائية البريطانية والقائمة على نهج دعائي يظهر الشعب السوري كمسلوب الإرادة والسيادة، أحدثت نتائج عكسية على مرجان.

فخطاب عبد الناصر الذي عُدّ كتحدٍ، أدى لاستقالته خلال أربع وعشرين ساعة -حسب بعض الآراء(٢)- وتم تعيين نوري السعيد في ١٩٥٨/٣/٣ خلفاً له(٣)، وإذا ما أخذنا برأي هيكل القائل بدور دعاية عبد الناصر في الإطاحة بالحكومة العراقية، فإن دعاية ج.ع.م تكون قد

---

* عبد الوهاب مرجان ١٩٠٩-١٩٦٤: ولد في مدينة الحلة عام ١٩٠٩، وتوفي في بغداد، شكل وزارته الوحيدة في ١٩٥٧/١٢/١٥، واستقالت في ١٩٥٨/٣/٢؛ الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١٠، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق بألوف اللبنانيين من الكشافة، ١٩٥٨/٣/٢.

(٢) هيكل، تقرير من دمشق.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/٣/٤.

استطاعت خلال فترة قصيرة أن تسهم في تغيير رئيس وزراء عراقي، وتجميد صلاحية ملـك سعودي.

أما الدعاية الأردنية فوجهَّت عبر الإذاعة الأردنية* انتقادات مماثلة لتلك التي أطلقها رئيس الوزراء العراقي عبد الوهاب مرجان، من خلال انتقادها للطريقة التي تفاعل بها الشعب السوري مع خطاب عبد الناصر بدمشق في ١٩٥٨/٣/٢ ووصفها بالخروج عن حدود ما هـو طبيعـي وعقلاني لا بل اعتبرتها "مسلوبة الإرادة مخدرة الإحساس، "مخبولة"، إذ وصل بها الأمر إلى عد عبد الناصر "من أولياء الله الصالحين وأنه محصن بعناية الله" وهو أمرٌ جعل الإذاعة تؤكد بأنه "موفور الحظ مع الجماهير التي تسمع إليه ولو قال لها أي شيء لصدقته وهي في حالـة مـن النشوى التي سلبتها القدرة على المناقشـة"[١].

أقر هيكل بالحالة النفسية التي وصفت بها الإذاعة الأردنية الشعب السوري، مقدما تعليلـه الخاص لتلك الحالة، ولكنه استهله بتفسير للوضع النفسي للقائمين على الإذاعة الأردنية، مبينـاً أنهم كانوا "يكادون يطقون من الغيض" وهم "يهاجمون" عبد الناصر محاولين "تشويه الصورة"، لذلك الاستقبال الشعبي والعاطفي الذي لم يحدث من قبل وكان خارجا عن نطاق المألوف، ولـم يكن بالإمكان تصديقه لو لم يحدث أمام العين، مع نقلٍ له عبـر الإذاعـات ووكـالات الأنبـاء والصحف، "فلم يكن استقبالاً لقائد أو زعيم ينتظره مئات الألوف في ساحة الجلاء، منذ الصباح وحتى منتصف الليل" فهو "البطل" الذي وجدته الأمة بعد "عصور الظلم والظلام التي مرت بهـا وسلبتها الكثير"، "فيبكي" بين يديه الرجال والنساء ووجوه القوم، وزاد هيكل على ذلك بأن صورة

---

* خلال فترة الاتحاد أصبحت تسمى إذاعة الاتحاد العربي من عمان وبغداد؛ شاهزادة، مقابلة، مجلة مؤسـسة الإذاعة والتلفزيون، ص٨.

[١] هيكل تقرير من دمشق.

عبد الناصر في أذهان الناس جاءت متطابقة مع ما في ذاكرتهم من "أساطير" عن مجيء وارث لصلاح الدين، يحمل أسم "جمال الدين"[1].

لقد جاءت هذه الصورة التي أكدتها الإذاعة الأردنية، داحضة للأفكار الساكنة لدى المسؤولين الأردنيين بإمكانية تأثير الدعاية المضادة في هذه اللحظة على الشعب السوري، ومن ثم تحوله إلى الانضمام للاتحاد العربي، وربما كان من الأفضل لو لم تتطرق الدعاية الأردنية لذلك الاستقبال أو التعليق عليه، وكان أجدى لو تم تناوله كخبر عابر بكامل تفاصيله دون زيادة أو نقصان، أو إبداء ردة فعل، ففي هذا تعبير عن الثقة بالنفس، وعدم الخشية من مفاعيل الحدث، وإن لم يكن ذلك فكان الأجدى تجاهله.

ذلك أن الطريقة التي تناولته بها الإذاعة شكلت دعاية وترويجا بصورة أخرى، وشهادة إضافية على مدى تأثير دعاية ج.ع.م. وأمام وسْم الجماهير بصفات سلبية فقد تكون النتيجة المترتبة على الدعاية الأردنية تحفيزاً ودفعاً لها باتجاه دعاية عبد الناصر، مع التأكيد هنا على أن الرأي العام الأردني لا يمكن فصله عن ذلك الانسياق العاطفي الذي ظهرت به "الجماهير" السورية، وبهذا فأن الاحتمال القائل بأن تلك الدعاية كانت موجهه إلى الداخل الأردني لردعه عن النظر إلى ردة الفعل السورية كصورة مثالية، لن تجدي نفعاً ويبقى ما قامت به دليلاً على تعمق نهج المواجهة الدعائية بين الاتحاد، والوحدة وبمشاركة غربية خفية وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية.

طرأت تحولات في هذه الفترة على تكتيكات الدعاية الغربية، ولكن مع ثباتٍ في الهدف الاستراتيجي وهو مهاجمة الوحدة وإضعافها، ووفقاً لرأي ج.ع.م فإن الأسلوب المعتاد للدعاية الغربية والذي كان يقوم على الهجوم المباشر عليها عبر إذاعات لندن وباريس وتل أبيب، فيما

[1] هيكل، تقرير من دمشق.

"الصغار يأتمرون بأمرهم في المنطقة ويقتفون أثرهم.."، تغير بتأخير "الكبار" وخاصة الدعاية الأمريكية، وتقدُم إذاعات بيروت وعمان وبغداد و "فرقة المحطات السرية التي تنبح كـالكلاب الضالة المصابة بالجرب تعزف لحناً واحداً..."، عن المطامع الاستعمارية لعبد الناصر، "هتلـر الجديد"، ودعوته الشيوعية واستعماره "الفرعوني" لسوريا، مع حملات "منتظمة ومدروسة" ضد كل ما يمت لـ ج.ع.م بصلة[١].

وترافق التحريض والتشجيع السري الأمريكي لتلك الدعاية مع إظهار الرغبة بتحسين العلاقات في العلن، بما يسهل التبرؤ منها، حال حصول احتجاج رسمي للقاهرة، مع تأكيد على الوقوف مسافة واحده من جميع دول المنطقة التي يجب أن "تحل مشاكلها بنفسها"[٢].

أكدت وجهة نظر ج.ع.م على أن الدور الجديد المناط بملوك "الأسرة الهاشمية الأطفال أو أطفالها الملوك" ومعهم كميل شمعون، والقائم على أساس الدعاية ضد عبد الناصر، أنبعث في وقت هم بأمس الحاجة إليه للدفاع عن أنفسهم بعد فشل السياسة الأمريكية في عزل مصر "وخنقها" اقتصادياً واهتزاز وضع الملك سعود، وبعد أن أصبحت أكثر قدرة على الحركة بعد الوحدة مع سوريا[٣].

وتجلى دور تلك الإذاعات بمحاولة جر ج.ع.م إلى "معارك" دعائية وإلهائها، بالتنسيق مع الدعاية الأمريكية التي كانت " تحرض على الشتم والتشهير "في إذاعات عمان وبغداد، والإذاعات التابعة لحلف بغداد، وبالتعاون مع المحطات "المبرقعة"، كمحطات مصر الحرة وصوت الحق[٤].

---

(١) محمد حسنين هيكل، الخديعة الكبرى، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٦/١٥.

(٢) المرجع نفسه، ١٩٥٨/٦/١٥.

(٣) هيكل، الخديعة الكبرى.

(٤) محمد حسنيين هيكل، هذا ما تريده أمريكا، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٦/١٧.

وبرأي عبد الناصر فإن لجوء الاستعمار إلى الاعتماد على الإذاعات التابعة "لأعوانه"، هو دليل "فشل" لما قام به من دعاية مضادة، وهو دليل أيضاً على تورط أتباعه في المنطقة عبر تسخير إذاعاتهم لخدمة التوجه الغربي ضد القومية العربية وضد العرب، مقابل دعم اقتصادي هو أقرب "لاستئجارهم"(١).

وبغض النظر عن موقف دعاية ج.ع.م من الدعاية الموجهة إليها وللسياق الذي وضعتها فيه، إلا أننا نجد خطوات على أرض الواقع بدأت دولة الاتحاد بتنفيذها لتقوية دعايتها إزاء الدعاية الفاعلة للقاهرة. وربما كان هذا يتفق مع ما طرحه الملك حسين في السابق بضرورة مواجهة عبد الناصر باللغة إلى تفهمها دعايته، وهذا ما يتفق أيضاً مع عودة نوري السعيد إلى رئاسة الحكومة مع أسبقياته في الحملات الدعائية ضد عبد الناصر خلال عامي ١٩٥٥-١٩٥٦ ولاسيما حملات الشماتة خلال العدوان الثلاثي، ومشاركته بالتمهيد له عبر تأسيس إذاعة سرية، وكذلك دعوته لقصف صوت العرب.

اتجهت وزارة السعيد* لاتخاذ خطوات عملية لزيادة قدرات الاتحاد الدعائية، حتى أن الدائرة المقربة من الملك فيصل أطلقت عليها "وزارة حرب"، فيما أطلقت عليها دعاية ج.ع.م تعبيراً ساخراً هو "وزارة حرب طواحين الهواء"**، وكانت أول ما قامت به توقيع عقود لشراء

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر، المؤتمر الشعبي في جامعة القاهرة، ١٩٥٨/١١/٢٦.

* لم تكن الحكومة الاتحادية قد قامت بعد.

** طواحين الهواء هي جزء من رواية دون كيشوت للكاتب الإسباني الساخر ميجل دي ثربانتس ساندرا، والشخصية الرئيسية فيها هو الفارس دون كيشوت، الذي يحيا حياة تعيسة بسبب عدم رغبته برؤية الواقع رؤية سليمة، ولكن حسب خياله، وكما يريد هو أن يكون، فتخيل نفسه فارساً، وتخيل حصانه الهزيل فرساً أصيلاً ومن الأمثلة الدالة على شخصيته، وتفكيره، أنه شاهد قطيعاً من الخراف، فتخيلها جيشاً، وقال لمرافقه سانتشو "أو لا تسمع صهيل الخيول ونفخ الأبواق، وقرع الطبول؟"، ولم يلبث أن شرع بالهجوم عليها طاعناً العديد منها، ما دفع أصحاب القطيع للهجوم عليه بالمقاليع، مطيحين به أرضاً وهو في حالة يرثى لها، وحينما جاء رفيقه ليسعفه أكد عليه مجدداً "ألم أقل لك إنك تهاجم قطيعاً من الخراف لا جيوشاً؟"، لكن دون كيشوت، أجابه "بأن عدوه الساحر قد رآه على وشك الظفر بإكليل المجد في تلك المعركة فدبث عقارب الحسد فيه، وإذا به يحول كتائب الجنود إلى قطعات من الخراف"؛ غبريال وهبه: دون يشوت بين الوهم والحقيقة (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠)، ص ٨١، ٨٩، ٩٦-٩٧.

محطات إذاعة تتمتع ببث قوي "ومحاولات لاستخدام معلقين وصحفيين" عبر نشاط مكثف في بيروت، غير أن دعاية ج.ع.م قللت من أهمية ذلك، مع التأكيد على انعدام مفعولها، لأن قوة الإذاعة يعتمد على جوهرها، ومضمونها فهو الذي يصنع "السحر والنفوذ"، فقيمة أي محطة ترتبط "بقيمة الكلمة التي تقال فيها والفكرة التي تخرج منها" ومن غير هذه القاعدة، تبقى أقوى محطات الإذاعة في العالم "قطعاً من الحديد الصدئ"[١]. ولم تكن فكرة التفوق هنا مجرد إدعاء من قبل دعاية ج.ع.م.

فإسرائيل كانت متخوفة من التفوق الكبير لأدوات عبدالناصر الدعائية، على دعاية الاتحاد، وبالتالي فقد كانت قلقة على مصيره حسب آراء تطرح في هذا السياق[٢]. وفيما كانت الدعاية الأردنية تستمر بنشر الأخبار ذات المحتوى المتعلق بصورة الوضع الداخلي لـ ج.ع.م، كالحديث مثلا عن شراء صفقة أسلحة فاسدة للجيش المصري من أسبانيا، وإجراء تحقيقات فيها[٣].

فقد كان عبد الناصر يؤكد مجدداً على أن مصير "الخونة أقترب" وسيتحقق خلال أشهر، وهو التطور الذي سيؤدي لواقع يضعف الاستعمار، ويمنعه من فرض إرادته، مع تأثير على قدرة "الصهاينة" بإضعاف الصف العربي، واختراقه[٤]، وبينما كان يصر باستمرار على وضع خصومة في إطار العمالة والخيانة، والاستعمار، اتجهت الدعاية العراقية لعمل دعائي مضاد له، يضعه في ذلك النهج، وهذه المرة عبر آلية جديدة.

---

(١) هيكل تقرير من دمشق.

(٢) الحسني، ج١٠، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/٣/١١.

(٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي بميدان الجمهورية بعابدين، ١٩٥٨/٣/٢٠.

قامت مجلة قرندل العراقية الموالية لنوري السعيد بنشر صورة للرئيس جمال عبدالناصر، وبرفقته موشي دايان في ١٩٥٨/٣/٢٧، مع التنويه بورودها عبر البريد دون معرفة مرسلها الذي أرخ لها قبل العدوان الثلاثي في مستعمرةٍ شمالي غزة. وردت المصادر المصرية مؤكدة إمكانية استخدام الخدع التصويرية والقيام "بتزييف" صورٍ بتلك الطريقة، مع تأكيدها أن هذه الفبركة نُشرت بعد توزيع صورةٍ لنوري السعيد، وموشي دايان في اجتماع بأنقرة، وقد أحدثت "ضجة في الأوساط العربية"، ولذا فأن "تزوير" مجلة قرندل، جاء لتشكيك الرأي العام العربي بالصورة الحقيقية الجامعة للسعيد ودايان، على اعتبار أن رفضه الطبيعي للصورة "المزيفة"، سيوصل السعيد إلى هدفه النهائي، وهو التشكيك بصورته مع دايان[1]. وقد أسهم مثل هذا الأسلوب بالإضافة لعوامل أخرى في توفير البيئة الخصبة لانتعاش الدعاية البينية.

في خضم الحملات الدعائية المتبادلة كانت وسائل الدعاية الغربية تراقب وتستفسر عما يجري وتسهم بزيادة حدة الحملات، ومثال ذلك مقابلاتها مع عبد الناصر، التي أثارت حملات أردنية، بعد ما طرح وجهة نظر تقول بدفاعية أداءه الدعائي، لا هجوميته.

فقد أكد لإذاعة كولومبيا الأمريكية في ١٩٥٨/٤/٦، أن ج.ع.م. لا تثير أي "متاعب" للأردن والعراق عبر "دعايتها القوية"، وإنما عد ذلك فهماً غير منطقي لطبيعة الأحداث، فما تقوم به هو رد فعل ودفاع عما يقع عليها من حملات دعائية تقوم بها الإذاعات السرية "المعادية، وحليفاتها" من الإذاعات "العلنية"، فهي تعمل جميعاً " لحساب الذين لا يريدون خيراً للعرب"، وفي مقدمتهم دول حلف بغداد، ومن هنا فان دعاية ج.ع.م تقوم بتوضيحها وشرحها والرد عليها، وعلى القائمين بتسييرها من "أعوان الاستعمار" في الأردن والعراق، حيث أصبحوا

---

[1] نصر، مرجع سابق، ص٥٥٨.

"أدوات" ضد الأمة، وفي الوقت ذاته يحاولون التمويه على أنفسهم بنشر حمـــلات تـــتهم ج.ع.م بمناوئتهم، كونهم "أعداء للشيوعية والإلحاد"[١].

تصدر الديوان الملكي المشهد ببيان في ١٩٥٨/٤/٨، جـــدد فيـــه اتهـــام عبـــد الناصـــر بالمسؤولية عن إثارة "الاضطراب والفتن والتخريب والتـــأثير علـــى الاســـتقرار فـــي الأردن والعراق، عبر حملاته الدعائية من صوت العرب وصحافته "المـــسمومة"، مستـــشهداً بمعرفـــة الشعوب العربية بذلك الدور كدليل على صحة موقفه، وبطلان "مزاعم" عبد الناصر حول براءته من إثارة "المتاعب"، ومحاولته التستر بـــ "بلباس الحمل"[٢].

وفي هذا الوقت عادت الأخبار عن قيام إذاعة "قوية" للإتحاد، وتحت إشـــراف حكومتـــه المباشر بالظهور مجدداً[٣]، مترافقة مع معلومات تروج لخلافات داخل ج.ع.م؛ فشكري القوتلي حسب الصحافة الأردنية يغادر إلى سويسرا، لسبب ظاهري يتعلق باستـــشفائه، فـــي حـــين أن الأسباب الحقيقية يكمن خلفها رفضه لسياسات عبد الناصر في سوريا، كإحالة عدد من ضـــباط الجيش السوري على التقاعد، ونقل قسم آخر إلى مصر واستبدالهم بضباط مصريين، وإجراءاته بتغيير العملة، وفرض قانون الإصلاح الزراعي[٤]. وإذا كانت دعاية الاتحاد قد تحـــدثت عـــن خلافات أو قامت برد على اتهامات لـــ ج.ع.م، فإن الأخيرة دعت إلى تغيير جذري ظهر فـــي الثاني والثالث من أيار ١٩٥٨، حينما دعا أحمد سعيد عبر صوت العرب الجيش العراقي وقوى الأمن للثورة ضد النظام الملكي[٥].

---

(١) حديث الرئيس جمال عبد الناصر إلى الصحفي "فرانك كينز" مندوب شركة كولومبيا للإذاعة.

(٢) فلسطين، ١٩٥٨/٤/٩.

(٣) فلسطين، ١٢/٤/ ١٩٥٨.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٤/٧.

(٥) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٥٨/١٢/٥، ج ١٨-٣٤.

وقد جاءت هذه الدعوة قبل أيام قليلة من قيام الحكومة الاتحادية حيث تم تشكيلها برئاسة نوري السعيد في ١٩٥٨/٥/١٨، في حين شكلت حكومة الشطر الأردني برئاسة سمير الرفاعي[١] وقد جاء تشكيلها في وقت بدأ أفق مضمون جديد يطل في الحملات الدعائية بين البلدين.

منذ البداية كان اللبنانيون متخوفون من قيام الوحدة المصرية السورية، لاعتقادهم بأنها ستؤدي لزيادة الضغط على لبنان والأردن والعراق، وفتح المجال للمصريين والسوريين لإثارة عدم الاستقرار ونشر الاضطرابات، ولذلك كان من ضمن الأسئلة الموجهة من قبل كميل شمعون إلى الحكومة البريطانية حول آلية التعامل مع الوحدة، "هل ستعادونها بالسن والأظفر وتسعون لتحريرها فوراً، أم هل ستشجبونها وتخططون لتخريبها في النهاية"، ولم تكتف السلطات اللبنانية بذلك بل طلبت الدعم الدبلوماسي والاقتصادي والعسكري عند الضرورة مؤكدة عزمها الدفاع عن استغلال لبنان بكل الوسائل[٢]، وجاء هذا التخوف في ظل حماس كبير للوحدة ولعبدالناصر بين المسلمين اللبنانيين، وبخاصة في طرابلس[٣].

ومع بداية أيار أخذت الأزمة السياسية بالاحتدام في لبنان إلى أن تحولت لاشتباكات مسلحة بين أنصار الوحدة ومعارضيها[٤]، وقد اتهمت السلطات اللبنانية دعاية ج.ع.م بإذاعتها وصحفها بشن حملات مستمرة تستهدف "العهد القائم" في لبنان[٥] وقد كان للدعاية الأردنية موقف مشابه أو حتى متطابق في هذا الاتهام.

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٥/١٩.

(٢) انظر الأعظمي، مرجع سابق، ص ٢١:

FO 371/134386, From Beirut to FO. No. 78, 27 January, 1958.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٢-٧٣:

FO 134588, From Beirut To FO, No. 24 October 1958.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٥/١٠.

(٥) فلسطين، ١٩٥٨/٥/١٤.

إذ أكدت على الدور المؤثر والفاعل لدعاية ج.ع.م. بإذكاء الاضطرابات علـــى الـــساحة اللبنانية، وتوتير الجو العربي العام، مقارنة ما بين وقفها وعودة الهدوء[١]، ولم يقتـــصر تـــأثير الأزمة اللبنانية عند هذا الحد على العلاقات ما بين الوحدة والاتحاد.

فالشكوى اللبنانية المقدمة لمجلس الأمن حول تدخل ج.ع.م في شؤونه الداخلية، لاقت تأييد الاتحاد، حيث كان العراق عضواً غير دائم في مجلس الأمن[٢]. وإزاء ذلك الموقــف وجهــت إذاعات ج.ع.م حملات على الأردن تتهمه بإرسال قوات إلى لبنان لمساعدة السلطات اللبنانيـــة ضد الحركات المسلحة المناوئة لها[٣]، وحددت تلك الإذاعات اسم النقيب نسيب ســـليمان كقائـــد لتلك القوات، غير أن السلطات الأردنية نظمت مؤتمراً صحفياً نفى فيه ســـليمان مـــا أوردتـــه الحملات الإذاعية حول وجوده في لبنان[٤]. غير أن تحولاً مفاجئاً في مسار العلاقات بين البلدين طرأ في النصف الثاني من حزيران فاتحاً المجال لمسار جديد من الأحداث.

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٥/٢٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/٥/٣٠.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/٦/٤.

الباب الثاني

انهيار الاتحاد وأثره على الحملات الدعائية

أدى استمرار تصاعد الحملات الدعائية المتبادلة، بدفع نوري السعيد رئيس وزراء الاتحاد لبعث رسالة إلى عبد الناصر في ١٩٥٨/٦/١٩ يطلب فيها تصفية الأجواء بين الاتحاد و ج.ع.م على أساس عدم التدخل بالشؤون الداخلية، غير أن الصحافة الأردنية أكدت استحالة الوئام مع استمرارية وسائل الدعاية لـ ج.ع.م بحملاتها "العنيفة واتهاماتها المؤسفة التي لا تؤدي إلا إلى مزيد من التوتر والانقسام والبغضاء" طارحة احتمال رفض المبادرة، وفي الوقت نفسه القول بثبات الاتحاد على سياسة تصفية الخلافات وتوحيد الأمة[١].

وتطرح مبادرة السعيد باعتقادي تساؤلات حول الأسباب الدافعة للسير بها، فهل كانت نتائج تأثير دعاية ج.ع.م على الساحة اللبنانية عاملاً من العوامل، أم هو إدراك سلطات الاتحاد لمدى تأثيرها على الرأي العام في الأردن والعراق، وفي ذلك أسبقيات ووقائع، أم أنها حيلة من السعيد لتهدئة الحملات الدعائية ومنحه فرصة لالتقاط الأنفاس والتفرغ لتثبيت أركان دولة الاتحاد الوليدة؟ أم أن ما سبق بمجموعة لعب دوراً في سعي السعيد لتصفية الخلافات مع عبد الناصر؟ النظرة الشاملة للوقائع في ذلك الوقت ترجح الأخذ بالخيارات السالفة كحزمة واحدة.

والأهم أن خلوصي الخيري وزير الدولة للشؤون الخارجية للاتحاد، طلب من سفير الاتحاد بالقاهرة، وهو سفير العراق آنذاك، إيضاح أهمية المزواجة للمسئولين هناك ما بين الاعتراف المتبادل من جهة، ووقف الحملات الإذاعية والصحفية، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية من جهة أخرى[٢]، ومضت عدة أيام على المذكرة المرسلة من قبل نوري السعيد في ١٩٥٨/٦/١٩، دونما رد[٣]، ولكنه جاء بصورة مغايرة، حينما جدد أحمد سعيد الدعوة للثورة في العراق و"قتل" حكامه، وكان هذا في السابع من تموز ١٩٥٨[٤]، وهو ما تحقق بعدها بأسبوع.

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٦/٢٤.

(٢) فلسطين، ١٩٥٨/٦/٢٢.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/٦/٢٤.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٥٨/١٢/٥، ج١٨-٣٤.

أدى انهيار النظام الملكي في العراق في ١٩٥٨/٧/١٤، وانهيار الاتحاد العربي تبعاً لذلك، إلى إظهار الدور الفاعل والمؤثر الذي لعبته دعاية ج.ع.م برأيي في الوصول إلى تلك النقطة الفاصلة من أحداث المنطقة وما كان لها من تأثير على وضع نظام الحكم الأردني من حيث الحملات الدعائية.

فمنذ البداية نظرت دعاية ج.ع.م إلى الاتحاد العربي ككيان غير طبيعي، وغير شرعي تم فرضه على الشعبين الأردني والعراقي[١]، لاسيما في صوت العرب[٢]، وعبر دعايات مكثفة ومناوئة، كان لها كبير الأثر في إنهاء النظام الملكي[٣]، بعد أن مُهِدَ للحدث الفاصل منذ ما يقرب الثلاث سنوات وكانت متسمة "بالحدة والقسوة والمهارة الدعائية، ما أدى لزيادة مساحات "السخط والاستياء.. وتأجيج حالة الغضب والانفجار" في الشارع العراقي، وجعله أكثر استعداداً للثورة[٤]. وقد صاغ الملك حسين تلك الصورة بطريقة أخرى، عندما تحدث عن العراقيين الذين "غررتهم الدعايات والإمكانيات الضخمة التي تصرف بلا حساب"[٥] وبالطبع فقد كان أكثر المتأثرين من الناحيتين العاطفية والسياسية.

يرى المدقق في خطابه يوم ١٩٥٨/٧/١٤، أنه دخل فيما يمكن وصفه بحالة من الألم النفسي، والذي لربما اقترب من الصدمة في وهلته الأولى، إذ رفض تصديق الخبر، حتى أنه قام بتصنيفه تحت بند "الشائعات والروايات المظللة حول مصير أفراد الأسرة المالكة" أو الفبركة الإعلامية ودعا الرأي العام إلى عدم تصديقه، فهو يوجه خطاباً إلى الرأي العام عبر الإذاعة،

---

(1) R.J. Vol. ll, Foreign Office minute, (1) The Arab Federation, 18 February, FO 371/134024, P.18.

(٢) أبو زيد، مقابلة.

(3) Laura M. James, Whose Voice, Article.

(٤) مؤيد الونداوي: وثائق ثورة تموز ١٩٥٨، ومن ملفات الحكومة البريطانية (بغداد: د ن، ١٩٩٠) ص ٣١٩-٣٣٢.

(٥) خطاب الملك حسين في وحدات عسكرية بالضفة الغربية، ١٩٥٨/٨/٦، ج١، ص٢٤٣.

ويؤكد على قناعته التي عزت ما اعتقد بأنه إشاعة إلى تدبير "الفئة المندسة التي تحاول تـــدمير الأمة... ونشر الفوضى وإشاعة الإلحاد والقضاء على الأمجاد التليدة[١]. ولكنه بعد هذه اللحظـــة بات أمام دعاية مضادة ومكثفة، ومن أطراف متعددة، فانطلاقاً من اللحظات التالية لأحداث يوم ١٩٥٨/٧/١٤، وجد نفسه أمام ترويج دعائي يستهدف نظامه وشخصه من قبل دعاية ج.ع.م[٢]، المشتملة على إذاعات صوت العرب والقاهرة ودمشق وحلب وما فيها من صحف.

وتنفرد إذاعة دمشق بوصف أدائها من قبل المصادر، حيث كانت تمارس دعايتها بتلـــذذ وشغف[٣]، كما أنها اشتركت مع إذاعة بغداد بالدعوة للثورة في الأردن[٤]، لا بل حـــددت فـــي ١٩٥٨/٧/١٨ أن "تحرير الأردن سوف يبدأ خلال ساعات قلائل"، وهو ما تلاه هجوم مباشر من عبدالناصر على الملك[٥].

وامتدت الدعاية التي واجهها ونظامه إلى خارج الإقليم؛ فبعد يوم واحد من ١٩٥٨/٧/١٤، أذاعت محطة موسكو الناطقة بالعربية عن مغادرته إلى لندن برفقة السفير البريطاني، وهو مـــا نفي بواسطة القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، مع توضيح يعلن عن مغادرة السفير لعمان قبل شهر سابق لأحداث تموز[٦].

وكذلك فقد امتدت الدعاية التي سلطت على النظام لتشمل التقارير الصحفية التي نـــشرت في الخارج من قبل الصحفيين الذين غادروا المملكة بعد ٧/١٤، مقدمين فيها صورة للوضـــع

---

(١) خطاب الملك حسين إلى الشعبين الأردني والعراقي بمناسبة انقلاب عبـد الكـريم قاسـم فـي العـراق، ١٩٥٨/٧/١٤، ج١، ص٢٢٩.

(2) Lunt, Op. Cit. P. 53.
(3) Ibid, P. 53.
(4) Snow, Op. Cit. P. 128.

(٥) جونستون، مرجع سابق، ص ١٦٢.
(٦) الدفاع، ١٩٥٨/٧/١٦.

المضطرب، وانحياز الرأي العام لعبد الناصر، وأن الثورة على وشك الاندلاع[١]، وبهـذا كـان الملك يواجه "حرب أعصاب شاملة"[٢].

وفي ظل تلك الدعاية بات الرأي العام مترقباً لسماع خبر اغتياله مع كل صباح[٣]، وقـد كانت الأجواء مواتية لتلك التوقعات بما فيها من انفجارات عديدة للقنابل، واعتقالات كثيرة مـع فرض الرقابة على المطبوعات[٤]. ولم تكن توقعات الشارع الأردني ببعيدة عن توقعات حلفـاء الملك، حيث لم يكن البريطانيون أو الأمريكيون يتوقعون أي فرصة لبقاء النظام[٥].

واستناداً لما تقدم تحدث بعض المصادر عن الظرف النفسي له بعد الانقـلاب مبينـة أن العشرة أيام التالية للحدث كانت من أقسى الأيام التي تحملها[٦]، ولكن وجهات نظر أخرى تؤكـد بأن الفترة الممتدة ما بين الحدث العراقي وحتى أيلول، عانى فيها "بشدة"، حتى أنها اسـتخدمت تعبيراً يقول بأنه كان "على حد السكين" The King had been on a Knife Edge [٧].

ويبين السفير البريطاني في عمان آنذاك أن الملك وأمام تفاعلات الحدث العراقي والدعاية التالية له بات "متعباً مهموماً وبمزاج بائس شديد"، وهي حالة نفسية شملت سمير الرفاعي، وجاء هذا الانطباع بعد مقابلته لهما في ١٩٥٨/٧/١٨[٨]، وقد تعمقت وتضاعفت تلك الوضعية النفسية مع وصول التقرير الكامل للأحداث "المروعة" ببغداد في ١٩٥٨/٧/٢٣، إذ "صدم" الملك وسمير "بشدة"[٩]. وفي هذا السياق نجد من يبالغ بوصف الحالة النفسية للملك.

---

(1) Snow, Op. Cit. P. 129.

(٢) جونستون، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(3) Lunt, Op. Cit., P. 53.
(4) Ibid., P. 53.
(5) Ibid., P. 53.
(6) Ibid, P. 128.
(7) Ibid., P. 95.

(٨) جونستون، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(9) Lunt, Op. Cit., P. 53.

فهيكل وصف وضعه بـــ "الهستيري"، مع تأكيده على استمراره لعدة أيام، استناداً لتصرفه كملك شرعي على الاتحاد الهاشمي، وإصداره الأوامر للقبض على "العصاة المتمـــردين" فـــي بغداد[١].

ورغم ما عاناه إلا أن السفير البريطاني أوضح أنه كان "ثابت العزم مجابهاً للتحديات..."، وعبارة "ماذا بعد، يموت الإنسان مرة واحدة فقط"، التي نطقها أمامه[٢]، تعطـــي دلـــيلاً علـــى استعداد الملك للوقوف أمام مفرزات الظرف الطارئ، الذي حرمه من سند دعائي تمثل بالإذاعة والصحافة العراقية وجعله أمام مثلث دعائي يشمل دعاية ج.ع.م بشقها الـــسوري والمـــصري والإذاعة العراقية بنهجها الجديد*، حيث بات النظام في إطار من الجغرافيا الدعائية المتطابقة مع مثيلتها السياسية بما فيها من ضغوط وتحديات.

لا بل إن إذاعات دولية ناطقة بالعربي وقريبة من هذا الخط اشتركت في الحرب النفـــسية ضد الملك. فبعد يوم واحد من الانقلاب العراقي أذاعت محطة موسكو الناطقة بالعربيـــة عـــن مغادرته إلى لندن برفقة السفير البريطاني، وهو ما نفي بواسطة القسم العربي بهيئـــة الإذاعـــة البريطانية، مع توضيح يعلن عن مغادرة السفير لعمان قبل شهر سابق لأحداث تمـــوز[٣]. لقـــد جاءت الجغرافيا الدعائية في هذه الفترة متطابقة مع مثيلتها السياسية بما فيها من ضغوط واقعة على الملك حسين.

---

[١] محمد حسنين هيكل، البحث عن نهاية، الهستيريا، طبيعة المعركة تتغير وخط ماجينو ينهار، الغرب يبحـــث عن خطة عمل في الشرق الأوسط، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/١٢/٢٠.

[٢] جونستون، مرجع سابق، ص ١٦٢.

* تبين بعد ١٩٥٨/٧/١٤ أن أجهزة التشويش وأجهزة بث المحطة السرية الموجهة نحو مصر كانت منصوبة في حديقة منزل مدير الشرطة العام في بغداد؛ الحسني، ج١، مرجع سابق، ص ١٤٤.

[٣] الدفاع، ١٩٥٨/٧/١٦.

حتى أن الدعاية المصرية صورت وضعية نظامه "بالجيب... أو الجزر المعزولة وسط المحيط العظيم"[١]، مع الاتكاء على "البذاءة"– التي سبق وان استُعْرضت آراء حول استخدامها من قبلها– لتوضيح أثر المتغير الجديد على الملك.

فكيانه حسب هيكل "جزيرة صغيرة فيها قصر بل مصيدة يسكنه ملك، بل فأرٌ صغير خفيف الدم مهزوز الأعصاب أسمه حسين بن طلال"[٢] ولاشك بأن ذلك التوظيف لتلك المفردات كما أرى جاء في سياق حرب نفسية، تستهدف الجانب المعنوي لديه.

الذي ظلت مفرداته، ورغم جسامة الحدث، ومخرجاته السياسية والنفسية بعيدة عن[٣]، "البذاءة"، وبينما كانت دعاية ج.ع.م تأخذ طابعاً مناوئاً للملك حسين، غدت بالمقابل تحتضن نظام بغداد الجمهوري تؤازره وتسانده.

تجسد الدعم منذ اللحظات الأولى للثورة بأوامر أصدرها عبد الناصر إلى عبد الحكيم عامر بأن تتخذ الإذاعات موقفاً "فورياً" ودونما "تردد" وبكل طاقتها، ومعها أدوات الدعاية والتوجيه الأخرى، لدعم "الثورة العراقية" ومن غير "تحفظ"، ولتعبئة الرأي العام العربي كله دفاعاً عنها وعن "الثوار"[٤].

كما أن مضمون الدعاية العراقية خلال اليوم الأول للعهد الجديد اعتمد بدرجة كبيرة على البيان الذي أصدره لتأييد "الثورة" العراقية، وكان فحواه أن أي عدوان على الجمهورية العراقية هو عدوان على ج.ع.م التي "ستقاتل جنباً لجنب مع جمهورية العراق"، وكان بثه يتردد في

---

(١) هيكل، البحث عن النهاية.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر خطابات الملك في الفترة التالية لـ ١٩٥٨/٧/١٤.

(٤) محمد حسنين هيكل، يا سيادة الزعيم الأوحد، بصراحة الأهرام، ١٩٥٩/١/٢٧. وسيشار إليه فيما بعد، هيكل، ياسيادة الزعيم.

إذاعة بغداد مرة كل عشر دقائق، كدعم معنوي وليعرف العراقيون وفقاً لهيكل أنهم ليسوا "وحدهم في المعركة"[١]، وهو المضمون الذي تتكرر بصورة أخرى في خطابه بدمشق يوم ١٩٥٨/٧/١٨، عندما أعلن استعداده لحمل السلاح للدفاع "عن شعلة الحرية التي انتصرت" في بغداد[٢]. وفي اليوم ذاته وأمام الأعباء النفسية الواقعة على الملك والناجمة عن الضغوط الدعائية والسياسية والأمنية حسب اعتقادي، اتجه إلى خطوة يمكن وضعها في إطار الدفاع عن الذات حيث قدمها بطريقة دعائية تفسح لها القبول لدى الرأي العام.

مهد الملك للإعلان عن استدعائها بإثارة العاطفة الدينية، وبالتأكيد على وجود "أعداء متربصين"، إن دانت لهم السيطرة "فلا رب يعبد ولا تحفظ حرمة ولا مقدسات"، ومن هذا المنطق الذي حدده وقدمه للشارع كان لا بد من طلب "المعونة العسكرية العاجلة" للحفاظ على الأمن والاستقرار، وهو قرار أكد أنه يعلنه بوضوح وصراحة، على النقيض بمن استعانوا بالقوات والخبرات "الشيوعية"[٣]، وفي ١٩٥٨/٧/١٩ كانت القوات البريطانية في عمان[٤]، وفي اليوم التالي قطعت العلاقات الدبلوماسية مع ج.ع.م[٥]، التي وقعت في ١٩٥٨/٧/١٩ اتفاقية مع الجمهورية العراقية لتوثيق العلاقات، وقد عدها عبد الناصر تعبيراً عن "القومية العربية الحقيقية"[٦] في حين اتجه لاستخدام قرار استدعاء القوات البريطانية، كورقة دعائية في مضامين الحملات الموجهة ضد الملك، وربما يكون في ذلك شيء من المفارقة.

---

(١) هيكل، ياسيادة الزعيم.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق بعد ثورة العراق، ١٩٥٨/٧/١٨.

(٣) خطاب الملك حسين إلى الجيش، ١٩٥٨/٧/١٨. ج١، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٤) الدفاع، ١٩٥٨/٧/٢٠.

(٥) المرجع نفسه، ١٩٥٨/٧/١٢.

(٦) الدفاع، ١٩٥٨/٧/٢١.

فالدعاية المكثفة لإذاعات ج.ع.م، والتي تسببت بقدوم القوات البريطانية[١]، بـات لـديها ورقة دعائية إضافية في مضامينها، وهذا برأيي الشق الأول من الفائـدة التـي عـادت علـى عبدالناصر إثر تمركز القوات في الأردن.

حيث عد دخولها عبر إسرائيل وبموافقتها، احتلالا للأردن، ولكنـه أكـد أنـه سـينتهي" بانتصار" الشعب الأردني[٢].

وأما الشق الثاني من الفائدة العائدة عليه، فكان عبر منع انهيار النظام، وهو الأمر الـذي كان حدوثه سيدفع بإسرائيل لاجتياح الأردن بضفتيه، مع أجزاء من سوريا وجنوب لبنان، أي أنه سيكون تحت ضغط محرج للرد، وهو ما لم يكن يقدر عليه، في ظل الدعم الأمريكي لإسرائيل، وعدم رغبة السوفييت، التورط بإسناده[٣] وبالإضافة للورقة الدعائية الجديدة التي أنتجها تطـور الأحداث لصالح دعاية ج.ع.م، وجهت محطة دعائية "سرية" ضد النظام الأردني تحت مـسمى "صوت الأردن الحر"[٤]، ما شكل مصدر قلق إضافي للحكم في عمان.

حيث كان تحت وقع الحملات "التحريضية" المتصاعدة و "العنيفة" لإذاعات صوت العرب ودمشق، والقاهرة، والمتزامنة مع عمليات تهريب الأسلحة عبر سوريا، وتفجيرات في عمان[٥].

وتشير دلائل الفترة الزمنية التالية للتطور العراقي إلى مفعول دعاية ج.ع.م والتي وصلت إلى مراكز حساسة في الدولة، فحسب الوثائق البريطانية فإن التأثير "السام والخبيث" لهـا لازال مستمراً، وبلغ من الخطورة، وصوله إلى داخل الجيش، بواسطة من اسماهم سـمير الرفـاعي رئيس الوزراء في حديث مع السفير البريطاني بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢٧، بدافعي الرشـاوي "مـن

---

(1) Lunt, Op. Cit. P. 56.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يوليو وبحضور الوفد العراقي، ١٩٥٨/٧/٢٢.

(3) Lunt, Op. Cit. P. 56.

(4) R .J., Vol. 10, Telegram From Amman To Foreign Office, 7 August 1958 PREM11/2381, P. 905.

(٥) الماضي، مرجع سابق، ص ٦٩٢-٦٩٣.

عملاء ناصر" لضباط في مواقع مهمة، وهو ما جعل ولاء الجيش على المحك وفي موضع الاختبار [١].

وفي ١٩٥٨/٨/٧عاد السفير البريطاني ليؤكد في برقية بعثها إلى وزارة الخارجية، على قوة التيار الناصري، وتقدمه استناداً إلى قوة الدعاية، مع استمرارية فكرة المؤامرة[٢]، ولتلافي التجربة العراقية التي كان فيها الجيش الأداة الرئيسية في تنفيذ خطوة جذرية منسجمة مع دعاية مركزة ومضادة للنظام لمدة ثلاثة سنوات، كثف الملك من خطاباته ولقاءاته مع الجيش.

وجه الملك خطابا إلى الجيش عبر الإذاعة في ١٩٥٨/٧/١٨[٣]، وفي ١٩٥٨/٨/٦ قام بزيارة عدد من الوحدات العسكرية، وألقى خطاباً في وحدات تابعة لسلاح المدفعية[٤]، وكذلك الأمر فعل في ٨/٩ حينما خطب في ضباط وجنود سلاح الهندسة الملكي[٥] وكان الملك يتحدث إلى جنود في إطار من التودد والثناء والمديح مع التحذير مما اسماه "عناصر السوء والفساد" أن "تندس" بين الصفوف[٦]، مع التأكيد على فكرة الشهادة، و"الصمود" بمواجهة "دعوات الإلحاد"[٧]. ولم يكتف بالتحرك لتحصين الجبهة الداخلية، ولا سيما المؤسسة العسكرية، بل امتد تحركه إلى أدوات أخرى لمواجهة دعاية ج.ع.م.

---

(1) R.J. Vol.10, Telegram. From Amman To Foreign Office 27 July 1958 PREM11/2380, P. 680.

(2) R.J ; Vol.10, Telegoam. From Amman To Foreign Office 7 August 1958 PREM11/2381, p.590.

(٣) خطاب الملك حسين إلى الجيش عبر الإذاعة، ١٩٥٨/٧/١٨، ج١، ص٢٤٣. وسيشار إليه فيما بعد: الملك، خطاب إلى الجيش عبر الإذاعة ١٩٥٨/٧/١٨.

(٤) خطاب الملك حسين في بعض وحدات سلاح المدفعية، ١٩٥٨/٨/٦، ج١، ص٢٤٣.سيشار أليه فيما بعد: الملك، خطاب في سلاح المدفعية، ١٩٥٨/٨/٦.

(٥) خطاب الملك حسين في ضباط وجنود سلاح الهندسة الملكيين ١٩٥٨/٨/٩، ج١، ص٢٥٣.

(٦) الملك حسين خطاب الجيش عبر الإذاعة، ١٩٥٨/٧/١٨، ص٢٣٨.

(٧) الملك، خطاب في سلاح المدفعية، ج١، ص٢٤٢.

فتم تقديم شكوى إلى مجلس الأمن الدولي ضد ج.ع.م في ١٩٥٨/٦/٨، وتقرر عقد جلسة طارئة في ١٩٥٨/٨/١٤ [١]، ولتقديره خطورة الدعاية في تلك الفترة، والمرفودة بـــ "المؤامرة" و"العملاء" كما أكدت الوثائق البريطانية سالفاً، بادر بالهجوم على عبد الناصر عبر فكرة الحياد.

حيث أكد في ١٩٥٨/٨/١٠ أن ممارساته تتناقض معها، فلم يلتزم بهـا علـى مـستوى علاقاته مع الدول العربية، مستندا إلى روابطه القوية مع موسكو التي جعلها "كعبة له"[٢]، وهنـا نجد الملك يقدم تفسيراً للحياد يقوم على عدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية وقـد جـاء مغلفاً أيضاً بالهجوم على عبد الناصر ودعايته.

فقد وصفه بـــ " الداعية الأحمر" الذي يملأ " نعيقه" "أجواء الفـضاء بـالتهريج المعـاد.. وبأسلوب غوغائي" عبر "صوته وأصوات إذاعاته و وأبواقه..." حاضاً الشعوب العربية علـى الثورة وقتل حكامها، مع دعم عمليات "التسلل والتخريب والتدمير.. ورغم كـل ذلـك " يقـول بالحياد* وعدم التدخل بشؤون الغير"[٣]. صنف المنطق الدعائي "الهجـومي" للملـك إزاء عبـد الناصر، عبر الإذاعة الأردنية، من قبل السفير البريطاني بأنه دليل على تعافي النظـام وثقتـه بنفسه[٤] وربما كانت هناك دلالات أخرى يحملها ذلك المنطق.

إذ أن الملك كان يعاني نهاية تموز وبداية آب من مواقف الأصدقاء الغربيين، والأسـلوب الذي تعاملوا به مع مخرجات ١٤ تموز ١٩٥٨، فبالنسبة له فإن "الحلفاء الذين ضحى من أجلهم

---

(١) خطاب الملك حسين بعيد الجلوس عبر الإذاعة، ١٩٥٨/٨/١٠، ج١، ص٢٦٥. وسيشار إليـه فيمـا بعـد: خطاب الملك، عيد الجلوس، ١٩٥٨/٨/١٠.

(٢) خطاب الملك حسين عيد الجلوس، ١٩٥٨/٨/١٠، ص٢٦٥.

* الحياد الإيجابي: "هو نهج سياسي يقتضي من الدولة التي تسير عليه أن تتفاعل سياسياً مع الأحداث العالمية وأن تشارك في حل مشكلات المجتمع الدولي على أساس من عدم الانحياز وحسبما تمليه مبـادئ العدالـة الدولية بهدف الوصول إلى تحقيق الأمن والسلام العالميين"، وقد جاء بزوغه بعد مـؤتمر بانـدونغ عـام ١٩٥٥، وكان عبدالناصر أول من استعمله عام ١٩٥٦؛ الكيالي، ج٢، مرجع سابق، ص٥٩٦.

(٣) خطاب الملك حسين، عيد الجلوس، ١٩٥٨/٨/١٠، ص ٢٦٥.

(4) R.J . Vol.10, Telegram. From Amman To Foreign Office 11 August 1958 FO 371/ PREM 11, 2831, P.691.

زعماء العراق بأرواحهم". وقاوموا "التغلغل الشيوعي إلى جانبهم"، سارعوا إلى الاعتراف بــــ "الزعماء العراقيين الجدد في الوقت الذي لم تكد تُدْفَن الجثث"، وهو ما عده نوعاً من "قلة الحياء وانعدام الاحتشام" وضرب مثالاً باعتراف تركيا في ٧/١٣، ثم بريطانيـــا والولايـــات المتحـــدة الأمريكية [١]. وعلى ما يبدو أن هذا الأسلوب المدان في التعامل مع الحدث العراقي من الملـــك كاد أن يمتد إليه.

وهو ما كشفه السفير البريطاني في عمان في رسالة إلى حكومته في ١٩٥٨/٨/٣١، حينما تحدث عن "مدرسة فكرية" في لندن وواشنطن تصف الأردن "كحالة ميؤس منها" وتدعو لإفساح المجال أمام عبدالناصر "للسيطرة" عليه "بطريقة لائقة ومهذبة"[٢]. وربما كان لموقـــف الحلفـــاء السالف من الحدث العراقي أثراً في إشعار الملك بوحدته وعزلته في مواجهـــة دعايـــة ج.ع.م، والنظام العراقي الجديد، وهو ما دفعه للمبادرة بالهجوم الدعائي، والذي سبقته خطوة أخرى.

تمثلت بإنشاء إذاعة سرية في ١٩٥٨/٧/١٨ تحت مسمى صوت العراق، وقد روج الملك حسين لها في حديث صحفي نشرته جريدة الصندي تايمز في ١٩٥٨/٧/٢٧، وحسب المـــصادر المصرية فإن الإذاعة الإسرائيلية سبقته إلى الإعلانات والتنويه بوجودها، أما الأهداف المرجوة منها فهي العمل كأداة دعائية لتمهيد الأجواء في العراق لإعادته إلى الحكم الهاشمي بقيادة الملك، عبر تشكيك الشعب العراقي بالنظام الجديد، إضافة "لمهاجمة" ج.ع.م واتهامهـــا "بجـــر الـــدول العربية تجاه موسكو"[٣]، غير أن الدعاية الموجهة ضد النظام كانت أقوى من قدراته وما لديـــه من مقومات، وهو ما يتضح من تفكيره بآليات تعتمد المظلة الدولية للحد من الحملات المضادة.

---

(١) الحسين مهنتي، ص١٢٩.

(٢) شلايم، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٣) نصر، مرجع سابق، ص ٥٥٣.

ترافق هذا الطرح مع اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في النصف الأول مـن آب ليحث الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنها الوضع في الأردن والذي خصص يوم ١٩٥٨/٨/١٤ بحث شكواه[١].

فقد اقترح الملك وسمير الرفاعي خلال مناقشات مع السفير البريطاني قيام الأمم المتحـدة باتخاذ إجراءات تحد من "النشاطات التخريبية"، بما فيها الحملات الدعائيـة، بالاعتمـاد علـى مندوبيها في المنطقة، ووصل الأمر إلى ان يقترح الملك وضـع مـراقبين داخـل الإذاعـات المصرية، وإيجاد محطات مراقبة على الحدود السورية لرصد البث القادم من إذاعـة "صـوت الأردن الحر" وتحديد موقعها، لا بل أن الملك والرفاعي طالبا بان تشمل مظلة الأمم المتحدة دول المنطقة بأكملها[٢].

وفي الجلسة الطارئة للجمعية العامة في ١٩٥٨/٨/١٤ طالب عبد المنعم الرفاعي رئـيس الوفد الأردني، بوقف الحملات الدعائية لإذاعات ج.ع.م والمصاحبة لنـشاطات مـسلحة علـى الأراضي الأردنية[٣]، وقد وجدت الرغبة الأردنية بوضع حد لدعاية ج.ع.م مؤازرة بريطانيـة. فوزير الخارجية البريطانية (لويد) عبر عن قلقه من خطورة الدور الذي تقوم به صوت العرب في المنطقة، حتى أنه استشهد "بافتخار" أحمد سعيد في احتفالات الذكرى الرابعة لتأسيسها، بمـا تقوم به من جهد في الحض والدعوة إلى "الثورات" في الوطن العربي[٤].

---

(١) الدفاع، ١٩٥٨/٨/١٣.

(2) R.J; Vol.10, Telegram. From Amman To Foreign Office 12 August 1958 PREM11/2831, P.596.

(٣) الماضي، مرجع سابق، ج١، ص٦٩٣.

(٤) الدفاع، ١٩٥٨/٨/١٥.

وبعد اجتماعات تم فيها دراسة عدة مقترحات من قبل الجمعية العامـــة، تقــدمت الوفـــود العربية بمشروع قرار ينص على الحفاظ على استقلال الأردن ومنع تعرضه لأي عدوان مـــن جانب أي دولة عربية وتم إقراره في ١٩٥٨/٨/٢١[١] بتأييد وإجماع عليه من "دول العالم"[٢].

رأى البريطانيون في القرار الذي أدى لوقف الحملات الدعائية، فسحة للملـــك، للتفكيـــر والعمل على تثبيت قواعد حكمه، إذا أن سقوطه "خطيرٌ للغاية"، فهو الوحيد القادر على "جمـــع شعث البلد مع بعضه البعض"، أما المصريون فأكدوا أنه ليس بالإمكان وقف الحملات الدعائيـــة دفعة واحدة، ولا بد من التدرج، مع العمل على تهدئة واستبعاد العناصر "المـــؤثرة فـــي إنتـــاج القلاقل"، مع الاحتفاظ بوجهة نظر تجمع بين متناقضين؛ الرغبة بزوال النظام الملكي من جهة، والخشية من عواقب ذلك من جهة أخرى، وهذا ما طرحه وزير الخارجية المـــصري محمـــود فوزي خلال نقاشه مع المندوب البريطاني في الأمم المتحدة (Sir Dixon) [٣].

وسعياً لتطبيق القرار وإيجاد خطة بناءة لوقف الحملات ضد الملك، كان لابد من جولـــة يقوم بها الأمين العام للأمم المتحدة همرشولد في المنطقة بداية أيلول، وقد طلب البريطانيون منه زيارة عمان بسرعة "لإعطاء ثقة للنظام" وهو ما سيشكل أيضاً مؤشراً أولياً على فاعلية القـــرار الدولي[٤]، أما الموقف الأردني فجاء معبراً عن الرغبة بالتقاط الأنفاس في تلك اللحظة. فالقرار القاضي بوضع حد للحملات الدعائية صدر للإذاعة الأردنية في القدس وعمان في ١٩٥٨/٨/٢٢ بضرورة التوقف عن "إذاعة أي نبأ أو تعليق قد يسيء أو يُشْتَمُ بأنه يـــسيء إلـــى أيـــة دولـــة

---

(١) الماضي، مرجع سابق، ص٦٩٣.

(٢) الملك حسين، عيد الجلوس، ١٩٥٨/٨/١٠، ص٢٦٥.

(3) R.J., Vol.10, Telegram. From New York To Foreign Office 22 August 1958, PERM 11/2381, pp.716-717.

(4) Ibid, P. 717.

عربية"[١]، وفي ١٩٥٨/٩/٣، عيّن سمير الرفاعي شقيقه عبد المنعم الرفاعي رئيساً "للمطبوعات والإذاعة"[٢]، وربما كان ذلك لإحكام سيطرته على أداء الإذاعة مستفيداً من تجربته معها عام ١٩٥٦، حينما اتخذت في بعض المحطات مساراً خارج نطاق رغباته كما رأينا سالفاً.

وإذا كانت حاجة الملك الماسة لهكذا قرار دفعته للحرص على تطبيقه بأسلوب يمكن وصفه بالمتشدد، حينما تمت الإشارة إلى منع حتى التلميح، فإن دعاية ج.ع.م والتي كانت في موقع القوة لم تأبه له في البداية ولم تعمل على تطبيقه، حسبما تبين التفاصيل.

وقد ظهر "استياء واسع لدى الرأي العام في الفترة التالية لصدور القرار، لاسيما في الضفة الغربية"من المملكة، حيث كانت التوقعات ترنو لأجواء مستقرة بين الدول العربية، غير أن استمرار إذاعات ج.ع.م بمهاجمة النظام الأردني ولد شعوراً "بالإحباط، في حين أن الإذاعة الأردنية التزمت الصمت بما يسمح بتحويل اللوم تجاه دعاية عبد الناصر[٣]. واللافت أن تشير الوثائق البريطانية إلى استياء لدى الرأي العام في الضفة الغربية إزاء استمرارية الحملات الإذاعية الموجهة ضد النظام، حيث كان على الدوام تقريبا في حالة مساندة لها، ولم تذكر الوثائق تفسيراً لذلك.

وربما كان ذلك الموقف مرتبطاً بالبعد الاقتصادي الذي كان لا بد أن يترك أثراً على اقتصاديات الضفة نتيجة لتوقف إمدادات البترول بعد إغلاق الحدود السورية، وتوقف حركة النقل وتصدير منتجاتها[٤]، ولتعميق تنفيذ القرار على الساحة الإقليمية وبخاصة المتعلق بـ ج.ع.م.، كان لابد من ضغط متواصل على القاهرة من قبل الأمم المتحدة.

---

(١) فلسطين، ١٩٥٨/٨/٢٣.

(٢) الدفاع، ١٩٥٨/٩/٤.

(3) R.J; Vol.2, Telegram. From Amman To Foreign Office 4 September, FO 371/134010, P.989.

(٤) الماضي، مرجع سابق، ص ٦٩٢-٦٩٣.

اجتمع همرشولد في ١٩٥٨/٩/٤ بعبد الناصر[١]، الذي دافع عن أداء دعايته ومضامينها، حيث شكلت آلية وأسلوب التعبير عن وجهة النظر نقطة نقاش بين الطرفين، فبينما رأى عبدالناصر أن وصف إذاعاته لوجود القوات البريطانية في الأردن بالخيانة هو تعبير عن وجهة نظر، مع اعترافه "بخشونته"، إلا أن همرشولد أصر على "عدوانيته"، دون أن يقول ذلك مباشرة، ولكن عبر طرح مثال مقابل يقول بأن تدخل ج.ع.م في لبنان "تحريض على الثورة" في رأيه، ولكنه لا يطرح ذلك علناً، وقد نجح في النهاية بالتوصل إلى اتفاق ينص على قيام ج.ع.م ببذل ما في وسعها لتفعيل القرار الدولي، والالتزام بعد التدخل والاعتداء، ورغم أن القرار نص على وجود ممثل للأمم المتحدة في عمان للرقابة على الأداء الدعائي، إلا أن عبد الناصر رفض مثيلاً له في القاهرة، ولكنه وافق على وجود ضابط اتصال في دمشق لأغراض الاتصال، وكانت أهم النقاط تلك المتعلقة بالسماح بالدعاية في إطار التعبير الشرعي عن الرأي السياسي وتجنب "التطرف" والإثارة، مع اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لتنفيذ القرار الدولي[٢].

وقد أعطى عبد الناصر أوامره للمعنيين بالإشراف على الحملات الدعائية، لشطب ما هو "سام.. وغير لائق"، كما وعد بتقديم التسهيلات اللازمة لممثل الأمم المتحدة بعمان، لتسهيل اتصاله ببيروت، عبر الأراضي السورية، علماً بأن عدد مراقبين الأمم المتحدة الذين انتدبوا لمراقبة تنفيذ القرار بلغ خمسين مندوباً[٣]، أما الأردنيون فَحُدِدَ السفير المتجول للأمم المتحدة، سبينللي (Spinelli) كقناة لنقل ملاحظاتهم، فيما يرتبط بالحملات الدعائية[٤].

---

(١) الدفاع، ١٩٥٨/٩/٥.

(2) R. J., Vol.,10, Telegrams. From Amman To Foreign Office 10 September, FO 371/134032, P. 722.

(3) R. J., Vol.10, Telegram. From NewYork To FO,17 September 1958, PREM 11/2381 PP. 727-728.

(4) R. J., Vol., 10, PREM 11/2381/OP.Cit., P. 727.

أما الطرف الآخر الذي كان حريصاً على توقف الدعاية ضد النظام الأردني فهم البريطانيون، حيث كانوا يسعون إلى سحب قواتهم من الأردن في ظل أجواء مستقرة، وهو ما ظهر من استفسار رئيس البعثة البريطانية في الأمم المتحدة عن عواقب استمرارية ج.ع.م في دعايتها ضد النظام الأردني، إلا أن رد همرشولد كان مطمئناً ومؤكداً على حصول تحول إيجابي في أداء إذاعات ج.ع.م، مع الإشارة إلى أن "السلوك السيء لإذاعة صوت الأردن الحر" من سوريا لا يعتبر عقبه أمام الانسحاب الذي يجب أن لا يُربط بضرورة حصول تحولات جذرية في الأداء الدعائي ضد النظام[١]. لقد شكلت القوات البريطانية سيفاً ذو حدين بالنسبة للنظام.

فهي من جهة ساعدت على تأمين الاستقرار، ومن جهة أخرى استخدمت كورقه دعائية في حملات ج.ع.م ضد الملك، وهو ما أدى لاستقرار الرأي على الانسحاب، مع الاعتقاد بأن إتمامه مع قدرة النظام على الاستمرارية، سيشكل دعاية قوية له وتحفيزاً لمواجهة الدعاية المضادة[٢]، القائلة باعتماد بقائه على القوات الأجنبية[٣].

رغم ما قام به همرشولد من جهة لتطبيق القرار الدولي، إلا أن إيجاد هدنة دعائية بات أمراً شبه مستحيل، مع استمرار الطرفين بالنزوع للأخذ بأسلوب الدعاية المثير في التعامل مع القضايا المرتبطة بهما، فالرئيس جمال عبد الناصر الذي وافق قبل أيام قلائل على وضع حد للحملات الدعائية لم يلتزم بذلك.

فقد نفى خلال حديث له لصحيفة هندية في ١٩٥٨/٩/٢٨، أن تكون ج.ع.م هي سبب عدم استقرار الأردن، وإنما الملك الذي اتخذ خطاً سياسياً بعيداً عن "الخط الوطني" الذي ارتضاه

---

(1) R.J., Vol.,1.11, Telegram. From NewYork To Foreign Office 25 September 1958, FO 371/134032, P.76.

(2) R.J; Vol.10, Telegram. From Amman To Foreign Office 29 September 1958, PREM 11/239, P.736.

(3) Lunt, Op. Cit., P.54.

الشعب، عام ١٩٥٧ وانقلب عليه لقاء "سبعين مليون دولار" هو السبب، وحسب رأيه فإنه عـاد لتكرار الخطأ باستدعاء القوات البريطانية التي باتت تحتل الأردن[١] وبالطبع فإن هـذا الـرأي وعبر إحدى وسائل الدعاية يعد خرقاً لكل التفاهمات التي تم التوصل إليها في المنطقـة لوقـف الدعاية البينية المضادة، وهو ما كان في العادة يلاقي ردوداً أردنية.

غير أن الإذاعة في عمان التزمت الصمت ولـم تـرد، منتظـرة خطـاب الملـك فـي ١٩٥٨/١٠/١[٢]. وفي هذا الوقت كان البريطانيون يسعون للإبقاء بالأردن بعيـدا عـن شـن الحملات المضادة ج.ع.م.

أرسل السفير البريطاني إلى وزارة الخارجية في ١٩٥٨/٩/٢٩ يبلغها حصوله على نسخة من خطاب الملك المعد لافتتاح الدورة العادية لمجلس الأمـة فـي ١٩٥٨/١٠/١، والمتـضمن إشارات لـ ج.ع.م يمكن أن تكون سبباً في تجدد الحملات الدعائية[٣]. وجاء ردها: "لم يرق لنا ما ورد في بعض الفقرات، وسيضعنا في مأزق نعمل على تجنبه، وإننا لمندهشون من هذا التعمد من قبل سمير الرفاعي مع علمنا بما لديه من المكر والدهاء، إن تلك الحمـلات المتعلقـة بـ ج.ع.م ستؤدي إلى الادعاء أن الأردن عاد إلى شن حملات دعائية ضدها، فعليه أن لا يعطـي خصومه العذر، بعدم تطبيق قرار الأمم المتحدة القاضي بوقفها[٤].

وطالبت الخارجية البريطانية بضرورة شطب الفقرات المتحدثة عن وقوف الشيوعية خلف نشاطات ج.ع.م، معتبرة تلك الإشارة "منافية للحكمة"، مع تقديم تعديلات أخرى تشمل إلغاء جمل

---

(١) الحديث الصحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع الصحفي الهندي كارانجيا رئيس تحرير صـحيفة بليتـز، ١٩٥٨/٩/٢٨.

(2) R.J; Vol.10, Telegoam. From Amman To Foreign Office30 September 1958, PREM 11/12381,P.74.

(3) R.J; Vol.10, Telegram. From Amman To Foreign Office 29 September 1958, PREM 11/12381,PP.742-743

(4) R.J., Vol. 10, Telegram. From Amman To Foreign Office 30 September 1958, PREM 11/123811, PP. 744-745.

وفقرات، ومقترحات أخرى لتخفيف النبرة، بما يجنب الدخول في حملة دعائية مع ج.ع.م،، وهو ما عدته هدفاً للرفاعي للحفاظ على ما أسمته بالوضع "القمعي المتأزم" من خلال علاقات سيئة مع دول الجوار قدر الإمكان، لتأمين مناخ سياسي يحفظ له وجوده كرئيس للوزراء، وحسب الخارجية فإن هذا سيتسبب بوضعٍ حرجٍ لبريطانيا ويُبقى أمرَ سحب القوات مربوطاً بطبيعة العلاقات الأردنية مع ج.ع.م، وهو ما سيحدده خطاب الملك والذي لا بد من تخفيف نبرته[١].

اجتمع السفير البريطاني بعمان تشارلز جونستون بسمير الرفاعي، عارضاً أفكار الخارجية البريطانية، ولكن الأخير، أخبره بعدم إمكانية إجراء تعديل على الخطاب كونه تم توزيعه على شريحة واسعة، مع إقرارٍ بوجود عبارات "قوية"، مبرراً إياها بارتباطها بتاريخ مضى، ولا يمت بصلة للواقع الحالي، إضافة إلى الحاجة لوضع البرلمان الذي كان معطلاً منذ انقلاب بغداد بصورة الوضع، وكذلك إطلاع الرأي العام على التفاصيل، لاسيما استدعاء القوات البريطانية، أما بالنسبة لعبد الناصر و ج.ع.م فإن الخطاب لا يذكرهما بالاسم[٢].

وفي سياق تبريره أكد الرفاعي أن نص الخطاب باللغة الإنجليزية لا يعبر عن حقيقة اللهجة المخففة باللغة العربية، ولن يؤدي لإثارة حملات عبد الناصر الدعائية، وإذا ما أراد استخدامه كعذر لكسر قرار الأمم المتحدة فسيقع في مواجهة معها، وأصر على أنه بإمكان البريطانيين سحب قواتهم، فالحكومة واثقة من نفسها، ومن سيطرتها على الوضع، ولكنه أبدى أسفه لعدم تمكنه من تنفيذ تعديلات الخارجية البريطانية، واضعاً ما يمكن تسميته "بالحدة والقسوة" الواردة في الخطاب في إطار الرغبة الملكية، مبيناً أن تدخلاته أدت للتخفيف منها، بعدما تدخل

(1) R.J., Vol. 10, PREM 11/123811, PP. Op. Cit., PP. 744-745.
(2) Ibid, P. 747.

لإقناع الملك بحذف فقرات "قاسية " كتبها بخط يده، ولكن الخطاب برأيه جاء كدعاية داخلية لتجنب إعطاء انطباع للرأي العام "بالضعف والعزلة"(١).

أثارت ردود الرفاعي "استياء" السفير البريطاني، وبخاصة مع إصراره وتأكيده في النهاية، أن الأردن لن يعمل على "تخفيف حدة حملاته الدعائية، في حال اندلعت المواجهة من جديد مع دعاية ج.ع.م(٢). ولعل المدقق في خطاب الملك سيجد أن فيه الحدة التي تحدثت عنها الخارجية البريطانية، والملامح المتعارضة مع القرار الأممي، وما اعتبره الرفاعي تلميحاً ولا يمكن أن يثير حفيظة ج.ع.م بعيد كل البعد عن ذلك؛ إذ أن المفردات أو الصفات المثيرة للأشكال والمستخدمة في الحملات الدعائية بين الأردن و ج.ع.م، أصبحت تغني عن الإشارة المباشرة إلى المعني بها، وبمجرد ذكرها يتبادر اسم صاحب الشأن، وهو ما حدث مع الملك بعد أزمة ١٩٥٧ حينما احتج وأعرب عن ألمه على تلميحات عبد الناصر آنذاك، رغم أنه لم يذكره مباشرة، فمفردات العميل الخائن، الرجعي، عميل الاستعمار، أو أعوان الاستعمار باتت ترتبط بالملك حتى دون ذكر اسمه، في حين أن عميل الشيوعية أو عملائها، أو مأجوريها، أو العميل الأحمر باتت ترتبط بعبد الناصر.

وفي خطاب الملك في ١٩٥٨/١٠/١، تحدث عن "الفوضى والتدمير" في العالم العربي كنتيجة "لتخطيط الشيوعية الدولية الملحدة الهدامة التي تحرض أعوانها وعملائها ومأجوريها على تدمير كيانه واغتصاب حريته واستقلاله بالتدخل في شؤونه الداخلية وباستخدام شتى الوسائل والأساليب"، وكانت أقوى الفقرات عندما تحدث عن "السلوك الشاذ لبعض الشقيقات التي ما برحت تشن الحملات الطائشة، وتستمر في الدعايات الجارحة والإذاعات المليئة بالتحريض

---

(1) R.J., Vol. 10, PREM 11/123811, PP. Op. Cit., P 746.
(2) Ibid, P. 748.

والإثارة. وتنتشر الشائعات والافتراءات المغرضة عن هذا البلد المتسامح الكريم...[1]، وعلى ما يبدو فان هناك من أقنع الملك بان ذلك كله لا يعد تجاوزاً للقرار الأممي، ومن خلال ما قاله الرفاعي في اجتماعه مع السفير البريطاني فهو الأقرب إلى ذلك.

مع إن القرار الرسمي الذي صدر في اليوم التالي لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بوقف الحملات الدعائية نص على عدم نشر ما "يسيء أو يُشْتَمْ بأنه يسيء" حتى لو بالتلميح[2]. ورغم كل ذلك فان الملك دعا تلك "الشقيقة أن تحذو حذو الأردن وتعمل على تطبيق القرار الأممي بنصه وروحه وحرصاً على وحدة الصف العربي...[3] وكأن ما ورد في الخطاب لا يعد تجاوزاً له كما أكدت تخريجات الرفاعي، وقد ظهر عدم رضى ج.ع.م عن ذلك الخط.

حينما دعا محمود فوزي وزير الخارجية المصري خلال اجتماعات الجمعية العامة لمناقشة تقرير همر شولد في ١٩٥٨/١٠/٧ عن جولته في المنطقة، إلى ضرورة قيام بعض الإذاعات بالمنطقة بتخفيف لهجتها، مقابل خطوات التهدئة في لهجة إذاعة ج.ع.م، وبالرغم من رد الصحافة الأردنية المرحب بالخطوات المصرية، والداعي إلى أن تكون الإذاعات العربية "ألسنة ائتلاف ووحدة لتحرير الوطن السليب"[4]، إلا أن الملك عاد إلى مهاجمة ج.ع.م بالتلميح مرة أخرى ومتهماً إياها بعدم وقف حملاتها الدعائية.

ففي خطابه بتاريخ ١٩٥٨/١٠/٢٣، أعلن تصميمه على تحدي الحملات الدعائية التي يقوم بها "السائرون في ركاب الاستعمار والفساد والإلحاد"، مصدر حكماً بفشلها في إحداث أي تأثير

---

(١) خطاب الملك حسين في افتتاح الدورة العادية الثامنة لمجلس الأمة، ١٩٥٨/١٠/١، ج١، ص٢٧٧، وسيشار إليه فيما بعد. خطاب الملك، الدورة العادية، ١٩٥٨/١٠/١.

(٢) فلسطين، ١٩٥٨/٨/٢٣.

(٣) خطاب الملك، الدورة العادية ١٩٥٨/١٠/١٦، ج١ ص ٢٧٧.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/١٠/٨.

على الرأي العام في الأردن[١]، وكانت هذه النبرة بعد بدء عملية انسحاب الجنود البريطانيين في ١٩٥٨/١/٢ [٢]، وقد جرت "بعناية كبيرة، بحيث لا يتأثر الهدوء العام ولا يضعف موقف الملك، وقد اكتملت بعد تسعة أيام[٣].

استمر البريطانيون بمراقبة الوضع الداخلي بأدق تفاصيله، ولا سيما ما يمكن أن يثير دعاية ج.ع.م ضد النظام، ووصلت الرقابة هذه المرة إلى تحركات الأسرة الأردنية المالكة.

وقد كان أفرادها بمن فيهم الملكة الوالدة في سويسرا[٤]، وأثارت نية الملك بالسفر في ظل وجودهم بالخارج، خشية بريطانية، في أن يتحول الغياب الكامل للأسرة إلى ورقة تستغلها الدعاية "المعادية". وقد أرسل السفير البريطاني في عمان، إلى وزارة الخارجية في لندن يبلغها "بحساسية" الموقف، و"خطورته"، مقترحا عودة الملكة زين الشرف، قبيل أو بعد مغادرة الملك حسين بقليل [٥]، وعلى ما يبدو فإن البريطانيين طلبوا تدخلاً أمريكا للضغط على الملك لمنع سفره.

فقد أرسلت السفارة البريطانية في واشنطن إلى الخارجية بلندن، تبلغها رأي وزير الخارجية الأمريكي دالاس والقائل بأن الوقت غير مناسب لسفر الملك، وأن غيابه في هذه اللحظة "أمرٌ بالغ الخطورة" وانسجاماً مع ذلك، فإن السفير الأمريكي في عمان سيجتمع مع الملك ويبلغه بضرورة عدم السفر، ولكن دالاس اعترف بأنها مسؤولية كبيرة وخطيرة أن ينصح الملك بالبقاء في بلد تتعرض حياته فيه للخطر باستمرار[٦].

---

(١) خطاب الملك حسين في مدينة نابلس، ١٩٥٨/١٠/٢٣، ج١، ص٢٨٣.

(٢) فلسطين، ١٩٥٨/١٠/٢١.

(٣) شلايم، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(٤) فلسطين ١٩٥٨/١١/١١.

(5) R.F.A., Vol.2, Telegram. From Washington To Foreign Office 1 November 1958, Fo371/134011, P.495.

(6) R.F.A., Vol.2, Fo371/13401, P. 495.

وفي هذا الوقت الذي اجتمعت فيه الآراء البريطانية والأمريكية على ضرورة عدم غياب العائلة المالكة كيلا يتم استغلال ذلك كمضمون دعائي مضاد.

أرسل السفير البريطاني في ١٩٥٨/١٠/٢٥، إلى الخارجية البريطانية يخبرها بأن ممثل الأمم المتحدة ابلغه بأن إذاعة "الشعب الأردني" التي تبث من سوريا توقفت منذ يومين، ولم يكن ذلك بسبب تغيير في "النيات" ولكن خشية من تحديد موقعها بواسطة الطيران البريطاني المار بقربها خلال عملية انسحاب الجنود من الأردن[١]، وعلى صلة بالدعاية الموجهة نحو النظام والتفكير البريطاني والأمريكي في التعامل معها والحد من تأثيرها في هذه الفترة بالذات.

انبثق تفكير "غربي" –وفقاً لهيكل– في شهر تشرين الثاني ١٩٥٨ للتعامل مع دعاية ج.ع.م بشكل عام وصوت العرب بشكل خاص بأسلوب "خشن"، وهو ما عبرت عنه "دراسة سريه" لعملية حربية محدودة النطاق ضد ج.ع.م. تم وضعها في عاصمة غربية، وتهدف إلى إنزال قوات خاصة في منطقة أبو زعبل، وتدمير المركز الرئيسي للإذاعات المصرية جميعاً بما في ذلك صوت العرب، والإذاعات الأخرى الموجهة نحو كافة مناطق العالم[٢]. وفي الوقت الذي كان فيه هذا المخطط محل تفكير وبحث، كانت الحملات الدعائية بين الأردن و ج.ع.م تأخذ دفعة جديدة، فسفر الملك الذي اعترض عليه البريطانيون والأمريكيون، حتى لا يكون مادة لدعاية ج.ع.م غدا سبباً في إثارتها بعدما خالف النصائح بعدم الخروج في هذا الأوان.

أدى اعتراض الطائرات التابعة لـ ج.ع.م. الطائرة الملكية فوق سوريا، لإضرار الملك حسين للعودة، معلناً عبر الإذاعة أن نوايا "عدوانية مبيته" أدت لمهاجمته، رغم أخطار السلطات

---

(1) R.J. Vol. lo, Telegram. From Amman To Foreign Office 25 October 1958, FO371/13401, P.758.

(٢) محمد حسنين هيكل، البحث عن نهاية، الهستيريا، طبيعة المعركة تتغير وخط متجينو ينهار، الغرب يبحث عن خطة عمل في الشرق الأوسط، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/١٢/٢٠. وسيشار إليه لاحقا: هيكل البحث عن نهاية.

بدمشق بالعبور من أجوائها[١] وخرجت الصحافة الأردنية بعناوين تتحد عن "الفـرح الـشعبي"* بنجاة الملك مع استنكار للاعتداء وإعلان عن عطلة رسمية، وحديث لمدير الإذاعة عبد المـنعم الرفاعي يتضمن تفاصيل "مثيرة عن الحادث والطريقة التي استطاع النجاة بها[٢]، مع استمرارية تدفق الوفود الشعبية إلى القصر الملكي للتأييد والتهيئة "والاستنكار"[٣].

وأُتبع ذلك بمؤتمر صحفي لحشد كبير من مراسلي وكالات الأنباء العالمية والصحفيين في ١٩٥٨/١١/١٧، وقد اتخذه الملك محطة دعائية لاتهام ج.ع.م بالعمل ضد الأردن، وهو ما عده كنكث للاتفاقيات الدولية، غير أنه أكد على إبقاء القضية في الإطار الشخصي وعدم رفع شكوى إلى الأمم المتحدة[٤]. وترى بعض الآراء أن الحدث استغل دعائياً لإبـراز صـورته كحـاكم

---

(١) الدفاع، ١٩٥٨/١١/١١.

* ظهرت في هذه الفترة أغنية "طيارتك يا ملكنا حسين" كلمات وغناء توفيق النمري:

طيارتـك يـا ملكنـا حـسين حاميهـا الله مـن العـين
دايمـا يحرسـها مـا عـدو يلمـسها
يا حبيب الأردن يا غالي
عـادت لـلأردن تختـال علـى أرض بـلادي
تحمـل شـهم مـن الأبطـال ومـن نـسل الهـادي
الله يحرسـها مـا عـدو يلمـسها
يا حبيب الأردن يا غالي
ذكـراك علـى طـول الأيـام تـسعد ليالينـا
رجعتهـا لينـا بـسلام فيهـا أمانينـا
والله يحرسـها مـا عـدو يلمـسها

؛ محمود الجبور: البعد الوطني في الأغنية الشعبية الأردنية ١٩٢١-٢٠٠٠ (إربـد: جامعـة اليرمـوك، ٢٠٠٨) ص٩٢. وقد احتلت مكاناً ثابتاً على جدول البث لسنوات عديدة؛ مجلة هنا عمان، برامج الأعـوام ١٩٦٠-١٩٦٣.

(٢) الدفاع، فلسطين، ١٩٥٨/١١/١١.

(٣) انظر أعداد الصحف الأردنية في الأسبوع التالي للحدث.

(٤) فلسطين، ١٩٥٨/١١/١٨.

"جريء" يحارب قوى الشر والشيوعية"[١]، وهناك من يطرح وجهة نظر تقول بـأن الطريقـة الدعائية التي روجت بها الإذاعة لوقوع الهجوم وعودة الملك مهدت لاستقبال حاشد جعـل مـن الملك "بطلاً شعبياً"[٢]، وبالتالي فنحن أمام طروحات تقترب من رأي الدعاية المضادة بما حدث.

اتجهت الدعاية المصرية لتصوير الحادثة بطريقة تتناقض وما رسخ في الصورة الدعائية الأردنية، من عناصر الإثارة، والإعجاب ببطولة الملك الذي استطاع الإفـلات مـن هجمـات الطائرات الحربية ل ج.ع.م.، ورغم الاعتراف بحقيقة مطاردتها له إلا أن عبد الناصر قابلهـا بالسخرية معتبراً إياها مجرد "مسرحية" ودعاية مفبركة، وأن ما رافقها من "هيصة وزمبليطـة واحتفالات، وإجازة" جاء لإظهار الملك "كبطل"، فما تم هو أسلوب استعماري "لخدعـة" الـرأي العام العربي، "ولإسناد حكم أعوانه" [٣] كما أدخلت إلى الصورة المضادة في الدعاية المـصرية عناصر أخرى سعياً لإفقادها البريق، وخاصة ما هو متعلق منها بالجانب النفسي، مـع التأكيـد على ما ورد في الرأي السالف من نقاط.

فصنف الحدث كاستمرارية لحالة "الهستيريا" الناجمة عن الثورة العراقية، مع إضافة بعـد نفسي أخر وهو "الغيرة" لدى السياسيين والحكام من الشعبية التي تمتع بها عبدالناصر، ولذا فإن الحادثة اصطنعت لتظهر الملك كبطل طمعاً في زيادة شعبيته، وحسب هيك: "حين يكتب تـاريخ المنطقة سوف يكون هناك فصل كبير للغيرة الشخصية... وهي نقطة استغلها واسـتفاد منهـا" الغرب الذي قامت دعايته بدور بارز في الترويج للحادثة، وإظهار "هروب" الملك "كمعجزة من معجزات السماء"[٤].

---

[١] شلايم، مرجع سابق، ص ٢١٠.

[2] Lunt, Op. Cit., P. 5.

[٣] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني بجامعة القاهرة، ١٩٥٨/١١/٢٦. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر المؤتمر، التعاوني، ١٩٥٨/١١/٢٦.

[٤] هيكل، البحث عن نهاية.

وبالنسبة لرفع الشعبية، فهو أمرٌ قد تحقق حسب الرواية الرسمية الأردنية، وهو ما أكـده سمير الرفاعي للسفير البريطاني في عمان[١]، سواءٌ وضع حادث الطائرة في سـياق الفبركـة الدعائية، أو سلم به كحقيقة لا غبار عليها. وتؤكد بعض الروايات أن الحدث أسـهم فـي رفـع شعبية الملك "بين ليلة وضحاها"، وحتى في الضفة الغربية[٢]. إن وصف حادثة الطائرة بالفبركة الدعائية سعياً لرفع الشعبية لدى الرأي العام، وإظهار الملك كبطل، يماثل باعتقادي الرأي الـذي طرح لتفسير طرد كلوب كأداة لرفع الشعبية واستعادة الرأي العام. وسواءٌ وضع حادث الطائرة في سياق الفبركة، أو سلم به كحقيقة لا غبار عليها، فقد أدى لدعم الوضع الداخلي للنظام.

حيث اتخذ الملك خطوة تؤكد ارتياحه للوضع الداخلي، مستنداً إلى "ثقته" بأن الشعب "فـي حصن منيع من الوعي وقوة المبدأ"، وعدم التأثر "بالشك والخداع والتضليل" وتمثلـت الخطـوة بإنهاء الأحكام العرفية في ١٩٥٨/١١/٢٩[٣]. ومما ساعد على الهدوء في هذه الفتـرة أيـضاً، حدوث تحول سلبي في العلاقات المصرية العراقية، ما أدى لانشغال وسائل الدعاية المـصرية بالمواجهة الدعائية مع عبد الكريم قاسم، ما ترك فسحة من الاستقرار النـسبي علـى الـساحة الأردنية، إذ كانت بعض الأحداث تستدعي الحملات الدعائية مجدداً، ولكن بدرجة أخـف مـن الفترات السابقة، حيث أن قاسم بات يتقاسم الحملات المنطلقة من ج.ع.م. مع الأردن، الذي كان يتعرض أيضاً لحملات من طرفه، وهذه سمة تميزت بها سنة ١٩٥٩.

---

(1) R.F.A., Vol.2, Telegram. From Amman To Foreign Office 18 November, FO 371/134011, pp. 499-500.

(٢) شلايم، مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٣) خطاب الملك حسين بمناسبة إلغاء الأحكام العرفية، ١٩٥٨/١١/٢٩، ج١، ص ٢٩٧.

ظلت الخلافات بين البلدين غير معلنة، وأخذ التعبير عنها في الدعاية العراقية طابع التلميح، وبالتحديد بعد شهر أو شهرين من قيام الثورة[١]، وحتى عند تطرق إليها عبد الناصر علنا في ١٩٥٨/١١/٢٦، فقد صنفها كنتيجة لمحاولات الدس المنبعثة من الدعاية الغربية للإيقاع بين العراق وج.ع.م، في محاولة "لعزله" عنها، وحدد الصحافة الإنجليزية كلاعب أول ينهض بتلك المهمة، بالحديث عن "أطماعه" ببترول العراق ورغبته بضمه والسيطرة عليه[٢]، ولكن هيكل حدد مفاصل الخلاف في مقال له، نهاية الشهر الأول من عام ١٩٥٩.

حينما كتب "يا سيادة الزعيم الأوحد"، وهو ما اهتمت به الصحافة الأردنية، ووصفته "بالعتاب المصري السافر في الأهرام" حيث قامت صوت العرب وإذاعة القاهرة بالتركيز عليه، و" ترديده" أكثر من مرة[٣].

وقد تحدث هيكل في العتاب عن الدعم المعنوي والمادي من قبل ج.ع.م "للثورة العراقية"، قبل وبعد قيامها، دعائياً وعسكرياً، مظهراً التحول الطارئ على العلاقات، "وإحباط" الشارع العربي بعدما تأمل كثيراً من قيام "الثورة" التي حرصت ج.ع.م على البقاء بعيداً عما فيها من "حساسيات"، بين عبد السلام عارف، وعبد الكريم قاسم، وتأكيدها أن الأخير هو رأس السلطة دون تجني على عارف، الذي عدته الدعاية الغربية رمزاً لتمدد ج.ع.م داخل العراق كما أنها، اعتبرت خروجه إلى ألمانيا ريثما يتم تسوية خلافات السلطة، هزيمة لعبد الناصر، الذي قام بإجراء لوضع حد لذلك[٤].

---

(١) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع مدير مكتب وكالة الاسوشيتد برس في القاهرة، ومراسل الجزيرة الكريسيان ساينس مونيتور، ١٩٥٩/١٠/٩.

(٢) عبد الناصر، المؤتمر التعاوني، ١٩٥٨/١١/٢٦.

(٣) فلسطين، ١٩٥٨/١/٢٨.

(٤) محمد حسنين هيكل، يا سيادة الزعيم الأوحد بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/١/٢٨ وسيشار إليه فيما بعد: هيكل: يا سيادة الزعيم الأوحد.

فقد اتخذ موقفاً صريحاً يضع حداً "لدسائس" الدعاية الغربية بالإعلان في ١٩٥٨/١١/١٣ أن قاسم هو قائد ثورة العراق وزعيمها، وأن "القومية والوحدة العربية هما أولا وأخيراً التضامن العربي وان الوحدة الدستورية لا يمكن أن تتم إلا بإجماع كامل على طلبها"[١]. غير أن إذاعة بغداد لم تقم ببث الخطاب كما اعتادت سابقا[٢]، رغم صراحته غير المعهودة بتحديد رأس الحكم في العراق، وذلك الإجراء يمكن اعتباره إعلاناً بحدوث القطيعة التي حرصت ج.ع.م. إبقائها بعيدة عن مسرح الدعاية، إلى أن جاء مقال هيكل في ١٩٥٩/١/٢٨ ليفتح الباب على الدعايات المتبادلة بين الطرفين، وهو ما انعكس على الساحة الأردنية.

تحدثت الوثائق البريطانية في ١٩٥٩/٣/١٩ عن عدم توجيه ج.ع.م دعايتها نحو الأردن منذ ثلاثة شهور[٣]، ولكن المدقق في دعايتها سيجدد أن ذلك الهدوء كان فيه شيء من الاستثناءات.

ففي خطابه بدمشق في ١٩٥٩/٢/٢٢ توجه إلى الرأي العام الأردني معلناً وقوفه إلى جانبه "ضد أعداء القومية العربية"[٤]، وعاد مرة أخرى في ١٩٥٩/٣/١٥، مذكراً بموقف الشعب الأردني و "ثورته" ضد حلف بغداد، "رافضاً ومقاوماً التبعية و أعوان الاستعمار"[٥]، وعلى كل فإن حكم الوثائق البريطانية على الهدوء طيلة ثلاثة شهور دون ذكر ما تقدم، ربما جاء برأيي مقارنه بالحملات الدعائية خلال السنوات السالفة، من حيث الكثافة والقوة.

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المنيا، ١٩٥٨/١١/١٣.

(٢) هيكل يا سيادة الزعيم الأوحد.

(3) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 19 March 1959, PREM 11/3028,PP. 259-260.

(٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بدمشق، ١٩٥٩/٢/٢٢.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بدمشق، ١٩٥٩/٣/١٥.

غير أنها توقعت استئنافها، ولكن دون وجود"عناصر داعمة"، بعد اعتقال المعارضين، والعناصر المتعاطفة مع عبد الناصر في الجيش، مع التشديد على حرصه متابعة "حرب الأعصاب" بهدف استمرارية عدم الاستقرار، "والمشاغبة" والتأثير على المباحثات التي سيجريها الملك والرفاعي خلال زيارته المقررة لواشنطن(١)، ولم تذكر الوثائق سبباً لذلك، إلا أن التفسير المنطقي هو إدراكه أن الملك حسين سيثأر من انهيار الاتحاد، ومقتل الأسرة الهاشمية، ولن يترك سبيلاً، إلا وسيأخذ به للوصول إلى هدفه، وكان أكثر ما يخشاه ناصر العمل لإفشال وحدة ج.ع.م، ورغم هذه التوقعات فإن الدعاية الأردنية في هذه الفترة كانت تلتقي أحياناً على خط واحد مع دعاية ج.ع.م وضد عبد الكريم قاسم، استناداً لما يظهره سير الأحداث.

أبرزت فتوى شيخ الأزهر بإعلان الجهاد ضد الشيوعية "الملحدة"(٢)، تقارباً جمع الطرفين بمقابل قاسم ولكن، مع إثارة حساسية في دائرة صنع القرار الأردني، جراء استخدام ج.ع.م. لورقة الدعاية ضد الشيوعية، لكونها من الأوراق الرئيسة المستخدمة لديها في الدعاية ضد عبد الناصر.

فالملكة زين الشرف وجهت انتقاداً لنهج الإذاعة ووقوفها بجانب ج.ع.م في مواجهتها لقاسم، معتبرة هذا الخطوة كرغبة من سمير وعبد المنعم الرفاعي للمصالحة مع عبد الناصر، وقد "ساءها" أن تردد الإذاعة "بخنوع صدى" ما تقوله دعاية ج.ع.م ضد الشيوعية، وهي نقطة أشار الأردن إلى خطرها قبل بدء حملات ج.ع.م. الدعائية نحو عبد الكريم قاسم(٣).

وكذلك الأمر فإن الملك حسين كان "منزعجاً" من فقدان ميزة استخدام تلك الورقة في دعايته لصالح دعاية عبد الناصر، وكان على "درجة عالية من الحساسية للسلبيات" العائدة عليه

---

(1) R.J. Vol. ll, , PREM 11/3028, OP. Cit pp. 259-260.

(٢) فلسطين، ١٩٢٩/٣/٢٤.

(3) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 26 March 1959 FO 371/142103,P. 261.

من ترك "مهاجمة" الشيوعية[١]، لا سيما وأن الحملات الدعائية لعبد الناصر ضد الشيوعية وجدت "صدى واسعاً" لدى الرأي العام الأردني، بإثارتها "القلق الكبير حول مخاطرها، وهو مكسب، لدعايته، و"هيبته" خاصة بعد أن قرر العراق خلال تلك الحملات الانسحاب من حلف بغداد، وهو ما اعتبر "نصراً" أخر في حسابه الشعبي[٢].

أسهم قلق الملك من فقدانه ورقة الدعاية ضد الشيوعية، وما حققه عبد الناصر من ذلك إلى دفعه للعودة لاستخدامها خلال زيارته إلى الولايات المتحدة أواخر آذار ١٩٥٩ مستغلا الفرصة ومستفيداً من الموقف المناوئ لوسائل الدعاية الأمريكية لـ ج.ع.م بما يسهم بتوثيق علاقاته، وتأكيد دوره كحامل لواء مكافحة الشيوعية، وربما كان ذلك أيضاً خطوة استباقية "لحرب الأعصاب" التي تحدثت الدوائر البريطانية عن احتمالية شنها من قبل دعاية ج.ع.م لمحاولة إفشال مباحثات الملك في واشنطن.

أكد الملك حسين في نادي الصحافة بواشنطن بتاريخ ١٩٥٩/٣/٢٦ على دور عبد الناصر –دون تسميته– "بإدخال" الشيوعية إلى المنطقة، وعن الدور الأردني في مواجهة مخططاته الهادفة "للسيطرة، و"الوصاية"، تلبية لطموحه الشخصي[٣]. ولاقت دعايته "المعادية" للشيوعية قبولاً لدى "وسائل الإعلام الأمريكية المحافظة"، وغدا شخصية "محبوبة" لديها[٤].

ولكن بعض الآراء تبين أن ذلك سبب حرجاً لواشنطن مع أنه أعتبر "هجوماً مستتراً"[٥] ولم يجد الأمريكيون بد من برقية "طارئة" إلى سفارتهم بالقاهرة لتوضيح الموقف لعبد الناصر، وأنه

---

(1) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 September, FO371/142104, P.312.

(2) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 26 March 1959, FO 371/142103, P.262.

(٣) خطاب الملك حسين بنادي الصحفيين بواشنطن ١٩٥٩/٣/٢٦، ج١، ص ٣١٦–٣١٧.

(٤) شلايم، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(5) R.J. Vol. ll, Telegram From Washington To Foreign Office, 30 March 1959, FO 371/142 198, P. 522

لم يكن بإمكانهم فعل شيء تجاه الخطاب، كما أرسلوا بتوضيح مماثل إلى سـفارة ج.ع.م. فـي واشنطن[١]، غير أن دعاية الملك المضادة استمرت، فتحدث في جمعية أصدقاء الشرق الأوسـط عن استخدام أجهزة الدعاية "لأخس لأغراض" ما جعل الرأي العـام العربـي "يعـاني حيـرة واضطراباً"[٢]، أنهى دعايته بالتأكيد على كسب نتيجة المعركة مع الشيوعية، مع إضـافة مثيـر آخر إلى مضمونها بتحديد المفهوم الأمثل للقومية.

حيث حسم خلال حفل نظمته مجلة (ريدرز دايجست) نتيجة المواجهة، "بالانتصار" علـى الشيوعية، و"القومية الزائفة"، محدداً القومية "الصحيحة" بأنها المساندة للحرية، وغير المتخفيـة وراء "استعارات الحياد"[٣]. وبخصوص الدعاية الملكية المناهضة لعبـد الناصـر، والمتبوعـة بالتوضيح الأمريكي الذي كان أقرب إلى الاعتذار عبر برقيات إلى القاهرة، أرى أن ذلك تطابق مع ما طرحه هيكل حول قاعدة الاشتباك الإعلامي الجديدة بين الغرب وعبد الناصـر، بتقـديم "الصغار" للقيام بالدعاية المناوئة، ومن ثم الاعتذار من قبل "الكبار" حال شعورهم بإمكانية تأثير ذلك على علاقاتهم مع ج.ع.م، أو حال احتجاجها، ولربما كان التوضيح أيضاً نتيجة لانطـلاق الدعاية المضادة لعبدالناصر من المحيط الأمريكي مباشرة. وقد استمرت ملامح العودة باتجـاه الاشتباك الدعائي بالبروز لاسيما بعد عودة هزاع المجالي إلى رئاسة الوزراء في أوائـل أيـار ١٩٥٩.

---

(1) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 4 April 1959, FO 371/142 198, P.526.

(٢) خطاب الملك حسين في فندق والدورف استوريا بنيويورك، في لقاء مع جمعية أصدقاء الـشرق الأوسـط، ١٩٥٩/٤/١٥ ج١، ص ٣٢١.

(٣) كلمة الملك حسين في المأدبة التي أقامتها مجلة ريدرز دايجست الأمريكية بنيويورك، ١٩٥٩/٤/١٦، ج١، ص ٣٢٣.

جاءت استقالة الرفاعي للإرهاق الذي أصابه نتيجة لوجوده في الحكم لسنين طويلة[١]، وفي اليوم نفسه ١٩٥٩/٥/٥ كلّف هزاع المجالي بتشكيل الحكومة[٢]، وقد كان له في دعاية ج.ع.م صورة ثابتة نابعة من دوره في محاولة إدخال الأردن إلى حلف بغداد عام ١٩٥٥.

فهو بالنسبة لها، وتحديداً إذاعة صوت العرب هو "صاحب التاريخ الأسود الطويل في خدمة الاستعمار البريطاني، وصديق الصهاينة وحليفهم"[٣]. وقد أتت ردة فعل تلك الدعاية فورية، وبمجرد تكليفه، ما دفع الصحافة الأردنية لوصفها "بالرجم بالغيب واستباق الحوادث" فذلك الفعل كان مثيراً لاستغرابها، إذا أن الحكومة لم تباشر عملها، كما أن كتاب التكليف وضع الحفاظ على علاقات قوية مع الدول العربية بمقدمة أولويات الحكومة، مع التذكير بالقرار الدولي بوقف الحملات الدعائية[٤].

غير أن اختراق القرار إن صح الوصف، لم يقتصر على ج.ع.م، فقد رأينا مواقف أردنية مماثلة لا تنسجم وتعليماته، وهو ما تكرر نهاية أيار ١٩٥٩، عندما "هاجم" الملك حسين، عبد الناصر بالاسم في مقابلة صحفية مع وكالة الاسوشيتدبرس، وهنا كان تدخل السفير البريطاني الذي لفت انتباهه إلى "خطورة" الأمر، حاثاً إياه على ما أسماه بأسلوب "الصمت الجليل" إزاء دعايات ج.ع.م إذ أنه أسلوب كان يظهر عبد الناصر بموضع "المخطئ"، ولكن الملك أكد أن ما نشر كان كلاماً خارج التسجيل اتفق على عدم نشره، في حين أن الوكالة اعتقدت أنها تلبي رغبته، مع تأكيده إلى الحرص مستقبلاً لعدم تكرار "الهفوة"[٥].

---

(١) جونستون، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(٢) فلسطين ١٩٥٩/٥/٦.

(٣) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٣/١١، ج ١١٦-١٣٠.

(٤) فلسطين، ١٩٥٩/٥/١٠.

(5) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 22,23 March 1959, FO 371142103, P.283.

وبالنسبة للقاهرة، فقد كانت تسعى حسب الوثائق البريطانية "لإفشال" هزاع، للإتيان بحكومة مواليه لها، عبر وضعه في "مأزق" يواجه به ج.ع.م.، يؤدي إلى ردة فعل من قبله، تسهم بإنتاج رفض شعبي يقصيه. ولتحقيق ما تقدم كان إغلاقها للحدود الأردنية السورية[١] في ١٩٥٩/٦/٦، بحجة وجود اعتداءات أردنية على المواطنين السوريين على الحدود[٢]، وهو ما نُفي أردنياً، لوجود "حرص" على عدم إثارة التوتر[٣]، أما بالنسبة للقول بإبعاده، للمجيء بحكومة مواليه، فذلك رأيٌ مبالغ فيه في تلك اللحظة التاريخية التالية لدور ج.ع.م في إنهاء الحكم الهاشمي في العراق، وإجراءات النظام في مواجهة الزعامات ذات الصلة أو المؤيدة لعبد الناصر، ولكن الرأي الأرجح هو الطمع بإبعاده كما حدث عام ١٩٥٥. ولكن السلطات الأردنية لم تتخذ من الإجراءات ما يؤدي إلى الوصول للنقطة المرغوبة من قبل القاهرة.

فلم تتخذ إجراءاً مماثلاً بإغلاق الحدود، وظلت وسائط النقل السورية تعبر باتجاه الخليج العربي[٤]. ولوضع حد للمشكلة توسطت الجامعة العربية، فاجتمع عبد الخالق حسونة الأمين العام بالمسؤولين الأردنيين في ١٩٥٩/٧/١٨[٥]، وتوصل إلى اتفاق يتضمن فتح الحدود ووقف "الهجمات" الإذاعية بجميع أشكالها بين الطرفين، وإعادة العلاقات الدبلوماسية[٦]، غير أن دعاية ج.ع.م قامت بما يتناقض مع كل ما تقدم.

---

(1) R.J., Vol., ll, Mr. R. Mason To Mr., Selwyn Lioyj, 7/81 1959,Fo 371/142111, P.42.

(2) R.J., Vol. ll, Telegram From Amman To foreign Office, 5/61959, Fo 371/142 109, P.388

(3) R.J., Vol .ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 7/6/1959, Fo 371/142 110, PP.393-394.

(٤) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج١، ص٦٩٩.

(5) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 21/7/1959, FO 371/142 110, p.405.

(6) R..J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 22/7/1959, FO 371/142 111, P.408

إذ شنت صوت العرب في اليـوم الأخيـر لوجـود الأمـين العـام فـي عمـان فـي ٢٠/٧/١٩٥٩[١]، دعاية مناوئة للملك وهزاع، متحدثة عن "صلاتهم باليهود والامبريالية"، ما أثار استياء هزاع، وأدى لرفضه مقابلة حسونة، الذي اضطر لتمديد زيارته ليوم أخـر لتـسوية الوضع، ولكن دونما جدوى[٢].

أثارت تلك الحملات الدعائية الرغبة لدى هزاع بالرد، لمعرفته واعتقاده بجهوزية الإذاعة الأردنية للقيام بالمهمة، مع وجود استعداد مسبق لإطلاق سلسلة تعليقات إذاعية حـول ثـورات الاستقلال العربي، مع الإشارة إلى الثورة العربية الكبرى كمصدر "إيحاء وتحفيز" لما تلاها من ثورات، لإثارة الشكوك حول مصداقية ما جرى في مصر عام ١٩٥٢، وهـل هـي ثـورة أم انقلاب؟[٣].

وقد كان لديه ثقة بأداء الدعاية الأردنية وقدرتها على "تبرير" الخلاف مع عبـد الناصـر وحسمه لصالح النظام[٤]، كما كان مدركاً للآثار السلبية لقرار إغلاق الحدود على المزارعين في الضفة الغربية، حيث الرأي العام المؤيد لــ ج.ع.م، وما له من تأثير على تصدير منتجـاتهم[٥]. وفي سياق ما تنقله الوثائق البريطانية فإن "الاستياء" الشعبي ضد القاهرة بدأ بالظهور، مع تحسن طرأ على صورة الملك وهزاع[٦].

وفي ظل هذا الوضع عادت الجامعة العربية للتحرك، فدعت لإرسال وفـد أردنـي إلـى القاهرة للتباحث في إعادة العلاقات الدبلوماسية، وأدى هذا الإجراء لإيقاف الحملات الدعائية في الإذاعات والصحف التابعة لــ ج.ع.م، وظهور المضامين المرحبة بعودة العلاقات، يوم وصول

---

(1) R.J., Vol. ll, FO 371/142110, Op. cit, P.402.
(2) R.J., Vol. ll, FO 371/142110, Op. cit., P.406
(3) R.J. Vol. ll, Mr. Mason To Mr. Beith, 24/7/1959, FO 371/142111, P.413.
(4) R.J. Vol. ll, Op. Cit., FO 371/142111, P. 421.
(5) R.J. Vol. ll, Mr. Mason To Mr. J Beith,19/8/1959, FO 371/142111, P.424.
(6) Ibid., P.423.

موفد الحكومة الأردنية في ١٩٥٩/٨/٧[١]، وعلى الساحة الأردنية كان هناك ما يشبه الانقسام المتعدد باعتقادي بين الرأي العام، والقصر، وبين القصر والحكومة حول عودة العلاقات.

فمع الترحيب الشعبي بعودتها[٢]، كان القصر يرى فيها رجوعاً إلى النشاطات "التخريبية لتدمير النظام"، حتى أن شكوكاً راودته تجاه الخطوات "السريعة" لهزاع إزاء ج.ع.م، واستقباله "الودي والحار" للصحفيين المصريين في ١٩٥٩/٨/١٣، وتركزت خشية الملك من عودة المصريين لبناء شبكاتهم الدعائية والمخابراتية، لا سيما مع وجود الأفلام الدعائية "الممجدة" لعبد الناصر والجيش المصري على الساحة الأردنية[٣]، ولكن الملك لم يظهر ذلك حينما تحدث لوسائل الدعاية، إذ أكد على أن الخطوة هي للمصلحة العربية "العليا"، و "خدمة" القضية الفلسطينية[٤].

وفي هذه اللحظة تمت إنهاء مهمة المبعوث الدولي (سبينللي) في ١٩٥٩/٩/٢٣ لزوال الأسباب التي أدت لوجود مكتب الأمم المتحدة بعمان فالأردن من وجهة نظر الصحافة المحلية غدا "واحة استقرار"[٥] وربما كان في ذلك القرار شيء من المنطق، لأن عودة العلاقات الأردنية المصرية أسهمت بتخفيف حدة الحملات الدعائية.ولكن الدعاية المستهدفة للنظام الأردني، رفدتها مصادر أخرى، فالإذاعة العراقية أخذت دوراً مهماً في ذلك، مع التذكير بشمولها للنظامين في الأردن و ج.ع.م.

---

(1) R J., Vol. ll , Op. Cit., FO 371/142111,P 424

(2) R J. Vol.ll, Mr R. Mason To Mr Selwd Lioyd, 28/8/1959, FO 371/142111, P.433.

(3) R. H. D. Vol.9.,(ed.,)By Alan Del .Rush,(Oxford: Archives Editions ,1995) Telegram from Amman To Foreign Office, 21/8/1959, FO 371/142111 , p.186

(٤) فلسطين، ١٩٥٩/٩/٣.

(٥) الدفاع، ١٩٥٩/٩/٢٤.

اعتمدت إذاعة بغداد أسلوب" السباب والشتيمة" واستخدام الألفاظ "البذيئة" ضد الطــرفين، ولربما يعود السبب لاعتماد عبد الكريم قاسم في هذا الظرف على يونس البحري لتنظيم حملاته الدعائية، بعد أن عفا عنه، وأخرجه من السجن بسبب خدماته "الدعائية" الــسابقة للهاشــميين[١]، ونجد في رواية أخرى انه تم الإفراج عنه، وتوكيله بشن حملات دعائية ضـــد عبـــد الناصـــر وخصومة، مع تمجيد عبد الكريم قاسم وإطلاق الألقاب عليه ومثال ذلك: "الزعيم الأوحد وما كو زعيم إلا كريم"، وهو ما كان يلقي قبولاً لدى قاسم لدرجة" البهجة"[٢].

دفع ذلك الأداء صوت العرب وأحمد سعيد لوصفه بــ "المذيع الخائن"، مع تقديم صـــورة تؤكد رفض الرأي العام العراقي لدعايته ضد عبد الناصر، بالتذكير بالكيفية التي تعامل بها معه من أسمتهم "أحرار العراق" بعد ثورة تموز١٩٥٨ حينما قاموا "بتمزيق فكه"[٣]، أما الرئيس عبد الناصر فكان يعبر عن امتعاضه من الألفاظ "البذيئة" الموجهة ضده في الدعاية العراقية[٤]، وهو ما انعكس في هجومه على محكمة الشعب*، وما تبثه الإذاعة العراقية من جلساتها، فهي بالنسبة له "محكمة السباب" ولا تعبر إلا عن "الحقد الأسود" لــ "أعداء" القومية العربية، لاسيما بعـــدما وصفته "بالفرعون"[٥]. لقد كانت إذاعة بغداد أكثر جرأة بنهجها البذيء فيما استخدمته من ألفـــاظ بحق الملك حسين.

---

[١] إذاعة إسرائيل، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٣/٥، ج ١٠١-١١٥.

[٢] سيار كوكب الجمل، حقيقـــة ذكريـــات يـــونس البحـــري " محاضـــرة " ٢٠١١/٤/٣٠، تورنتـــو، كنـــدا (www.algardenia.com)

[٣] صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد ١٩٦٠/١١/٧، ج ٣٥٢-٣٦٦.

[٤] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بدمشق، ١٩٥٩/٣/١١.

* محكمة الشعب: أسست بعد ١٩٥٨/٧/١٤، لمحاكمة أفراد النظام السابق ومعارضي قاسم. أنظـــر جريـــدة المؤتمر العراقية: www.almutamar.com

[٥] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بدمشق، ١٩٥٩/٣/١٣.

ففي برنامج "أحكيها بصراحة"، وكان يبث بالعامية وصف: "بابن الخِيانة"، واستخدمت مفردة "المزابل" في سياق شتمه وسبه[١]، فهو "سليل الخيانة القزم المضحك..."[٢] وكانت تلك الشتائم تأتي في إطار نقد سياسية ج.ع.م والأردن تجاه العراق وما حصل بينهما من توافق.

إذ أبدت إذاعة بغداد في ١٩٥٩/١٢/٥ حساسيتها واستغرابها، إزاء "الصفاء" السائد في العلاقات الأردنية المصرية، مع أن "التوتر" طابعها المعروف[٣]، وهو موقف عبرت عنه الإذاعة الإسرائيلية أيضاً، حينما تناولت مسألة صمت صوت العرب عن مهاجمة الإذاعة الأردنية استناداً لأسئلة زعمتها لمواطنين عرب أرسلوا يستفسرون عن هذه النقطة عبر برنامج* من صندوق البريد[٤]، والذي يعد بأسلوبه القائم على طرح أسئلة وهمية لأسماء عربية وهمية، من أدوات الحرب النفسية الإسرائيلية[٥].

ولتفسير الانسجام بين دعاية ج.ع.م والدعاية الأردنية قدمت إذاعة بغداد الطمع بالسيطرة على العراق كسبب يجمع الطرفين، فعبد الناصر يطمح لجعله "إقليماً شرقياً تحت لواء

---

(١) إذاعة بغداد، برنامج احكيها بصراحة، ١٩٥٩/١٢/٢٣، ج ٣٥-٥٢.

(٢) إذاعة بغداد، تعليق، ١٩٥٩/١٢/٢٦، ج ٣٥-٥٢.

(٣) إذاعة بغداد، برنامج احكيها بصراحة، ١٩٥٩/١٢/٢٠، ج ٣٥-٥٢.

* تحدث البرنامج من خلال إجابة على أحد أسئلة المستمعين، عن هدوء الحملات الدعائية لصوت العرب ضد إذاعة عمان، ومما ورد في حلقة البرنامج يوم ١٩٥٩/١١/٢٨: "تذكر صوت العرب في برنامجها أكاذيب تكشفها حقائق، محطة إسرائيل ثم بغداد، ولندن، وباريس، وتدعي بأن كل هذه الإذاعات كاذبة ولكن دمشق والقاهرة صادقة، فهل نسيت صوت العرب محطة عمان، ولماذا لا تذكرها في برنامجها المذكور؟ "وأما الإجابة فكانت: "يا سيد عبد الله أبو منح إن سؤالك هذا يجب توجيهه إلى محطة صوت العرب، وعلى كل حال يبدو أن سبب تجاهلها إذاعة عمان يعود إلى أنه لا يعلق أهمية على تلك الإذاعة، أو أن هناك سبباً آخر، ومهما يكن من أمر فليس من السهل فهم الدوافع التي تدفع صوت العرب لاختيار الإذاعة هذه أو تلك لتهاجمها، فأن الذي يقرر الأمور هذه ليست الحقائق بل غايات معينة"؛ الإذاعة الإسرائيلية، برنامج من صندوق البريد، ١٩٥٩/١١/٢٨، ج ١٨-٣٤.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج من صندوق البريد، ١٩٥٩/١١/٢٨، ج ١٨-٣٤.

(٥) موقع زيم (Zeyam news.net)؛ الدستور، ١٩٦٧/١٠/١٢.

ديكتاتوريته"، وحسين "الصغير" يرنو نحو "وراثة" حكمه، مبينة أن سعيهما هذا يتم بالتنسيق الأطراف الاستعمارية[1]، ومن الملاحظ أن إذاعة بغداد اعتمدت خلال حملاتها على مذيع مصري اسمه محمد عادل وكان يشترك بإذاعة التعليقات الموجهة لخصوم قاسم[2]. إن تغليف الحملة الدعائية باللهجة المصرية سيكون أكثر وقعاً وتأثيراً من الناحية النفسية. وفي سبيل منح حملاتها الدعائية مصداقية أكبر، وسنداً من الرأي العام العربي، كانت ترتكز على رسائل مزعومة لمواطنين عرب.

ومن ذلك الاحتجاج برسائل لمستمعين، تضع النهج السياسي لعبد الناصر في حالة تطابق مع سياسات نوري السعيد، مع استدلال على صحة هذا الطرح باتفاقه حسبما زعمت مع "أجير الاستعمار.. جلاد الأردن" ضد عبد الكريم قاسم، بعدما كان "ينعته بأحقر النعوت" من صوت العرب[3]. كما تجلى جمع الدعاية العراقية بين الملك وعبد الناصر فيما كانت تبثه من مضامين دعائية تتعلق بما أسمته الاحتلال الأردني والمصري لفلسطين وتقاسمها مع إسرائيل مع ترويجها لفكرة الكيان الفلسطيني*.

اتجهت إذاعة بغداد للأخذ بالورقة الفلسطينية كمضمون لحملاتها يتم من خلاله مواجهة ما كانت تسميه بطمع الطرفين بالعراق، ولإثارة القلق الداخلي بالنسبة للأردن، مع توجيه اتهامات التقصير في حرب ١٩٤٨، واحتلال غزة والضفة الغربية للجانبين.

---

(١) إذاعة بغداد: التعليق السياسي، ١٩٥٩/١٢/١٦، ج ٣٥-٥٢.

(٢) إذاعة بغداد: التعليق السياسي، ١٩٦٠/١/١٥، ج ٣٠-٦٩.

(٣) إذاعة بغداد: التعليق السياسي، ١٩٥٩/١١/٢٨ ج ١٨-٣٤.

* كان زعيم حزب الكتائب اللبناني بيار الجميل أول من طرح الفكرة، وذلك انطلاقاً من محاولة الحفاظ على التركيبة المتوازنة للطوائف اللبنانية، نتيجة لوجود كم كبير من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان؛ فلسطين، ١٩٥٩/٨/٢٥.

لذا أخذت الدعية العراقية بالتأكيد على وجوب قيام دولة فلسطينية مستقلة، متذرعة بـأن ميثاق الجامعة العربية نصّ على: أن كل دولة لم تَظْهَر ملامح استقلالها الخارجيـة، يجـب أن تمثل في مجلس الجامعة العربية، وهو ما ينطبق على فلسطين[١]، التي يشترك الأردن و ج.ع.م باحتلالها، مع إسرائيل[٢]، وقد استخدمت الإذاعة العراقية الأغنية* كآليـة للتعبيـر عـن هـذا الطرح[٣].

وأصرت على أن فلسطين "المغتصبة" من قبل الملك وعبد الناصر، باتـت أداةً لمـساومة الغرب للحصول على المساعدات الاقتصادية، فيما غابت عن أجندات العمل اللازم لتحريرهـا، وهي بالنسبة لعبد الناصر مجرد" ركن في الإذاعة وفقرة حماسية[٤]، أي أنها غـدت مـضموناً دعائياً لخدمة أغراضه، ونكاية بالملك حسين الذي كان قاسم يدرك طموحـة لاسـتعادة عـرش العراق فان دعايته اعتمدت مبدأ التشكيك بشرعية الكيان الأردني.

فهو مجرد مملكة "مزيفة" بنيت على "حطام" فلسطين، ولا بد أن يأتي الوقت الذي تقسم فيه المملكة لإعادة "الحق" لأصحابه[٥]، الذين عمدت إلى دق إسفين بينهم وبين النظام. بالحديث عن

---

[١] إذاعة بغداد، تعليق، ١٩٥٩/١٢/٢٨ ج ٥٣-٦٩.

[٢] فلسطين، ١٩٥٩/١٢/١٧.

[٣] إذاعة بغداد، أغنية، ١٩٦٠/٢/١٣، ج٨٦-١٠٠. وفيما يلي مثال على استخدام الأغنية:

"هـذه فلـسطين العربيـة   لا أوطـان ولا حريـة
سـلبها المـستعمر بيـده   والأطمـاع الـصهيونية
كابوسـك ناصـر علـى غـزة   ولحـسين الـضفة الغربيـة
الحـق الـضايع مـا يـرده   غير أهلـه اللـي تخـرس حـده
هـذه فلـسطين يحررهـا   شـعبها وكلـه نحـن نقـم بـه
يحررهـا مـن اللـي غاصـبها   وابـن العـم اللـي ناهبهـا
والأرض تـرد لـصاحبها   فيهـا يـشيد الجمهوريـة
هـذه فلـسطين العربيـة   لا أوطـان ولا حريـة"

[٤] إذاعة بغداد، التعليق السياسي، ١٩٥٩/١٢/١٦، ج ٣٥-٥٢.

[٥] إذاعة بغداد، التعليق السياسي، ١٩٥٩/١٢/٢١. ج ٣٥-٥٢.

"تعذيبهم، واستغلالهم واضطهادهم"[١]، وبإظهار النظام كمفرط في حرب ١٩٤٨، عبر التركيز على الرأي القائل بتسليمه الأراضي التي استطاع الجيش العراقي حسب الإذاعة من السيطرة عليها والاحتفاظ بها إلى اليهود، مكتفياً من فلسطين بالجزء الذي أقام عليه كيانه، [٢]مع التذكير بما أسمته "خيانة عبد الله بن الحسين"، وحكام العهد "البائد في العراق" خلال تلك الحرب، ما أدى لمنع الجيش العراقي من "اجتياح" كامل لفلسطين[٣]. وكما أرى فإن الدعاية العراقية وفي هذا الجانب تكون قد اقتبست استعمالات الورقة الفلسطينية من إذاعات ج.ع.م، حينما كانت توجه تلك المضامين ضد النظام الأردني. لقد حفزت دعاية قاسم، ولا سيما استخدامه للورقة الفلسطينية، الدعاية الأردنية ودعاية ج.ع.م للقيام بحملات داحضه عبر مضامين مضادة.

استخدمت صوت العرب السخرية، والتسخيف في التعامل مع موازنة قاسم، ومساواته بين المصريين والأردنيين من جهة، والإسرائيليين من جهة ثانية، وتضيفه "كمغتصبين"، فوضعت هذا المنطق في خانة "الدجل الرخيص"، سعياً لكسب الرأي العام العربي، وهو أمر "يصعب" تحقيقه عبر آليةٍ أسمتها "الغباء"[٤].

وبالنسبة للصحافة الأردنية فمنطق "الاغتصاب" للضفة والقطاع والمطروح عبر دعاية قاسم، يعد "ضربة" لفلسطين، "وطعنه" للصف العربي، عندما سعى لاستخدام القضية كآلية لتثبيت حكمة "المتأرجح"[٥]، والواقع تحت ضغط أوضاع اقتصادية وسياسية "متدهورة"، فحديثه عن

(١) إذاعة بغداد، التعليق السياسي، ١٩٥٩/١٢/١٦، ج ٣٥-٥٢.

(٢) إذاعة بغداد: التعليق السياسي، ١٩٦٠/١/٧ ج ٥٣-٦٩.

(٣) إذاعة بغداد: التعليق السياسي، ١٩٦٠/١/٣، ج ٥٣-٦٩.

(٤) صوت العرب، برنامج أمة العرب، ١٩٥٩/١٢/٢٦، ج ٣٥-٥٢.

(٥) الإذاعة الإسرائيلية، مع الصحف العربية، ١٩٥٩/١٢/١٨، ج ٣٥-٥٢.

المسالة الفلسطينية لا صلة له "بالوطنية"، والقومية وبخاصة أنها عدته "مجرد أداة لخدمة الشيوعية"[(١)].

أما "بدعة" الكيان الفلسطيني في نظر الإذاعة الأردنية، فما هي إلا محاولة "لتفكيك عرى الوحدة الوطنية"، وهذا الرد اعتمدته إذاعة بغداد للتأكيد على وجود دعم شعبي على الساحة الأردنية من قبل الطرف الفلسطيني، وبرأيها فإن "راديو حكام الأردن التافه" خدم قضية الكيان من "حيث لا يدري"، فبما أنه تحدث عن مخاوف على الوحدة الوطنية، فهذا يعني أن هناك من يؤيد الفكرة، ويساندها[(٢)].

ووجدت إذاعة صوت العرب بدفاع الإذاعة الإسرائيلية عن قاسم، وامتداحها لأسلوبه في مواجهة دعاية ج.ع. من والتماسها الأعذار له "لاستغلاله أسم فلسطين" سعياً للظهور بمظهر عبد الناصر، ثغرة للهجوم عليه[(٣)]، كما أنها عدت مسالة الكيان الفلسطيني، كدعوة للأردن للتنازل عن الضفة الغربية لصالح إسرائيل[(٤)].

وتحدث الرئيس عبد الناصر في ١٩٥٩/١٢/٢٣ عن الموقف "المتخاذل" لعبد الكريم قاسم، أو كما دعاه بـــ "آثم العراق" في حرب ١٩٤٨، بعد ما حاولت الدعاية العراقية أن ترسم دوراً بطولياً للجيش العراقي في تلك الحرب[(٥)]، ولم تكتف دعاية ج.ع.م بالرد على مقترحات قاسم بخصوص الكيان، بل امتدت لصبغ دعايته بالطيف المعادي للأمة.

---

(١) إذاعة لندن، خبر، ١٩٥٩/١٢/٢٢، ج ٣٥-٥٣.

(٢) إذاعة بغداد، التعليق السياسي، ١٩٦٠/١/١٢، ج ٣٠-٦٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٥٩/١٢/٢٦، ج ٣٥-٥٢.

(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج أمة العرب من صوت العرب، ١٩٥٩/١٢/٢٦، ج ٣٥-٥٢.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ببور سعيد، ١٩٥٩/١٢/٢٣.

فدعاية قاسم ركزت حسب عبد الناصر في ١٩٥٩/٣/٢ على "الهجوم" على ج.ع.م بـدلاً من بريطانيا وإسرائيل، [١] مع اقتباسه –أي قاسم– مضامين الإذاعة الإسرائيلية القائلة" بالأطماع التوسعية والإمبراطورية"[٢]، وهو ما جعلها حسب هيكل تلقى رواجاً واهتماماً، وإعـادة إنتـاج وتدوير في وسائل الدعاية الغربية والإسرائيلية، فمن يدقق في دعايـة الإذاعـة الإسـرائيلية، والإذاعات السرية الموجهة إلى العالم العربي، وما تنشره الصحافة "الاستعمارية والـصهيونية" في لندن وباريس سيجدها "تردد" كلامه[٣].

وحسب إذاعة القاهرة فإن دعايته والدعاية الصهيونية يسيران على نهج واحد[٤]، وبالمقابل فإن الدعاية العراقية تحدثت عن حلف دعائي مضاد في مواجهتها، ويـشمل إذاعـات ج.ع.م، ولندن وباريس، وتل أبيب، وعمان وأنقرة، وطهران، ويعمل باستمرار لاستهداف نظـام قاسـم ووصفه "بالفوضوية والشعوبية والإلحاد"[٥].

وقد وصلت دعاية ج.ع.م في ردودها إلى مستوى التحريض على قتله فهو "مجنون" يجب التخلص منه[٦]، حتى أن إحدى المجلات المصرية نشرت بنهاية عام ١٩٥٩ رسماً لكاريكـاتير على غلافها يصور رأس عبد الكريم قاسم "على صينية" مذيلٌ بأسفلها "هدية رأس السنة للشعب العربي"[٧]. إن المدقق في الحملات الدعائية المتبادلة بين الأطراف السالفة سيجد أن المـضامين

---

(١) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر بوفد لبناني بدمشق، ١٩٥٩/٣/٢.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في نقابة المهندسين احتفالاً ببدء تنفيذ السد العالي، ١٩٥٩/١١/٢٦؛ أيضاً خطابه في اللاذقية في ١٩٦٠/٢/١٤.

(٣) هيكل، يا سيادة الزعيم الأوحد.

(٤) إذاعة القاهرة: أقوال الصحف، ١٩٥٩/١٢/٢٧، ج ٥٣–٦٩.

(٥) إذاعة بغداد وقائع جلسات محكمة الشعب، ٢٦/ ١٢/١٩٥٩، ج ٥٣–٦٩.

(٦) إذاعة القاهرة، أقوال الصحف، ١٩٥٩/١٢/٢٧، ج ٥٣–٦٩.

(٧) عبد الخالق حسين: ثورة ١٤ تموز العراقية وعبد الكريم قاسم (دمشق: دار الحـصاد للنـشر والتوزيـع، ٢٠٠٣) ص٨١.

المتعلقة بالورقة الفلسطينية، والاتهام بالعمالة والتعاون مع الغرب وإسرائيل قد استخدمت من الجميع؛ إما للدفاع عن النفس وإثبات صحة الموقف، أو لتوجيه التهمة للآخر، في حين أن المضمون الدعائي المتعلق بالعمالة للشيوعية، ارتكزت إليه دعاية ج.ع.م، والدعاية الأردنية في مواجهتهما مع دعاية قاسم بعد أن كان مقتصراً استخدامه على الدعاية الأردنية المستهدفة لعبد الناصر.

أدى الخلاف العراقي مع ج.ع.م إلى انهيار المثلث الدعائي الذي تشكل عقب انتهاء الاتحاد العربي، ما أسهم بتخفيف عبء المواجهة الملقاة على كاهل الدعاية الأردنية، ولو بدرجة نسبية رغم استمرارها مع ج.ع.م بشكل متقطع وهو ما يجعل من عام ١٩٥٩، أقل حدة وتوتر من الأعوام السابقة، ولكنه كان عاماً مفصلياً –إن جاز التعبير– للدعاية الأردنية بإنشاء الإذاعة الجديدة، التي مارست في سنتها الأولى عملاً دعائياً مناهضاً لـ ج.ع.م.

الباب الثالث

تأسيس الإذاعة الأردنية ١٩٥٩

افتتحت الإذاعة في ١٩٥٩/٣/١، وجاءت انطلاقتها تحت مسمى إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية من عمان[١]، وقد كان اهتمام الملك حسين بها منذ تأسيسها واضحاً، من خلال زياراته المتكررة، وأحياناً شبه اليومية، حتى أن كثيراً من قرارات الدولة كانت تصنع فيها[٢].

وكان ذلك الاهتمام أمراً طبيعياً في دولة ظلت منذ تأسيسها دونما أداة إذاعية فاعلة تعبر عنها، وعن مواقفها وسياساتها، حتى أن ارتباط المستمع الأردني ظل معلقاً بإذاعات خارجية، كما أوضحت التفاصيل في القسم الأول ومنها: إذاعة برلين، والإذاعة الإيطالية، وهيئة الإذاعة البريطانية، والإذاعة الفلسطينية، وإذاعة الشرق الأدنى، وإذاعة قصر الزهور التي أسهم بثّها المثير للجدل آنذاك بظهور فكرة بريطانية بإنشاء إذاعة في الأردن وبالتحديد عام ١٩٣٩، وهي فكرة طرحت مرة أخرى عبر اقتراح بجعل عمان مقراً لإذاعة الشرق الأدنى، ولم يتحقق الأمر إلا عام ١٩٤٨، عندما أدت ظروف الحرب إلى تحويل ما تبقى من الإذاعة الفلسطينية كأساس للإذاعة الأردنية فيما بعد، ولكن بقدرات ضئيلة. وقد أدت الظروف الإقليمية بعد ١٩٥٢ إلى إظهار أهمية وجود إذاعة فاعلة وقادرة على تمثيل رأي الدولة وسياستها والدفاع عنها والترويج لمواقفها.

وكان الملك حسين يشكو خلال السنوات الأولى لتوليه الحكم من ضعف القدرات الفنية لدى الإذاعة الأردنية الذي أعاقها عن القيام بالواجب المطلوب، مقارنة بالإذاعات الأخرى وبالتحديد في فترة المواجهة الدعائية[٣]، لكنه قام بخطوات دالة على الرغبة بالتطوير، فتأسست إذاعة في جبل الحسين عام ١٩٥٦، بعد ظروف وأحداث عام ١٩٥٥، لاسيما وأن الإذاعة في رام الله كانت ضمن محيط بشري مؤازر لعبد الناصر، ومتأثر بصوت العرب، وجاء عام

---

(١) الدفاع، ١٩٥٩/٣/٢.

(٢) أبو زيد، مقابلة.

(٣) الحسين، مهنتي، ص ١٦٦.

١٩٥٧ بخطوة أخرى حينما استعان بيونس البحري للقيام بمهمة الدعايـــة المناهــضة للدعايـــة المصرية بواسطة إذاعة مستقلة عن الإذاعة الأردنية.وفي عام١٩٥٨ كانت محاولة إنشاء إذاعة خاصة بالاتحاد العربي، غير أن انهياره حال دون التنفيذ. لقد كان حرص الــسلطات الأردنيـــة على وجود هذه المؤسسة الدعائية سعياً لتحقيق عدة أهداف وأغراض.

أراد الملك أن تكون أداة في التأثير و"التوجيه الوطني والقومي، وفي التثقيــف والتنـــوير لحمل رسالة الأردن. إلى خارج الحدود.. إلى أنحاء المعمورة"[١] فهي "صورة صوتية" للأردن[٢] "وعنصر من عناصر شخصيته ونهضته"[٣]، وهي أداة للوصـــول "للمغتــربين" [٤]، وبخاصـــة الطلاب الذين أصبحوا كما قال "عرضة للدعايات الخبيثة لأجهزة منظمة..." بما يؤدي "لتــسميم أفكارهم والتأثير على توجهاتهم[٥]، ومن ثم العودة ليكونوا من الأدوات المساندة للدعاية المضادة للنظام وسياساته. إن الملك الذي عانى في السنوات السابقة من تأثير، أو حتى سيطرة الدعايـــة المناوئة على الرأي العام بات من ضمن أهدافه العمل على إعادته إلى سلطة الدولـــة أو حتـــى الاقتراب منه، أو تجيير نسبه منه لصالحها، ولم يعبر عن الهدف مباشرةً، غيــر أنـــه اســتعان بمفردات: التثقيف، والتوجيه، والتنوير.

وقد حدد الإذاعة كعنصر محوري لخدمة سياسة الدولة في مجال العلاقات الدولية والتـــي حدد مرتكزاتها بـــ "مصادقة من يصادقنا ومعاداة من يعادينا، نقاوم الاستعمار والطغيان أياً كان

---

[١] خطاب الملك حسين في افتتاح الدورة العاديـــة الثانيـــة لمجلـــس الأمـــة، ١٩٥٨/١٠/١، ج ١، ص ٢٨٠، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، الدورة العادية الثانية، ١٩٥٨/١٠/١.

[٢] فلسطين، ١٩٥٩/٣/١.

[٣] فلسطين، ١٩٥٩/٣/٣.

[٤] خطاب الملك حسين في افتتاح الدورة العادية الرابعة لمجلس الأمة ١٩٥٩/١٠/١، ج١، ص ٣٨٢ وسيشار إليه فيما بعد: خطاب، افتتاح الدورة الرابعة، ١٩٥٩/١٠/١.

[٥] كلمة الملك حسين في الطلبة والضباط الأردنيين بنادي ضباط الجيش بلندن، ١٩٥٩/٤/٢٧، ج١، ص٣٢٨.

لونهما وشكلهما، ونحرص على استقلالنا وسيادتنا.. غير مفرطين بحق من حقوقنا، وعدم الخضوع لأية اتجاهات تخالف عقائدنا وديننا، أو أي ارتباط بأية سياسات لا تتفق مع مصلحتنا القومية العليا، مستهدفين أن تقوم العلاقات بيننا وبين سائر الدول على قواعد المساواة التامة والاحترام المتبادل.." [١] ولم يكن الصراع العربي الإسرائيلي بعيداً عن الأهداف المعلنة رسمياً.

فهي أداة "التنبيه" من "الخطر" اليهودي وحث الأمة على "الثأر" والدعوة إلى وحدة عربية على أسس "الثورة العربية الكبرى"[٢]. وحدد الملك أسلوب الخطاب الدعائي للإذاعة أو "صوت الأردن" كما أطلق عليها، على أساس "الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة"، كمنطلق للتعامل مع محيطها القومي[٣]. تلك الأهداف جاءت لتحقيق الحاجة الرسمية بإذاعة فاعلة ومؤثرة، غير أن هناك آراءً عدّت قيامها، ضمن غايات وأهداف لأطراف خارجية على ارتباط بالمنطقة.

فتأسيسها وفقاً لما تقدم، كان تنفيذاً لسياسات وكالة المخابرات الأمريكية، في خضم المواجهة بين "التوجيه الاستعماري والتحريري"[٤]؛ فالأمريكيون بادروا إلى هذا بعدما رأوا الأداء "غير المقنع والضعيف" للدعاية الأردنية، في الفترة السابقة لعام ١٩٥٩، فكان تدخلهم لمواجهة "أفكار عبدالناصر وتياره الجارف" عبر صوت العرب، لا بل إن تدخلهم امتد إلى اختيار موقع "نائي" لبنائها كي "لا يجرؤ احد على الاعتداء عليها"[٥].

---

(١) خطاب الملك، الدورة العادية الثانية، ١٩٥٩/١٠/١، ص ٢٧٩.

(٢) فلسطين، ١٩٥٩/٣/١.

(٣) خطاب الملك حسين بمناسبة افتتاح دار الإذاعة بالقدس، ١٩٥٩/٨/١٧، ج١، ص ٣٦٥. وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، افتتاح دار الإذاعة بالقدس.

(٤) محمد حسنين هيكل، الشعار الذي رفعته الحوادث إلى مرتبة القانون، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/١٠/١٩.

(٥) الخطيب، مقابلة.

وفي بعض المصادر إشارة إلى تقارير للمخابرات الأمريكية، وتصنيفها لصوت العــرب "كمنافس خطير" وضرورة مواجهتها في الشرق الأوسط وإفريقيا، حيث تم تخــصيص أربعــين مليون دولار عام ١٩٥٨ لتقوية إذاعة صوت أمريكا في المنطقة[١].

وتورد الوثائق البريطانية معلومات عن تقديم واشنطن دعماً مالياً لبناء الإذاعة الأردنيــة الجديدة[٢]، وفي ــرأي آخر فقد أرادها الملك كأداة فاعلة "للنضال" ضــد المبــادئ المــستوردة وبخاصة الشيوعية والناصرية[٣]، أما صلاح أبو زيد فيخالف الآراء المتقدمة، مؤكداً أن تأسيسها لم يكن للوقوف بوجه صوت العرب، وإنما هو "إنجاز" جاء في السياق الطبيعي للمشاريع التــي كان الملك يطمح بتحقيقها[٤].

ويؤكد أبو زيد أن فكرة تأسيس الإذاعة انبثقت خلال العدوان الثلاثي في اجتماع ضــمه، وسليمان النابلسي، والملك الذي اقترح تأسيس "إذاعة كبيرة"، وكان رأي أبــو زيــد بــضرورة دراسة الفكرة والاطلاع على تجارب أخرى، فجاء القرار الملكي بإرساله إلى جامعة سيراكوزا في بعثة لمدة سنة واحدة لدراسة الراديو والصحافة، وبعد عودته عام ١٩٥٨ عين كمدير للإذاعة بالوكالة، عاملاً على تكوين كادرها استعداداً لانطلاقتها، وهي خطوة لم تجد قبولاً برأيــه لــدى الفلسطينيين فالإذاعة في رام الله لم يكن فيها "أردني واحد"، وهو أمــرٌ "غيــر مــستهجن" لأن الأردنيين لم يخبروا العمل الإذاعي[٥]. أرادت السلطات أن توازن في الانجاز الدعائي ما بــين

---

(١) يحيى الشاعر، صوت العرب من القاهرة، مقال.

(2) R J.Vol.ll, Telegram From Amman To Foreign Office, 26 Jun 1959, Fo 371/142104, P. 297.

(3) Asher Susser. "On Both Bank Of The Jordan, A political Biography Of Wasfi Al-Tall (Essex: Frank Cass, 1944) P. 30.

(٤) أبو زيد، مقابلة.

(٥) المرجع نفسه.

الضفتين، حتى لا يظهر إنشاء الإذاعة في عمان على أنه تجريد للفلسطينيين من مزية وجود الإذاعة في رام الله.

فتم نقلها إلى القدس وافتتحها الملك في ١٩٥٩/٨/١٧[١]، وفيما بعد تم تعزيزها بمحطة إرسال قصيرة في مطلع عام ١٩٦٠ بقوة مئة كيلو واط[٢]. وربما كان نقلها إلى القدس –حسب اعتقادي– كونها المدينة الثانية، ولأنها مركز ديني، ودبلوماسي للكثير من القنصليات، وبالتالي فإن التواجد الأمني أكثر كثافة من رام الله، وهو ما يساعد على حمايتها وتأمينها، في حال اضطراب الوضع الذي أدى لتعطيل عملها وحرمان السلطات من خدمتها أثناء تواجدها برام الله أحياناً. وقد أخذت الإذاعة الأردنية بلعب دور فاعل كأداة معبره عن توجهات الدولة، وفي التعامل مع الحملات المستهدفة للنظام، لاسيما في ظل وجود إدارة استندت إلى خبرات في العمل الإعلامي، ومع توجهات فكرية وسياسية مناهضة لعبد الناصر.

يزعم صلاح أبو زيد أن الواقع العملي قبل مجيء وصفي التل، يقدمه هو كمدير فعلي للإذاعة، رغم أنه كان من الناحية الرسمية مديرا بالوكالة فقط، وكان التعبير الحرفي الذي استخدمه للتدليل على دوره في تأسيسها: "كنت مديراً عاماً للإذاعة بالوكالة، ولكن عملياً كنت مدير الإذاعة، إذا لم أقل أنني كنت الإذاعة، ولو قيلت فهي صحيحة"، غير أنه أكد أن رغبة هزاع المجالي بتعيين وصفي التل كمدير عام للإذاعة لم تنعكس عليه بأي شعور سلبي، نافياً إحساسه بالإجحاف، وحسبما جاء على لسانه: "ليس من السهل أن أظلم، وهذا كله لا يعنيني لا الدرجة ولا الراتب ولا اللقب"، مبرراً ذلك لإيمانه بمفهوم "الجندية" الجامع للكل في خدمة "الوطن والمليك".

---

[١] خطاب الملك، افتتاح دار الإذاعة بالقدس، ص ٣٦٥.

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٨٢.

ولكنه أبدى مَلمحاً من الألم إن صح التعبير حينما تحدث عن جهده في بناء الإذاعة وما أصابه من تعمية أو "تجيير" للغير وهو ما ظهر بقوله: "أنا صحني، أنا أخر من يأكل منه، وأنا ليس لي بكايات، أنا وحيد وليس لي أشياع كوصفي، جهدي في الإذاعة جير لصالح وصفي وعرقي وفكري وتعبي"[١] و في هذا السياق نجد أفكارا تنسجم مع الطرح السالف.

حيث تعتبر صلاح أبو زيد كمؤسس للإعلام الرسمي، وبالتحديد الإذاعة الأردنية، مع لومه على "تقصيره" في إظهار دوره فيما حقق من "إنجازات" على مدى سنوات من العمل[٢]. ولربما أراد صلاح أبو زيد من الحديث عن دوره في الإذاعة، أن يبرز اكتمال جهوزيتها قبل مجيء وصفي، ولكن ذلك لا ينفي أن التل استطاع أن يترك بصمته في أدائها، خاصة مع رصيده المتراكم في العمل الإعلامي.

يدفع الحديث عن الخبرات الإعلامية لوصفي التل، للتذكير بصلة والده بالعمل الإذاعي، إذ أن تراكم الخبرات تتعد روافده ومنابعه.

فقد كان لمصطفى وهبي التل صلة بالإذاعة الفلسطينية عبر ما كان يذيعه منها من أحاديث عن "الشعر البدوي"، ولم يقتصر دوره على هذا المفصل، بل تعداه إلى اقتراح أفكار ومواضيع برامجية، وهو ما لاقى استحساناً من إبراهيم طوقان آنذاك[٣].

انضم التل عام ١٩٤٦ إلى العمل في المكتب العربي بالقدس، والمدار آنذاك من قبل موسى العلمي[٤]، وقد أنشئ إثر قرار من الجامعة العربية لتنظيم الدعاية عبر إنشاء المكاتب

---

(١) صلاح أبو زيد مقابلة.

(٢) الريماوي، السجل.

(٣) أسامة عايش: وثائق مصطفى وهبي التل (عرار)، م٣، ج٢ (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠١٢)، وثيقة رقم ١٣: محضر اجتماع عصبة التقارب والتعاون بين العرب واليهود، والتأكيد على وقوف فلسطين بشعبيها اليهودي والعربي، ضد الاعتداء النازي، القدس ١٩٣٩/١٠/٨، وثيقة مطبوعة، ص ١٣٨.

(4) Susser, Op. Cit., P. 14.

الإعلامية وبالتحديد المتعلق منها بفلسطين، بناء على اقتراح تقدم به العلمي، لعرض قضية فلسطين بوجهة نظر عربية، وعلى شاكلة ما تقوم به الدعاية الصهيونية[١]، ولمواجهة ما تقوم به من تشويه للحقيقة، ومن هنا تعددت فروع المكتب في عدد من العواصم العربية والغربية[٢]، ولإجادة التل للغة الانجليزية أرسل إلى مكتب لندن[٣]، وخلال عمله الدعائي هناك وصف "بالذكاء والجرأة"، والعمل لوقت طويل[٤]، لتوضيح الجوانب المختلفة بالشأن الفلسطيني عبر آليات تمثلت بإلقاء المحاضرات حول القضية، والتواصل مع القطاع الصحفي وإصدار النشرات التوضيحية[٥].

وبعد تشكل جيش الإنقاذ عام ١٩٤٧، قدم استقالته من المكتب للانضمام إليه ومكث فيه لغاية ١٩٤٩، بعد مشاركته في الحرب، ثم عاد إلى القدس بداية ١٩٥٠، واشترك بإصدار مجلة الهدف[٦]، وكان يعمل بتحريرها ونشر المقالات فيها، وصدر منها خمسون عدداً ثم توقفت[٧].

وفي عام ١٩٥٣ أسهم بإنشاء صحيفة القوميين العرب التي أطلق عليها "الرأي"، ونشر فيها سلسلة مقالات حول أسباب الهزيمة[٨].

---

(١) أنيس الصايغ: الموسوعة الفلسطينية ج٤، المكاتب العربية لفلسطين (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص٢٧٥.

(٢) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٢٦.

(٣) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، ص ١٠٧.

(٤) التل، كتابات في القضايا العربية، ، ص ٢٦.

(٥) أسامة عايش: وصفي التل، إعادة قراءة، رسالة ماجستير غير منشورة (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٨)، ص٦٠. وسيشار إليه فيما بعد: عايش، وصفي التل.

(6) Susser, Op. Cit, PP.14, 15, 23.

(٧) الدستور، د ك، الصحافة الأردنية في ثلاثين عاماً، ٢٠١٠/٣/٢٠.

(٨) التل، كتابات في القضايا العربية، ص٣١-٣٥.

انتقل التل إلى ممارسة العمل الإعلامي عبر البوابة الرسمية بعد تعيينه مسئولاً عن دائرة المطبوعات والنشر في ١٩٥٥/١١/١٩ [١]، وبقى فيها حتى ١٨/١١/ ١٩٥٦[٢]. ومـع مجـيء هزاع المجالي رئيساً للوزراء في شهر أيار ١٩٥٩، عينه مديراً للإذاعة فـي ١٩٥٩/٥/١٧[٣]. وقد رافق ذلك التراكم في الخبرات جملة من الصفات، جعلته قادراً على إدارة دفـة المواجهـة الدعائية مع ج.ع.م، وبالتحديد مع صوت العرب، وبأسلوب بعيد عن المهادنة والمواربة.

تحدد الوثائق البريطانية جملة من صفاته الشخصية، فهو قيادي وصاحب قـرار، مـع استقامة وصراحة وعزيمة، وإصرار على تخطي العقبات، ولا يغير رأيه بسهولة، ولديه إلمام بقدرات العاملين معه، مع "اندفاع وميل للمجازفة"[٤]، وهناك من يعتقد بأن صـراحته كانـت تخرجه من صفة السياسي، فلم يكن يؤمن "بالمناورة" كأسلوب، وهي سمة –وفقاً لهذا الـرأي– "تليق بزعيم القبيلة، أكثر مما تليق برجل السياسة" وإلى جانب ما ذكر، فقد كانت لديـه قـدرة العمل تحت الضغط، وكانت لديه "طاقة هائلة" على العمل الذهني والبـدني[٥]. ولعـل صـفة الصراحة من أهم ما أثر على أدائه في التعامل مع سياسة ودعاية ج.ع.م.

فقد فَرضت عليه كما فَرض عليه "كبرياؤه وكراهيته للتبعية" الوقوف بوجه ما اعتقد أنه سعي من عبد الناصر لفرض "رأيه وزعامته.. بالترغيب والترهيب"، وكان اعتقاده بأن الأردن دولة " ذات سيادة"، ويحب أن يكون "حراً" فيما يتخذ من قرارات وسياسات، تعبر عن مصالحة وقناعاته وتتلاءم معها، رافضاً فكرة الخضوع لأي قطر أو زعيم عربي، فالأردن وفقاً لقناعاته

---

(١) التل، كتابات في القضايا العربية، ص٣٥.

(٢) الدفاع، ١٩٥٦/١١/١٩.

(٣) الدفاع ١٩٥٩/٥/١٨.

(4) R J. Vol.10, Despatch From Mr J. Henniker Mayor To Earl Home, 16 February 1962, FO371/1164082, P.530.

(٥) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٥٢–٥٣.

يجب أن لا يكون "ظلاً" لأحد، وإنما "نداً" للآخرين[1]. ما تقدم من صفات وقناعات انعكس على موقفه في الدعاية، في وقت كانت فيه صوت العرب في "ذروة" الفاعلية والتــأثير[2]، وكانــت شعبية عبد الناصر في تصاعد. وهو ما ظهر حتى في كتاباته، قبــل أن يتــولى أي منــصب رسمي.

ففي أوائل عام ١٩٥٥ عبر عن رأيه في صحيفة الحياة اللبنانية برفض فكرة الحياد، دون التطرق مباشرة إلى عبد الناصر، مقدماً منطقه الذاتي حول الفكرة، مبينا أن الدعوة إلى " الحياد في بلاد العرب دعوة لا تستند إلى الواقع لأن العرب لا يملكون القوة الكافية لحماية حيــادهم، ولأن بلادهم في موقع جغرافي يفرض على الدول القوية أن تتزاحم عليــه"، وخــلال توليــه منصب مدير المطبوعات دعا بشكل علني للانضمام لحلف بغداد، في محاضرات ألقاهــا فــي عمان والسلط، واستندت حجته على وجوده نفوذ غربي قوي لا يقوى العرب على مواجهته، أو التخلص منه "فمن الأفضل التعايش معه والاستعانة به في صد الغزوة الــصهيونية..."معتمــداً طرحه على فكرة" خذ وطالب" التي أخذ بها الملك عبد الله ونوري السعيد "بعد أن أدركوا نتيجة للتجارب الطويلة، والصدمات المتكررة أنها أفضل على المدى الطويل من مواقــف الــرفض المتصلبة التي لا تؤدي إلى فائدة وان كانت مثيرة لهتافات الجماهير"[3]، والأهم حسبما أرى أن تعبيره عن وجهة نظره وبطريقة علنية كان في ظرف كانت فيه دعاية صوت العرب تــسيطر على الشارع وتحركه ضد الفكرة ومن يدعوه لها.

وقد أدى إفشال عبد الناصر محاولة الأردن الدخول في الحلف، إلى أن يرى فيه " خصماً على المستويين "الشخصي والسياسي"، لا بل إن "كراهيته لسياسة العصا" التي انتهجتها القاهرة

---

(١) النل، كتابات في القضايا العربية، ص ٥٣، ٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٥-٣٦.

زادت وترسخت[١] وبتلك الخبرات، والصفات، والأفكار، والمواقــف تبــوأ التــل إدارة الأداة الرئيسية في الدعاية الأردنية.

وبينما يذكر سليمان الموسى تعيينه كرئيس للتوجيه الوطني ومــديراً للإذاعــة[٢]، إلا أن صحف التاسع عشر من أيار نشرت التعيين مقتصراً على الإذاعة فقط دون الإشارة إلى منصب آخر[٣]. وعلى ما يبدو فإن إضافة منــصب رئاســة التوجيــه الــوطني جــاء متــأخراً فــي ١٩٥٩/٨/٢٥[٤].

فرض الدور الجديد بذل مجهود يمتد لساعات طويلة[٥]، وعلى ما أعتقــد فــإن حــساسية الموقع، وتبعات المسؤولية الملقاة على عاتقه فرضت أن يبقى على اتصال وتنسيق مباشر مــع الرئيس.

فكان دوامه خلال النهار في رئاسة الوزراء في مكتب ملاصق لمكتب هزاع، وفي أثنــاء الليل يمكث "عدة ساعات" في الإذاعة، أداة الدولة الأولى في تقديم وجهــات نظرهــا، وتبيــان سياستها، والتخاطب مع الشارع، والقيام بمهمة التعامل مع الحملات الدعائيــة للإذاعــات ذات التوجه المناهض[٦].

---

(١) التل، كتابات في القضايا العربية، ص٣٦-٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) الدفاع، ١٩٥٩/٥/١٩.

(٤) عايش، وصفي التل، ص٩٠.

(٥) الموسى، أعلام من الأردن ج١، ص ١١٩.

(٦) المرجع نفسه، ص ١١٩.

وجسد أسلوبه* في إدارة الإذاعة، الإدارة التي تولى عنايتها لأدق التفاصيل، مع اعتماد سلوكيات محفزة للإبداع، بالاقتراب الودي من الموظفين، والأخذ بمبدأ الحوار، في إطار من التواضع، والاحترام، والحزم[1]. وأرى أنه اتجه إلى المبادرة بالتجديد والخروج على القوالب التقليدية في الأداء الإعلامي، حتى فيما يتعلق بالملك، وربما كان في هذا شيء من الجرأة.

حيث أوضح للملك حسين أن النهج الدعائي الذي سيتم التعامل به مع صورته المقدمة للناس، سيكون بعيداً عن "إضفاء الألقاب والأوصاف التعظيمية"، واستبدال ذلك باعتماد فكرة الزعيم والقائد: "سنعتبرك زعيماً وقائداً، أكثر منك ملكاً تقليدياً"، وكان في هذه النقطة مدفوعاً باعتقاده بضرورة" خلق الأسطورة البطولية" ما يؤدي لتعلق الشعب بها، وبما يسهل سيره خلف "القيادة الواعية التي تفعل الخير للناس رغم أنوفهم"، وكان في هذا متأثراً بالفكرة النازية التي حوت تلك التفاصيل، وكانت "تعلق أهمية عظيمة على الانضباط والتنظيم"[2]، ولعله كان يسعى كما أرى لإيجاد كاريزما، يقابل أو يواجه بها كاريزما عبد الناصر، التي لعبت دوراً فاعلاً في عملية الدعاية والترويج لسياساته لدى الرأي العام العربي. وخلال إدارته سعى لتعدد وجهات النظر، وعدم حصرها بطيف واحد، فاتجه للانفتاح على المعارضين السياسيين للنظام.

---

* في إحدى المرات التي وجد فيها العامل المسؤول عن نظافة المرافق الصحية في الإذاعة لم يؤد واجبه كما ينبغي، قام بنفسه بالمهمة باستخدام الأدوات والمحاليل اللازمة، داعياً إياه للالتزام بتأدية مسؤوليته بالشكل الذي طبقه أمامه، "ومن خلال إدارته للإذاعة تبدت مواهبه وقدراته على الإدارة والتجديد. بدأ يعقد "اجتماعات دورية للموظفين مع قيام أمين سره بتسجيل الوقائع في الجلسات التالية وكان يتابع ما نفذ وما لم ينفذ من المقرارات، وفي المناقشات كان يشجع على إبداء الرأي بصراحة، ويعمل على حل المشاكل" و"لم يكن يهتم بالشكليات وكثيراً مانسي نفسه دون طعام، فإذا أستبد به الجوع ذهب إلى المطعم المتواضع الصغير خارج الإذاعة ليأكل ما تيسر من خبز ولبن أو فلافل، أو حمص، وكان لا يجد غضاضة في الجلوس على الأرض كما يفعل أبناء القرى"؛ التل كتابات في القضايا العربية، ، ص ٣٨.

(١) الموسى، أعلام من الأردن ج١، ص ٣٨.

(٢) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٥٩.

فاستقطب الحزبين السابقين، ودعاهم للعمل في الإذاعة، وبسقف مرتفع يقولون فيه ما يشاءون[١]، وربما شكل هذا نوعاً من المجازفة. إذا أن بعضهم كان مفصولاً من عمله إثر "موجة الاضطرابات" التي مر بها الأردن خلال السنتين السابقتين لقيام الإذاعة[٢].

ولتوحيد الجهد الإعلامي للدولة قدم إلى رئاسة الوزراء في ١٩٥٩/٧/١٠ "مشروع إنشاء المديرية العامة للإذاعة والأنباء"، بهدف توحيد جهود الإذاعة ودائرة المطبوعات، في مجال التوجيه، وبما يؤدي إلى انسجامها تجنباً للتناقض عبر جهاز ينهض بالمهمة. وتضمن المشروع إنشاء قسم للرصد الإذاعي، لمتابعة مضامين الإذاعات والصحف ذات الصلة بالأردن، وإخراجها بنسخة يومية توزع على المسؤولين، لوضعهم في صورة الأحداث، أولاً بأول، ليكون بمقدورهم اتخاذ الموقف المناسب، بناء على معرفتهم بأدق التفاصيل. إضافة لإنشاء دائرة موحدة تكون مهمتها الاتصال بالصحافة المحلية والأجنبية لتوضيح حقيقة الموقف الأردني بكافة القضايا، والترويج لوجهة النظر الرسمية وتعزيزها. ومن المزايا التي كان التل يعتقد بترتبها على هذا المشروع، تحقيقه لفاعلية في الجهد وعدم تكرار الأعمال المتشابهة دونما فائدة، مع اقتصادٍ في النفقات[٣].

وتمثلت الاستجابة الحكومية بإنشاء دائرة الإعلام، ودائرة المطبوعات والنشر[٤]، وكذلك أنشئ قسم الرصد في الإذاعة في العام ذاته ليقوم بالمهمة الموكلة به[٥]، غير أن صلاح أبو زيد

---

(١) التل، كتابات في القضايا العربية، ص٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) الملف الرسمي لوصفي التل (رئاسة الوزراء)، وثيقة دون رقم، تاريخ ١٩٥٩/٥/٢٤، الرقم المتسلسل ١٩٧. نقلاً عن عايش، وصفي التل، ص ٩٢.

(٤) الموسى، أعلام من الأردن ج١، ص ١١٩.

(٥) انظر مجلدات الرصد الإذاعي لعام ١٩٥٩، حين توثق مجلدات الرصد الإذاعي أن عام ١٩٥٩ هو العام الأول لصدورها. ومثال ذلك ج ١٨-٣٤.

يقدم حادثة يوثق بها عملية الرصد كخطوة من بناة أفكاره، ففي زيارة الملك لرئاسة الوزراء في اليوم الأول للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ قدم أبو زيد ما أسماه "بالتقرير اليومي" المعد من قبلــه لاطلاع المسؤولين على صورة ما يجري في المنطقة والعالم وهو "ما نال إعجاب الملك"(١)، إلا أنه لم يعثر على نماذج منه، وربما كان ذلك اجتهاداً شخصياً من أبو زيد، ولم يكن يتم بطريقــة رسمية تعبر عن وجود قسم مختص يوثق لما يقوم به من عمل كما حصل عام ١٩٥٩.

ومن الجدير ذكره أن فكرة تأسيس قسم الرصد في الإذاعات يعود إلى جــوبلز؛ إذ كــان يعمل على جمع الأنباء ذات الأهمية بطريقة علمية منظمة، ليتسنى للدعاية الألمانية إنجاز دعاية مضادة تماثل تأثيرها، وتعطل مفعولها بأساليب مختلفة منها إلقاء الخطابات، والاعتمــاد علــى الصحافة والإذاعة، وبعض الصحافيين الأجانب(٢). وباعتقادي فإن جميع العناصر المذكورة قــد أخذ بها أردنياً، وسنرى فيما بعد أنموذجاً برامجياً يدلل على مدى أهمية الرصد لدى وصفي في إنتاج دعاية فاعلة بمواجهة دعاية ج.ع.م، ولابد من التأكيد هنا أن اهتمامه لــم يقتــصر علــى الجانب الإداري لكنه امتد ليشمل ما يقدم للمستمعين من محتوى يتوقف عليه تكوين سمعةٍ وقدرةٍ تمكن الإذاعة من الجذب والتأثير في الرأي العام.

بينت التجارب الدعائية باعتقادي عبر المدى الزماني والمكاني فيما ســلف مــن تسلــسل حدثي، أهمية الأغنية كأداة من أدوات الدعاية، ودورها في إثارة العاطفة، وتنحيه العقل، أو إنتاج ثنائية العقل البارد والقلب الحار*، بما يسمح ببث الأفكار المراد الترويج لها وترسيخها، فرأينــا

(١) أبو زيد، مقابلة.

(٢) حاتم، مرجع سابق، ص ٢١٨.

* ثنائية تعني تقديم العاطفة على العقل، بخلاف ثنائية العقل الحار والقلب البارد، التي يفعــل فيهــا التفكيــر المنطقي والعقلاني، ولا مكان فيها للعاطفة، وقد وردت هذه الثنائية على لسان رئيس حزب الكتائب الأسبق كريم بقردواني في مقابلة على قناة المنار (www.almanar.com).

تنافساً بين الألمان والإيطاليين من جهة، والبريطانيين من جهة ثانية على حيازة أغاني أم كلثوم بشكل خاص، أو محاولة الاعتماد المباشر عليها، كما فعل الانجليز بدعوتها للغناء في لندن، ورأينا ذلك الاهتمام يتكرر مع الثورة المصرية، وسعيها للاستعانة بكاريزما أم كلثوم وفنها لصالح الدعاية للعهد الجديد، وكذلك فعلت الدعاية الإسرائيلية مع أغانيها، واستخدامها بطريقة تخدم دعايتها الموجهة للعرب، بوضعها في أوقات متقاربة مع نشراتها وبرامجها الإخبارية.

أدرك التل وظيفة الأغنية ودورها الفاعل في الدعاية وجذب المستمعين في الوقت الذي كانت فيه دعاية ج.ع.م وبالتحديد صوت العرب، تستحوذ على شعبية واسعة في الوطن العربي.

وكان لديه تعريف للإذاعة يختصرها بـ "خبر وأغنية"[١] لا بل إن الواقع يؤكد تفوق النسبة المخصصة للأغاني في فترة البث الإذاعي، على تلك المخصصة للأخبار أو حتى البرامج الدينية.

وتقدم لنا جداول البث للإذاعة الأردنية لسنة ١٩٦٢ إنموذجاً في هذا؛ إذ شكلت الأغاني ٣٣,٦%، فيما الأخبار ٩,٣%، أما تلاوات القرآن والبرامج الدينية فشكلت ١٠،٨%[٢]، ولأنه كان يَعُدُ الأردن "نداً" للدول الأخرى، ولا يريده "ظلاً" لأحد[٣]، عمل لإبراز شخصيته وهويته اعتماداً على إحياء التراث وإعادة إخراجه عبر الأغاني والأهازيج ذات السمات النابعة من البيئة المحلية، والتي كان يرتبط بها بطريقة تعبر عن عاطفته تجاهها وهو ما ظهر في حفظه للشعر البدوي، وتمسكه بالملامح والأدوات المجسدة للتراث الشعبي حتى في منزله[٤]. وانطلاقاً من

---

(١) روحي شاهين، مقابلة مع وكالة بترا للأنباء، ٢٠١١/٣/٢٦.

(٢) فاروق جرار، قصة التلفزيون الأردني النشرة الشهرية لإتحاد الإذاعات العربية، ج٢٢، (القاهرة: اتحاد الإذاعات العربية، آب ١٩٧١)، ص ٥٤.

(٣) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٥٣.

(٤) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، ص ١٥٥.

ذلك، أخذ بالترجمة العملية، لما تقدم، بصبغ الإذاعة بملامح الإذاعة الأردنية، وهو ما ظهر من خلال الأغاني التي بدأت تبث، ما جعل الإذاعة تقترب من التفرد بهوية[١] تميزها عن غيرها من الإذاعات[٢].

وقد أدرك الدور "الوطني" للأغنية، وهو ما يُرى في حديثه عن موهبة عبده موسى*، الذي "يغني للوطن ويتجاوب مع إحساس المواطن، وفي النهاية يؤدي فنه إلى التقريب بين المواطن وبلاده وأهل بلاده....." [٣]، وهذا الإحساس الجمعي المتولد حسبما أرى وُظِفَتْ الإذاعة لخدمته، بالتركيز على النمط الغنائي المغذي والرافد له، وهو ما سنراه فيما كتب وألف من أغنيات.

وهذا ما دفعه لحث رشيد زيد الكيلاني على كتابة الأغاني ذات الطابع التراثي، "وشجعه" على توثيق الشعر الشعبي، وما يرتبط به من قصص وحكايات تصور حياة البداوة [٤] وهو ما ترجم في النهاية إلى برنامج أدب البادية الذي بدء ببثه عام ١٩٦٠[٥]. ولم يتوقف دور التل عند التشجيع، بل أمتد إلى مشاركة مؤلفي الأغنيات في وضع كلماتها، ومع الملحنين في "تأليف النغم وتوحيد الآلات الموسيقية"[٦]، كما أسهم في التغلب على الموانع الاجتماعية التي كانت تحول دون استمرارية بعض من سلكن طريق الغناء.

---

(١) التل، كتابات في القضية العربية، ص ٣٨.

(٢) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، ص ١٢٠.

* كان الملك حسين يرسل إليه سيارة خاصة لإحضاره للقصر للغناء أمام كبار الضيوف، وكان من ضمنهم في إحدى المرات هنري كيسنجر، وحينما كان يسأله عما يريد، أو يحتاج، كان يقابل ذلك بالشكر والعرفان والامتنان مع الإحجام عن الطلب. فتحي عبده موسى، مقابلة، غرفة أخبار التلفزيون الأردني، ٢٠/٦/٢٠١٤. وسيشار إليها فيما بعد: فتحي عبد موسى، غرفة أخبار التلفزيون.

(٣) الموسى، أعلام من الأردن، ج١، ص ١٢٠.

(٤) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٨.

(٥) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، الدورات البرامجية لعام ١٩٦٠.

(٦) ممدوح حوامدة: وصفي التل بين الماضي والحاضر (عمان: د. ن، ١٩٧١) ص ٨٤.

حيث أقنع أقارب سلوى العاص الذين جاءوا من جنين إلى الإذاعة، "محتجين ومهـــددين"، بالسماح لها بالغناء وعدم التعرض لها[(١)]، وفي سياق الحديث عن الأغنية الأردنية والإذاعة، نجد أن هناك أدواراً لعبها أيضاً هزاع وصلاح أبو زيد.

أما هزاع فعرف عنه تشجيعه للمواهب الغنائية، فالغناء بالنـسبة لـــه "موهبـــة طبيعيـــة عظيمة"[(٢)]، وكان له دورٌ في إبراز موهبة عبد موسى في الإذاعة الأردنية عام ١٩٥٨، وأوعز بتعليمه القراءة والكتابة، ليكون بمقدوره حفظ الأغنيات، دونما حاجة للهمس في أذنـــه بكلماتهـــا أثناء تأديتها على الهواء[(٣)]، وتجلى اهتمامه بالغناء والمغنيين بعنايته بالتفاصيل الدقيقـــة ومنهـــا الشأن الصحي، وتأثيره على أصواتهم وأدائهم، فكان يحل ما تعلق به من إشكالات، كما فعل مع المغني يوسف رضوان، حينما أمر بصناعة طقم أسنان له بعدما لاحظ تغيراً في صوته، فعـــاد للغناء بصوره طبيعية[(٤)].

وبالنسبة لصلاح أبو زيد فيدرج أسمه وفقاً لوجهات نظر تطرح على أنه صـــاحب جهـــد ريادي "أسهم بإطلاق الأغنية الأردنية"، فهو الذي أسهم ببروز: سميرة توفيق، وطروب، وتوفيق النمري، وعبده موسى، وسلوى العاص، وجميل العاص، وهو الذي كتب أغنية "ربـــع الكفـــاف الحمر"*، وفي مهرجان رام الله الذي أسهم بإطلاقه جاءت أغنية "وين ع رام الله"[(٥)].

---

(١) الدستور، ٢٠١٠/٣/١٤، مقابلة مع سلوى العاص. وسيشار إليها فيما بعد: سلوى العاص، مقابلة.

(٢) الموسى، أعلام من الأردن، ج٢، ص ٥٠.

(٣) محمد الغوانمة: عبده موسى رائداً ومبدعاً (إربد: دار الكندي، ٢٠٠١) ص ٩٩.

(٤) الموسى، أعلام من الأردن، ج٢، ص ٥١.

* يؤكد سعد أبو ديه أن صلاح أبو زيد كلف إبراهيم زيد الكيلاني بكتابتها؛ انظر سعد أبو دية، دور الكتـــاب والأغنية في الأعلام الأردني تاريخياً، عمون، ٢٠١٠/٩/١٣

(٥) الريماوي، السجل.

ويؤكد أبو زيد أنه كان يضع الأغاني الأردنية"، وأنه أول من أدخل الفلكلور لأول مــرة بتاريخ الإذاعة، وقد بادر بذلك يعد أنه كانت إدارة الإذاعة في رام الله تنأى بنفسها عنه وتنظــر إليه بــ "أرَفْ" (قرف)، وفي إطار ما تقدم أحضر سميرة توفيق* للغناء باللهجة الأردنية[1].

وقد أكدت على دوره في "اكتشافها، وتقديمها"، مع عمله على إيجاد اللحن المناسب لهــا، وردَّت "الفضل" إليه فيما حققت من شهرة، عازية الأمر إلى "شخصيته القوية والنفاذة" التي أثرت فيها، حيث كان أول من "لقنها المعاني السامية للأغنية الأردنية"[2]، ونتيجة لإدراك التل لأهمية ودور الأغنية في الدعاية فإن اهتمامه لم ينقطع حتى بعد ما أصبح رئيساً للوزراء.

فقد لعب دوراً في إنتاج أغنية "أردن أرض العزم" التي غنتها فيروز[3]، وحــرص علــى إخراج أغنية "تخسى يا كوبان"**، والتي تحمل في طياتها تمجيداً للجيش والملــك، إلــى حيــز الوجود، وكانت في الأصل أغنية ترددها والدته الكردية العراقية ومطلعها "تخسى ياكوبان مــا أنت ولفٍ لي، ولفي شاري الموت لابس عسكري"، وقد طلب من الشاعر حسني فريز أن يبنــي قصيدة على نفس الوزن، ومن ثم كلف جميل العاص بالتلحين، وبعد ثلاثين لحناً قدمها، اســتقر

---

* خلال مقابلتي مع صلاح أبو زيد، أبلغته أن بعض كبار السن من المغرمين بصوت ســميرة توفيــق، كنــا نسمعهم ونحن صغاراً، يتحدثون بنوع من المبالغة عن قيام الملك بإحضارها. و كان هذا الكلام مستفزاً له، حيث أكد وبنبرة قوية، بعد أن دق على صدره: "أنا من أحضر سميرة توفيق"، وقد أحسست مــن إجابتــة، شعوره بالفخر والاعتزاز بتلك الخطوة.

(١) أبو زيد، مقابلة.

(٢) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، كانون أول ١٩٦١.

(٣) مروان دودين، هذا ما كتبه مروان دودين عن يوم استشهاد وصفي، موقــع صــحفي جــو، ٢٠١٠/٤/٦ (www.Sahafi.Jo).

** كوبان: كلمة كردية تعني الجبان؛ منتدى المواضيع المنقولة وغير البريــة (www.abreah.com)، وفــي اللغة التركية (Ghoban) معناها الراعي؛ قاموس المعاني (www.almaany.com).

رأيه على اللحن الحالي، وسجلت بصوت سلوى العاص وبحضور الملك وكبار المسئولين وفقاً لبعض الروايات وكان لها صدىً واسعا وخاصة في أوساط الجيش[١].

وتروي سلوى العاص أن التل وحابس المجالي وحسني فريز اشتركوا في كتابتها[٢]، في حين أن مصادر أخرى تؤكد تفرد المجالي بتأليفها[٣]، وباعتقادي فإن المدقق في الجدول اليومي لبرامج اللاذعة سيجد كماً كبيراً من الأغاني ذات الصبغة الفلكلورية التي كانت تعبر عن هوية أردنية بحته أنتجتها سياسة التل ومن كان معه على الخط كحابس وهزاع وصلاح أبو زيد.

ومثال ذلك الفترة الممتدة بين ١٩٦٠-١٩٦٣ حيث نجد نماذج متعددة منها: "عالسيف والمياله، بس ارفع أيدك، حبيت العب مع البيض، يا هلا بالضيف، الترويدة، يا سايق الاظعان، يا مغربين مغرب، يالمرتكي عالسيف، ديرتنا الأردنية، وأنا طايح البرية، بين الدوالي، يا أبو الهجانا، يا صبابين الشاي، دبكة ما بعرف دبكة، ما أنت عشيري، أهزوجة الحرية، يا أبو قضاضة بيضا، شوقي يا شوقي، على بير الطي، أبو الجديله، قلبي يهواها، الثار، أسمر خفيف الروح"[٤].

واعتمد في تقديم تلك الأغنيات على بعض المطربين غير الأردنيين ومثال ذلك وديع الصافي، وفيروز، وسميرة توفيق[٥]، وربما كان الاعتماد على بعض تلك الأسماء برأيي لتحقيق مزيد من الانتشار والدعاية والترويج للأغنية الأردنية، على الساحة العربية. وما يعنينا هنا هو ردة فعل دعاية ج.ع.م تجاه المنتج الغنائي الأردني، الذي سُخِّرَ لجذب المستمعين بعيداً عن تلك الدعاية، التي تعاملت معه بثلاث طرق؛ السخرية، المنع، والاستخدام المناهض للنظام.

---

(١) قصي أدهم، د ع، موقع مرايا نيوز، ٢٠٠٨/٩/٢٧ (news.comwww.maray).

(٢) سلوى العاص، مقابلة.

(٣) موقع قبيلة المجالي، بعض قصائد حابس (historymajali.Weebly.com).

(٤) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، الدورات البرامجية ما بين ١٩٦٠-١٩٦٣.

(٥) المرجع نفسه، ١٩٦٠-١٩٦٣.

أما السخرية فتمثلت بوصف أحمد سعيد للإذاعة الأردنية بأنها "إذاعة بين الدوالي"، أو إذاعة سلوى أو بقوله: "نحن نبني السد العالي وهم يغنون بين الدوالي"[١] أما المنع فكان بحضر أغنيات سميرة توفيق عبر صوت العرب والإذاعات المصرية، باعتبارها "مغنية النظام* الأردني"[٢]، وأداة من أدوات المواجهة مع صوت العرب[٣]، وقد حظيت بألقاب قريبة من ذلك الوصف وتدلل على ذلك الارتباط مع "النظام".

---

(١) سلوى العاص، مقابلة.

* هناك من يعتقد بأحقية عبده موسى بلقب مطرب الجيش والعسكر والنظام، وحتى "الشعب"، فهو ابن البلد، وصاحب الأغاني الوطنية ذات التأثير "العاطفي الكبير"، والتي لازالت تتمتع بشعبية "جارفة" لغاية الآن، وهو من حقق للإذاعة الأردنية رواجاً بين الأردنيين في بداياتها. غير أن سميرة توفيق حظيت "بسطوة، ونفوذ، وجاه، وحظوه، ودلال لدى بعض كبار المسئولين"، الذين جيروا بعضاً من مخزون عبده موسى من الأغاني والألحان التراثية لصالحها، وأبدعوا لها كياناً معنوياً، حتى أنه بالإمكان الحديث عن "جمهورية مصغرة" لها في ذلك الزمان، والدليل على ذلك، وللتمثيل لا الحصر، ما حدث في حفل عيد التلفزيون عام ١٩٧٤؛ إذْ استطاعت أن تفرض شروطها، وأن يكون لها معاملة خاصة مقارنة بالمطربين الأردنيين، ولاسيما عبده موسى؛ فأحضرت بالطائرة قبل الحفلة بساعة، وغنت أغنية "يا عنيد يا يابا" لعبده موسى، و "بليل يا عيني بالليل" لتوفيق النمري، ثم غادرت مباشرة بعد انتهاء الحفلة إلى بيروت، بعدما تقاضت مبلغ عشرة آلاف دينار، في حين تقاضى عبده موسى مبلغ ستين ديناراً، وهو ما يعد "إجحافاً بحقه"، وقد كان ذلك "الإجحاف" أسلوباً في التعامل، ما أدى بأسرته أن تبقى في وضع اقتصادي غير مستقر، ولم تتوقف "مظلوميته" عند هذا الحد، لكنها امتدت إلى يوم موته في ١٩٧٧/٦/٢٠، عندما رفضت إدارة مستشفى البشير تزويد أهله بسيارة لنقل جثمانه إلى منزله الواقع في منطقة قريبة، ما اضطرهم للذهاب إلى سوق الخضار بمنطقة الوحدات، والاستعانة بسيارة (بك أب)، وامتد "التقصير" إلى تخلف العديد من المسؤولين عن القدوم لبيت العزاء، ووصلت تلك "المظلومية" إلى شبه غياب لأغانيه عن الإذاعة والتلفزيون، إلا في أوقات نادرة؛ فتحي عبده موسى، مقابلة، غرفة أخبار التلفزيون، وكذلك مقابلة عبر الهاتف، ٢٠١٤/١٠/١٣.

(٢) منتدى النواصرة، د ك، سميرة توفيق، د ت (www.nawasreh.com) وسيشار إليه فيما بعد، منتدى النواصره، سميرة توفيق. وقد وردت هذه المعلومات وتكررت في كثير من المواقع الالكترونية والمنتديات الأردنية والعربية.

(٣) محمد الخطيب، مقابلة.

ومنها "مطربة الجيش والعسكر والقوات المسلحة.." [١] أو مطربة الأردن والنظام"[٢]. أما الشق المتعلق بالاستخدام المناهض للنظام، فكما أدرك القائمون على الدعاية الأردنية أهمية الأغنية التراثية والفلكلورية في جذب المستمعين، فقد أدركتها الدعاية المناوئة في الشق السوري من ج.ع.م، وبالتحديد إذاعة حلب.

فبرنامجها "ماذا في الأردن" والذي كان يبث في آن واحد عبر إذاعات ج.ع.م. كان يبدأ بلحن لأغنية تراثية أردنية، حرف مضمونها ليتناسب والأفكار الموجهة ضد النظام، وكانت النماذج المعتمدة على عزف الربابة الأبرز في تلك العملية[٣]، وهذا ما سيتضح فيما بعد. وفي خضم المواجهة مع صوت العرب ودعاية ج.ع.م بشكل عام أولى التل الجانب البرامجي اهتماماً يحلي برفده بأفكار متعددة.

أوجد التعليق السياسي لإبراز وجهة نظر النظام فيما يستجد ويجري على الساحة من أحداث ومتغيرات [٤]، وكان يبث في المساء ويعاد في ظهيرة اليوم التالي[٥]، بما يؤدي لتوضيحه للرأي العام، الذي كان يقدر أهمية الاقتراب منه وبسط الأمور بتفاصيلها أمامه.

وهو ما اتضح بشكل جلي حينما أصبح رئيساً للوزراء حيث اعتمد آلية المؤتمرات الصحافية، وغدا "ظاهرة" ملازمة لعمل حكومته، لشرح سياستها وتوجهاتها بشكل مستمر[٦].

---

(١) محمود كريشان، سميرة توفيق حبيبة الأردن، الرأي نيوز، ٢٠١٤/٤/١٠. (www.alrainews.net)

(٢) منتدى النواصرة، سميرة توفيق.

(٣) ومثال ذلك انظر ما هو متعلق بإذاعة حلب في مجلد الرصد ٢٤٦-٢٥٩ لعام ١٩٦٠.

(٤) د. ك، وصفي التل الرئيس المختلف، موقع الوكيل الإخباري، ٢٠١٢/١١/٢٨، (www.alwakeelnews.com) وسيشار إليه فيما بعد، الوكيل، وصفي التل.

(٥) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، الدورات البرامجية ١٩٦٠.

(٦) الوكيل، وصفي التل.

ولتحقيق مزيد من الاستقطاب للإذاعة الأردنية برأيي، وكنوع من أنواع الاستجابة لتحدي صوت العرب.

اتجه إلى طيف برامجي قريب من الطابع الشعبي فكانت فكـرة برنـامج "مـضافة أبـو محمود"، ويرى سليمان الموسى أن التل هو من "اقترح الفكرة وخطط له... وقد نجـح نجاحـاً عظيماً حتى أن البعض لا يزال يعتبره أنجح برامج الإذاعة على الإطلاق، من ناحية التـصاقه بعامة الناس، وتناوله همومهم وقضاياهم ومشاكلهم بصورة طبيعية عفوية..." [١].

وفي الموسوعة الحرة تأكيد على دور وصفي التل بإخراجه إلى حيز الوجود، وتكليفه كل من إسحق المشيني، ومازن القبج بكتابة مسلسل يتحدث باللهجة الريفية في الأردن وفلـسطين، حيث اشترك في تقديمه "سامي حداد، غالب الحديدي، سهام لطفي "أم محمود" ونظمية الربـضي (فلحه)، ونبيل المشيني، محمود"[٢]، الذي عد البرنامج كـ "انطلاقه أولى" للـدراما الأردنيـة، مؤكداً إرجاع الفكرة للتل، مع إشراف مباشر من صلاح أبو زيد [٣]، القائـل أيـضاً بإبداعـه للبرنامج أثناء تواجده بإذاعة جبل الحسين[٤]، ولكن مع عدم وجود إشارة من أي مصدر إلى ذلك الدور.

غير أن رأياً آخر يطرح وجهة نظر مغايرة لأصل الفكرة؛ فهي مستنسخة عـن برنـامج سفينة نوح في الإذاعة الإسرائيلية وكان يبث باللهجة الفلاحية لقرى نابلس وطولكرم وجنين "كُلْنا

---

(١) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٨.

(٢) الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.orglwiki).

(٣) نبيل المشيني، نشأة الدراما الأردنيـة الإذاعيـة والتلفزيونيـة، موقـع أبـو محجـوب، شـباط ٢٠٠٦، (www.mahjoub.com) وسيشار إليه فيما بعد: المشيني: الدراما الأردنية.

(٤) أبو زيد، مقابلة.

وكالوا"[١]، وقد جاء كجزء من الحرب النفسية الإسرائيلية، وبتوجيه من المخابرات الإسرائيلية، "للترويج للخنوع والقبول بالاحتلال كأمر واقع"، عبر أسلوب من الدس، القائم على إعداد وتقديم[٢]، يحوي عناصر تشويقية كالدعاية والغناء الشعبي، ومن خلال أداء متقن للشخصيات الممثلة للتركيبة السكانية من مسلمين، ومسيحيين ويهود[٣]، فكانت الشخصية الرئيسية لـ "أبو طافش المسلم"، إلى جانب الخواجا أندريا اليهودي، وأبو خليل المسيحي، وكانت ساعة بثه تشهد ما يشبه "حظر التجول"[٤]، مع انتظاره موعد الحلقة التالية "بفارغ الصبر"[٥]، وهي ردة فعل لدى المستمعين سنجدها لدى متابعي مضافة "أبو محمود" الذي ثار أيضاً إشكال حول مهمة إعداده.

حيث وقع نبيل المشيني في تناقض حول تحديد معد حلقات البرنامج، ففي مقالة عن نشأت الدراما الأردنية، وثق المهمة وعزاها لمازن القبج[٦]، ولكنه في مقابلته مع قناة رؤيا بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٢٥ تراجع ليقدم والده اسحق المشيني كقائم بتلك المهمة، والتي استمرت ثماني سنوات وبشكل يومي[٧]، كما أنه قد وقع في لبس حينما حدد تاريخ إعداد البرنامج بنهاية عام ١٩٥٨رغم أنه بين أن الفكرة لوصفي التل[٨] الذي جاء كمدير للإذاعة في ١٩٥٩/٥/١٨[٩]، ما يعني أن بث البرنامج بدأ بعد هذا التاريخ.

---

(١) جعرون، مقابلة، ٢٠١٤/١٠/٢٩.

(٢) واصف منصور، سهرات صوت العرب والبي بي سي، ٢٠١٢/٩/٧، موقع مغرس المغربي، (www.maghress.com)، وسيشار إليه فيما بعد، واصف منصور، سهرات صوت العرب.

(٣) جعرون، مقابلة، ٢٠١٤/١٠/٢٩.

(٤) واصف منصور، سهرات صوت العرب.

(٥) جعرون، مقابلة، ٢٠١٤/١٠/٢٩.

(٦) المشيني، الدراما الأردنية.

(٧) نبيل المشيني: "قناة رؤيا، برنامج حلوة يا دنيا، ٢٠١٣/١٠/٢٥. وسيشار أليها فيما بعد: المشيني، رؤيا.

(٨) المشيني، الدراما الأردنية.

(٩) الدفاع ١٩٥٩/٥/١٩.

ورغم بعض الآراء القائلة "بتفاهة "البرنامج" وخلوه من أي رسالة توجيه سليمة، "إلا أنها تؤكد على محتواه الجاذب بأسلوبه الفكاهي، وما كان فيه من غناء تراثي "على الربابـــة" لعبـــده موسى، وهو ما صنع له شعبية عبرت عنها ما قيل بأنها حالة "منع تجول"، أثناء بثه[١]، حتى أن الإذاعة باتت تعرف بالبرنامج[٢].

وحرص هزاع على إبقائه بعيداً عن المضمون السياسي والتركيز على سمته الاجتماعيـــة "الإصلاحية"، ورفض أن يكون أداة لمهاجمة ج.ع.م، أو "تجريح" للرئيس عبد الناصر، انطلاقـــاً من مبدأ "عدم التعرض لرئيس دولة عربية" حسبما يعرض سليمان الموسى[٣]، إلا أنني أعتقـــد بمعرفته أن المتابعة التي حققها البرنامج قد تتأثر بالهجوم على زعيم يتمتع بشعبية يدرك مـــداها لدى الرأي العام، وبالتالي سيتأثر البرنامج الذي حقق للإذاعة رواجاً في الشارع بالسلب، وربما أراد ترك الحملات الدعائية لأطرها البرامجية والإخبارية المخصصة، مع الإبقاء على العناصر المستهدفة شد المستمعين بعيدة عن السياسة. غير أن هناك من يربطه بالبعد السياسي بطريقـــة أخرى.

حيث يؤكد محمد الخطيب أن بثه وضع في وقت التعليق السياسي لصوت العرب كمحاولة لشد انتباه المستمعين إلى عنصر جاذب آخر، إلا أنه ينفي قدرة البرنامج وحتى الإذاعة الأردنية على إحداث مفعول يؤثر على شعبية صوت العرب، فذلك "أمر مستحيل، وقد فشلت" بتحقيقه، فلم يكن لها "أي مصداقية" في الشارع، "وحتى لو كانت قوتها مليون كيلو واط فلن يسمع لها أحـــد" لأن المضمون هو المتحكم بشد الرأي العام ولأن "الفكرة هي الأقوى فتيار صوت العرب كـــان جارفاً... وينبع من قوة الفكر والمنهج السياسي". ولكن المصادر المصرية وكما رأينا تعتـــرف

---

(١) واصف منصور، سهرات صوت العرب وبي بي سي.

(٢) موسى، أعلام من الأردن، ج٢، ص ٥٠.

(٣) المشيني، رؤيا.

بالتأثير النفسي للإذاعة الأردنية على عبد الناصر، بتكرارها المستمر في حملاتها الدعائية حول "الاختباء" حلف قوات الطوارئ الدولية، وما نجم عن ذلك من قرارات أدت إلى الحــرب عـــام ١٩٦٧[١].

ولكن صلاح أبو زيد ينفي استخدام البرنامج كأداة للمواجهة الدعائية، ولا يتوقف عند ذلك، فينفي أيضاً استخدام الأغنية كأداة للاستحواذ على المستمعين وإبعادهم عن صوت العرب، غير أنه بين أن الصوت الوحيد الذي كان جاذباً وقادراً على شد المستمع و"السيطرة على أذنه وقلبه، هو الملك* حسين"[٢] ومهما اختلفت الآراء حول قدرة الإذاعة على التأثير في محيطها، فإن التل حسبما أرى عمل لتكوين قاعدة دعائية، يمكن من خلالها للنظام التصدي للحملات المــضادة، أو المبادرة بمماثل لها، فقد أخرج الإذاعة من دائرة رد الفعل إلى دائرة الفعل.

حتى أن تقارير السفارة البريطانية في نهاية شهر تموز ١٩٥٩ وصفت الإذاعة الأردنيـــة تحت إدارة وصفي بأنها تعمل "بمزاج المحارب"، وهو ما سيؤثر على أي اتجاه تــصالحي مـــع ج.ع.م فهو يحمل نزعة "عدائية عنيفة" تجاه ناصر" لدرجة التصريح للصحافة بأن نهجه سيبقى على ما هو عليهن ما دام مديراً للإذاعة ولن يكون هدنه مع صوت العرب[٣]. وقد بلـــغ الأمـــر بالإذاعة الأردنية في عهده، أنها أخذت بأسلوب السخرية، والاســتهزاء، والاســتهتار إن جـــاز

---

(١) الخطيب، مقابلة.

* يقول فهمي شما مترجم مذكرات السفير البريطاني تشارلز جونستون "الأردن على الحافــة"، فــي إحــدى هوامش الكتاب "سمعت بنفسي من صديقي المرحوم الأستاذ محمد عبدالوهاب ملــك الموســيقى العربيــة المتطورة أنه في حياته لم يقابل صوتاً جهورياً رائعاً كصوت الملك حــسين، وزاد عبــدالوهاب أيــضاً أن صوت الملك فيه رخامةٌ رائعة، وكانت خطاباته بل معظمها يسجلها محمد عبدالوهاب، ويستمع إليها بــين الحين والآخر منتشياً بها ومبسوطاً باستماعه إلى صوت الملك الجميل جداً"؛ جونــستون، مرجــع ســابق، ص١٩٩.

(٢) أبو زيد، مقابلة.

(3) R.J. Voll. ll, Mr .Figg To Mr. A Rothine, 13 July 1959, FO371/142111, P. 416.

التعبير، والذي استخدمته الإذاعة العراقية في السابق والموجه إلى شخص الرئيس عبد الناصر عبر التذكير بمهنة والده.

ويقرأ ذلك في عبارة وردت في تعليق للمذيع طارق مصاروة عام ١٩٥٩؛ "الشعب الأردني عظيم قبل أن يولد البوسطجية في مصر[١]". واصل التل "استفزاز" ج.ع.م والهجوم على سياستها، لا بل كان "مفرطا" بثقته بأداء الإذاعة وقدرتها على التفوق على صوت العرب ووضعها في سياق دفاعي، وحتى الفوز "بكامل الجولات" وهو ما عدته الوثائق البريطانية بالأمر "السيئ"، مع التأكيد على ضرورة وجود حكومة تعمل على إحكام السيطرة عليه وفريقه إذا ما أرادت وضع حد "للحرب" الدعائية[٢].

حيث كان وصفي حريصاً على متابعتها أولاً بأول، لاسيما الموجهة من عبد الناصر نحو الملك، وهو ما أقلق الملكة زين وأزعجها، لأن التواصل المستمر أثر "سلبياً" عليه من الناحية النفسية، وجعله "عصبي المزاج"، ومن هنا رأت ضرورة استبعاد وصفي من الإذاعة وتعيينه سفيراً في بغداد أواخر تشرين ١٩٦٠[٣]، بعد تحسن العلاقات الذي طرأ لاحقاً بين العراق والأردن، كما سنرى.

أما ذلك الخط "الاستفزازي" الذي سار عليه إزاء دعاية ج.ع.م. فإن صلاح أبو زيد يؤكد انه ووصفي كانا يبادران باتخاذ قرار شن الحملات دون الرجوع إلى مرجعيات "عليا"[٤]. إن الدور الذي لعبه في المجال الدعائي جعل البعض يعده كناطق باسم النظام، حيث كان بنهجه

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج اعرف عدوك، صالح هندي وبشير أمين، ١٩٦٠/١١/٢٠، ج ٣٥٢- ٣٦٦.

(2) R.J .,Vol.,11, Fo 371/142111, Op. Cit., P. 416.

(3) R.J. Vol. 11, Amman Chancery FO Levant Department, FO, 2 December 1960, Mr Henniker Major To Mr. Beith 2 December 1960 with Minute By Mr P. Moberly, 8 December 1960, P.793.

(٤) أبو زيد، مقابلة.

"العدائي" مع ج.ع.م في خدمة السياسات المرسومة ضدها(١)؛ إذ عمل على تجذير نهجه المضاد لعبد الناصر حتى أُتهم بغربلة الموظفين في الإذاعة وفقاً لذلك السياق.

فإذاعة دمشق وفي برنامج "اسمع يا حسين" في ١٩٦٠/١١/٣ تحدثت عن تجارب كان يجربها مع الموظفين والعاملين لكتابة وإذاعة تعليقات ضد ج.ع.م ورئيسها ومن كان يمتنع منهم، يستغني عن خدماته "فوراً، أو يسجن (٢)". و ربما يكون هناك مبالغة في هذا، غير أن التل جذر لخط برامجي مناوئ للرئيس جمال عبد الناصر، وهو ما يعرضه المخزون المعلوماتي لتلك الفترة.

ويرى المدقق في الجدول الشهري لبرامج سنة ١٩٦١، سيجد العديد من البرامج المتعلقة بـ ج.ع.م ومنها "نحن وناصر وفلسطين، بطل الخداع، يا غزة هاشم، فلسطين والمخادع الكبير، التعليق السياسي"(٣)، وحتى بعدما أصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٦٢*، فأن تدخله في إنتاج البرامج المضادة لعبده الناصر بقي مستمراً وفقاً لما تظهره الوقائع.

فبرنامج "المتسلل المريب" الذي أطلق في ١٩٦٢/١٠/١ كان موجهاً ضد الرئيس عبد الناصر، وكان يبث يومياً(٤)، واقتبست تسميته من خطاب الملك حسين في ١٩٦٢/٩/٣، حينما تحدث عما أسماه "بالمتسلل المريب" وحملاته الدعائية المستهدفة له(٥)، وأما فكرته فجاءت من زلة لسان وردت في إحدى خطابات عبد الناصر؛ فخلال كلمة ألقاها خلاله استقباله وفداً

---

(1) Susser, OP. Cit., PP. 29-32

(٢) إذاعة دمشق، برنامج أسمع يا حسين ١٩٦٠/١١/٣، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٣) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، الدورات البرامجية لعام ١٩٦١.

* عين رئيساً للوزراء في ١٩٦٢/١/٢٣؛

Susser, Op. Cit., P. 36.

(٤) المرجع نفسه، الدورات البرامجية لعام ١٩٦٢.

(٥) خطاب الملك حسين إلى الشعب الأردني والأمة العربية، ١٩٦٢/٩/٣، ج٢، ص٨٥.

فلسطينياً من غزة في ١٩٦٢/٦/٢٦ أبلغهم: ".. ما أقدرش أقول إن أنا عندي خطة لتحرير فلسطين، لو باقولكم دلوقت أنا عندي خطة لتحرير فلسطين أبقى بضحك عليكم"[١]. وتلافياً لتلك الزلة عمدت الأهرام في اليوم التالي إلى "تزييف النص فحذفت الجملة الأولى وحرفت الجملة الثانية: "إن الذي يقول أنه وضع خططاً لحل قضية فلسطين إنما يخدعكم"[٢].

ولكن التسجيل كان قد بات بين يدي وصفي التل الذي استغل تلك الزلة للتأسيس للبرنامج مع وضعها وضع تلك في مقدمة ونهاية البرنامج[٣]. وكان الفضل برأيي يعزى إلى قسم الرصد الذي أسسه بهدف رصد الدعايات ذات العلاقة بالموضع الأردني والإقليمي. ويمكن القول أن الإذاعة الأردنية استطاعت أن تؤسس لدور قد يوصف بالفاعل في مواجهة دعاية ج.ع.م بشقيها المصري والسوري، ولاقى ذلك ردات فعل جعلت من عام ١٩٦٠ من أكثر الأعوام ازدحاماً بالدعايات المتبادلة ومضامينها التي وصلت إلى التهديد بالقتل، أو التلميح به، ما أنتج في النهاية حادثة اغتيال هزاع المجالي.

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر أمام أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني، ١٩٦٢/٦/٢٦.

(٢) السيد، ص ٤٣٧.

(٣) قناة الجزيرة، الاغتيال السياسي، فلم وثائقي، ج١، ٢٠١٣/٤/١٨.

الفصل الرابع

الإذاعة الأردنية والمواجهة الدعائية

مع إذاعات ج.ع.م

١٩٦٠ ـ ١٩٦١

الباب الأول

دعاية ج.ع.م ورؤيتها لدور الإذاعة الأردنية وموقفها من الوحدة

الباب الأول

دعاية ج.ع.م ورؤيتها لدور الإذاعة الأردنية وموقفها من الوحدة

تكونت صورة نمطية للإذاعة الأردنية في دعاية ج.ع.م، وباتت مضموناً متكرراً بحالات وأشكال متعددة، وتتلخص تلك الصورة بتبعيتها للإذاعات الغربية بشكل عام، وللإذاعة الإسرائيلية بشكل خاص إن لم تكن أصبحت جزءاً منها، استنادا لما وجه إليها من اتهامات.

ويأتي ذلك منسجماً مع اعتقاد عبد الناصر بسيطرة الصهيونية على الدعاية العالمية، التي غدت أداة في إطار السيطرة الكلية التي رسمتا بروتوكولات* حكماء صهيون[1].

شكل برنامج "ماذا في الأردن" الذي كان يبث في آن واحد عبر المحطات الإذاعية ل ج.ع.م. منطلقا للتأكيد المستمر الجازم بأن الجهد الدعائي للإذاعة الأردنية، وما فيه من محتوى، مجرد "اجترار وتكرار" لما يرد في المحطات الإذاعية لإسرائيل، ولندن وباريس، وواشنطن، لدرجة أن مسمى الإذاعة الأردنية، أسقط واستعيض عنه بـ"إذاعة العميل الصغير[2]"، وأما أحمد سعيد فعدها البوق الذي "سخره" الملك في خدمته بريطانيا والصهيونية[3]، وبالنسبة للرئيس عبد الناصر فما تشنه من حملات مناوئه له هي "اقتباس" من الإذاعة الإسرائيلية[4].

---

* تمخضت عن المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة ١٨٩٧ "وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم"، وقد صنعت البروتوكولات كجزء منها. للمزيد راجع محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عباس العقاد (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

(١) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع الصحفي الهندي كارانجيا رئيس تحرير صحيفة بليتز، ١٩٥٨/٩/٢٨.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسني، ١٩٦٠/٨/٥، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٧/١، ج٢١٨-٢٣١.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج صوت العرب ومباذلها ١٩٥٩/١٢/٥، ج ١٨-٣٤.

ولذا فهي بنظر دعاية ج.ع.م وبالتحديد صوت العرب صارت أداة ضد "القومية العربيـــة" بما تبثه من حملات "الشتائم والبذاءات" وهي في هذا تدخل في "توأمة" مع الإذاعة الإسرائيلية أو أنها "ابنة لإذاعة تل أبيب"[١]. وتحدثت إذاعة حلب عن "التنسيق" مع إسرائيل ولنـــدن وبـــاريس وواشنطن، والذي لولاه "ولولا الدور المرسوم لها في خدمة الاستعمار ما عـــلا صـــوتها عبـــر الأثير"[٢]، وصل الأمر إلى درجة تقترب من التهويل.

أكدت إذاعة حلب بتاريخ ١٩٦٠/٨/٧ في "برنامج ماذا في الأردن" وبصورة شبه حاسمة بأن محتوى الحملات الدعائية الموجهة عبر الإذاعة الأردنية نحو ج.ع.م، تصل بانتظـــام إلـــى "بوق الحسين" عبر بوابة (مند لبوم) الفاصلة بين شطري القدس "بمغلف مختوم"، بواسطة موفد خاص يأتي من تل أبيب، ومن ثم يتم إذاعتها من عمان[٣]، وتبين الإذاعة بأن هذا الحال لم يعـــد أمراً خافيا ولا سراً، وبات مكشوفاً للرأي العام العربي[٤]. وباعتقادي فإن مـــداخلات الإذاعـــة الإسرائيلية في الشأن الأردني كانت تسهم بتدعيم المبالغة وتغذيتها.

فحينما دعت الإذاعة الإسرائيلية الملك حسين في ١٩٦٠/٥/٢٩، للقيام بجـــولات داخليـــة لتوثيق علاقاته مع الشعب، وتقوية الجبهة الداخلية بمواجهة ج.ع.م[٥]، استغلت صوت العـــرب هذا المحتوى للحديث في ١٩٦٠/٦/١١، عن "إرشادات ونصائح"، إسرائيلية للملك، للتأكيد على التناغم ما بين الدعايتين الأردنية والإسرائيلية[٦]. أما بالنسبة لموقف الإذاعة الإسرائيلية السالف فيمكن إدخاله باعتقادي في عملية تدوير الخلافات، أو إثارتها وكانت تتم بصور عـــدة، وهـــذه

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج أمة العرب من صوت العرب، ١٩٦٠/٦/٢٩، ج ٢١٨-٢٣١.

(٢) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسني، ١٩٦٠/٧/٢٧، ج ٢٥٩-٢٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ١٩٦٠/٨/٧، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ١٩٦٠/٧/١٩، ج ٢٣٢-٢٤٥.

(٥) الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٥/٢٩، ج ٢٠١-٢٧٧.

(٦) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ج ٢٠١- ٢٧٧.

واحده منها، حيث كانت تعمد أحيانا إلى مدح أحد أطراف النزاع، أو تقديم نصائح له، أو الحديث عن مظلوميته أمام الطرف الأخر، فيستغل المضمون من الخصوم في الحملات الدعائية، ما يؤدي لتجدد الخلاف والانقسام. وفي سياق المبالغة أيضاً نجد وجهات نظر أخرى تعبر عن الحالة.

وتمثلت برأي لناصر الدين النشاشيبي* بجريدة الجمهورية، بين فيه أن المستمع العربي، ونتيجة للمضمون الدعائي المنبثق من الإذاعة الأردنية، والمستهدف لدور ج.ع.م. "في حربها ضد الاستعمار والصهيونية، ضد الرجعية، ضد الجهل، ضد المرض، ضد كل طامع"، بات غير قادر على التمييز، وغدا في حيرة: "هل هي محطة عمان العربية الأردنية، أم محطة تل أبيب الصهيونية". ومع تساؤله عن الأسباب الدافعة للأردن ملكاً وحكومة وإذاعة "لمهاجمة القاهرة"، في ظل دورها القومي، ورغم تأكيده على أنه كان "أولى بهواة الشتائم من أهل عمان أن يولوا وجوههم شطر الغرب حيث العصابات المتربصة للفتك بهم..."، ورغم تأكيده أيضاً على أنه كان أولى بالإذاعة الأردنية أن "لا تجعل من نفسها أداة للمستعمرين"، ترسل"شرورها إلى قلاع الحق والبطولة"، إلا أنه وبعد ذلك كله، جزم بأنها "تثير الشفقة والحزن عليها..."، ولا تستحق الرد[1].

---

* كان يعمل في هذا الوقت رئيساً لتحرير الجمهورية المصرية، وأدى اشتراكه في الحملات الدعائية ضد النظام إلى اتخاذ إجراءات بحقه تتعلق بالجنسية وفي ذلك يقول: "كان من الطبيعي وقد قسوت في الهجوم على سياسة الملك الأردني وعلى حكومته ووزرائه، أن تبادر حكومة الأردن وبأوامر ملكية سامية إلى تجريدي من جنسيتي الأردنية وسحب جواز سفري الأردني"، وإزاء ذلك بادر عبد الناصر بمنحه جواز سفر دبلوماسي مصري. وبعد مؤتمر القمة العربي الأول عام ١٩٦٤ عفا عنه الملك حسين وأعاد له جنسيته، وتعليقاً على موقف الملك من مقالاته بالمقارنة مع زعماء آخرين تطرق إليهم وكانوا يردون عليه بطريقة غير لائقة – نجده يقول: "الملك حسين تحمل مني ألف مقال من النار، وألف شتيمة حادة ولم يأمر أحداً من صحفيي عمان بأن يشتمني أو يرد على ما كنت اكتبه"؛ النشاشيبي، مرجع سابق، ص ٢٣٩-٢٤١.

[1] إذاعة القاهرة، برنامج الصحافة تقول، ١٩٦٠/٦/٢٨، ج ٢٠١-٢٧٧.

وفي السياق السالف، نجد أن النشاشيبي ناقض نفسه؛ حينما جمع بين المبالغة بدور الإذاعة، وفي ذات الوقت تسخيفه والحط من أهميته.

يرى المدقق في سير الحملات أن دعاية ج.ع.م.، لم تكتف بتوأمة الإذاعة الأردنية مع الإذاعة الإسرائيلية، والإذاعات الغربية، وجعلها أداة بيدها، بل قدمت تفسيرها المبرر لتلك العلاقة الوثيقة، مضيفة إليه إدعاءً يقول بنظرتها الدونية للرأي العام العربي.

فقد ادعى أحمد سعيد في برنامج "أكاذيب تكشفها حقائق " بتاريخ ١٩٦٠/٧/١، أن ارتباطات الإذاعة الأردنية تبين أنها تحولت كبديل للإذاعات السرية "الاستعمارية"، بعدما عجزت عن القيام بالمهام الملقاة عليها، فكان اعتمادها "كخنجر مسموم في ظهر العرب[١]. غير أن رأياً أخر يصنفها كعامل مساعد لتلك الإذاعات وليس كبديل عنها مع التذكير بمصير الدول المشابه للإذاعة العراقية ومن كان قائماً عليها.

فالإذاعة الأردنية "أنشأها الاستعمار لطبع الأكاذيب ولنشر التضليل ولإذاعة الافتراء والشتائم..." لا بل إنه قام "بتأميمها لحسابه الخاص"، لتضاف إلى جانب "العشرات"من المحطات السرية، ولكن دونما قدرة على إقناع الرأي العام أو حتى إحداث شيء من التأثير لديه، مع التذكير بالدور المماثل الذي قامت به إذاعة بغداد تحت الحكم الملكي، "وفشلها" في تغيير الصورة النمطية لنوري السعيد وعبد الإله من خونه ومارقين إلى وطنيين مخلصين"، حيث أسهم أداءها "بفضحهم كعملاء" وتحريض الشعب عليهم[٢]، ونرى هنا إشارة غير مباشرة للمصير الذي من الممكن أن يلقاه أولئك الذين يماثلون منزله نوري السعيد عبد الإله لدى دعاية ج.ع.م.

---

(١) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٧/١، ج ٢١٨-٢٣١.

(٢) إذاعة دمشق، مؤتمر صحفي للعقيد زهير غزال مدير الشؤون العامة للتوجيه المعنوي، قيادة الجيش الأول، ١٩٦٠/٨/١٣ ج ٢٦٠-٢٧٤.

غير أنها تعرض أحيانا لعدم اهتمام من أسمتهم إذاعة القاهرة في ١٩٦٠/٨/١٤ بـ "حكام عمان" لردة فعل الشارع العربي، إزاء ما يقوموا به من دور دعائي يؤدي "لتضخيم رصيدهم الأسود" لديه، بما يؤدي "لتيار جديد من الحقد والكراهية"، فما يهمهم أن يكون لأفعالهم نتيجة فعالة في "تعكير الجو العربي"[١].

وهذا يقترب من رأي طرح في ١٩٦٠/٨/١٧ حول عدم احترام إذاعة عمان للرأي العام العربي، حينما تحدثت عن اعتماد صوت العرب، فيما تقدمه من دعاية على "أمية وجهل" المواطن العربي، وذاكرته الضعيفة حتى أنه "ينسى في الصباح ما كان عشائه في المسا"، وهو ما دفع أحمد سعيد لوضع تلك الصفات ضمن ما اسماه "بالسب البذيء" للشعب العربي، نافياً أن يكون الجهل والنسيان من سماته مدللاً بعدم نسيانه "للخيانات ولا لخداعه بأباطيل إذاعة عمان"، مكرراً ومؤكداً على اعتقاده بحتمية معاقبة الشعب العربي للمسؤولين عن ذاك النهج[٢]، غير أن دعاية ج.ع.م كانت تقع في تناقض بهذا الشأن فنجدها تؤكد بطريقة غير مباشرة على وعي الملك حسين بأهمية الرأي العام وثقله ووزنه.

فإذاعة دمشق رأت أنه "يصطنع[٣] المعارك الدعائية" مع ج.ع.م ليحول أنظار الرأي العام الأردني عن سياسته "المتوائمة" مع الاستعمار وعما " ترتكبه عصابته" في الأردن، وربما أرادت دعاية القاهرة –حسب اعتقادي– أن تغرس، وتعزز في ذهن الشارع العربي حكماً مسبقاً على ما تقدمه الإذاعة الأردنية بما يؤدي لتشويه الصورة وانتفاء المصداقية، وتعزيز موقع دعايتها، والأهم تسهيل مهمة التصدي للدعاية الموجهة لجمهورية الوحدة.

---

(١) إذاعة القاهرة، أقوال الصحف، ١٩٦٠/٨/١٤، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٢) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٨/١٧.

(٣) إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٧/٢١، ج ٢٣٢-٢٤٥.

بدأت الدعاية الموجهة نحو الوحدة قبل قيامها، كما سلف في الفصل الثالث، ولكن الحديث عنها في هذا الظرف يأتي وقد قطعت دولة الوحدة شوطاً في مسيرتها، وبعد أن تعزز موقف الدعاية الأردنية بإنشاء إذاعة تتمتع ببث قوي تقريباً، إذا ما قورنت مع القدرات السابقة بالإضافة لعملها ضمن ائتلاف دعائي، إذا ما أخذنا بوجهة نظر ج.ع.م السابقة.

أكد الرئيس عبد الناصر في ١٩٦٠/١٢/٢٣ على وجود جهد دعائي مشترك تقوم به الإذاعتين الأردنية والإسرائيلية، ضد الوحدة لإضعافها، فهو التقاء بين إسرائيل "رأس حربة الاستعمار" و"أعوان الاستعمار"، ولم ينس العودة لتكرار الربط ما بين فشل" الإذاعات السرية في إحداث أي نتيجة ايجابية لصالح الغرب، وبين إقامة الإذاعة الأردنية كمحطة "ذات شكل عربي"، للقيام بمهمة إحداث "التفرقة والفتنة"، وإلهاء دولة الوحدة، بـ "معارك فرعية" باستخدام الدعاية الأردنية لـ "تكنيك" يقوم بالحديث المستمر عن وجود مؤامرات من جانبها ضد النظام الأردني، ومن ثم تُدَوَرْ في وسائل الدعاية الغربية، لاسيما بريطانيا والولايات المتحدة، وضرب أمثلة على ذلك بحديث الإذاعة الأردنية عن: "تسميم آبار" شرب بمناطق حدودية أردنية أو محاولات "نسف" وتفجير في الداخل الأردني[١].

فهو دورٌ يلتقي مع الدعاية الصهيونية في أمريكا و"تشويشها" لسياسات ج.ع.م، "وإثارة الريبة والشك" لدى الرأي العام تجاهها، بما يؤدي لتأليبه ومناهضته لها[٢]، وعده عبد الناصر كوسيلة للحصول على الدعم الاقتصادي، بإشعار الحلفاء بوجود "الخطر"[٣]، ووصل الأمر بهيكل إلى الحديث عن "ثمن" اقتصادي يقدم للملك مقابل ذلك الدور، وقد بلغ ملايين الدولارات مع

---

[١] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣.

[٢] كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في وفد المغتربين العرب في الولايات المتحدة بقصر أنطونياس بالإسكندرية، ١٩٥٨/٨/١٠.

[٣] عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣.

"مرتب" قدره مئة ألف دولار "يدفعه الاستعمار"[١]. ويرافق الرغبة بالحصول على الدعم الاقتصادي حافز آخر وفقاً لعبد الناصر.

يتمثل بما أسماه "بزيادة فرص النظام"، لدى الدول الكبرى ذات المصالح في المنطقة، وربما كان يقصد زيادة الحظوة مقابل القيام بدور دعائي فاعل ونشط ومناهض لـ ج.ع.م[٢] وهو الدور ذاته الذي تقوم الإذاعة الإسرائيلية بتركيز دعايتها ضد وحدة ج.ع.م لإدراكها بأنها "المسمار الأخير في نعش الصهيونية"، وبالمقابل فهي تدافع عن "الاستعمار وأعوان الاستعمار[٣]. وكانت دعاية ج.ع.م باعتقادي ترى أن شبكة الدعاية المضادة في المنطقة ممتدة ومتشعبة.

اتهمت دعاية ج.ع.م للملك حسين الذي عدته من "أدوات" الدعاية الغربية في المنطقة[٤]، بنسج حلفٍ مع الدعاية الإيرانية، التي نفذت إذاعتها في طهران حملات تستهدف جمال عبد الناصر، مُركزة على "طموحاته الإمبراطورية"، وما يقوم من "مؤامرات"[٥]، وتُقدم معلومات دالة على قيام جهد دعائي مشترك بين الطرفين.

وفي هذا يؤكد إبراهيم شاهزاده، وهو من قدماء المذيعين في الإذاعة الأردنية التي انتسب إليها عام١٩٥٧، أنه أرسل قبيل اغتيال هزاع المجالي إلى إيران للإسهام بتأسيس إذاعة الأحواز الناطقة بالعربية[٦]، والمرفودة فيما بعد بمذيعين أردنيين آخرين كان من بينهم المذيع علي

(١) محمد حسنين هيكل، جلالة الملك المحرر، بصراحة الأهرام، ١٩٦٠/٨/١٣، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، جلالة الملك المحرر.

(٢) حديث صحفي للرئيس جمال عبد الناصر مع مندوب محطة إذاعة كولومبيا، ١٩٦٠/٤/٢٥.

(٣) خطاب الرئيس عبد الناصر في الاحتفالات بعيد الوحدة، ١٩٦١/٢/٢١.

(٤) هيكل، جلالة الملك المحرر.

(٥) عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣.

(٦) شاهزادة، مجلة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ص٩.

أسعد[١]، ويجزم محمد حسنين هيكل بأن الإذاعة كانت تدار من قبل لجنة الحرب النفسية في الحلف المركزي "بغداد"[٢]. وسنرى فيما بعد أثر ما تقدم في الحملات الدعائية لـ ج.ع.م، الموجهة ضد العلاقات الأردنية الإيرانية وبزعم يقول بارتباطاتها الإسرائيلية.

وقد أكد عبد الناصر على الدور البريطاني في الشبكة الدعائية في المنطقة، من خلال إشارته إلى "عملاء" لندن في المنطقة[٣]، مع التذكير هنا بأن القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، زاد عدد ساعات بثه عام ١٩٥٩ إلى أربع وثمانين ساعة[٤]، وهو دور يتصل ويتكامل مع النشاط الفرنسي عبر إذاعات باريس، ودعاية حزب الكتائب اللبناني، وقد أشار إليهم بـ "اللذين رضعوا من لبن فرنسا"[٥]. ولعل المدقق برؤية ج.ع.م بخصوص الدعاية المضادة سيجد أنها تتحدث عن طوق إقليمي يشمل لبنان، والأردن، وإيران، وإسرائيل، لا بل إنه امتد إلى السودان أحياناً.

وقد امتد إلى السودان حين قامت بريطانيا هناك بحملة دعائية عام ١٩٥٨، عبر صحفها وإذاعاتها، استناداً لمضمون يحرض دول منبع النيل ومنها السودان للاحتجاج على حصة مصر من مياه النهر، ويشير عبد الناصر في ١٩٥٨/١١/٢٦، إلى أن هذا التوجه جاء كخيار بديل "لفشل الحرب النفسية" والدعائية الموجهة ضد دولة الوحدة بشكل مباشر[٦]، وسبق ذلك اتفاق

---

(١) الرأي، ٢٠٠٦/١٠/١٢.

(٢) محمد حسنين هيكل، الأسد البريطاني وطبول الحرب، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/١٢/٢٨.

(٣) حوار تلفزيوني للرئيس جمال عبد الناصر مع ودرووايت مندوب التلفزيون البريطاني، ١٩٦٠/٩/٣.

(٤) الرشتي، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق في الحفل الساهر الذي أقامه رجال الجيش الأول احتفالاً بالوحدة، ١٩٦١/٢/٢٤.

(٦) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني بجامعة القاهرة، ١٩٥٨/١١/٢٦. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، المؤتمر التعاوني، ١٩٦١/٢/٢٤.

جهات غربية مع الحكومة السودانية لإنشاء إذاعات في مناطق متعددة من السودان للتشويش على إذاعات ج.ع.م[1].

وعلى صلة بهذه النقطة، فقد حاولت الإذاعة الأردنية في شهر تشرين الثاني ١٩٦٠ إظهار مشهد ضديٍ لعبد الناصر في السودان فاستغلت زيارته للخرطوم للحديث عن شعارات مناوئة تصفه "بالعميل"، و"عدو القومية العربية"، ما دفع أحمد سعيد لتقديم تسجيل صوتي لإذاعة أم درمان السودانية يظهر كثافة الاستقبال وهتافاته، لدحض ما أسماه "بأكذوبة الخونة في عمان"، خاصة وأن ما روجت له الإذاعة الأردنية أعيد بثه في الإذاعات المستهدفة لـ ج.ع.م، والتي أطلق عليها "إذاعات الاستعمار العدو اللدود" للقاهرة[2]. ورغم الحديث عن استبدال دور الإذاعات السرية بالإذاعة الأردنية، إلا أنها ظلت نشطة وفاعلة.

ومن يراقب سجلات الرصد الإذاعي لإذاعة "صوت الأحرار" السرية في هذه الفترة سيجد لها نشاطاً واضحاً وحملات تستهدف ج.ع.م ونشاطاتها السياسية والاقتصادية والدعائية[3]. وإلى جانب تلك الائتلافات الدعائية للإذاعة الأردنية حسبما قدمتها وجهة نظر ج.ع.م، فقد كان لها أوراقها الأخرى.

تم إنشاء محطة إذاعية موجهة إلى سوريا وفقاً لصوت العرب في ١٩٦٠/٩/١ بما يخدم النهج الدعائي الأردني في العمل المناهض لوحدة ج.ع.م[4]، وقد كانت الإذاعة الإسرائيلية متابعة للنشاط الأردني في هذا الشأن.

---

(١) نصر، مرجع سابق، ص ٥٦٠.

(٢) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/١١/١٩.

(٣) مثال ذلك أنظر إذاعة صوت الأحرار، ١٩٦٠/٨/٢٨/٢٧/٢٠، ج ٢٥٩-٢٤٦.

(٤) صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٩/١، ج ٢٧٥- ٢٨٨.

حيث أكدت على أن الأردنيين انتقلوا من سياسة "الدفاع إلى الهجوم" وأخـــذوا يوجهـــون إذاعات خاصة، من راديو عمان، وهو ما أدى "لإقلاق" القائمين على الدعاية في ج.ع.م "بدليل" أن راديو صوت العرب أخذ "يكرس" جانباً من جهوده للرد على "الإذاعات الأردنية" وبطريقـــة تحمل سمة "دفاعية"[١].

وبالطبع فإن الأسلوب الإسرائيلي المرجح لكفة الدعاية الأردنية لا بد وأن يشكل استفزازاً لدعايةٍ طالما تفاخرت بنها المؤثرة والفاعلة والأنها المؤثرة والفاعلة والمأتتف تماماأنها المؤثرة، والفاعلة، والمحركة على مستوى المنطقة وحتى العالم، وبالتالي فتقييم الإذاعة الإسرائيلية يشكل نوعاً من الدفع باتجاه إثارة الحملات الدعائية واستمراريتها وتصاعدها؛ حيث كان مـــن الـــسهل إثارتها لاسيما مع حشد الطرفين المزيد من الوسائل والأدوات اللازمة.

بينت دعاية ج.ع.م أن "استئجار"* "الجرائد اللبنانية هو أسلوب أخذ بـــه الملـــك حـــسين لمواجهة الوحدة، حينما نفذ الفكرة على أرض الواقع من خلال إحدى الصحف اللبنانية لتكـــون "ناطقه بلسانه"[٢]، وهذا الطرح قريب ومنسجم مع ما روجت له دعاية ج.ع.م حـــول " شـــراء أقـــلام تكتب لصالح الرجعية والاستعمار" من خلال تأسيس شركة فـــي بيـــروت عـــام ١٩٦٠ باســـم دار الصحافة، وتحت رئاسة شخص بريطـــاني، لإصـــــدار صحيفتيـــــن ناطقتيـــــن بالعربيـــة "ولكنهما تنطقان باسم الممولين الحقيقيين في لندن، مـــع ثالثـــة باللغـــة الانجليزيـــة. ويوجـــه اتهام إلى عبد الكريم قاسم بالعمل مع "رأس المال الانجليـــزي" في هذا الشـــأن، حيث

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٧/٣٠، ج ٢٤٦– ٢٥٩

* زعمت الإذاعة الإسرائيلية أن الرئيس عبد الناصر "استأجر جريدة الحوادث اللبنانية لتكون أداة دعائية لـــه: وتقدم نموذجاً لما أسمته "عقلية السخافات والترهات" التي عبر عنها سليم اللوزي صاحب الجريـــدة حينمـــا هاجم عبد الكريم قاسم وهزاع المجالي حيث كتب "اللهم قرب سحل قاسم والمهداوي في شارع غير مزفت وأجعل أخرتهما خازوقاً كهربائياً، إنك سميع مجيب.. ويسأل من هو هزاع المجالي، ويجيب إنـــه هـــزاع المجاري.."، الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أضواء وظلال، ١٩٦٠/٣/٢٨ ج ١٠١–١٤٨.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم بجامعة القاهرة، ١٩٦١/١٢/١٩.

تم شراء معدات وتقنيات لصحيفة الحياة البيروتية بما يؤهلها لمد نشاطاتها، وتوازى ذلك مع محاولة أطراف "استعمارية" "لتخريب" الصحف القومية، بوضع القنابل كما حدث في جريدة الحوادث "القومية في ١٩٦٠/١٠/١١، بتنفيذ تفجير* فيها، وهو ما حصل في مبنى دار الصياد في ١٩٦٠/١٠/١٣[١].

واللافت للنظر أن إذاعة دمشق وجهت اتهاماً للملك حسين يدعي رعايته "النشاطات تخريبية" في لبنان، تستهدف بعض السياسيين، والصحف، وحددت عددها بستة عشر في طليعتها ذات الصبغة "المتحررة"[٢]. وفي السياق المتعلق بالدعاية الأردنية في الإطار الإقليمي والدولي فإن الملك حسين وحينما وجد أن الظروف السياسية تقتضي الالتقاء بالجمهورية العراقية بعد اغتيال هزاع المجالي كما سنرى لاحقاً.

أعاد العلاقات** الدبلوماسية مع العراق، بعدما توعد قادته "بالثأر والانتقام"، ليكسب "أصدقاء جدد ضد ج.ع.م، وتأمين عرشه من إحدى الجهات" وفقا لصوت العرب[٣]، لاسيما وأن

---

* حسبما تظهر الوقائع فقد جرت عمليات انتقام من المؤسسات الصحافية والعاملين فيها، استنادا لما اتخذته من مواقف. ففي عام ١٩٦٦ وفي خضم الحملات الدعائية بين الأردن والسعودية من جهة ومصر من جهة ثانية، اغتيل كامل مروه صاحب جريدة الحياة والديلي ستار الناطقة بالإنجليزية، بكاتم صوت؛ الدفاع ١٩٦٦/٥/١٦، وقد أرسل الملك حسين رسالة تعزية بين فيها أن اليد الأثيمة التي امتدت لاقتراف جريمتها في الظلام لن تخفت كلمة الحق التي كان يقولها.... ولن تعطل حرية الرأي التي بشر بها طوال حياته... إن التآمر والاغتيال جبنٌ وعار في الخلق السياسي، ودليل انهزام العقيدة التي لا تصمد للنقاش الحر لقد تأثرت للحادث، وأسفنا للفجيعة التي أطاحت بجندي بار من جنود القلم الحر والصحافة الرشيدة، وما كان كامل مروة يمثله، فهو ليس ملك لبنان وحده وإنما ملك العرب في كل جزء من وطنهم الكبير"، وقد أوفد وزير الإعلام عبد الحميد شرف للمشاركة في جنازته؛ الدفاع ١٩٦٦/٥/١٨، وكتبت جريدة الدفاع عن الحادثة: "إن كبت حرية التعبير بالرصاص كما جرى مع صاحب "الحياة" هو تعطيل للفكر لا صيانة له، ... ثم إن الأخذ بأسلوب الاغتيال لا يحل مشكلة بل هو يزيد النار اضطراما ويملأ النفوس أحقادا..". ؛الدفاع، ١٩٦٦/٥/١٨ . في حين عد الأمير حسن الاغتيال "...ضربة لحرية الرأي وطعنة في صميم الفكر العربي الحر..."؛ الدفاع، ١٩٦٦/٥/١٩.

(١) نصر، مرجع سابق، ص ٥٦٠.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج اسمع يا حسين ١٩٦٠/١١/١٧، ج ٣٥٢-٣٦٦.

** تم إعادتها في ١٩٦٠/١٠/١؛ الدفاع، ١٩٦٠/١٠/٢.

(٣) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٣٦-٣٥٢.

الإذاعة العراقية كانت من زوايا المثلث الدعائي المضاد، وإن غدت علاقاتها مع ج.ع.م على خط متعارض.

رأى عبد الناصر أن تلك الإذاعات التقت على الكيد لـ ج.ع.م وإظهارها دولة تواجه "المصاعب والمتاعب، والضعف والوهن"[١]، فالدعاية الأردنية الإسرائيلية حسب رأيه ركزت باستمرار على الزعم بـ "تأزم" الوضع الداخلي والحديث عن مطالبة السوريين "بالانفصال" وهو هدف كما قال عمل لأجله" الملك الأجير.. وحكام الأردن.. وبن غوريون، وجولدا مائر.."[٢]. وأكد أن الدعاية المرتبطة بفكرة "الانفصال" شبه يومية، حيث لا تمل الصحف والإذاعات المعنية بتردادها وتكرارها[٣]، ونجد أن إذاعة صوت العرب، وإذاعات ج.ع.م الأخرى تقدم نماذج لدعاية الإذاعة الأردنية المستهدفة للوحدة.

فإذاعة "الملك الأجير" وفقاً لصوت العرب، اعتبرت الوحدة "خيانة للوحدة العربية"، ولنفي الطرح احتج أحمد سعيد بما تلاقيه من "محاربة استعمارية" وإسرائيلية، فلو كانت "زائفة" ما واجهتها أدوات "الهدم والتخريب"[٤]. ولتجريد الوحدة من شرعيتها، ركزت الإذاعة الأردنية على "غياب التأييد الجماهيري"، وعدم استنادها لرغبة شعبية، ولكن صوت العرب بين أن هذا الأمر ينطبق على تجربة الاتحاد بين الأردن والعراق عام ١٩٥٨، بينما الوحدة المصرية السورية أساسها استفتاء شعبي جرى يوم ١٩٥٨/٢/٢١، وليس كما "زعمت إذاعة الخونة"[٥].

---

[١] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمؤتمر الاتحاد القومي في حمص، ١٩٦٠/٢/٢١.

[٢] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في اللاذقية، ١٩٦٠/١٠/٤. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر اللاذقية، ١٩٦٠/١٠/٤.

[٣] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في الاحتفال الذي أقامه ضباط الجيش الأول احتفالاً بعيد الوحدة بدمشق ١٩٦٠/٢/٢٤. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، دمشق، ١٩٦٠/٢/٢٤.

[٤] صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، احمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/١١/٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

[٥] المرجع نفسه، ١٩٦٠/١٠/٢٨، ج ٣٣٦-٣٥٣.

وفي سياق حملاتها طرحت إذاعة عمان فكرة "الثبات" "والرسوخ"، لتأكيد قوة وسلامة وضع العرش الهاشمي، بمقابل الوضع "المتضعضع" داخل ج.ع.م، غير أن صوت العرب قدمت دليلاً حياً لنقض ما تقدم، استناداً إلى أسبقيات دعائية متشابهة رددتها إذاعة بغداد حول "ثبات" الاتحاد العربي مقابل ج.ع.م وكانت النتيجة "ثورة الشعب... الذي وجه ضربة الفناء[1]. وأرى أن الإذاعة الأردنية ظلت تستخدم منطقاً يرفض الاعتراف بالوحدة، وتخاطب السوريين، بطريقة تتنافى وانتمائهم الجيوسياسي.

فكانت نداءاتها دائماً بصيغة "الإخوة في الشمال"، ما دفع إذاعة دمشق لتقابلها بالمثل، مسقطة تمثيلها للشعب الأردني، معرفة إياها "ببوق عمان"، ولم تكتف بهذا بل حرصت على تبيان ما يمكن وصفه بهشاشة منطقها، فبعد أن اعتبرت الوحدة في حديثها الموجه للسوريين "قوة.. وخير وبركة.. وأنها عملية إزالة حدود وضعها الاستعمار"، أخذت إذاعة دمشق بمحاسبتها وفقاً لذلك، من خلال التساؤل عن أسباب "محاربة" ما أسمته بالقومية العربية، ممثلة بالوحدة المصرية السورية، منطلقة من هذه النقطة للتأكيد على أن ما يقوم به الملك حسين من دعاية هو دعوة "للتفرقة" ونتيجتها الحتمية، "الفشل"، وأن الوحدة التي يبغيها هي "وحدة عملاء أجراء، وحدة خونة"، تخضع "للأسياد"[2]، ولم تكن الدعاية الأردنية وحيدة في نقض فكرة الوحدة.

فعبد الناصر تحدث عما أسماه بالصحف ذات الشكل العربي، والمعبرة عن "التفكير الأمريكي والفرنسي والبريطاني"، وبالتحديد صحيفة الحزب القومي السوري*، إذ وضعت

---

(١) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٣٦-٣٥٢.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج أسمع يا حسين ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٣٦-٣٥٢.

* أسسه أنطوان سعادة عام ١٩٣٢، ونادى بوحدة "الأمة السورية" في البقعة الجغرافية المشتملة على بلاد الشام والعراق " الهلال الخطيب"، وقد قسم الوطن العربي إلى أمم عدة: الأمة السورية والعربية، والمصرية، والسودانية. وبنى فكرة الأمة على أساس وحدة المصالح لا الانتماء العرقي ورفع شعار "مصلحة سوريا فوق كل مصلحة". أعدم في لبنان عام ١٩٤٩. للمزيد؛ أروى المراشدة: انطوان سعادة والحزب القومي السوري الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٤٩، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠٢).

الوحدة في إطار "المصطنع والمقبل" وهو ما يقلل من فرص استمراريتها[١]، ووفقاً لهيكل، فقد وصل الأمر بدعاية "إذاعات الاستعمار وأعوانه من الرجعيين العرب، وإذاعات إسرائيل، والإذاعات السرية" أن تضع الوحدة في إطار "الاستعمار والاحتلال" المصري لسوريا[٢].

اتجهت الدعاية المضادة للوحدة للاهتمام بالتفاصيل والدقائق المتعلقة بالوضع الداخلي للبناء عليها وصولاً لتجذير الفكرة القائلة بعدم رسوخها وثباتها.

فتحدثت عن "الفساد والتعثر والدمار.." نتيجة لتسخير عبد الناصر لمقدرات سوريا خدمة "لمآربه"، وسياساته، وأهدافه، وبخاصة ما كان يقوم به من أعمال موجهة نحو النظام الأردني، وبالتحديد الحملات الدعائية وما رافقها من عمليات "تفجير واغتيال"[٣]، وجاء الحديث بهذه اللهجة بعد يوم واحد من اغتيال هزاع المجالي في ١٩٦٠/٨/٢٩، وهو ما أدى "لاشتعال نار الحملات الدعائية بين الطرفين [٤]، وهي النقطة التي ستفصل الدراسة فيها لاحقا.

ولم تكتف الدعاية المضادة للوحدة بقصر تهمة الفساد على الساحة السورية بل وسعتها لتشمل مصر، وهو أمر تمثل بتركيز الإذاعات السرية وبالتحديد إذاعة "صوت الأحرار" على ما زعمت أنه استشراء للفساد[٥]، وسياسيات اقتصادية مدمرة ومبذرة، مما أدى "لعبء" اقتصادي كبير على الشعب المصري[٦].

---

[١] خطاب الرئيس عبد الناصر بنادي الضباط باللاذقية، ١٩٦١/٢/٢٠، وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، اللاذقية، ١٩٦١/٢/٢٠.

[٢] محمد حسنين هيكل، ما الذي جرى في سوريا، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/١١/١٠. وسيشار إليه فيما بعد، هيكل، ما الذي جرى في سوريا.

[٣] فلسطين، ١٩٦٠/٨/٣٠.

[٤] ناتنج، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

[٥] إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٨/٢٠، ج ٢- ٢٧٤.

[٦] إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٧/٢٦، ج٢٥٩-٢٤٦

ركزت الإذاعة الأردنية على وجود سياسة "تمييز"لدى عبد الناصر مـا بـين الإقليمـين السوري والمصري فتحدثت عن اهتمامه ببناء السد العالي، مع إهمال سد الفرات فـي سـوريا، وعدَّ أحمد سعيد الطرح المتبني من "إذاعة الخونة" بأنه "دس رخيص" يتناقض مع الواقـع، لأن سد الفرات جاء لاحقاً، لفكرة إنشاء السد العالي والذي أعدت الدراسات الخاصة به فـي فتـرة زمنية سابقة للفرات[١]، وامتد حديث الدعاية الأردنية عن "التميز والتفريق"، إلى الوظائف، حيث "الأفضلية تعطى للمصريين، في حين يتم حرمان السوريين، وأوردت الصحف الأردنية أخباراً، تتحدث عن وصول أطباء مصريين للعمل في المستشفيات السورية، مع تذكيرها بوجود "عـدد كبير" من الأطباء السوريين "الأكفاء دون عمل"[٢].

وقابلت صوت العرب "الزعم" بتحدي الإذاعة الأردنية أن تقدم نماذج وأمثلة تـدلل علـى صحة دعايتها، وبالمقابل ذكرَّت بأن عبد الناصر اصدر قانوناً يساوي أبناء مختلف البلاد العربية بمواطني ج.ع.م، من حيث الالتحاق بالوظائف[٣]. وهذه الفكرة المطروقة عبر الدعاية الأردنية سبق وأن طُرح مثيل لها عبر الإذاعات السرية، وبالتحديد إذاعة "مصر الحرة" السرية الموجهة من فرنسا في ١٩٥٨/٢/١٠، فقد زعمت أن وزير الأشغال المصري "سيد الشرباصي" سافر إلى سوريا لدراسة إمكانية استيعابها "لمليون فلاح مصري، ولاتخاذ الترتيبات اللازمة لمعيشة مليون مهاجر مصري"، وهدفت تلك الدعاية استنادا لهيكل لتصوير الوحدة "كطمع واستغلال مصري"، بدأ حتى قبل الاستفتاء عليها[٤].

---

(١) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد السعيد ومحمـد عـروق، ١٩٦٠/١١/١٥، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٢) الدفاع، ١٩٦٠/١١/٣٠.

(٣) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/١١/١٨، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٤) هيكل، ما الذي جرى في سوريا.

وفي سياق الدعاية المروجة للسيطرة المصرية على سوريا، اشتركت الإذاعة الإسرائيلية، ولكن من زاوية أخرى، عندما أعلنت أن عبد الناصر "يجبر" السوريين على استخدام اللهجة المصرية "والدليل، أمره للمذيعين السوريين باستعمال "الجيم المصرية"، وهو منطق عده أحمد سعيد كدليل على "فقدان ميزان العقل"، موضحاً أن قطاعاً واسعاً من المصريين يلفظ الجيم كما هي الحال لدى السوريين[١].

أكدت دعاية ج.ع.م على استثمار حالة الجفاف التي أصابت سوريا منذ عام ١٩٥٨- وما أنتجته من تأثير اقتصادي في الحملات الدعائية المناهضة. وهو العامل الذي وظف - بتأكيد من عبد الناصر- منذ أول يوم في الوحدة، من قبل "الاستعمار وأعوانه"، متسبباً بترك بصمة على حالته النفسية، ويستدل على هذا، من اعترافه باستمرار التفكير في تلك النقطة، وهو ما ظهر في خطاب ببور سعيد في ١٩٦٠/١٢/٢٣ حينما تساءل "لماذا مكتوب علينا إنه إحنا ندخل الوحدة بهذه السنيين العجاف.."[٢]. والمفارقة أن تلك الحالة التي عمت المنطقة لم تنته إلا قبل شهور من انهيار الوحدة.

ففي بداية عام ١٩٦١ أعلنت وزارة الزراعة الأردنية بأن الأمطار التي هطلت بداية كانون الثاني تعادل ثلاثة أمثال ما يقابلها في العام الماضي، وهو ما سيشجع على زراعة مساحات شاسعة من الحبوب، كما أن الغطاء العشبي اللازم للرعي بات يغطي سائر المناطق، بالإضافة إلى أن الينابيع بدأت تظهر في كثير من الأماكن التي سقطت فيها الأمطار الغزيرة[٣]. وإذا كانت الدعاية الموجهة نحو الوحدة استندت إلى ما أفرزته الطبيعة من وضع اقتصادي، فإن

---

[١] صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٣/٢٦. ج ١٣١-١٤٨.

[٢] عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣.

[٣] الدفاع، ١٩٦١/٢/٧.

دعاية ج.ع.م ربطت بين الدعاية الأردنية وخط آخر ادعت أنه لازم سيرها المستهدف للوحدة، وهو ما يمكن وضعه في الإطار الأمني.

ألقى عبد الناصر خطاباً في حماة بتاريخ ١٩٦٠/١٠/١٧ جمع فيه كعادته بين الدعايتين الأردنية والإسرائيلية، غير أنه حينما تحدث عن الأعمال "التخريبية" والمتجسدة بإرسال "جنود لنسف السكك الحديدية في القرى الحدودية الجنوبية داخل سوريا، قَصَر رعايتها على الملك حسين، الذي باتت دعايته تسير بخط متوازي مع تلك النشاطات [١]، ولكن إذاعة عمان سخرت من تلك التهمة واعتبرتها "من حكايات ألف ليلة وليلة"[٢]، وكان أمراً طبيعياً أن تقوم بالنفي ومحاولة الدحض برأيي خاصة في ظل رأي عام يؤيد عبد الناصر استناداً لما أظهرته محطات سالفة من الدراسة، ولكن الوقائع على الأرض كانت تقترب من الاتهام.

ففي ١٩٦٠/٨/١٢ بثت وكالة رويترز نبأً من عمان عن عزم الملك حسين تشكيل جيش "سوري حر لتحرير سوريا"[٣]، وقد عاد عبد الناصر للتأكيد على ذلك في ٢٣/ ١٢/ ١٩٦٠، مع الحديث أيضاً عن رغبة الملك بتشكيل "حكومة سوريا الحرة"، حيث دعاه بطريقة ساخرة لدخولها على ظهر "جحش" ليستقبله الشعب الاستقبال اللائق به"[٤].

وفي ذات المسار، حرصت الإذاعة الأردنية على إبراز المعارضة العسكرية السورية، فتحدثت في بيان نسبته إلى قيادة عسكرية سورية انتخبت من قبل ضباط سوريين، لتشكيل هيئة لقيادة الثورة، وهو ما قوبل برد من أحمد سعيد يذكر بحديث الملك عن تحريك جيشه "لتحرير" العراق مبيناً أنها مجرد "أكاذيب.. وأوهام وأحلام يقظة.."، نابعة حسب زعمه من "حقد الملك

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في حماة، ١٩٦٠/١٠/١٧. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر حماة، ١٩٦٠/١٠/١٧.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج أسمع يا حسين، ١٩٦٠/١١/٢، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٣) إذاعة القاهرة، خبر، ١٩٦٠/٨/١٢، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٤) عبد الناصر، بور سعيد ١٩٦٠/١٢/٢٣.

من "التفاف السوريين" حول عبد الناصر، واستندت صوت العرب إلى وسائل دعايــة غربيــة لإظهار عدم قدرته على القيام بذلك؛ فصحيفة التايمز البريطانية تحدثت عن "الخطــر الــداخلي المحيط به وهو الرأي الذي أكده مكتب الاستعلامات الفرنسي في الشرق الأوسط أيضاً مبيناً بأنه غير قادر على تنفيذ تهديداته[١]. ولابد من الإشارة إلى الأسلوب الذي كانت تــستخدمه الإذاعــة الأردنية لعرض أو تقديم مثل ذلك البيان، حيث كان نشيد حماة الديار، النشيد الوطني الــسوري لعهد ما قبل الوحدة يسبق تلاوته[٢]، وقد كان يبث بانتظام في فترات معينة، وهو مــا يظهــره ترتيبه بين فقرات البرامج اليومية للإذاعة[٣].

اعتمدت الإذاعة الأردنية على استخدام أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي فــي دعايتها بإصدار بيانات يومية، تدعو السوريين للخلاص من "المعتقل الكبير" مع بــث أخبــار، صنفتها إذاعة دمشق ضمن "التلفيق"، عن حملات اعتقال داخل الجيش السوري وتحديداً علــى الخطوط الأمامية مع إسرائيل، كما أنها عدتها كمحاولة من النظــام الأردنــي للتغطيــة علــى "الأوضاع المتفاقمة.. وأعمال البطش والاضطهاد، ولإلهاء.. الرأي العام، وكآلية "فاشلة تعتمــد ضد "الوحدة من قبل الخيانة والعمالة"[٤].

ومن الجدير ذكره أن عبد الناصر اعتبر القوميين السوريين كأداة "للتخريب والتقتيل" فــي سوريا، استخدمت من قبل الأمريكيين، ونوري السعيد مقابل أموال دفعت لهم[٥]. وردت صوت العرب على وصف إذاعة عمان لسوريا كسجن كبير، بتدوير موقف صحيفة المسار البيروتيــه

---

(١) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكتشفها حقائق، احمد سعيد ومحمــد عــروق، ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٣٦-٣٥٢.

(٢) إذاعة لندن، خبر، ١٩٦٠/٦/٢٧، ج ٢٠١-٢٧٧.

(٣) الإذاعة الأردنية، مجلة هنا عمان، جدول البرامج لعام ١٩٦٠.

(٤) إذاعة دمشق، برنامج كلمة اليوم، منير الريس، ١٩٦٠/٧/١٦، ج٢٣٢-٢٤٥.

(٥) عبد الناصر، اللاذقية، ١٩٦١/٢/٢٠.

من ذلك، حينما دعت القائمين على الإذاعة إلى الحديث عن السجون الأردنية التي يخصص لها جزء كبير من أموال الدولة، وبالأخص "سجن الجفر الرهيب..وفضائح تعذيب المعتقلين.." [1].

وكما اعتمدت صوت العرب على صحيفة لبنانية للرد، اعتمدت الدعاية الأردنية أيضاً على صحيفة لبنانية للهجوم فقد استندت الصحف الأردنية في ١٩٦٠/٩/١٨ على ما نشرته صحيفة الدستور اللبنانية، للحديث عن توتر سائد في جبل الدروز، بات يهدد أمن "الإقليم السوري" بشكل عام، بسبب التصرفات "المهينة والمخالفة للتقاليد العربية" من قبل "رجال المباحث" المصريين، وهو ما أدى لقيام حركة "احتجاج شعبية" تزعمها شيوخ في الجبل للمطالبة بوضع حد لتلك التصرفات "المتحدية" لمشاعرهم [2]. ولم يقتصر الجانب الدعائي المرتبط بالشأن الأمني على الإذاعة الأردنية فامتد ليشمل أطراف أخرى حيث اشتركت إذاعة لندن ووكالة الأنباء العربية، بالترويج لأخبار عن هروب طيارين من سلاح الجو السوري إلى الأردن، وطلبهم للجوء السياسي [3].

وتحدثت الإذاعات السرية، وبالتحديد إذاعة "صوت الأحرار" عن "خوف" عبد الناصر من الإثارة التي من الممكن أن تتركها الدعايات المستهدفة للوحدة [4]، والمنطلقة من دول الجوار الواقعة تحت "استفزاز" أجهزة دعايته، كونه "البادئ بالشغب وإثارة الفتن وتحريك الاضطرابات.." [5]، وهذا الرأي يقترب من تبرير الدعاية الإسرائيلية ممثلة بصحيفة الجروزالم بوست لقيام الدعاية الأردنية بالدعوة لاستقلال سوريا، كردة فعل على دعاية ج.ع.م، المستهدفة

---

(١) صوت العرب، برنامج أمة العرب، ١٩٦٠/٧/٣، ج ٢١٨-٢٣١.

(٢) فلسطين، ١٩٦٠/٩/١٨.

(٣) إذاعة لندن، خبر، ١٩٦٠/٤/٥، ١١٢-١٤٨.

(٤) إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٨/٢٧، ج ٢٧٥-٢٨٨.

(٥) إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٧/٢٦، ج ٢٤٦-٢٥٩.

للسيادة الأردنية[١]. ولكن ردوده عليها تظهر عدم اهتمامه أو اكتراثه بها، وربما كان ذلك في إطار الحرب النفسية، بإظهار سلبية مفاعل تلك الدعاية وفشلها في إحداث نتائج إيجابية تطمح إليها.

وهو ما فعله كذلك الملك حسين وأخذ به حينما أكد عدم تأثير الدعاية المضادة[٢]، وقد يكون هذا الموقف قاعدة تم تبنيها من الأطراف المختلفة.

بقي الرئيس عبد الناصر على دعايته المصرة على انعدام تأثير الدعاية المضادة، بناء على تجربته مع الإذاعات السرية الموجهة إلى ج.ع.م والتي بلغ عددها إحدى عشر محطة، والقائلة "بفشلها"، غير أن الأوصاف، والتصنيفات التي وضع فيها الإذاعة الأردنية، قد تشي بعكس ذلك، حيث كرر وصفها "بإذاعة الاستعمار" و "إذاعة الملك الأجير"، بالإضافة لوضعها في خانة واحدة مع الإذاعة الإسرائيلية[٣]، فتلك المسميات يبدو أنها كانت تعبر عن ردة فعل ناجمة عن أثر أو تأثيرات تركتها، حسبما أعتقد.

وعلى نهج الرئيس أكد أيضاً عبد الحكيم عامر أن دعاية "الأعداء دليل نجاح وتقدم وإنجاز، لا بل مبعث سعادة[٤]"، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فعبد الناصر اعتقد بحصانة الرأي العام لديه؛ فشعب ج.ع.م الذي "آلى على نفسه أن يرفع رأيه الوحدة العربية والقومية لا يمكن أن يتأثر بهذه الدعايات"[٥] التي لا يصدقها إلا القائمون عليها فهم "يكذبون، ثم يكذبون، ويكذبون،

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج مقتطفات من الصحف الإسرائيلية، ١٩٦٠/٣/١٠، ج ١١٦-١٣٠

(٢) خطاب الملك حسين بمقر اللواء العسكري بالضفة الغربية ١٩٦٠/٣/١٢، ج١، ص ٤٣٣.

(٣) عبد الناصر، حماه ١٩٦٠/١٠/١٧.

(٤) خطاب عبد الحكيم عامر في دير الزور، ١٩٦٠/٢/١٦.

(٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في قصر الضيافة بدمشق باحتفالات العيد الثالث لقيام الوحدة، ١٩٦١/٢/٢٢.

ويصدقون أنفسهم..."[١]، وفي هذا اتهام باستخدام مبدأ الكذبة الكبرى الذي سبق وأن وجه لدعاية ج.م.ع حيث لم يكتف بذلك.

لكنه أخذ أيضاً بأسلوب يجمع بين السخرية والتحدي لتلك الدعايات: "... أفضلوا الطمـوا إلى الأبد، لغاية ما نخلص عليكم ونخلص على نفوذ الاستعمار في هذه المنطقـة.."[٢]، ورغـم تأكيداته بعدم تأثيرها إلا أنه أكد على متابعتها ومراقبتها وهو ما سيتضح في النقطة التالية.

تؤكد بعض الروايات أن عبدالناصر لم يكن يخلد لنومه، إلا بعد قراءة تقـارير الرصـد للإذاعة الأردنية، وهو ما أبلغه للملك وصلاح أبو زيد، خلال مؤتمر القمة العربي الثـاني فـي الإسكندرية عام ١٩٦٤[٣]، وكذلك كان يفعل بالاستماع المباشر للإذاعة الإسرائيلية، ومن هنـا نجده يعلن أن ج.ع.م لا تعتمد مبدأ التشويش لتتمكن من الاستماع "لإذاعات الأعداء ومعرفة ما يضر وينفع"[٤]، وهو أمرٌ أكدته إذاعة دمشق بأسلوب آخر، بنفيها ما روجته إذاعة عمان بمنـع الاستماع لها في سوريا، والسبب أن المستمع العربي أصبح يدرك "حقيقتها" ما يعني إلغاء مبـدأ التأثير من أساسه حتى أنها خاطبت المسؤولين عنها بقولها "فقروا عيناً يا أبطال إذاعة حـسين، إذاعتكم مسموعة، لم يصدر ولن يصدر أي قرار يمنع الاستماع إليها.."[٥].

وبالمقابل أشار عبد الناصر إلى إنفاق الأموال من قبل الدعايات المـضادة لــــ ج.ع.م، للقيام بعمليات تشويش على إذاعاتها[٦]، ورغم التأكيد والتكرار المتتالي لدعاية ج.ع.م على عدم فاعلية وتأثير الإذاعة الأردنية إلا أن هناك من الأحداث ما يجعلنا نضع إشارات استفهام أمـام منطقة وسلامة ذلك الموقف.

---

[١] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بالاتحاد القومي بدمشق، ١٩٦٠/٣/٤.

[٢] عبد الناصر اللاذقية، ١٩٦٠/١٠/٤.

[٣] أبو زيد، مقابلة.

[٤] عبد الناصر، دمشق، ١٩٦١/٢/٢٤.

[٥] إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٩/١٤، ج ٢٨٩-٣٠٢.

[٦] عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦٠/١٢/٢٣.

الباب الثاني

دعاية ج.ع.م وآليات الرد على الإذاعة الأردنية

غدت الإذاعة هدفاً لمحاولات التفجير* وفقاً لمخططات أعدت في السفارة المصرية "لتدميرها" -حسبما تذكر الوثائق البريطانية- من خلال أحد عملائها في أيلول ١٩٦٠[١]، وقد تداولت إذاعة صوت العرب الحدث كخبر عابر في ١٩٦٠/٩/١٢[٢]، دون الإشارة أو التعليق على وجود ارتباط لـ ج.ع.م بذلك.

أما الإذاعة الإسرائيلية، فقدمت إضافة أخرى بالحديث عن ارتباطات لاثنين من موظفي الإذاعة بالخطة، حين تلقوا الأموال والمتفجرات " لتخريب الإذاعة"[٣]. وامتداداً لذلك أصدرت محكمة "أمن الدولة حكماً بالسجن على كل من تيسير درويش لست سنوات، وشوقي كعبيني لثلاث سنوات، بتهمة محاولة " نسف دار الإذاعة الأردنية"[٤].

وتوضح التهمة هنا، حجم المخطط الذي كان موضوعاً للتنفيذ، وضرورة وجود جهة داعمة، تؤمن عملية نقل المتفجرات، والمراقبة، وكذلك التمويل، ولأن الفبركة الدعائية كانت حاضرة في ذلك الوقت، فإن البعض قد يضع المخطط تحت مظلتها، غير أن استهداف صوت العرب للعاملين بالإذاعة -كما سنرى- وتوعدهم بالموت بأسلوب مباشر أو غير مباشر، يجعل

---

* لم ينته استهداف الإذاعة فيما بعد، ولم يتوقف على الخصوم فقط، فالحلفاء الذين غدوا خصوماً في محطة تالية جاءت بعد فترة طويلة نسبياً حاولوا إسكاتها أيضاً؛ فخلال حرب الخليج الثانية التي شنتها دول التحالف الثلاثيني بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق عام ١٩٩١، قام مهندسوا الإذاعة بتعطيل بثها مرات عدة بناء على أوامر من الدفاع الجوي، لوجود صواريخ تستهدفها وتسيير في مسار ترددداتها. مقابلة، بلال المومني، مهندس في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، عمان ٢٠١٢/١٢/٧.
وربما يعود ذلك لانفرادها بتغطية الحرب بحيادية ومهنية عالية، وكانت الإذاعة العربية الوحيدة الناطقة بالعربية التي غطت الحدث"؛ شاهزاده، مقابلة، ص٩. وربما كانت تغطيتها غير المنسجمة مع المحيطين الإقليمي والدولي، سبباً في محاولات استهدافها.

(1) R.J. Vol. ll, Telegram From Amman To Foreign Office,9,10 September, Fo 371/151047,P.693

(٢) صوت العرب، خبر، ١٩٦٠/٩/١٢، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، خبر، ١٩٦٠/٩/١٧، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٤) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج ٢، مرجع سابق، ص٤٦.

النسف والتفجير أمراً مقبولاً، كما أنه قد يدفع لإعادة النظر بمقولات عدم تأثير الإذاعة ودعايتها، كما أكدته أجهزة الدعاية في ج.ع.م. وقد رسم أحمد سعيد صورة دعائية لهم، لربما أمكن تصنيفها في سياق تشويه صورة الخصم، وكان برنامج حتى لا ننسى هو منطلق العملية كما سنرى.

وهو إلى جانب "أكاذيب تكشفها حقائق"* من البرامج التي عدت حسب بعض الآراء، من البرامج "الشيقة التي تجتذب ملايين العرب"، حيث اتسما "بالفاعلية والتأثير" لما فيهما من أسلوب اللغة والبلاغة(١). وتم التركيز على عدد من الموظفين البارزين في الإذاعة، أو من لعبوا دوراً محورياً فيها.

تصدر قائمة موظفي الإذاعة الذين تناولتهم صوت العرب، وقد عده أحمد سعيد كأحد "أفراد عصابة حسين وعميل إنجليزي" وترافق هذا، مع هفوات وقع فيها عندما روى أن التل "ترك بعثته التعليمية في بيروت ليدخل الجيش البريطاني برتبة جندي.."، كما أن الإنجليز عينوه في فترة الدعاية لحلف بغداد "مديراً للإذاعة"(٢).

بالغ أحمد سعيد بالحديث عن عمالة وصفي ونشاطاته الجاسوسية، مبينا أنه عين من قبل البريطانيين " كمساعد لمدير المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط"، وأما نشاطاته "كجاسوس" فامتدت لتشمل "الأردن والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، وكذلك مصر والسودان.."، والأهم

---

* قابلته الإذاعة الإسرائيلية ببرنامج شبيه باسمه، هو برنامج أكاذيب وحقائق، وهي تسمية توحي باستهداف ذلك البرنامج ومضامينه؛ مجلدات الرصد الإذاعي للأعوام ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١.

(1) Anas AL Ahmad: Voice Of The Arabs Radio It's Effects And Political Power During Nasser Era 1953-1967, Paper Presentation Prepared For The Joint Journalism Historians Conference, Arthurl. Carter Journalism Institute, New York University, March, 2, 2011. P. 12.

(٢) صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٥، ج ٣٥٢-٣٦٦.

من كل ذلك، ممارسته لعمله بصورة علنية عالمكشوف"[١]، وهو ما يتنافى مع أبسط قواعد العمل الجاسوسي، وهي السرية والكتمان برأيي.

وأما الدور "الأخطر" الذي كلف به من قبل البريطانيين فهو قيادته "لأهم فوج" في جيش الإنقاذ عام ١٩٤٨، وهو ما حقق "للصهاينة هدفهم بالسيطرة على منطقة الجليل.." بعد قيامه بتسريب الكثير من المعلومات الخطرة إلى الانجليز والصهاينة"، وقد عد أحمد سعيد، التل كهدف من الأهداف، وذلك عندما قدم "الشكر" لبريطانيا على مساعدة ج.ع.م في "تحديد أهدافها وأعدائها"[٢]. ولربما كان ذلك تلك إشارة غير مباشرة لتصفيته. وبالطبع فإن اتهامه بالخيانة استمر في الدعاية المصرية فيما بعد.

ففي ١٩٦٦/١٢/٢٣ اتهمه هيكل أيضاً "بتسريب" خطط القيادة العربية الموحدة التي أعدت لمواجهة إسرائيل، مدعياً أن المخابرات المصرية تمكنت من ضبط تلك الحادثة[٣]. ولا بد من التذكير بأن وصفي الذي غدا محور تحريك الدعاية الأردنية ضد عبد الناصر[٤]، لم يقتصر استهدافه على الدعاية القادمة عبر إذاعة صوت العرب.

حيث كان للإشاعة الداخلية دورٌ في ذلك، عبر حديث سرى في البلاد يقول بإقامته "لحفلات شاذة" (Wild Parties)، مع الفتيات اللواتي يصطحبهن إلى مبنى الإذاعة[٥]. وهنا قد يكون للدعاية المصرية ومخابراتها التي كانت فاعلة في الأردن، دورٌ في إنتاج وفبركة المضمون، وقد يعزى ذلك أيضاً إلى حساسية الدور والمنصب وما ينتجه في العادة من خصوم.

---

(١) صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٥، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) محمد حسنين هيكل، عن الملك حسين: خطط القيادة العربية الموحدة، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٦/١٢/٢٣.

(4) R.J.Vol.13 Sir R Parkes To Earl Of Home Dispatch, No.1077 March 1963, Fo 371/170265, p.498.

(5) R.J. VOL.11,Sir C Johnston To Mr. J. Beith,12 January, 9 February 1960, Fo 371/151041,P.603

شمل أحمد سعيد وصلاح أبو زيد وجلال عباسي بحملاته المستهدفة لموظفي الإذاعة، فهو يرى أنه "لا بد من تعريف"، الشعب الأردني بهما "ليعرف أعداءه"، وليكون مستعداً "للانقضاض عليهما" والتخلص من "شرورهما"، فمصيرهما "مصير الخونة مـــن أعـــداء العروبـــة وركبهـــا المتحرر". أما تهمة أبو زيد التي حددها فـــلدوره الدعائي خلال حكومة هزاع الأولى، وترويجه لحلف بغداد عام ١٩٥٥، تم تظاهره لاحقاً بالانضمام "للحركة الوطنية" والقيام بدور "جاســـوس القصر" غير أنه عاد مجدداً إلى الإذاعة "متحدثاً باسم الخيانة"[1]. واللافت أن أحمد سعيد يتحدث عن دور لصلاح أبو زيد في عام ١٩٥٥.

مع أن عمله في المجال الإذاعي بدأ عام ١٩٥٦ في إذاعة جبـــل الحـــسين[2]، وحـــسب اطلاعي فإن أياً من المصادر المرتبطة بالحديث عن الحركة الوطنية أو المعارضة لا تذكر شيئاً عن انخراطه في سياقها.

وأما تهمة جلال عباسي فتماثل تهمة أبو زيد، ولكنه قام بتنفيذها خلال وجوده كطالب في القاهرة، بادعاء المعارضة وإلقاء الخطابات "المنددة" بالملك وسياسته، غير أن اكتشاف طبيعـــة دوره "سرَّع" بعودته إلى عمان والعمل بالدعاية " لحسين وعصابته الـــسياسية والاســـتعمارية" وليكون أحد الداعين "للخيانة"، ويؤكد أحمد سعيد أن مصيرهما لن يكون بعيداً عن مصير أولئك المذيعين الذين اختطوا نهجاً معادياً لعبد الناصر، ككاظم الحيدري الذي ســـجن فـــي العـــراق، "والمذيع الخائن" يونس البحري، حيث "مزق فكه لتشدقه بالخيانة ضد ناصر"، و"المذيع الخـــائن" سعيد لطفي، الذي سلم للقاهرة بعد ثورة تموز ١٩٥٨، ليودع في السجن، وأما الأسلوب المقترح من لدن أحمد سعيد لعقاب عباس وأبو زيد فهو "الموت على يد الـــشعب البطـــل الـــواعي فـــي

---

[1] صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٥، ج ٣٥٢-٣٦٦.

[2] الريماوي، السجل.

الأردن"[١]. وبالتدقيق فيما تقدم نجد أنه قام بدور القاضي، محدداً التهمـــة بالخيانـــة، والعقوبـــة بالإعدام، وعَيَّنَ الشعب كقائم على تنفيذها.

أكرم زعيتـــر*:

اعتبره أحمد سعيد كجاسوس إنجليزي على الحركة الوطنية الفلسطينية زمن الانتداب مـــع استمراره على النهج نفسه بالعمل في "إذاعة العملاء"، بالدعوة للخيانة والرضى بالاستعمار من خلال إعداده لبرنامج "هذا نحن" "وتزويره" لحقيقة ما جرى في الثورة العربية، مع كتابته عـــن "أمجاد حسين وعبد الله وفيصل"، ونشره للمقالات "المسمومة" في صحيفة الحيـــاة اللبنانيـــة ذات التوجهات الغربية، التي كان يمضيها بـــ "سياسي عربي كبير"[٢].

ورأت الإذاعة الإسرائيلية فيما تقدم "تحريضاً" على قتل زعيتـــر، وقـــد دعـــت نقابـــات الصحفيين العرب للعمل من أجل "صون حياة أصحاب الرأي"، بعد ما "فشلت" الجامعة العربية، عن القيام بدورها لاسيما بعد اغتيال* عدد من الصحفيين اللبنانيين[٣]. ولـــم تقتـــصر الحمـــلات الدعائية على العاملين في الإذاعة وامتدت نحو الملك وعنايته بها.

قامت إذاعة حلب في ١٩٦٠/٨/١، وعبر برنامج ماذا في الأردن، بتوجيه نقدٍ للاهتمـــام الكبير الذي يبديه الملك حسين بالإذاعة الأردنية، و"المتمثل بتفقده المستمر لها، "حتى أنه يذهب

---

(١) صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٥، ٣٥٢–٣٦٦.

* أكرم زعيتر، من مواليد نابلس ١٩٠٩، أكمل دراسته الثانوية بجامعة النجاح، وانتسب للجامعة الأمريكيـــة لدراسة الحقوق، عمل في الصحافة، وعرف بمواقفه الوطنية والنضالية التي أدت لاعتقاله من قبل السلطات البريطانية عمل في الحكومة الأردنية كسفير وعضو في مجلس الأعيان، وكوزير للـــبلاط؛ الكيـــالي، ج١، مرجع سابق، ص ٢٤٩–٢٥٠.

(٢) صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٤، ج٣٥٢–٣٦٦.

* في عام ١٩٥٨ اغتيل الصحفي نسيب المعني. والصحفي فؤاد حداد؛ شهداء الصحافة من العهـــد العثمـــاني إلى اليوم (mtvcom.lb/news).

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، تعليقات خاطفة، ١٩٦٠/١١/١٦، ج ٣٥٢–٣٦٦.

إليها بطائرة الهيلوكبتر"، مبينة أن الهدف هو "للاطمئنان" على جهودهما "للنباح على ركب العروبة"[1].

ولكن الملك اعتبرها "رمزاً للخير والنضال والإيمان.. وصوتاً للعروبة..[2]، كما كان حريصاً على تطورها التقني المستمر بما يؤدي إلى زيادة قوة بثها، وبالتالي امتداد تغطيتها إلى مناطق جديدة في الوطن العربي، وأماكن التواجد العربي في بقاع العالم، وهو ما بان مما قاله وصفي التل في افتتاح الملك للموجه القصيرة للإذاعة* في ١٩٦٠/٨/١ ".. لقد أصبحت الإذاعة في هذا العصر سلاحاً ذا شأن خطير فالعبرة ليست بالسلاح وإنما بمن يحمله، ولئن كان في هذه المنطقة من العالم أجهزة أقوى بثاً من جهازنا الذي افتتحتموه، فيقيننا الثابت أن قوة تلك الأجهزة في الخدمة القومية والإنسانية هي دون هذه الأجهزة بكثير، وذلك أن هذا الجهاز يحمل قوة الحق والعقيدة ويحمل إيمانكم الصادق وعزمكم المتوثب وعقيدتكم الصائبة ورسالتكم الحقه... إن الإذاعة ستظل تستمد حقيقتها وقيمتها من وفائها لرسالتك ورسالة العرب وستظل قيمها من كونها إذاعة المستوى الرفيع..."[3].

ويرى المتمعن باعتقادي أن المنافسة مع صوت العرب بشكل خاص، وإذاعات ج.ع.م بشكل عام، كانت حاضرة في ذهن التل، حينما أكد تفوق الإذاعة الأردنية رغم وجود أجهزة بث

---

(١) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١/٨/ ١٩٦٠، ج ٢٦٥-٢٧٤.

(٢) خطاب الملك حسين في افتتاح الموجة القصيرة للإذاعة، ١٩٦٠/٨/١، ج١، ص ٤٩١.

* استمرت عمليات التحديث، ففي تشرين الأول من عام ١٩٦٤ أهدت ألمانيا الغربية الإذاعة جهازي إرسال قوة كل منهما منه كيلو واط يعملان بطاقة إجمالية قوتها مئتا كيلو واط، ومن مميزاتهما زيادة وضوح الاستقبال الإذاعي في مناطق الاستماع في شرق البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا، ومن ميزاتهما كذلك إمكانية استمرار البث على أحدهما في حال حدوث خلل في الجهاز الآخر، وقد قام الخبراء الألمان والمهندسون الأردنيون بتركبهما في منطقة محطة الإرسال برام الله؛ مجلة هنا عمان، تشرين الأول، ١٩٦٤.

(٣) فلسطين، ١٩٦٠/٨/٣.

أقوى في المنطقة، وذلك كله في إطار مواجهةٍ عدَ الإذاعة فيها "كسلاح خطير" وهو ما يعبر عن حرب دعائية ونفسية تدور، وقد مارسها في هذا الخطاب بتبيانه أن قيمة الإذاعة ليست بتقنيتهــا وقوة بثها، وإنما بما تحمله من رسالة وعقيدة صافية ورسالة سامية، ومستوى رفيع، وكأنه يرد على هيكل في نقطة سالفة من الدراسة تعليقاً على تأسيس الإذاعة الأردنية، ربــط فيهــا قيمــة الإذاعة بالفكرة وليس المادة. وعلى اتصال بما تقدم فإن صراع الأفكار والمواقف بين الإذاعــة الأردنية ودعاية ج.ع.م، وبالتحديد صوت العرب تجلى في مضامين خلافية جديدة.

اتجهت دعاية ج.ع.م إلى الأخذ بأسلوب يمكن وصفه بالهجوم الدعائي المضاد أمــام مــا اعتبرته حملة تقوم بها الإذاعة الأردنية، وطيفها الدعائي الإقليمي والدولي رغم تأكيدها المستمر على انعدام جدواها وفاعليتها. ولتحقيق المراد فإن تركزها خلال عام ١٩٦٠ كان على اللعــب بأوراق مماثلة لما أخذت به الدعاية المضادة أو الموجهة إزاء دولة الوحدة بما يؤدي إلى التأثير على شرعية واستقرار، ووجود النظام وسمعته.

كانت السلطات الأردنية تدرك عدم اعتراف ج.ع.م بشرعية الحكم الأردني فــي الــضفة الغربية. وهو ما تجلى بشكل واضح في الطلب المقدم لوزارة الخارجيــة فــي ١٩٥٩/١٠/٢٩ لتعيين قنصل في القدس، إذ حدد مكان نشاطه بالضفة الغربية "الواقعة تحت الاحتلال الأردني"، ما أدى لاستياء أردني، لإنكاره فكرة السيادة(١).

وقد بين هزاع المجالي أن الأردن حرص على عدم إثارة الأمر علانية لاسيما وأنه جــاء بعد إقامة العلاقات الدبلوماسية بأشهر قليلة(٢)، وقد اتجهت ج.ع.م إلى تفعيل رؤيتها إزاء الضفة

---

(1) R.J. Vol 12, Telegram From Amman To Foreign Office, 18/11/1960, Fo 371/151057, p. 72 .

(٢) الدفاع، ١٩٦٠/٣/١٠.

الغربية بشكل مؤثر خلال عام ١٩٦٠، بتأييدها "القوي" لفكرة إنشاء الكيان* الفلسطيني، وهو ما عده الملك أداة لإثارة "الصعوبات للأردن(١)، وتقدم الوثائق البريطانية رأيا يقول بوجود تحريض مصري لزعيم حزب الكتائب اللبناني بيار الجميل** لطرح الفكرة، لتكون ورقة دعائية بيدها ضد النظام الأردني(٢).

ولكن رأياً أخر يضعها في سياق نابع من خصوصية التركيبة اللبنانية غير القادرة على استيعاب مئة ألف فلسطيني والباحثة عن حل(٣)، والأهم أن الدعاية الأردنية وجدت نفسها أمام مضمون دعائي في إطار حملات مضادة كان لا بد من مواجهتها. وقد ردت أفكار الملك حسين بصور مختلفة لأبطال مفعولها.

فاعتبرها "بدعة"(٤) يراد منها "التخلص من المسؤولية"(٥)، ولجعل القضية الفلسطينية أداة للدعاية "والمساومة ومنبراً للتهريج، ووسيلة من وسائل الصيد السياسي "ذلك أن الفلسطينيين في

---

* اقترح عبد الناصر أن يترأس عبد الله التل حكومة الكيان في بداية ١٩٦٠ وقد أُعتبر "أنسب رجل لهذه المهمة ... لاستمراريته بالاتصالات مع الرموز والشخصيات الفلسطينية، واشتراكه الدائم بالمؤتمرات التي تخص الشؤون الفلسطينية، كما كتب وحاضر كثيراً عن القضية الفلسطينية، ومؤلفاته عن حرب فلسطين أعطته زخماً كبيرا" من ملخص كتاب: "Abdullah Al Tall "Arab Legion Officer، صلاح عبد الله التل، موقع المستقبل ٢٠١٤/١/١٦، (almus taqbal-a.com).

(1) R.J. Vol. 12, Telegram From Amman To Foreign Office, 19/2/1960, Fo 371/150869, P. 163.

** بيار الجميل: سياسي لبناني ولد عام ١٩٠٥. أسس حزب الكتائب عام ١٩٣٦ تحت شعار "الله –الوطن– العائلة" ومعارضة وحدة لبنان مع الأقطار العربية وكان عمله السياسي ذا طابع طائفي ماروني.أنضم إلى الحلف الذي تشكل عام ١٩٦٨ "لمقاومة" المد العربي التحرري في لبنان" تقلد العديد من المناصب الحكومية؛ الكيالي، ج١، مرجع سابق، ص ٦٣١-٦٣٢.

(2) R.J. Vol. 11, Mr. Mason To Mr. M.J Beith 28/8/1959, Fo 371/1423121, P. 541.

(3) Ibid., P.541.

(٤) خطاب الملك حسين في رجال الحرس الوطني بنابلس، ١٩٦٠/٣/١٦، ج١، ص٤٣٧.

(٥) خطاب الملك حسين في الضفة الغربية بمقر اللواء العسكري، ١٩٦٠/٣/١٢، ج١، ص٤٣٢ وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك حسين، الضفة الغربية، ١٩٦٠/٣/١٢.

الأردن لهم كامل الحقوق[1]، وفق وحدة "لا سيد ولا مسود... وحدة أخوة وتنظيم.."[2]، في حين أن أسلوب التعامل مع الفلسطينيين بغزة وصل حد "التشبيك"[3]. وبينت الإذاعة الأردنية أن الوحدة بين الضفتين "تفوق" مثيلتها المصرية السورية، طارحة تناقض ج.ع.م ودعايتها، فهي تعلن تأييدها للوحدة العربية في وقت تعمل فيه على إنهاء نموذج من نماذج الوحدة العربية[4].

التي وضعت حداً للأطماع الإسرائيلية بما تبقى من فلسطين، مستدلة على سلامة الخطوة بمعارضة البرلمان الإسرائيلي لها، ولكن الإذاعة وقعت فيما يشبه الزلة حينما وصفت تلك المعارضة بـ "القرار الغريب" ما أثار سخرية صوت العرب وحديثها عن ".. التعليق الغريب من إذاعة عربية"، مع تحويره على أنه انتظار رسمي أردني بالاعتراف الإسرائيلي بالوحدة[5].

وسعياً لمزيد من الإحراج لوجهة النظر الأردنية اتجه أحمد سعيد لدحض ونفي قول الإذاعة بوجود "غضب" إسرائيلي لحظة قيامها لإضفاء مزيد من الشرعية عليها[6]، محتجاً بما نشرته صحيفة هارتس عن التشابه ما بين الموقفين الأردني والإسرائيلي من قرار تقسيم فلسطين، عندما أشارت إلى وجود "نوع من المشاركة الصامتة بين البلدين

ومرة أخرى تبرز الإذاعات السرية ممثلة بإذاعة "صوت الأحرار" لمساندة النظام الأردني، والدفاع عما اختطه من سياسة " واضحة" تجاه الفلسطينيين تقوم على "لم الشمل تحت راية حسين.."، مع توجيه الانتقاد لعبد الناصر وحملاته الدعائية بخصوص الكيان الفلسطيني،

---

(1) خطاب الملك حسين في افتتاح دورة مجلس الأمة الأردني، ١٩٦٠/١١/١، ج١، ص ٥٣٦.

(2) خطاب الملك حسين بمناسبة مرور عام على افتتاح الإذاعة، ١٩٦٠/٣/١، ج١، ص ٤٢٣.

(3) خطاب الملك حسين، الضفة، ١٩٦٠/٣/١٢، ج١، ص ٤٣٢.

(4) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٣/١٠، ج١، ١١٦-١٣٠.

(5) صوت العرب، برنامج صوت فلسطين، ١٩٦٠/١١/٦، ج١، ٣٣٦-٣٥٣.

(6) صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/١١/١٠، ج١ ٣٥٢-٣٦٦.

مبينة بأنها "لا تستحق الرد"، في وقت "اقتربت فيه نهايته"[١]، غير أن الحقيقة تؤكـد أن دعايـة ج.ع.م الموجهة نحو الفلسطينيين شكلت قلقاً للملك[٢].

فصوت العرب اتجهت إلى تخصيص برنامج خاص بفلسطين يقوم على تقديمه مـذيعين فلسطينيين، " فايز قنديل وفؤاد ياسين" اعتباراً من ١٩٦٠/٢/٢٠[٣]، وقد بدأت إذاعـات ج.ع.م بشكل عام تتطرق إلى قضايا حساسة ترتبط بالمكون الفلسطيني في الأردن بأسلوب لا بـد وأن يشكل إثارة للنظام، لاسيما وأن تلك الدعاية عدت من الأسباب التي أدت إلى تغذية بذور الانقسام الأردني الفلسطيني مساهمة فيما بعد بإنتاج إحداث ١٩٧٠[٤].

تحدثت إذاعة دمشق في ١٩٦٠/٩/١٥ عن "إقصاء" الموظفين الفلسطينيين من وظـائفهم واستبدالهم "بموالين من أنصار النظام"[٥]، وهي نقطة شبيهة بما ورد في الدعاية الأردنية عـن رجحان كفة المصريين على السوريين في عملية التوظيف في إطار الإقليم السوري.

وزعمت إذاعة حلب في برنامج "ماذا في الأردن، بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٢٤ أن الملكة زين الشرف صرحت "أنها على استعداد لتسليم الضفة الغربية إلى إسرائيل إذا حاول أهلها أن يقوموا بأي محاولة انفصالية، أو أي عمل من شأنه أن يهدد عرش أبنها.." وأعلنت الإذاعة تحديها للملك "بتكذيب" المعلومة[٦].

---

(١) إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٧/٢٦، ج ٢٥٩-٢٤٦.

(2) R.J.Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 1 November 1960, of 371/151052,pp.776-777.

(٣) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٢/٧، ج ٨٦-١٠٠.

(٤) أبو زيد، مقابلة.

(٥) إذاعة دمشق، ١٩٦٠/٩/١٥، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٦) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٥٢-٣٦٦.

وإذا ما أخضعنا التصريح المنسوب للملكة للمنطق، فسنجد أنه من غير المعقول أن تقدم ورقة للدعاية المضادة للنظام، في وقت يعاني فيه من الدعاية المكثفة، كما أنه من غير المعقول أن تسهم بزيادة توتر الشارع المتوتر أصلاً، بفعل دعاية ج.ع.م. وإذا أخذنا ما تقدم بعين الاعتبار فسيكون الخبر أقرب إلى الفبركة، أما نهايته المتحدية للملك بتكذيبه، فقد تكون لتمتين الحبكة، ذلك أن النفي سيؤدي ربما لردة فعل معهودة وهي أن "إذاعة الخيانة" قامت بنفي الخبر. ورغم ذلك فإن فكرة الانفصال في التصريح المزعوم نجد ما يقترب منها في الوثائق البريطانية.

فقد كان لدى الملك خشية من فكرة "العصيان" بتأثير من دعاية إذاعات ج.ع.م، "وزاد قلقه"، بعد ما علم أن صوت العرب ستعمل على تمديد برنامج صوت فلسطين المستهدف للفلسطينيين بشكل خاص[1]. وقد عادت إذاعة حلب في ١٩٦٠/١١/١٣ لتعرض لمشروع أردني إسرائيلي، يقضي "بالتضييق" الاقتصادي على اللاجئين بـ "تجريدهم من جنسيتهم وإغلاق أبواب العمل" لدفعهم نحو الهجرة، مقابل اعتراف إسرائيلي "بضم الضفة للأردن"، ولم يكن من رد تقدمه الإذاعة الأردنية سوى القول بأنها أخبار "مسمومة"[2].

وعلى اتصال بما سبق قدم أحمد سعيد جزئية لما رأى أنها "مؤامرة" بين من أسماهم "حكام الأردن وأسيادهم المستعمرين الصهاينة" وتهدف " لإلغاء كلمة فلسطين من الوجود.." وصاحب الاتهام بتهديد أوكل تنفيذه "للشعب العربي"، فحواه العمل للقضاء على مصالح "الاستعمار"وأذنابه"[3]. وأما الخطوة التي أبدى الملك قلقه منها كما رأينا سابقاً والمتعلقة بإذاعة فلسطين فتمت على أرض الواقع.

---

(1) R.J.,Voll.1., Mr. J Henniker Major To Mr. J. Beith, 4,18, November 1960, Consulate General, Jerusalem To Leavent Department, Fo, 24 November 1960, P.781.

(٢) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١١/١٣، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٣) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٥ /١٩٦٠/٣، ج ١١٦-١٣٠.

حينما طور برنامج فلسطين، أو ركن فلسطين في صوت العرب إلى ما سمي بإذاعة فلسطين، مع كثافة في حملاتها ضد النظام، وإذاعته التي وصمتها بـ " إذاعة العم سام والعم جون"، منتقداً أداءها الذي عدته "صورة من صور الخيانة والوقاحة... وبيع الضمير.." [١]، ولكن النقطة الأبرز في مضامين دعاية ج.ع.م وبالتحديد صوت العرب كانت برأيي العودة إلى التاريخ لنقض الأسس التي قام عليها الكيان الأردني، إضافة لوضع الثورة العربية، ودور الأردن في حرب ١٩٤٨ ضمن آليات تحقيق الأهداف الاستعمارية والصهيونية، كما سيتضح لاحقا، مستغلة أوراق ووثائق عبد الله التل في حملاتها الدعائية وهو ما أشير إليه في الفصل الأول من الدراسة.

اختصرت دعاية ج.ع.م الكيان الأردني باعتباره "منطقة اقتطعها الاستعمار من سوريا"، تقوم العلاقة فيها ما بين الراعي والرعية على أساس "العبودية والاستغلال"، فالشعب "مجموعة من العبيد يمدون "السادة" بالمال والثروة[٢].

وأيد عبد الله التل* في ١٩٦٠/١١/٤ فكرة الكيان المصطنع عبر صوت العرب، وأضاف إليها رفض الشعب الأردني للكيان " الذي اخترعه تشرشل" لأنها أدرك منذ البداية أن الهدف من

---

(١) إذاعة صوت العرب، إذاعة فلسطين، برنامج أهازيج وأكاذيب، ١٩٦٠/١١/٨، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بقصر الضيافة بدمشق، ١٩٦٠/١٠/١٧. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، دمشق، ١٩٦٠/١٠/١٧

* عاد من منفاه المصري في ١٩٦٥/٤/٩، إثر صدور عفو في عهد حكومة وصفي التل؛ الدفاع، ١٩٦٥/٤/١٠. وفي فترة لاحقة تغير موقفه من النظام والدعايات المضادة له وهو ما اتضح من خلال البرقية التي أرسلها للملك في ١٩٦٦/٧/١ فيما يتعلق بالحملات الدعائية لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري، ومما ورد فيها: "شرع الأستاذ الشقيري وإذاعته في استغلال جزء من تاريخ قضية فلسطين استغلالاً مضللاً لا طائل منه، ولما كنت طرفاً في ذلك الجزء من التاريخ فأنني أؤكد أن موقف المغفور له الملك عبد الله خلال معركة عام ١٩٤٨، حفظ بيت المقدس وبقية فلسطين بأيدي العرب والمسلمين من الضياع. أما مواقف المغفور له الملك حسين الأول نحو فلسطين، فأن كل من له إلمام بسيط بالتاريخ يعرف أنها كانت سبباً في فقدانه العرش؛ الدفاع، ١٩٦٦/٧/١.

قيامه هو "خدمة الانتداب البريطاني، ولتنفيذ وعد بلفور[1]، وأضافت إذاعة صوت فلسطين في ١٩٦٠/٣/١٤ مهمة أخرى، بأن يكون "سد منيعاً وحامياً للمشروع الصهيوني"، ومن هنا كانت "الثورات" عند تأسيس الأمارة، "كثورة الكورة وثورات الكرك والطفيلة". حيث عمل الانجليز على إخمادها[2]، والغريب أن الإذاعة تحدثت عن الثورة في الكرك والطفيلة، وهو ما لم يدعمه أو يؤكده أي مصدر من المصادر المختصة حسب إطلاعي، ما يعني دخول المعلومة في

وفي ١٩٦٧/١/٢٥ أحتج لدى الرئيس عبد الناصر لاستخدام مذكراته في الدعاية المضادة للنظام الأردني وجاء فيها: "إن أبسط قواعد اللياقة تقضي بأن يستأذن المؤلف قبل اقتباس أجزاء كبيرة من كتابه، ولاسيما حين يكون الهدف التجني على بلد عربي مجاهد. واستغلال مذكراتي للنيل من البيت الهاشمي فيه ظلم صارخ ومغالطة بعد أن تبين أن مواقف المغفور له الملك عبد الله كانت بعيدة النظر وأدت إلى حفظ بيت المقدس، وإذا كان هناك من أخطاء وقعت فإنها لا تساوي قطرة في بحر أخطاء القادة والحكام العرب الذين يمتلكون اليوم القوة الجبارة القادرة على إزالة إسرائيل من الوجود، وكنت أتمنى يا سيادة الرئيس أن لا تنساق أجهزة إعلام القاهرة وراء الأستاذ الشقيري فيتاجر بالماضي لأن المفلسين هم الذين ينبشون الدفاتر القديمة... إن الكيان الأردني بقيادة المليك الشاب الشجاع ضرورة وطنية لا للأردن فحسب وإنما لجميع الأقطار العربية ولقضية فلسطين بالذات.. والبيت الهاشمي يشكل رمزا لوحدة الشعب الأردني يفتدونه بالأرواح، وهذا النظام... يعتبر مصدر خير وسعادة وهدوء وطمأنينة للشعب الأردني.. ولاسيما بعد أن رأوا أنظمة الحكم الأخرى مصدرا للويلات والنكبات والظلم والفقر والشقاء.. أما هذا الإصرار على تدمير الكيان الأردني فأمر عجيب وهو مبني على مخطط رهيب يهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية بفصل الضفة الغربية تمهيدا لتسليمها إلى اليهود. وأصدقك القول يا سيادة الرئيس إن الذين يحدثونك بغير هذا إنما يخدعونك ويورطونك في معارك جانبية لا تؤدي إلا إلى زيادة الفرقة بين الأشقاء. وثق يا سيادة الرئيس بأن الكيان الأردني بقيادة الملك حسين هو القوة الضاربة الأولى التي تدخرها الأمة ليوم الثأر فلا تفرطوا بها ولا تسرفوا في معاداتها.. ناشدتك الله أن تترك مجالا للصلح وتترفع عن الأحقاد ولا تصغي للذين يخططون لتمزيق الأمة. وأن تعود إلى اللقاء وإخوانك القادة.. وأما بالنسبة لي وما يبذل اليوم من جهد للتشويش علي ومنعي من خدمة بلادي ومليكي فأنني لكي أريح واضعي الخطة وأوفر عليهم الجهد، أعلن للملأ كافة بأنني وقد كنت معارضا للكيان الأردني قبل سبعة عشر سنة وبعد تجارب طويلة ودراسة عميقة لأنظمة الحكم الأخرى عازم اليوم على بذل روحي ودمي في سبيل دعم هذا الكيان الأردني الهاشمي الذي يشكل خط الدفاع الأول عن بيت المقدس والذي سيكون بقيادة الحسين منطلقا للتحرير"؛ الدستور ١٩٦٧/١/٢٥. وبهذا فأن العفو أتاح للنظام تحييد استخدام الدعاية المضادة للمعارضين السياسيين في حملاتها الموجهة نحوه، مع تجييرهم دعائياً لصالحه وقد كان عبد الله التل أنموذجا لذلك.

(١) إذاعة صوت العرب، خطاب عبد الله التل بمناسبة ذكرى وعد بلفور، ١٩٦٠/١١/٤، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج صوت فلسطين، ١٩٦٠/٣/١٤، ج ١١٦-١٣٠.

باب الفبركة الدعائية. وإلى جانب الطعن في الأهداف التي أنشئ من أجلها النظام أخذت دعاية ج.ع.م بنقض مشروعية الثورة التي لطالما استند إليها لتبرير دوره ووجوده.

اتجهت صوت العرب في ١٩٦٠/٣/١٤ لتضيفها كأداة استخدمها الاستعمار لدخول المنطقة[١]، أما الرئيس عبد الناصر فكان يرى أن الثورة المصرية هي " الثورة العربية الكبرى" لما تحمله من سمات الاشتراكية والديمقراطية، والتعاون، والمساواة بين أبناء الشعب، "فلا سادة فيها ولا عبيد"[٢]. وكأنه برأيي أراد أن يرسخ لأحقية "ثورة يوليو" بمصطلح الثورة العربية الكبرى، والذي لطالما استخدم أردنياً للدلالة على الثورة التي قادها الهاشميون وأما ما خص به "ثورته العربية الكبرى" من صفات، فيقرأ من الوجه الأخر على أنه انعدام لوجودها في أدبيات ثورة الشريف حسين. وهذه الأفكار التي كانت تُدَوَّر عبر إذاعات ج.ع.م، كانت تؤدي في العادة إلى ردود فعل من قبل الإذاعة الأردنية.

التي لم تجد ما تستخدمه في عملية الدحض سوى وضع ما تروج له صوت العرب بخصوص الثورة العربية في خانة "التزوير.. والفكر السياسي الانتهازي الرخيص.." الذي أخذت به كأداة بعدما "استنزفت كل أساليب التزوير والدجل السياسي..[٣]"، ولكن صوت العرب أكدت بأن ما تعرضه في دعايتها تستند إلى "الوثائق والحقائق"، وهو أسلوب كان على الإذاعة الأردنية اعتماده بدلا من "الشتم والسب"، وفي حالة يمكن اعتبارها من حالات التحدي والثقة بالنفس، طلبت تقديم الحجج والبراهين الداحضة لما تقدمه من معلومات تتعلق بالهاشميين والثورة العربية الكبرى و"العلاقة مع الحركة الصهيونية"[٤].

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج صوت فلسطين، ١٩٦٠/٣/١٤، ج ١١٦-١٣٠.

(٢) عبد الناصر، حماه، ١٩٦٠/١٠/١٧.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٦/١٩، ج ٢٠١-٢٧٧.

(٤) إذاعة صوت العرب، ١٩٦٠/٥/٩، ج ٦٥-١٨٠. وأنظر التعليق السياسي، ١٩٦٠/٦/٣، ج ١٨١-١٩٩.

وحتى عندما حاولت الإذاعة الأردنية أن تدافع عن الشريف حسين متحدثة عن مفاوضاته مع الحلفاء لتحقيق دولة عربية مستقلة مسبوقة بثورة يدعمونها الحلفاء، أعلنت صوت العرب أن ذلك بعد اعترافاً بما دعته "الحقيقة السوداء"، وخضوع الثورة للبريطانيين وقيادتهم وأهدافهم[(١)].

وحينما أرادت سلوك منفذ آخر للدفاع، بالحديث عن تنازل الشريف حسين عن عرشه مقابل عدم "التفريط بفلسطين"، رد أحمد سعيد بأن ذلك لم يحدث إلا بعدما أدرك أن بريطانيا انتهت من "استخدامه كأداة لخدمة مصالحها وإعطائها العروش والحكم لولديه فيصل وعبد الله.."[(٢)]. ونرى هنا أنه أغلق المنافذ التي لربما وجدت فيها الإذاعة الأردنية الحجة والبرهان، لإسناد وجهات نظرها بعدما طالبها بالابتعاد عن "السباب والشتيمة". وأما النقطة التالية في سياق الاعتماد على الحدث التاريخي لتنفيذ حملات ضد النظام الأردني، فكانت تركيز دعاية ج.ع.م على إبراز وجهة نظرها إزاء دوره في حرب ١٩٤٨، المتناقضة مع وجهة النظر الرسمية الأردنية.

رسمت تلك الدعاية دوراً سمته "الخيانة والتآمر" ما تسبب في هزيمة ١٩٤٨ [(٣)]، وهي وجهة النظر التي سبق وبانت في مواقع سابقة من الدراسة، وكانت فكرة ثابتة في إذاعات ج.ع.م.

وقد لاقى دفاع الإذاعة الأردنية عن الملك عبد الله ودورة في تلك الحرب. ووصفه بالشهيد، ردة فعل تحمل ملامح الاحتجاج القوي، مع التأكيد على دوره "الخياني" بالنسبة لها،

(١) إذاعة صوت العرب، ١٩٦٠/٦/١٠، التعليق السياسي، ١٨١-١٩٩.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٨/١٩، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في الاتحاد القومي بدمشق، ١٩٦٠/٣/٤. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، دمشق، ١٩٦٠/٣/٤.

وعلى صلاته ودوره في "خدمة الاستعمار وإسرائيل"، وعلاقاته بالحركة الصهيونية، قبل وبعد وخلال حرب ١٩٤٨م، ما كان عاملاً مؤثراً بإلحاق الأذى بفلسطين وبالقوات العربية[١].

ولمزيد من التركيز على ما تقدم من نقاط ومنحها مساحة دعائية أوسع، فقد قدمت حلقات متسلسلة تتعلق بالترويج لما هو مناهض إن جاز التعبير للهاشميين، وبالتحديد من خلال إذاعة فلسطين في صوت العرب، تحت مسمى "أعداء فلسطين" وبتقديم أحمد سعيد[٢]، كما أضافت برنامجاً أخر في سلسلة برامجها الموجهة إلى الأردن، فكان برنامج "حتى لا ننسى" الذي أختص بسيرة الهاشميين من وجهة نظر دعاية ج.ع.م[٣]. لقد ظلت الدعاية الأردنية شبه عاجزة عن استخدام الأسلوب العلمي القائم على المنطق والحجة البرهان، واستخدام المعلومة والوثيقة والحقيقة التاريخية في الرد على الدعاية المصرية.

ولكن مَؤَلف وصفي التل "فلسطين دور العقل والخلق في معركة التحرير" الذي نشر في النصف الأول من عام ١٩٦٧م، اعتمد أسلوب الحجة والمنطق والدليل، وقد دافع فيه عن دور الأردن في حرب ١٩٤٨م، وبين أسباب الحملات الموجهة ضد الملك عبد الله، برر اتصالاته مع الإسرائيليين، ورد على التهم التي كان يوجهها عبد الناصر، مع تبيان دور القوات العربية الأخرى في الحرب، وبهذا شكل جهداً علمياً للرد على الدعاية المضادة للنظام منذ عام ١٩٤٨م، لا بل إنه كان بذاته حملة دعائية لاسيما وأن الصحافة الأردنية بدأت بنشره على حلقات تزامنت

---

(١) إذاعة دمشق، تعليق منير الريس، ١٩٦٠/٣/١٤، ج ١١٦-١٣٠؛ إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/٧/٢٧م، ج ٢٥٩-٢٤٦.

(٢) إذاعة صوت العرب، إذاعة فلسطين، برنامج أعداء فلسطين، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٨، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٣) صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ، ١٩٦٠/٤/١٠، ج ١٠١-١٤٨، وأنظر أيضاً: ج ١٨١-١٩٩، ٢١٨-٢٣١، ١٦٥-١٨٠.

مع اشتداد الحملات الدعائية المصرية في تلك الفترة، غير أنها توقفت عن ذلك قبل حرب حزيران بقليل[١].

وإذا كانت دعاية ج.ع.م، تكثفت خلال عام ١٩٦٠ للتشكيك بكل ما هو متعلق بالنظام سعياً لتجريده من مصادر الشرعية، فإن الفترة السابقة من عمر الوحدة شهدت ما يعد طعناً بشرعية النسب الهاشمي للنظام. وقد جاء ذكرها في هذا السياق حتى تكتمل دائرة الطعن الدعائي بشرعيات النظام في نسق واحد.

استخدمت هذه النقطة في مرحلة مبكرة من عمر الوحدة، حيث بدت ملامح التشكيك في أيار من عام ١٩٥٨ بنشر مجلة آخر ساعة الأسبوعية مقالا لكاتب يدعى محمد القبعي، ينفي النسب الهاشمي للعائلة الحاكمة في الأردن والعراق آنذاك، وغدا ذلك مادة دعائية في صوت العرب، بالتعليق عليه والترويج له، وهو ما دفع النظام لعقد مؤتمر "لعلماء الدين" في الأردن، وكان من مقرراته "دعوة المسلمين إلى رفض الحملات الدعائية المسيئة الفاسدة، وإدانة السلطات المصرية لسماحها للإذاعات المصرية وصحفها بالإساءة للعائلة الهاشمية، وإحاطة الملوك والأمراء في الدول الإسلامية ودعوتهم للتدخل بقوة لأنها الحملات لما فيه مصلحة وحدة الصف العربي"[٢]. أما هيكل فنفى الصلة ما بين العائلة الهاشمية المالكة، وسلالة الرسول ﷺ في عهدها الأول، مستندا لمنطق ومقياس آخر.

---

[١] انظر أعداد جريدة الدستور لشهر نيسان وأيار ١٩٦٧، حيث أخذت بنشره على حلقات.

[2] R.J. Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 1 May 1958, Fo 371/134017, P71

حيث أكد انعدام أية صلة لهم مع الهاشميين "الأوائل وأحفادهم"، ولم يكن مقصده من جهة النسب، وإنما من حيث الدفاع عن المبدأ والتضحية* بالمصلحة في سبيله، وهو حسب رأيه "ما طبقه السلف وتركه الخلف في سبيل تحقيق مصالحهم ورغباتهم حتى لو أدى ذلك للتعاون مع أعداء الأمة وعلى حسابات مصالحها"(١). وكما أرى فإن دعاية ج.ع.م، وبالتحديد صوت العرب، لم توفر أي منفذ لتسخيره في مضامين حملاتها المناهضة للنظام إلا وقامت باستغلاله.

استثمرت إذاعات ج.ع.م، ووظفت ذلك الإسناد باعتقادي، للتدليل على ارتباط النظام بالسياسة الغربية وعلاقته مع إسرائيل، فبات ذلك الإسناد عبئاً عليه، ومحتوىً مرغوباً من الدعاية المضادة له لتحويله لحملة مضادة نحوه.

فمداخلة إذاعة لندن خلال الحملات الدعائية المناوئة للشريف حسين وأنجاله، ووصفها كـ "أمر مؤسف" لما قدموه "للقومية العربية"، أستغل من أحمد سعيد في برنامج أكاذيب تكشفها حقائق في ١٩٦٠/٨/١٠، مبيناً للقسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، بأنهم "يتوهمون" بذلك إسناد الملك، ولكنهم " يحفرون قبره.. بإثارة كوامن الحقد في نفوس العرب على وريث الغدر والخيانة وعلى أجداده الذين باعوا مستقبل الشعب العربي نظير عروش زائلة.."، كما استشهد بمدح السفير الإسرائيلي بلندن للملك عبد الله وحديثه عن حكمته وتعقله، في سلوك المفاوضات السرية ما أدى للوصول "للمنفعة المتبادلة"، وأضاف إلى ذلك ما نشرته صحيفة جويش

---

* يقارن هيكل في مقاله بين الهاشميين في القرن الأول حينما أستشهد علي والحسين في سبيل مبدأ أمنوا به وهو حقهم بالخلافة، وكان بمقدورهم الاستعانة بالروم ضد الأمويين ولكنهم لم يفعلوا لأنهم "أصحاب رسالة" وصاحب الرسالة "لا يهمه أن يستشهد في سبيل رسالته، بل إنه يعتبر الاستشهاد جزءاً من حقه، بل من واجبه كالرسالة نفسها سواء بسواء.."، في حين أن الهاشميين في القرن الرابع عشر للهجرة استعانوا بكل القوى الغربية "لإسناد عروشهم"مقدمين المصلحة على المبدأ ؛ محمد حسنيين هيكل، العقد النفسية، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/١/١٨.

(١) المرجع نفسه.

أوبزرفر(Jewish Observer) البريطانية في ١٩٦٠/٧/٢٢ عن رسائل الملك فيصل الأول مع زعماء الحركة الصهيونية، وتأكيده بأن "الحركة اليهودية قومية وليس استعمارية" وأن سوريا تتسع للعرب واليهود[١].

وسيجد المُراجع لمجلدات الرصد الإذاعي عشرات الأمثلة على تحول مضامين الدعاية الإيجابية للملك في الدعاية الغربية إلى سلبية في صوت العرب وباقي إذاعات ج.ع.م، أي أن بقاءها على الحياد كان مجدياً أكثر من تدخلها بالنسبة له، ولربما دخل عامل آخر في تفسير مشاركتها على أساس متعمد، ليكون استفزازا لدعاية ج.ع.م، وبالتالي ضمان استمرارية الحملات الدعائية، وتعميق الانقسام بما يتفق والخطة الإستراتيجية الإسرائيلية التي وضعت عام ١٩٥٧ استعداداً لحرب ١٩٦٧، وتضمنت في أهدافها إثارة الانقسام العربي بما يمنع تشكيل جبهة مواجهة موحدة في اللحظة التي تحين فيها الحرب. وعلى كل فقد قام الملك بجهد في مواجهة الدعاية المضادة لكيانه ونظامه وتاريخ أسرته وبأسلوب يعطي انطباعا عن ثقة بالنفس وإصرار على المواجهة.

جاءت ردوده لتؤكد "اعتزازه" بالشريف حسين كقائد للثورة العربية، وكشهيد في "سبيل فلسطين"[٢]، حتى أنه قَرنَهُ مع الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث تشبيهه به كمصدر "للنور" الذي انبعث بتاريخ الأمة، فوفقاً للملك، "ولد النور في تاريخ امتنا مرتين، مرة يوم انطلق صوت العرب خلف محمد مبشراً بالخير والإيمان، ومرة يوم انبعث دوي صوتهم خلف الحسين منادياً بالوحدة والحرية".[٣] مع تصنيف للدعايات الموجهة نحو الملك عبد الله في حرب ١٩٤٨ ضمن

(١) صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، احمد سعيد وحمد عروق، ١٩٦٠/٨/١٠، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٢) خطاب الملك حسين في الضفة الغربية بمقر اللواء العسكري، ١٩٦٠/٣/١٢، ج١، ص ٤٢٨.

(٣) خطاب الملك حسين بمناسبة عيد النهضة العربي، ١٩٦١/١/٢٦شعبان، ١٣٨٠ هـ، ج ١، ص ٥٥٣.

سياق "التهرب من المسؤولية وإلقاء التبعية على الآخرين..[1]"، في حين أن دوره آنــذاك أتــسم بالفاعلية والتأثير[2].

كما بين أن عبد الناصر يسعى عبر ذلك إلى تحقيق مزيد من الشعبية " وابتزاز التـصفيق واستجداء الهتافات" في ظل التحدي و"الخطر" الإسرائيلي[3]، وبدعاية هي "جـزء مـن سياسـة التضليل والتدجيل"[4]، وفي خطابه الذي وجهه للـشعب الأردنـي فـي ١٩٦٠/٦/٢٦، حـول "الحملات الظالمة"، يقدم وصفا آخر لها بأنها "افتراء وكذب على الأموات"[5] و "تزوير" للتاريخ العربي والإسلامي، ينفذه "الديكتاتور المصري جمال عبد الناصر"[6]، ورغم ما تقدم مـن ردود تشير بوجود تأثير نفسي لتلك الدعايات المتواصلة.

إلا أن الملك أكد أن دعايات ج.ع.م "عديمة" التأثير في الرأي العام الأردني سواء القـادم منها عبر "الأثير"، أو على "متون الورق"، لأنها تستهدف "استعباده" وتحويله إلى "قطيـع مـن النعاج[7]". ولم ينس من العودة إلى تكرار المضمون الذي ظل من أكثر الأدوات تأثيراً بمواجهة دعاية عبد الناصر.

---

(١) خطاب الملك حسين بمناسبة مرور عام على افتتاح الإذاعة ١٩٦٠/٣/١، ج١، ص٤٢٥. وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، مرور عام على افتتاح الإذاعة، ١٩٦٠/٣/١.

(٢) خطاب الملك في المؤتمر العربي الإسلامي في المدرسة العمرية بالقدس، ١٩٦٠/١/٢٥، ج١، ص ٤١٠-٤١١.

(٣) خطاب الملك، مرور عام على افتتاح الإذاعة، ١٩٦٠/٣/١، ج١، ص ٤٢٥.

(٤) خطاب الملك حسين في افتتاح الجمعيات التعاونية، ١٩٦٠/٧/٢، ج١، ص ٤٧٤. وسيشار إليه فيما بعـد: خطاب الملك، افتتاح الجمعيات التعاونية ١٩٦٠/٧/٢.

(٥) خطاب الملك حسين إلى الشعب حول الحملات الظالمة، ١٩٦٠/٦/٢٦، ج١، ص ٤٦٨.

(٦) خطاب الملك، افتتاح الجمعيات، ١٩٦٠/٧/٢، ج١، ص ٤٧٤.

(٧) خطاب الملك حسين، منتصف تشرين الثاني ١٩٦٠، ج١، ص ٦٣٦-٦٣٧.

فعاد يذكره بتواجد القوات الدولية على الأراضي المصرية، كحاجز بينه وبين إسرائيل، مع حمايتها للملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة، وهو ما يتناقض مع حديثه عن "الزحف المقدس" وتقاعس الآخرين"[١]. وكان ذلك يشعره بالعجز والتقصير ويترك لديه ألماً نفسياً.

ظهرت هذه الدعاية بوضوح في الحملات المستمرة لصوت العرب بخصوص العلاقات الأردنية الإيرانية خلال عام ١٩٦٠، من حيث التشكيك بأهدافها، واعتبار طهران كحليف لإسرائيل في الجبهة المقابلة لعبد الناصر و"القومية العربية"، واحتج احمد سعيد في ١٩٦٠/٧/٢٨ بالدعاية الإسرائيلية لترسيخ الفكرة، مستعيناً بما أوردته صحيفة الجروزالم بوست (Jerusalem Post) الإسرائيلية، عن عوامل استقرار الشرق الأوسط، واعتمادها على وجود إسرائيل، وصمود الملك حسين لأطماع عبد الناصر، وتأمين الشاه "للجناح الشرقي" للمنطقة. بحماية "استقراره من الانهيار"[٢].

ومما زاد في تدعيم وجهة النظر الدعائية لـ ج.ع.م فيما تقدم، الاعتراف الإيراني بإسرائيل في شهر تموز ١٩٦٠، ما منحها ورقة قوية في حملاتها ضد النظام الأردني، وعلاقاته "المشبوهة بإيران"[٣]، وهي خطوة جعلت صوت العرب تتحدث أيضاً بثقة عن "انسجام وذوبانٍ" بينه وبين الشاه وإسرائيل في المواجهة مع ج.ع.م، وهو ما بث بتاريخ ١٩٦٠/٨/٤ وعبر برنامج "هذا عدوك [٤].

---

(١) خطاب الملك حسين في رجال الجيش والحرس، الجيش والحرس الوطني بنابلس، ١٩٦٠/٣/١٦، ج١، ص٤٣٥.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد وحمد عروق، ١٩٦٠/٧/٢٨. ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج ٢٤٦-٢٥٩. وانظر: إذاعة دمشق، مطالعات الصحف، ١٩٦٠/٧/٢٧، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج هذا عدوك، ١٩٦٠/٨/٤، ج٢٤٦-٢٥٩.

وقد كانت الدعاية الأردنية في وضع اقرب إلى "الإحراج" لـذا حاولـت الـتخلص منـه بحملات مضادة لعبدالناصر، نعتته فيها بأوصاف منها "مجنون، و عميل، وأحمـر، و فـاروق الصغير، ديكتاتور متعطش للدماء"[١]، مع تكرار، الفكرة القائلة بأهمية الاسـتناد إلـى قاعـدة إسلامية لمواجهة إسرائيل، وعدم جدوى مهاجمة الدول الإسـلامية المقيمـة لعلاقـات معهـا، ومحاولة الاعتماد عليها لتعزيز قوة الأمة[٢]. ويمكن القول أن الدعاية الأردنية كانت تقع تحـت عبء ثقيل.

فالعلاقات بين البلدين لم تعد خافية على أحد، وبيان السفارة الإيرانية بعمان كما عرضته إذاعة بيروت في ١٩٦٠/٨/١، أشار ضمناً لوجودها حينما ربط بين استمرار الحملات الدعائية لــ ج.ع.م ضد طهران، وإمكانية دفعها لتبادل الممثلين الدبلوماسيين كردة فعل [٣]، ما زاد فـي ارتباك الدعاية الأردنية.

إذ أنها أعلنت في ١٩٦٠/٤/١٥، وبعد زيارة الملك لطهران بأن "إيران لم تعترف حتـى الآن بإسرائيل.. ولن تعترف بها في المستقبل" وبينت أن "كسب إيران كصديق حمـيم لـلأردن والقضايا العربية إنما هو غزوة من غزوات الحسين.."[٤]، وهو ما سخرت منه صوت العـرب آنذاك مبنية أن البيان النهائي لاجتماعات الطرفين لم يذكر فلسطين بكلمة واحدة"[٥].

---

[١] حمروش، ج٢، مرجع سابق، ص١٠٥١.

[٢] إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٨/٣، ج ٢٤٦-٢٥٩؛ برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٨/٢٠، ج ٢٤٦- ٢٥٩؛ إذاعة القاهرة التعليـق الـسياسي، ١٩٦٠/٨/٣، ج ٤٦-٢٥٩؛ إذاعة دمشق، مطالعات الصحف، ١٩٦٠/٧/٢٧. ج ٢٤٦-٢٥٩.

[٣] إذاعة بيروت، خبر، ١٩٦٠/٨/١، ج ٢٤٦-٢٥٩.

[٤] فلسطين، ١٩٦٠/٤/١٥.

[٥] إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٤/١٩، ج ١٤٩-١٦٠.

وقد اتهمت دعاية ج.ع.م النظام في ١٩٦٠/٧/٢٧ بمحاولة إخفاء ضعف منطقه وحجته الدعائية في الدفاع عن موقفه، بلجوئه للإعلان عن اكتشاف محاولة انقلابية "لإخفاء فضيحته بعد أن اعترف صديقة الحميم الشاه بإسرائيل"[١]. كما رسمت صورة للنظام يبدو فيها في حالة من الاهتزاز أمام الرأي العام؛ "فالملك لا يجرؤ على مغادرة قصره إلا تحت حراسة مشددة، بعد أن عمت النقمة الشارع بسبب صلاته بالشاه عميل إسرائيل"[٢]، وعمدت صوت العرب وعبر برنامج "صوت فلسطين" إلى تذكير الشارع الأردني بدوره في "طرد" كلوب، وإفشال الدخول في حلف بغداد، ممهدة لتحفيزه على الاحتجاج بالحديث أيضاً عن قدرته على التحرك و"الإطاحة" بمن اعتبرتهم "أطراف المؤامرة وإذناب الاستعمار"[٣].

وفي ظل دعاية صوت العرب المكثفة والمستهدفة للعلاقات الأردنية الإيرانية والتي بدأت مع زيارة الملك لطهران في بداية نيسان ١٩٦٠، نشرت الصحف الأردنية على صفحاتها الأولى خبراً يتحدث عن نشر صحف ج.ع.م لأخبار عن هدم قرية ملكا شمال المملكة، وهو ما استدعى اجتماعاً لوجهاء لواء بني كنانة "لاستنكار" الخبر والتأكيد على عدم صحته "واستنكار الحملات الصحفية والإذاعية الصادرة من صحف وإذاعات ج.ع.م وتجديد الولاء والإخلاص للعرش المفدى وجلالة الحسين البطل رائد القومية العربية، وحامي الديار وإرسال برقيات إلى المسئولين في القاهرة ودمشق طالبين فيها الكف عن التدخل بالأردن والإقلاع عن مثل هذه الافتراءات الباطلة"[٤].

---

[١] إذاعة القاهرة، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٧/٢٧.

[٢] إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٧/٢٨. ج ٢٤٦-٢٥٩.

[٣] صوت العرب، برنامج صوت فلسطين، ١٩٦٠/٨/١، ج ٢٤٦-٢٥٩.

[٤] فلسطين، ١٩٦٠/٤/٨.

ولربما كان هذا الخبر يحتمل الصحة، ولكنه يذكر بآلية اعتمـدتها الـسلطات الأردنيـة، لمواجهة دعاية ج.ع.م، عبر تسريب أخبار ملفقة وغير صحيحة إليها، ومن ثـم العمـل علـى تكذيبها والحديث عن بطلانها، بما يؤدي لاهتزاز مصداقيتها. وأمام ما يمكن اعتباره حالة ضعفٍ في حجة الدعاية الأردنية المدافعة عن العلاقات الأردنية الإيرانية في ظل دعاية ج.ع.م،، فـإن الترجيح يميل لصالح الخيار الثاني القائل بفبركة الخبر وتمريره لدعاية ج.ع.م.

ولعل المتابع للدعاية المصرية في السنوات التالية من الستينيات سيجد أن الورقة الإيرانية ظلت تُشْهَرُ بوجه النظام كدليل على وجود تحالفات، تجمعه مع الشاه إسرائيل[١]، وكمـا كانـت دعاية ج.ع.م ترصد علاقات الملك بإيران لاستخدامها كعنصر ضغط في الدعاية المناوئة لـه، فقد رصدت تحركاته على الساحة الإفريقية.

جاءت جولة الملك في نيجيريا والكونغو البلجيكي، وإثيوبيا والمغرب خلال نيسان وأيـار ١٩٦٠ كمثال على ذلك، ورغم اعتراف الدعاية الأردنية بالطابع "الدعائي" للتحرك، والمتزامن مع حملات ج.ع.م [٢]، إلا أنها ربطته بـ "إبراز الشخصية الأردنية وشرح القضايا العربية"[٣].

ولكن أداء الدعاية الأردنية المرصود من صوت العرب في ١٩٦٠/٥/١٥ صـبغ نـشاط الملك وبطريقة غير مباشرة بسمة تقترب من المناوئة لعبد الناصر، فوجهة نظرهـا عرضـت "لنفور" الأفارقة من نظامه، "لموقفه السلبي من كفاح إفريقيا.."[٤] وبالمقابل، يستقبلون الملك على أنه "الوجه العربي الوحيد الذي يحمل ملامح القومية العربية[٥]". ولكن أحمد سعيد سخِر من هذا

---

(١) العجلوني، مرجع سابق، ص ١١٢، ٢١١-٢١٥، ٢٣١-٢٣٢.

(٢) فلسطين، ١٩٦٠/٤/٣.

(٣) فلسطين، ١٩٦٠/٤/١٧.

(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٥/١٥، ج ١٦٥-١٨٠.

(٥) إذاعة صوت العرب، تعليق، ١٩٦٠/٥/١٤، ج ١٦٥-١٨٠.

التعبير، زاعماً أن الملك "سخّر" تلك الملامح في "خدمة الاستعمار والصهيونية"، ورد بأن الوقائع تثبت تطلع الشعوب الإفريقية "المتحررة" نحو ج.ع.م، حيث أن مواقف قـادتهم المـساندة لهـا بمواجهة الصهيونية تؤكد ذلك[١]. مع تقديم أنموذج من البلدان التي زارها الملـك ليـدلل علـى تناقض التوجهات، والتشكيك بأهداف الجولة.

فقد سلط الضوء على زيارة الملك للكونغو ولقائه بتشومبي (Chumbi)* الموصوف مـن صوت العرب "بالعميل للاستعمار البلجيكي"، والمدعوم إسرائيليا، ويقوم وفقـاً لرؤيتهـا بـدور "مماثل" لدور الملك حسين وبهجت التلهوني، وبالتالي فليس مستغربا أن يكونا من أصدقائه، في حين يقف عبد الناصـر موقفـاً مـؤازراً "للـزعيم الـوطني بـاتريس لومومبـا (Patrice Lumumba)**، وهو ما "لم يرق لإذاعة عمان وفقاً لرأيه[٢]".

حيث أكد أحمد سعيد انسجامها مع حملات "أجهزة الدعاية الاستعمارية الصهيونية" لفصل "كفاح" الإفريقيين عن سائر الشعوب "المقاومة والمكافحة" للاستعمار، المؤيدة مطلبهم بالاستقلال والتحرر والمساواة، ولإبراز الدور الفاعل لعبد الناصر في إفريقيا، وهو ما ظهر فيمـا نـشرته صحيفة كرونيكل البريطانية في ١٩٦٠/٥/٦، حينما انتقدت "قصور" الدعاية البريطانيـة عـن

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٥/١٥، ج ١٦٥-١٨٠.

* مويبس تشومي ١٩١٩-١٩٦٩: مثل التيار الانفصالي الموالي للاستثمارات البلجيكية والغربيـة، والـداعي لفصل إقليم كاتنغا، نظراً لما يحويه من ثروات ضخمة، ولكنه لم ينجح في النهاية بتحقيق هدفه، وقد كان له دور أساسي بقتل باتريس لومومبا عام ١٩٦١، الكيالي، ج١، مرجع سابق، ص ٧٤٧.

** باتريس لومومبا ١٩٢٥-١٩٦١: "زعيم سياسي من الكونغو (زائير حالياً) جسد النزعة القومية الكونغوليـة في تطلعاتها الوحدوية وأهدافها التحررية.."، وقد دخل في مواجهة قوية مع تشومبي – الذي كان يعد رجل أمريكا الأول_ في مقاومته لأفكاره الانفصالية. اعتبر اغتياله في العام ١٩٦١ "ضربة قاسية موجهة ضـد استقلال الكونغو والحركة المناهضة للاستعمار ليس في إفريقيا فحسب، وإنما أيضاً للتيار التحـرري فـي "العالم الثالث"، غير أنه ظل رمزاً للوطنية والتحرر، ولمناهضة الاستعمار في العالم؛ الكيالي، ج٥، مرجـع سابق، ص ٥٢١-٥٢٢.

(٢) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٦/١٤، ج ٢٨٩-٣٠٢.

التطرق للدعاية "المعادية" لليهود والصهيونية في إفريقيا، وكذلك فعلت صحيفة سكوتس مان في ١٩٦٠/٥/٨، عندما أبرزت دور راديو القاهرة الموجه إلى الأفارقة " لإثارتهم" ضد الاستعمار الغربي[١]، ولطالما أشارت صوت العرب إلى "العجز الدعائي" الصهيوني والغربي أمام الدور "المؤثر والفاعل" لها في إفريقيا، وهو ما دفع إسرائيل للتفكير بتوجيه بث إذاعي إلى القارة عام ١٩٥٩[٢].

وانطلاقاً مما تقدم فإن جولة الملك الأفريقية عدت "كحملة دعائية" كلف بها "كمندوب خاضع للسياسات البريطانية، لتشويه صورة العرب وخدمة أغراض الاستعمار والصهيونية[٣]"، في البلدان حديثة الاستقلال، خاصة بعد التراجع الذي أصابه في أفريقيا بشكل عام[٤]، وللتدليل على صحة هذا الزعم، بينت صوت العرب أن الملك ركز فيها على "توجيه حملات السباب" ضد عبد الناصر، وهو ما لاقى صدىً في الإذاعة الإسرائيلية بحديثها عن "الملك الشجاع الذي فضح نوايا القاهرة التوسعية في أفريقيا[٥]". غير أن الدعاية الأردنية عدت الجولة كخدمة للقضايا العربية، لا بل أن الملك أنجز مهمة "فتح القارة" لتلك القضايا، بعد أن قام "بمهمة الداعية الأول بها[٦]".

اتجهت ج.ع.م لرفد دعايتها بآلية إضافية بإطلاق إذاعة القاهرة برنامج " "ألف ليلة وليلة" في ١٩٦٠/٧/٣٠، معتمداً أسلوب التمثيل الساخر المتقمص لأسماء شخصيات النظام ورموزه، بدءاً بالملك وصولاً إلى من هم في الدائرة المؤثرة المحيطة به، في سياق يسعى لإبراز ما قيل

---

(١) إذاعة صوت العرب، أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٥/١٥، ج ١٥٦-١٨٠.

(٢) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٥٩، ج ٣٥-٥٢.

(٣) إذاعة القاهرة، الصحافة تقول، ١٩٦٠/٨/١٠، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٤) إذاعة القاهرة، برنامج نحن والعالم، ١٩٦٠/٧/٢، ج ٢١٨-٢٣١.

(٥) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٥/٢٦، ج ١٨١-١٩٩.

(٦) فلسطين، ١٩٦٠/٥/١٧.

أنه "فساد أركانه"[١]، وبينما كانت السخرية هنا وفقاً لأدوارٍ متخيلة لرجالات الحكم، فإننا نجـــدها تخرج بطريقة أخرى من صوت العرب والصحف الدمشقية.

إذا عمدت صوت العرب إلى اقتباسات من صحيفة المساء الدمشقي، لتتحدث من خلالهـــا عن "الاستقرار السياسي في الأردن"، وباستدلالات ذات مغزىً ساخر، فالملك قام " بإقالة خمسة عشر وزارة خلال ستة أعوام ١٩٥٤–١٩٦٠، عدا عن قيام بعض رؤساء الـــوزارات بتـــولي رئاسة الوزراء عدة مرات، ودليل الاستقرار أن جلالته عين خمسة وسبعين وزيراً خلال مـــدة الخمسة عشرة وزارة المذكورة، ما عدا الوزراء الذين أصـــبحوا كحجـــر الـــشطرنج، ودليـــل الاستقرار أن جلالته لجأ إلى تغيير رئيس أركان الجيش ست مرات، حين عين ستة من الضباط الموثوقين كرؤساء لأركان الجيش خلال أربع سنوات*، ودليل الاستقرار الخامس أنـــه خـــلال الست سنوات الأخير قام في الأردن أربع مجالس نيابية بالتزوير والضغط، وقضي علـــى كـــل معارضة داخل هذه المجالس.."[٢]. وما يجدر ذكره هنا أن التطرق إلى الكيفية التي تـــدار بهـــا الحياة السياسية وما رافقها من ملاحظات، لم تقتصر على دعاية ج.ع.م.

فقد تناولتها الإذاعة الإسرائيلية في برنامج "أخي في الـــبلاد العربيـــة"، ولكـــن بأســـلوب الهجوم، فرداً على برنامج "إعرف عدوك" الذي كان يقدمه سمير مطاوع وعائشة التيجاني فـــي الإذاعة الأردنية، والذي وصف معاناة العرب تحـــت الحكـــم الإســـرائيلي، اتجهـــت الإذاعـــة

---

(١) إذاعة القاهرة، برنامج ألف ليلة وليلة، ١٩٦٠/٧/٣٠، ج ٢٤٦–٢٥٩.

* من الجدير ذكره أن الذين تولوا قيادة الجيش بعد تعريبه عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٦٠ هم: اللواء راضـــي حسن عناب من آذار ١٩٥٦، اللواء علي أبو نوار من أيار ١٩٥٦– نيسان ١٩٥٧، الفريق علي الحيـــاري نيسان ١٩٥٧، الفريق حابس المجالي ١٩٥٧–١٩٦٧؛ سيد علي العـــدروس: الجـــيش العربـــي الهاشـــمي ١٩٠٨–١٩٧٩، ترجمة عبد العزيز المعايطة (عمان: دن، ١٩٨٣) ص ٤٥٢.

(٢) إذاعة صوت العرب، أمة العرب تقول، ١٩٦٠/٣/٢٤، ج ١١٦–١٣٠.

الإسرائيلية* لتصنيف ما قدم على أنه "تلفيق للأكاذيب وخداع وتهويش" تفوقت فيه الإذاعة الأردنية على نظيراتها العربية، مع التأكيد على أن العرب في إسرائيل: لا "جوع ولا فقر ولا مرض "كما هو الحال في الأردن، كما أنهم يحيون في ظل ديمقراطية حقيقة يعرفها العالم وليس كديمقراطية الأردن التي يتصرف فيها الملك مع البرلمان كدكان يغلقه متى ما شاء.. إن النظام في إسرائيل لا يقوم على الرشوة والقبلية والعائلية.. إننا نحمد الله أن ليس لدينا ضابط يفعل ما يريد، ولا موظف يرتكب ما يحلو له ولا وزير يبيع ويشتري مصالح البلاد كما هو الحال عندكم[1]"، وبهذا فإن النظام كان يقع أحياناً تحت ما يمكن وصفه بدائرة جغرافية دعائية مضادة مكتملة، ولكن حملات الإذاعة الإسرائيلية كانت موسمية، وترتبط بالرد على الإذاعة الأردنية في كل ما ترى انه يمس إسرائيل، أو يؤدي للتحريض ضدها رغم ما كان يروح عن صداقتها وتحالفها مع النظام من دعاية ج.ع.م، والتي اتجهت لاستخدام التعابير الموحية بقرب زواله، وأركانه بأسلوب أقرب إلى التهديد.

فقد تحدث أحمد سعيد في ١٩٦٠/٦/١١ عن اقتراب ما أسماه بـ "العاصفة" في ظل حالة نفسية للملك، زعم بتدني روحها المعنوية، ومعاناتها من "التوتر العصبي"، نتيجة لعدم استقرار الأوضاع الداخلية، وتدني مستوى شعبيته[2]، ثم عاد في برنامج "حتى لا ننسى" في

---

* من الطريف أن الإذاعة الإسرائيلية كانت تراقب أدق التفاصيل في الحملات الدعائية بين الأردن و ج.ع.م، فنجدها تتحدث في ١٩٦٠/٨/٢٠ عما نشرته جريدة الحياة البيروتية حول حملات "الشتم والسب" المتبادلة بين إذاعة عمان وصوت العرب، والتي تلتها أغاني تدعو لنبذ الفرقه والخلاف وتدعو للوحدة، حيث قامت صوت العرب يوم ١٩٦٠/٨/١٩ ببث أغنية محمد عبد الوهاب أخي أيها العربي بعد حملة موجهة نحو الأردن، فيما قامت إذاعة عمان ببث أغنية محمد عبد الوهاب "إلام الخلاف.. إلاما". الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٨/٢٠، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أخي في البلاد العربية، ١٩٦٠/٥/٢١، ج ١٨١-١٩٩.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٦/١١، ج ٢٠١-٢٧٧.

١٩٦٠/٧/٢٣ لتأكيد حتمية زوال النظام؛ "فليس هناك خلاف على أن نهاية حسين قادمة"[١].

وأما إذاعة حلب فحددت في ١٩٦٠/٧/٢٨ أسلوب النهاية بالطريقة التـــي انتهـــى إليهـــا "جده"[٢]، داعية إلى مزيد من الحزم في التعامل معه والابتعاد عن "أسلوب الملاطفة"، عبر فعل ملموس: "فلا أقل ونحن نرى وجوده يتفاقم ونرى إجرامه يتخطى إلى تهديد سلامة أرض العرب وشعبنا العربي في الأردن.. لا أقل أن نمسك العصا ونصفعه على قفاه عله يثوب إلى رشده"[٣]. واشتركت الصحافة المصرية في الحملة، وهذه المرة متذرعة بعلاقاته الوثيقة ببريطانيا، فنصحته بعدم "الحج" إلى لندن، لأن مصير من قاموا بذلك انتهى على "أيدي شعوبهم"[٤].

وقد استخدمت صوت العرب الأغاني أحياناً لتحريض الشعب الأردني "الجبار" على الثورة ضد الملك مع الوعد بالتأييد والمساندة[٥]. وحتى عندما أعلن الملك "أنه لا يخشى الموت، عادت صوت العرب في ١٩٦٠/٧/٣٠ لتؤكد على أن الموت "مصير كل عميل وذنب ونهاية كل خائن ومنحرف..." [٦].

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٢٣، ج ٢٣٢-٢٤٥.

(٢) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/٧/٢٨، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٣) إذاعة حلب، ١٩٦٠/٧/١٤، ج٢٣٥-٢٤٥.

(٤) إذاعة لندن، خبر، ١٩٦٠/٦/٢٧، ٢٠١-٢٧٧.

(٥) إذاعة صوت العرب، وصلة غنائية، ١٩٦٠/١/١، ج٥٣-٦٩. وأما كلمات الأغنية:

"وخـــذ ويـــاك تحيـــة جـــار   لـــــــشعب الأردن الجبـــــــار
وقول لـــه يـــا اللـــي أخـــذت الثـــأر   بثـــــوره نــــــورت عمـــــان
في كـــل مكـــان فـــي كـــل ميـــدان   حتلقانـــــا عـــــرب شـــــجعان"

(٦) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٧/٣٠، ج ٢٤٦-٢٥٩.

أما الإذاعة الأردنية فكانت تروج لطبيعية الأمور واستقرارها، و تتحدث عن "التفاؤل" الآخذ بالتزايد "بفضل قيادة الحسين"[١]، ولكن صحيفة الجهاد تحدثت بنبرة تشي بالتحدي وعدم الاكتراث لدعاية ج.ع.م الموجهة للملك " فالتشهير والتجريح"، مؤداه زيادة في وحدة الصف و"تماسك" الأردنيين و"التفافهم حول العرش"[٢].

ولجأت الإذاعة إلى تكرار ما يشبه الاتهام، الموجه للقيادة المصرية، والقائل بأن "الفتور والشك"، بات سائداً لدى الرأي العام العربي إزاء ما يرتفع من شعارات قومية ووحدوية، "لارتباطها بحكام القاهرة"[٣].

عدت دعاية ج.ع.م حكومة هزاع "كوجه" آخر للاستعمار في المنطقة العربية، بالإضافة "للوجه الصهيوني"[٤]، فهو بالنسبة لها "صاحب تاريخ أسود طويل في خدمة الاستعمار البريطاني وصديق الصهاينة.. وقاتل العشرات من أحرار الشعب الأردني والفلسطيني.[٥]".

وللتدليل على صحة وجهة نظر صوت العرب، استند أحمد سعيد إلى مقتبسات من صحيفة هآرتس الإسرائيلية الصادرة في ١٩٦٠/٥/٥، حيث وصفت هزاع بأنه "غربي النزعة، قوّى مركز الغرب في الأردن، حتى انه يوجد في الأردن ١٣٧ ضابطاً بريطانيا في حين أنه في آخر عهد كلوب لو يكن سوى ٨٥ ضابطاً.."، ولكل ذلك لا بد من أن "يحذر" مما أسماه سعيد بـ "غضبة الشعب"[٦].

---

[١] إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق ١٩٦٠/٧/١٠، ج ٢١٨-٢٣١.

[٢] الإذاعة الإسرائيلية، التعليق السياسي، ١٩٦٠/١/٢٥، ج ١٣١-١٤٨.

[٣] إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٥/٣٠، ج ١٨١-١٩٩؛ ١٩٦٠/٦/٣٠، ج٢٨٨-٢٣١، ؛١٩٦٠/٣/٢٣، ج ١١٦-١٣٠.

[٤] إذاعة صوت العرب، برنامج صوت فلسطين، ١٩٦٠/٤/١٣، ج ١٤٩-١٦٠.

[٥] إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٣/١١، ج ١١٦-١٣٠.

[٦] إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٦/١٥، ج ٢٠١-٢٧٧.

وفي هذه النقطة التقى مع إذاعة دمشق التي أصرت في ١٩٦٠/٣/١١ علـــى أن مــصير هزاع "اليوم لن يكون غير مصير الأمس.. حينما قذف به الشعب الأردني إلى الشارع[١]"، ولكن باعتقادي فإن المضامين الأكثر حساسية وخطورة استناداً لطبيعتها، تلك التي انطلقت في ســياق يقترب من إصدار التهم من قبل إذاعات وصحف ج.ع.م بحق رموز النظـــام فـــي المجـــالات السياسية والاقتصادية والأخلاقية، وصولاً إلى اتهامهم بالتعذيب والقتل، وذلك كلـــه دون ذكـــر للأدلة أو الشهود والأسانيد، ما قد يدخلها في الفبركة والتلفيق الدعائي، أو ضمن تشويه صـــورة الخصم حسبما كانت تنطق تلك الاتهامات غير المعززة.

تعددت الأمثلة والنماذج التي قدمتها دعاية ج.ع.م للممارسات المزعومة لرموز النظـــام، فعرضت صوت العرب في برنامج "حتى لا ننسى" بتاريخ ١٩٦٠/٨/١٧ لمعلومات عن متاجرة ناصر بن جميل خال الملك بالعملة المزورة، واكتشاف كميات "كبيرة" منها في مدينة بيت لحـــم بالضفة الغربية[٢]، وزعمت أن هزاع تقاضى مبلغ ألف دينار عن كل جاسوس يفرج عنه، فيما تقاضى ناصر بن جميل خمسة آلاف دينار، ما أثار احتجاج المجالي الذي ضغط عليـــه الملـــك للموافقة، وتذكر صوت العرب أسماء الجواسيس وهم "وليد صلاح، وصادق الـــشنطي المـــتهم بإدارة شبكة لحساب الصهاينة..."[٣].

وصلت مزاعم دعاية ج.ع.م إلى إظهار الملك غارقاً في شهواته وملذاته، لدرجة "اختطاف الفتيات"، بمعرفة وإطلاع هزاع[٤]، وبلغ الأمر بها إدعاء قتل الملك لأحد جنود حراســـته الـــذي حاول أن يحول بينه وبين "الاعتداء" على إحدى المربيات في القصر في حزيران ١٩٥٨م، وقد

---

(١) إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٣/١١، ج١١٦-١٣٠.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٧، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/٧م، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٤) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/٨/٨م، ج٢٤٦-٢٥٩.

حثت عشيرة الحديد التي ينتسب إليها القتيل على "الثأر" والثورة ضد الملـك الـذي كـان قـد استرضاهم[١].

وسيق لصحيفة الجمهورية المصرية في ١٩٥٩/١٢/١١م نشر أخبار عن "رقص" الملـك مع ممثلة تدعى بربارا فالنتين (Barbar Valintine) في أحد "الملاهي الليلية" بباريس، غير أن الإذاعة الإسرائيلية أكدت عبر برنامج "أضواء و ظلال " في ١٩٦٠/٣/٢٨م تواجد الملك بعمان في الوقت المعين من الصحيفة[٢]، ولدى مراجعة أعداد الصحف تبين انه كان يقوم بزيارة إلـى بريطانيا استمرت ما بين ١١/٢٩/ إلى ١٩٥٩/١٢/٢٨م[٣]، ولم يكن موجوداً في باريس. أمـا المضامين المرتبطة بأساليب التعامل مع المعتقلين داخل السجون والمعتقلات فأخـذت مـساحة أوسع وتركيزاً أكبر من الدعاية المضادة للنظام.

أبرزت دعاية ج.ع.م أساليب التعذيب المتبعة في التعامل مع المعتقلين السياسيين فتحدثت إذاعة دمشق في ١٩٦٠/٨/١٥ عن: " الضرب المبرح، واقتلاع الأظافر والعيون"[٤]، وأضـافت إليها وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية، "اقتلاع الأسنان والكي والنفخ.."[٥].

ولكن أحمد سعيد تفرد في برنامج "حتى لا ننسى " بذكر العدد الأكبـر مـن الأصـناف المعتمدة داخل المعتقلات، ومنها "اغتصاب" المعتقلين وتحدث عنه في ١٩٦٠/٨/١[٦]، "وتجريد" الفتيات من الملابس أمام أهاليهن كما حصل مع بعض المعتقلات[٧]، واستخدام "المقعد الكهربائي

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٥ ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أضواء وضلال، ١٩٦٠/٣/٢٨م، ج ١٠١-١٤٨.

(٣) انظر أعداد الصحف في الفترة المعينة، ومثال ذلك فلسطين والدفاع.

(٤) إذاعة دمشق، برنامج كلمة اليوم، منير الريس، ١٩٦٠/٨/١٥، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٥) وكالة أنباء الشرق الأوسط، ١٩٦٠/٦/٢٨، ج ٢١٨-٢٣١.

(٦) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٧) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٣، ج ٢٦٠-٢٧٤.

والمقعد الحديدي الساخن"[١] و"الحقن بالشطة"[٢] والتعليق من الأقدام بوضعية يكون بهـا الـرأس داخل مراحيض قذرة..." [٣] مع " إحراق بالبنزين.. ثم فتح ما اندمل من جروح بالعـصا..."[٤] وعرض لتعذيب بعض المعتقلين إلى "درجة الجنون" ومن ثم تم إرسالهم إلى مستشفى الأمراض العقلية بالدهيشة"[٥] بالضفة الغربية.

وادعت إذاعة دمشق، استيراد خبراء إنجليز وأميركيين في مجالات "التعذيب"[٦]، وزعم أحمد سعيد قيام الملك حسين وحابس المجالي بالإشراف على "تعـذيب المعتقلـين الـسياسيين، عارضاً حاله "الطبيب الرئيس هايل الخصاونة"، الذي قبض عليـه فـي ١٩٥٨/٦/٩ نموذجـاً لذلك[٧]، ووصل الأمر إلى اتهامه لخال الملك ناصر بن جميـل بممارسـة عمليـات التعـذيب مباشرة[٨]، خاصة تلك التي كانت تتم فيما أسماه "بمعتقل القصر الملكي*"[٩].

وأضافت صوت العرب إلى دور حابس المجالي السابق عمله علـى "إقـصاء" الـضباط المنافسين والزج بهم في سجن زيزياء، كما حدث مع "الزعيم أديب القاسم الـذي سـحبت منـه

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٦، ٢٦٠-٢٧٤.
(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٣، ج ٢٦٠-٢٧٤.
(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٥، ج ٢٦٠-٢٧٤.
(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٢٩، ج ٢٤٦-٢٥٩.
(٥) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١، ج ٢٤٦-٢٥٩.
(٦) إذاعة دمشق، برنامج كلمة اليوم، منير الريس، ١٩٦٠/١/١٥، ج ٢٦٠-٢٧٤.
(٧) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١١، ج ٢٦٠-٢٧٤.
(٨) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٣، ج ٢٦٠-٢٧٤.
* تحدث بهجت أبو غربية في مذكراته عن وجود هذا المعتقل الذي نقل إليه خلال اعتقاله عام ١٩٦٠؛ أبـو غربية، مرجع سابق، ص ٢٤٥.
(٩) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٢٩، ج ٢٤٦-٢٥٩.

اعترافات تدين صادق الشرع* الذي تم اعتقاله وتعذيبه ليخلو له الجو.. وليكون على رأس البلاد اثنان من الأقارب، هزاع وحابس.."، وهو ما يلتقي مع زعم آخـر يقـول بتـشجيعهما لأبنـاء عشيرتهم بالاستقرار في عمان، لتكوين ثقل يستطيعان من خلاله بناء شبكة تمتد في المؤسسات المدنية والعسكرية، لتدعيم وتوثيق سيطرتهم ووجودهم في مفاصل الدولة[١].

وفي خضم المعلومات التي قدمتها عن تعامل النظام مع المعتقلين السياسيين، أو من هـم في المعارضة، تحدثت صوت العرب نهاية تموز ١٩٦٠ عن إسقاط طائرات بعض الطيـارين كما جرى مع الملازم مروان جميل زكريا، والطيار علي شقم نتيجـة لأفكارهمـا "العروبيـة المعارضة النظام"[٢]، وفي ١٩٦٠/٨/١٦ أعلنت عن إعادة الطيار زياد العناني من دورة تدريبية في بريطانيا "لأفكاره القومية"، "وزج" به في سجن الزرقاء "وعذب حتى فقد بصرة"[٣].

وقد كان أحمد سعيد ينهي حلقات برنامج حتى لا ننسى بعبارات مـن التهديـد والوعيـد موجهة للملك، وهزاع، وحابس، والشريف ناصر بن جميل، مذكرا إياهم "بمصير زملائهم فـي العراق"، وكان ينادي "خبرنا يا حسين وأنت يا ناصر، وأنت يا هزاع، وأنت يا حابس، خبرونـا ماذا تظنون نتيجة تقتيلكم للشعب غير الثورة"[٤].

أما إذاعة دمشق فكان لها حكمٌ أخر في ١٩٦٠/٨/٢ إذ وصفتهم بأنهم "عصابة لا ينقصها شيء من مقومات العصابة، السرقة، تهريب الحشيش، الاستغلال في أبشع صوره، الاحتيـال،

---

* حكم عليه بالإعدام، وتم تخفيضه إلى السجن المؤبد وأفرج عنه عام ١٩٧١، وعين وزيراً للخارجيـة عـام ١٩٧٣؛ Sayed Ali EL-Edroosi (London: Lund Humphries, 1980) P.321.

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/١٤، ج ٢٦٠-٢٤٧.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٣٠، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٢٧، ٢٤٦-٢٥٩.

(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٧/٢٩، ج ٢٢٦-٢٥٩.

الجاسوسية، الخيانة، القتل.."[١]. وأمام تلك الدعاية كان لا بد من خطوات للمواجهة من قبل النظام.

استناداً إلى ما تقدم من مضامين دعائية تهدف إلى الفصل النفسي ما بين النظام والرأي العام الأردني، جاءت ردة الفعل المواجهة قائمة على التواصل الملكي المباشر مع الشارع. وهي فكرة سبق وأن طرحها هزاع المجالي في آب ١٩٥٩، وتعتمد على قيام الملك بحملة لتعزيز الشعبية والولاء في مناطق المملكة المختلفة[٢]، وهو ما أخذ به أيضاً في عام ١٩٦٠.

فقام بجولات في الضفة الغربية للرد على الحملات الدعائية لـ ج.ع.م واضعاً إياها في سياق "الزور والبهتان" مبيناً أن فكرة الحكم لديه تضع الحاكم "كخادم للشعب" فهي بعيدة ممارسات "التسلط والاستغلال..[٣]"، وكأنه يرد على ما كانت تروج له دعايات ج.ع.م فيما تقدم حينما انتهت إلى وصف نظامه بالعصابة.

وترافقت الجولات الملكية مع عملية حشد عبر البرقيات المرسلة من رؤساء البلديات والمخاتير، "مستنكرة" الحملات الدعائية المستهدفة "الأردن والملك"[٤].

ولكن دعاية ج.ع.م. كانت ترصد ما يجري، فإذاعة حلب وسمت أداء الإذاعة الأردنية في تغطية جولات الملك "بالأكاذيب والدعاية الفارغة والجوفاء.." مستندة على مبالغتها بأعداد المستقبلين للملك في المواقع التي زارها في منطقة الجنوب، والتي وصل المتوسط الحسابي لمجموعها ما يعادل عدد سكان الأردن بضفتيه، مؤكدة أن ذلك لا تفسير له سو أن "عملية نقل

---

(١) إذاعة دمشق، برنامج مجلة الجندي، ١٩٦٠/٨/٢، ج ٢٤٦-٢٥٩.

(2) R.J.Vol.2, British consulate- General Jeruyalem To Fo, 22 August and 28 August 1959, P. 550.

(٣) خطاب الملك حسين في مدينة طولكرم، ١٩٦٠/٧/١٠، ج١، ص٤٨١.

(٤) فلسطين ١٩٦٠/٣/١٩.

كبيرة للشعب تمت خلال يوم وليلة.."[1]. وبالنسبة لصوت العرب، فقد أكد أحمد سعيد أن أسلوب "الطواف والحشد" لن يجدي نفعاً ولن يسعفه بأن "ينقذ عرشه ويخدع الشعب.." لاسيما وأن "الوقائع تثبت بعد الهوة بين الملك وشعبه.."[2]. لقد استمرت الحملات على وتيرة أقرب إلى التصاعد، ولم يكن هناك جهدٌ عربيٌ يسعى لوقفها سوى محاولة لم تلق النجاح.

اتجه لبنان لبذل مساعيه لتصفية الأجواء بين الأردن و ج.ع.م، عبر اجتماعات شتورا لوزراء الخارجية العرب في ١٩٦٠/٨/١٣، وتجاوب الملك، فأمر بوقف الحملات الدعائية في ١٩٦٠/٨/٢٣[3]، في حين أن إذاعات ج.ع.م استمرت بحملاتها، فأبلغت الحكومة الأردنية المؤتمر في ١٩٦٠/٨/٢٤ "دهشتها" لذلك الموقف[4]، ولكن قرار الجامعة بوقف الحملات الدعائية صدر في ١٩٦٠/٨/٢٥[5].

وقد انسجم موقف الأردن مع الإجماع العربي المتعلق بإبراز الكيان الفلسطيني، وإنشاء جيش فلسطيني أيضاً، واختتم المؤتمر أعماله في ١٩٦٠/٨/٢٨[6]، وعلى ما يبدو فإن ذلك الانسجام جاء سعياً للخلاص من العبء النفسي، الذي شكله استمرار الدعاية المضادة للنظام الذي عارض فكرة الكيان بقوة، غير أن حادث اغتيال هزاع المجالي في اليوم التالي جاء ليفرض نفسه على واقع الأحداث وليترك قرار وقف الحملات دونما مفعول.

ظهرت فكرتان لدى الملك بعد اغتيال هزاع، تحكمتا بسلوك الدعاية الأردنية ما أدى لتجدد الحملات.

---

(١) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/٨/١٧، ج ٢٦٠-٢٧٤.

(٢) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ج ٢٦٠-٢٤٧.

(٣) فلسطين، ١٩٦٠/٨/٢٤.

(٤) الدفاع، ١٩٦٠/٨/٢٥.

(٥) فلسطين، ١٩٦٠/٨/٢٦.

(٦) الدفاع، ١٩٦٠/٨/٢٩.

الفكرة الأولى وهي تصميم الملك على "الثأر" مما اعتبره "إهانة وجريمة"(١)، والفكرة الثانية التحدي، من خلال تأكيد قدرته على "قهر المحن واجتياز العقبات"(٢)، وأن اغتيال هزاع سيزيده إصراراً وثباتاً على سياسته التي يؤمن بها، وهو الموقف الذي عده أحمد سعيد بمثابة مصدر "الفرح والبهجة لدى إسرائيل"(٣)، ولم يكن التحدث والثأر مقتصراً على الملك وحده.

فوصفي التل وبعد عودته من جنازة هزاع اخذ بفكرة "الرد على الأشرار" وعدم "إظهار التخاذل"(٤)، رافعا شعار "إذا مات منا سيد قام سيد" مؤكداً على "الصلابة والثبات على الموقف، وبالطبع فسيلقي حتفه بعملية اغتيال مماثلة، وعقب حملة دعائية استهدفته عام ١٩٧٠(٥). وقد دفعته تلك الأفكار التي سار عليها في الإذاعة بعد اغتيال هزاع إلى تكثيف حملاته الدعائية ضد ج.ع.م.

حتى أن إذاعة حلب وصفتها في ٣٠ /١٩٦٠/٩ بـ "... الهستيرية والنباح المسعور والعواء المحموم" وأنه لا فرق بينها وبين المحطات "السرية الاستعمارية". لا بل إنها أشد وقاحة من تلك"(٦)، وحسب أحمد سعيد فإن التل لم يكتف بذلك، ولكنه اعتمد أيضاً كتابة المنشورات المناهضة لعبد الناصر وتوزيعها، وبخاصة في الضفة الغربية(٧)، ومما يجعل ردة فعل الدعاية الأردنية بالأمر الطبيعي، إزاء ج.ع.م أن كثيراً من المؤشرات كانت تحصر تهمة الاغتيال بها، تظهر الوقائع.

---

(١) الحسين، مهنتي، ص ١٨٢.

(٢) خطاب الملك حسين ينعي هزاع المجالي، ٢٩/٨/ ١٩٦٠، ج ١، ص ٤٥٩.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد ومحمد عروق، ١٩٦٠/٩/٥، ج ٢٧٥-٢٨٨.

(4) Susser, Op. Cit, P.32.

(٥) التل، كتابات في القضايا العربية، ص ٤٠.

(٦) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسين، ١٩٦٠/٩/٣٠، ج ٣٠٤-٣١٨.

(٧) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٩/٢٨، ج ٣٠٤-٣١٨.

جاء اغتيال هزاع كجزء من الدعاية المضادة للنظام، وقد وجدنا هيكل يؤكد على قناعته بأن الاغتيال كفعل، جزء من الحرب النفسية.

ويلتقي ذلك مع ما يسمى بدعاية الفعل القائمة على آليات عنفية وقهرية بشكل عام، ويُمهد لها عادة بدعاية محفزة للفئات المؤيدة لها للتحرك والقيام بالمطلوب، وتُعد الاغتيالات السياسية من ضمنها، ويتم تنفيذها للتأثير على الاتجاهات في الدائرة المستهدفة – بواسطة ما تفرزه من "رعب"– ورغبة في تكوين عنصر ردع لمن هم في تلك الدائرة. والتأثير على سلوكياتهم، ودفعهم نحو مواقف ملائمة للطرف الداعم للفعل[١].

وقد رجح تقرير السفارة البريطانية المرسل إلى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٦٠/٨/٣٠ أن تكون ج.ع.م هي الفاعل، مستنداً إلى ما سبق من حملات دعائية لإذاعاتها، توعدت الملك وهزاع بمصير نوري السعيد مرات عديدة[٢]، وهذا الاستنتاج، برز كذلك في وسائل الدعاية البريطانية، فصحيفتا الغارديان (Guardian) والتايمز (Times) أكدتا أن التحريض على القتل "لمذيعي ناصر لا يغتفر.."، مذكره بأوامره الصادرة قبل شهرين من وقوع الاغتيال "بشن هجوم عنيف على حكام الأردن..." [٣].

وذكَّرت الإذاعة الإسرائيلية عبر مقتطفات من الصحف الإسرائيلية، وبالتحديد الجروزالم بوست، وهآرتس بمحاولة ج.ع.م اغتيال هزاع قبل ذلك بأشهر * قليلة، والحملات الإذاعية

(١) حجاب، الموسوعة الإعلامية، ج٣، ص١١٨١–١١٨٢.

(2) R.J.,Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office,30 August 1960, Fo 371/151044, P.663.

(٣) إذاعة لندن، افتتاحيات الصحف البريطانية، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج ٢٧٥–٢٨٨.

* جرت محاولة لاغتيال هزاع المجالي والشريف ناصر بن جميل أواخر آذار ١٩٦٠ من قبل أشخاص يحملون الجنسية اللبنانية، وتم إلقاء القبض عليهم، وقد اتهم عبدالله الريماوي وعلي أبو نوار بالوقوف خلف المحاولة؛ فلسطين، ١٩٦٠/٣/٣.

"العنيفة" ضد سياسته المخالفة لتوجهاتها[١].أما إذاعة "صوت الأحرار" السرية فأكدت بأن عبد الناصر اعتمد الاغتيال كنهج وأسلوب، بعدما فشلت أجهزة دعايته، بإتباع "الحجة والإقناع والمنطق"، وهنا كان لا بد من الانتقال إلى "استخدام القنابل والديناميت"[٢]. ونرى فيما تقدم أن وسائل الدعاية التي أجمعت على دور دعاية ج.ع.م في مقتل هزاع هي من طيف لطالما عدته ج.م.ع كحليف للإذاعة الأردنية، إلا أن ذلك لا ينفي وجود معطيات في مضامين دعاية القاهرة تضعها في دائرة الشك. وأمام تحديدها كمصدر للتحريض والفعل فإن الموقف الطبيعي لدعاية ج.ع.م هو الرد والدفاع عن النفس.

اتخذت دعاية ج.ع.م موقفاً يعيد التهمة إلى الملك بناء على تبرير يعرض لحاجته إلى أحداثٍ تُلقي تهمتها على ج.ع.م، لتكون "ذريعة" له فيما أسمته إذاعة دمشق في ١٩٦٠/٩/٢ بـ "سلوكه المنحرف والارتماء بأحضان الاستعمار فلو لم يقع اغتيال هزاع.. لافتعل غيره"[٣]، واتهمته بالقيام بخطوات "استفزازية" ضد ج.ع.م إثر الاغتيال وهو ما تمثل باختراق الطائرات الأردنية للأجواء السورية، و القيام بأعمال نسف داخل الحدود "للتغطية" على جريمته.."[٤].

وزادت إذاعة دمشق بأن عائلة هزاع اتهمته بتنفيذ الاغتيال، وما كان اتهامه" السريع" لـ ج.ع.م إلا لإخفاء الجريمة"[٥]، ولكن صوت العرب رأت أن انعدام رغبته بالالتزام بمقررات

---

[١] الإذاعة الإسرائيلية، برنامج مقتطفات من الصحف الإسرائيلية، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج ٢٧٥-٢٨٨.
[٢] إذاعة صوت الأحرار، تعليق، ١٩٦٠/٨/٣١، ج ٢٧٥-٢٨٨.
[٣] إذاعة دمشق، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسين، ١٩٦٠/٩/٢، ج ٢٧٥-٢٨٨.
[٤] إذاعة دمشق، أقوال الصحف، ١٩٦٠/١٠/٢٥، ج ٣٣٦-٣٥٢.
[٥] إذاعة دمشق، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسين، ١٩٦٠/١١/١١، ج ٣٥٢-٣٦٦.

وزراء الخارجية العرب بشتورا، كانت الدافع وراء ذلك[1]، ودُعِّمت تلك الردود بتعليقات وأخبار مؤداها إنتاج مزيد من الضغط والتوتر النفسي للنظام فأعلنت في ١٩٦٠/٩/٢٧ عن انفجارات في عمان "تثير ذعر حسين وأعوانه وفزع الاستعمار وإسرائيل.."[2].

كما استعانت بالصحافة الغربية وبالتحديد الصحف البريطانية، الايكونومست، والغارديان لتدعيم وجهة نظرها عن "انعدام شعبية الملك" نتيجة للشعور الشعبي ببعد النظام عنه، وارتباطه بالغرب، "وإطاحته بالحكم الوطني عام ١٩٥٧" واعتماده في إدارة البلاد على أناس "مكروهين كالمجالي والرفاعي والتلهوني"[3]، وكان لصوت العرب إضافات أخرى تهدف إلى إظهار النظام بصورة مهزوزة.

فبثت مضموناً إخبارياً في ١٩٦٠/٩/١٠ عن استعداد الملك للهروب، وهو ما دفعه للإبقاء على طائرة "خاصة" في حالة جهوزية للقيام بتلك المهمة[4]، وعادت في ١٩٦٠/٩/٢٦ إلى استخدام ما أسمته بالوجود العسكري البريطاني كورقة دعائية ضد النظام، فالطائرات البريطانية المحملة بالأسلحة تصل إلى عمان باستمرار[5].

وفي برنامج حتى لا ننسى بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٢٧ بين أحمد سعيد ما قال بأنه "سيطرة" بريطانية على قاعدة المفرق الجوية مع تقديم معلومات يمكن وصفها بالمفصلة "فقائد القاعدة بريطاني يدعى قائد السرب "بتك" وضابط القاعدة والفني البريطاني أيضاً، وكذلك السبعة طيارين الموجودين في القاعدة من البريطانيين من أصل ١٢ طياراً هو مجموع الطيارين في القاعدة في

---

(١) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد ١٩٦٠/٩/٣، ج ٢٧٥-٥٨٨.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج وراء الحقيقة، ١٩٦٠/٩/٢٧، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٣) إذاعة القاهرة، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٩/٤، ج ٢٧٥-٢٨٨؛ إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٩/٦، ج ٢٧٥-٢٨٨.

(٤) إذاعة صوت العرب، خبر، ١٩٦٠/٩/١٠، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٥) المرجع نفسه، ١٩٦٠/٩/٢٦.

حين أن العرب هم "الرئيس الطيار فخري أبو حميد والرئيس الطيار جمال سـعيد، والـرئيس الطيار صالح الكردي، والملازم أول فراس العجلوني والملازم نـصري جميعـان.." وحـسب صوت العرب كانوا يعانون من "صلف" البريطانيين في التعامل معهم وهو ما رفعوه للقيادة التي قابلهم "بالهزِوء والزجر"[١]. ولم يتوفر مصدر آخر لتأكيد أو نفي هذه المعلومات، ولكن لا بد من التذكير بالانسجام القائم بين عمل صوت العرب والمخابرات المصرية.

حاولت دعاية ج.ع.م نفي التهمة وإلصاقها بالملك، إلا أنها وقعت فـي التنـاقض أحيانـاً باعترافها بطريقة غير مباشرة بالتحريض، حيث تحدثت إذاعة دمشق في ١/٩/ ١٩٦٠، بأن ما فعلته دعاية ج.ع.م، تلخص بجعلها "هزاع مكشوفاً للرأي العام" وهو ما أدى إلى نهايته "نتيجـة للغليان الشعبي.."[٢]، ولم تكتف دعاية ج.ع.م بنفي التهمة، ولكنها تعاملت مـع مـوت هـزاع بطريقة يمكن القول بأنها كانت بعيدة عن مراعاة جلال الموت وهيبتـه، بغـض النظـر عـن الخصومة وتباين المواقف، وهو ما ظهر في إذاعة دمشق وحلب بتعبيرات جمعت بين التـشفي والبذاءة، الأمر الذي لربما عد كمؤشر آخر على دورها في الاغتيال.

ففي ١/٩/١٩٦٠ استخدمت الأولى مفردة "نفوق" بدلا من كلمة اغتيال[٣]، واحتجت الثانية على وصفه "بالشهيد"، فما هو برأيها إلا "عميل وبـوق للاستعمـار"[٤].

واستغلت صوت العرب مواقف الدعاية الغربية التي أبدت تأثراً على رحيله، لتتحدث عن "مآتم الخونة" في بريطانيا وأمريكا، ذلك أن "اختفاء هزاع.. يعني أن جسراً للانقـضاض علـى الأمة قد سقط..."، واعتبرت صحيفة الجمهورية أن "تأبين الصحافة الإسرائيلية وحزنها وبكاؤها

---

[١] إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ٢٧/١٠/١٩٦٠، ج ٣٣٦-٣٥٣.

[٢] إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١/٩/١٩٦٠، ج ٢٧٥-٢٨٨.

[٣] فلسطين ١٤/٩/١٩٦٠، ج ٢٨٩-٣٠٢.

[٤] إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسني، ١/١٠/١٩٦٠، ج ٣٠٤-٣١٨.

على هزاع هو طعنه للملك تضعه في السياق الإسرائيلي المضاد للقومية العربية"[١]. والمفارقة أن ناصر الدين النشاشيبي الذي كان رئيس تحريرها آنذاك تحدث لاحقاً بلهجة أخرى عن هزاع.

فهو "الصديق الوطني الأردني"، وهو من "الذين طالبوا بالحلول العملية المعقولة لقضية فلسطين منذ ستين سنه وكانوا يتمتعون ببعد النظر، والحنكة والمعرفة مع حبهم لوطنهم، هؤلاء قد جرفتهم الأعاصير، ودفنتهم الإشاعات والأقاويل، واتهموا بالتفريط والخيانة، بينما كانوا – وحدهم – أصحاب المنطق والعقل والتبصر.. بينما كان خصومهم يسبحون في الأحلام.. والأوهام والتطرف.. والهتافات والزعامة!"[٢].

واعتمدت إذاعة دمشق على الغناء في برنامج اسمع يا حسين بتاريخ ١٩٦٠/٩/٣ لإظهار أن ما حصل يدخل في خانة الثأر، مستخدمة لحن أهزوجة "الثأر"* الأردنية لعبده موسى ولكن بمضمون يحيي عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، ويهاجم الملك حسين وسياسته:

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج مقتطفات من أقوال الصحف، ١٩٦٠/٩/١، ج٢٧٥-٢٨٨.

(٢) النشاشيبي، ملاعب الذكريات، مرجع سابق، ص ٢١٧.

*

يا مرحبا يا هلا منين الركب من وين
حنا ذعار العدا طلابة للدين
خوض المعارك لنا من يومنا صلفين
والثار كار لنا يا ثارنا بثارين
نزحف على إلي بغى وخان العهد والدين
حيهم نشامى الوطن حيهم جنود حسين
يا مقنعه بالنيا كفي دموع العين
جوك النشاما لفو وتبشري يا زين
شدوا البنادق زرق رشاشها صفين
مدافع مولفه ترمي على الجالين
ونسور جوا السما متلفعة بالغيم
تخوي على المعتدي مخلابها بحدين
أسودّ صباح العدا يوم عليهم شين
من كل دبابة أمات جنزيرين
وفهود بين الحفر تهجم على الرجلين
حيهم نشاما الوطن حيهم جنود حسين

أقبل علينا الضحى يا زينة أقباله
والجور ما يقبله إلا الردي خاله
والهاشمي ظللنا والروح فدوى له
يا غاصبن حقنا لابد ما نناله
وندوس عاللي طغى ونجزيه بأفعاله
ربع الكفافي الحمر والعقل مياله
كفي دموع الأسى عالخد سياله
عقبان فوق الهجن وأسود خياله
ومدرعات شهب نيران قتاله
صليَ القنابل رعد وبروق شعاله
تخوي على المعتدي للموت شياله
ما ذاق طعم السلامه من نِصَتْ جاله
وغبار يعمي ضعيف القلب عن حاله
تهدر هدير البحر عالقوم صياله
قناصة للعدا ونمور جواله
ربع الكفافي الحمر والعقل مياله"

كلمات رشيد عالي الكيلاني؛ الجبور، مرجع سابق، ص ٧٠.

"يا مرحبا ياهلا كل النشامى منين رجال البلاد سباع للموت ميالا
يتسابقون على الفدى لنا صلفين نسور العرب شجعان منساب بأفعاله
حيهم جنود العرب وسياج إقليمين جمال حصن لنا والروح فدوى له
والحرب كارٍ لنا والصاع ما هو دين لا صار عندنا نشامى تسد كياله
والثار ثار لنا مغوارنا بألفين عبدالحكيم الأسد وحنا ترى أشباله
يا مخادنين الغرب خنتوا العهد والدين بعتوا الوطن بالذهب شردتم أطفاله"[1]

وفي تأكيد يحمل بين طياته ملامح التهديد، بينت صوت العرب في ١٩٦٠/٨/٣٠ أن مقتل هزاع هو نهج يؤخذ به للتعامل مع "العملاء" واضعةً "زوالهم" كنتيجة حتمية، ذلك أنه لا يمكنهم "خداع شعوبهم التي لا بد أن تثور عليهم.."[2]، وهو محتوىً كررته إذاعة الجمهورية العراقية الحرة الموالية للقاهرة في ١٩٦٠/٨/٣١، وهي من الإذاعات السرية الموجهة ضد عبد الكريم قاسم[3].

كما اتهمت صحف ج.ع.م. النظام بالتذرع بالحادثة لمتابعة الممارسات "الإرهابية" باستخدام "التنكيل والاعتقال والقتل والتعذيب.."[4]، التي امتدت بحسب إذاعة فلسطين في ١٩٦٠/١١/١١، إلى داخل الجيش "برعاية" خال الملك الشريف ناصر بن جميل، وحابس المجالي[5]. ووصل الأمر بإذاعة دمشق وضمن برنامج "أسمع يا حسين" في ١٩٦٠/١٠/٣١ أن تضع سياسات النظام في هذا المجال بموزاة ما يلاقيه الشعب الجزائري "على أيدي

(١) إذاعة دمشق، برنامج اسمع يا حسين، ١٩٦٠/٩/٣، ج ٢٧٥-٢٨٨.
(٢) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج ٢٧٥-٢٨٨.
(٣) إذاعة الجمهورية العراقية الحرة، تعليق، ٨/٣١/ ١٩٦٠، ج ٢٥٧-٢٨٨
(٤) إذاعة القاهرة، برنامج أقوال الصحف، ١٩٦٠/٩/٩ ج ٢٨٩-٣٠٢..
(٥) إذاعة صوت العرب، صوت فلسطين، الأنباء، ١٩٦٠/١١/١١، ج ٣٥٢-٣٦٦.

الفرنسيين"[1]. وفي محاولة للعب بالورقة الفلسطينية في سياق حديثها عن "إرهاب" النظام، وبدرجة تقترب من التحري، اتُهمت إذاعة عمان في ١٩٦٠/٩/١٥ بالعمل وفقاً لأمر "أصدره الملك" لمن أسمتهم بالقوميين السوريين فيها لدفع "قبيلة هزاع"، إلى"الثأر من الفلسطينيين وترافقت تلك الخطوة، وفقاً لإذاعة دمشق مع قرار "بنزع أسلحتهم"، بما يسهل مهمة حابس وعشيرته" لغزو الضفة". وبأسلوب يقترب من الاستعداء، أكدت أن "أبطال الخليل وجبل النار لا يخافون التهديد والوعيد"[2]، واستمراراً للعب بالورقة ذاتها فقد تحدث أحمد سعيد في ١٩٦٠/٩/٣٠ عن اعتقال* "الزعيم الفلسطيني" بهجت أبو غريبة، و"تعذيبه" مع تذكيره "بتاريخه النضالي الطويل" بمواجهة الانجليز واليهود[3]. ومن الأساليب التي اعتمدتها دعاية ج.ع.م للخروج من دائرة الاتهام، سعيها لقلب الصورة والدخول إلى دائرة الضحية، وهو دورٌ لربما كان يحقق مكاسب دعائية أكبر من دور الجاني والمتهم، وأتاح لها ما استجد من أحداث فرصة للشروع بذلك.

حيث كانت حادثة هبوط الطيار السوري عدنان المدني بطائر الميغ ١٧، في الصحراء الأردنية بتاريخ ١٩٦٠/٩/٢٨[4]، أداة سعت من خلالها لتحقيق هدفها سالف الذكر.

---

(١) إذاعة دمشق، برنامج أسمع يا حسين، ١٩٦٠/١٠/٣١، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج كلمة اليوم، منير الريس ١٩٦٠/٩/١٥، ج ج ٢٨٩-٣٠٢.

* تحدث أبو غريبة عن اعتقاله في ١٩٦٠/٨/٧، وعن أشكال مختلفة من التعذيب الذي تعرض له، وكان ذلك تحت إشراف محمد رسول الكيلاني، وذكر أسماء لمعتقلين ماتوا تحت التعذيب منهم مخلص العمرو، وشامخ الكيالي، كما أشار إلى إجبار بعض المعتقلين على الإدلاء بتصريحات ومعلومات أمام الصحفيين، ومن تم تسخيرها في الدعاية الأردنية المضادة لـ ج.ع.م ؛ أبو غريبة، مرجع سابق، ص ٢٣٨-٢٤٤.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٩/٣٠، ج ٣٠٤-٣١٨.

(٤) فلسطين، الدفاع، ١٩٦٠/٩/٣٠.

لاسيما بعد إعلان الأردن عن "انتحاره" في ١٩٦٠/١٠/٤[١]، مع إصرار عبد الناصر على "قتله" من قبل السلطات الأردنية بعد رفضه التعاون معها ضد ج.ع.م، وقد هاجم الإذاعة الأردنية "لتشويهها الحقيقة"، وهنا كثفت دعايته التركيز على الحادثة وفقاً للوثائق البريطانية "بمهارتها وعنفها"، وبطريقة أدت "لتضخيمها"، ووضعها في إطار "الأسطورة"، ما أعطى الموضوع بعداً "أكبر من حجمه"، لا بل إنها "تفوقت" على قضية مقتل هزاع وعشرات الضحايا الذين لاقوا حتفهم[٢]، ومن يراجع الرصد اليومي لإذاعات ج.ع.م بخصوص تلك الفترة، سيرى المساحة الكبيرة المخصصة لقضية الطيار المدني[٣]. وفي حين عدتها الوثائق البريطانية كأداة نجحت دعاية ج.ع.م بتضخيمها بصورة غطت على اغتيال هزاع.

فإن الملك حسين تعامل معها من زاوية أخرى، إذ عدها كـ "ضجة" وجدت فيها القاهرة "منفساً للكرب الذي تعانيه في حكم سوريا.."[٤]، ولكن الواقع يبين أنها شكلت ضغطاً على النظام، وظهر ذلك من خلال إدراك السفارة البريطانية لمدى "خطورتها" حتى أنها أبلغت الخارجية بلندن في ١٩٦٠/٩/١ بضرورة العمل لوقف دعاية إذاعات ج.ع.م، المحرضة على النظام، وهو ما أبلغت به أيضاً ممثل الأمم المتحدة في عمان[٥]. واستناداً لذلك الخطر فإن الملك

---

(١) فلسطين، ١٩٦٠/١٠/٥.

(2) R.J.,.Voll.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 12 October. 1960, Fo 371/15105, P. 759

(٣) مثال ذلك إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق؛ أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٢، ج ٣٠٤-٣١٨، إذاعة القاهرة، برنامج أقوال الصحف، ١٩٦٠/١٠/٢٤؛ ج٣٣٦-٣٥٢؛ إذاعة دمشق، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسين، ١٩٦٠/١٠/٥؛ إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، توفيق حسين، ١٩٦٠/١٠/٥، ج ٣٠٤-٣١٨. وكالة أنباء الشرق الأوسط، نشرة، ١٩٦٠/٩/٢٢، ج ٣٠٤-٣١٨.

(٤) خطاب الملك بعد عودته من الأمم المتحدة، ١٩٦٠/١٠/٢١، ج١، ص ٥١٩.

(5) R.J.Voll.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 1 September. 1960, Fo 371/151047, P. 670.

قرر التحرك على الصعيد الدولي لوضع حد للحملات الدعائية لـــ ج.ع.م كمـــا حـــصل بعـــد ١٩٥٨/٧/١٤.

تؤكد بعض المصادر أن إيمان الملك بأن الهجوم أفضل وسيلة للدفاع والتصدي لما كـــان يتعرض له من "هجمات" دعائية لإذاعات القاهرة ودمشق، دفعه للتوجه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة[١]، وتجلى نشاطه الأبرز بالخطاب الذي ألقاه في ١٩٦٠/١٠/٣ مطالباً باتخاذ خطـــوات أكثر فاعلية من تلك التي أقرت في آب ١٩٥٨ لوقف دعاية إذاعات ج.ع.م حيث شرح تأثيرها على الاستقرار الداخلي لدرجة وصلت إلى التسبب بمقتل هزاع المجالي[٢].

وقد استبقت دعاية ج.ع.م الخطاب بحملةٍ مكثفة عدتهُ ضمن النهج "المعـــادي" لفلـــسطين، وأمال وأهداف الأمة، ومن يتابع إعداد الرصد الإذاعي قبل ١٩٦٠/١٠/٣ سيجد نماذج كثيـــرة لتلك الدعاية[٣]، لدرجة أنها فسرت عدم ذهاب بن غوريون* لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامـــة للأمم المتحدة، لاعتماده على "وجود الملك حسين"[٤].

وهو ما أشار إليه عبد الناصر في خطابه بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٥ بعد عودته مـــن الأمـــم المتحدة بطريقة أخرى، حينما أكد أن الدور الذي قام به الملك "أنسجم" مع الدعايـــة الـــصهيونية

---

(1) Lunt, , Op. Cit., P. 58.

(٢) خطاب الملك حسين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٩٦٠/١٠/٣، ج ١، ص ٥٠٨.

(٣) انظر الرصد الإذاعي لصوت العرب وإذاعة القاهرة، ودمشق, وحلب في المجلد ٣٠٤–٣٨٨.

* ديفد بن غوريون ١٨٨٦–١٩٧٣: سياسي إسرائيلي ولد في بولندا، وبدأ أنشاطه في الحركة الصهيونية بسن مبكرة أسس النقابات العمالية "الهستدروت" وترأسها من ١٩٢١–١٩٣٢. أشـــرف علـــى تكـــوين رئاســـة الحكومة المؤقتة قبل إعلان نهاية الانتداب عام ١٩٤٨، وكان من الذين نصحوا بعدم الإشارة إلـــى حـــدود "الدولة" أو دستورها، حتى لا يضع حداً لأطماع إسرائيل التوسعية. طالـــب عـــام ١٩٥٣ بجعـــل القـــدس "عاصمة للدولة"، وقد تولى رئاسة الحكومة عدة مرات كان آخرها عام ١٩٦٣. كان بن غوريون صـــاحب شعار "بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستقوم"؛ عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهوديـــة، ج٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩) ص ٢٤٣–٢٤٥.

(٤) وكالة أنباء الشرق الأوسط، نشرة، ١٩٦٠/٩/٢٢، ج٣٠٤–٣١٨.

التي "أفشل أمالها" حيث كانت تتوقع أن يقوم بدور "المتوحش المشاغب والمشاكس"، ما أسهم وأدى "لاهتزاز" الصورة، المرسومة له في الإعلام الغربي[1]. مع التذكير بأنه لم يتطرق إلى الوضع في الأردن أو القضايا التي أثارها الملك.

بل ركز على قضايا فلسطين والجزائر وقضايا "الحرب والسلام العالمي"[2]، والأهم أن خطاب الملك ومناشدته وضع خطوات أكثر فاعلية للحملات لم يجد صدى الدعائية على أرض الواقع من وجهة نظري، وربما أسهم عدم تزامن خطابي الملك وعبد الناصر بعدم إثارة جدل في الجمعية العامة حول القضية، لاسيما وأن خطاب الأول كان في ١٩٦٠/٩/٢٧، في حين أن خطاب الثاني كان في ١٩٦٠/١٠/٣، مع التذكير أيضاً، أن عبد الناصر لم يتطرق إلى ما جرى في الأردن بتاتاً. وبهذا استمرت دعاية ج.ع.م كما هي إزاء الملك، مستغلة حركاته وتصريحاته التالية لمغادرته نيويورك مروراً بلندن لشن حملات مناوئة له، وبمضمون يمكن وضعه في سياق هجومي حاد.

وظهر هذا بعد تصريحه لصحيفة الديلي أكسبرس (Daily Express) الذي عد فيه لندن كـ "وطن ثاني"، مع إفصاحه عن شعوره بالوحدة أحياناً في الأردن، وهو ما استثمرته إذاعة القاهرة في ١٩٦٠/١٠/٢٨ لتحيك منه دعاية تستهدفه، وبمضمون يقول بأن لـ "الملك الأجير وطنان؛ وطنٌ هو العرش المزيف.. ووطنٌ هو مدينة لندن.."، وأما شعوره بالوحدة "فلتآمره" على الشعب الأردني، "فالقاتل والمتآمر لا بد وأن تطارده الرهبة والخوف.." [3].

وانتقل تدوير هذا المضمون إلى صحيفة الأخبار، ومن ثم إلى صوت العرب في "أقوال الصحف" في ١٩٦٠/١٠/٢٨ مقدمة تساؤلاً عن الارتباط مع لندن، "المساندة" لإسرائيل و"المحتلة

---

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودته من اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٩٦٠/١٠/٥.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٩٦٠/٩/٢٧.

(٣) إذاعة القاهرة: برنامج الصحافة تقول، ١٩٦٠/١٠/٢٨.

لكثير من الأرض العربية". وما يجدر ذكره هنا أن بث صوت العرب لم يكتمل بحيث يقدم صورة وافيه عن هذه النقطة، وهو ما يتضح من عملية الرصد للإذاعة وتسجيل الراصد ملاحظة تقول بعدم وضوح الصوت أو حتى تلاشيه[١]. ما يعني حصول عملية تشويش في تلك اللحظة. وكما تتبعت دعاية ج.ع.م تحركات الملك، فعلت مع الدعاية الأردنية قبل وبعد الخطابين.

فسجلت صوت العرب للإذاعة الأردنية بتاريخ ١٩٦٠/٩/٢٨، وصفها عبد الناصر بعد يوم من إلقائه الخطاب، "كبوق" للشيوعية[٢]، ووثقت إذاعة دمشق تأكيدها أن الملك عاد "ظافراً منتصراً كما ذهب.. وشتان ما بينه وبين عبد الناصر في الأمم المتحدة"[٣]. وحرصت دعاية ج.ع.م على تبيان المسافة ما بين الدعاية الرسمية الأردنية، والرأي العام الأردني. حيث أجرى أحمد سعيد مقارنة بين ردود فعل الإذاعة الأردنية التي قالت "بعدم تمثيل خطاب عبد الناصر لوجهة النظر العربية"، وردة الفعل الشعبية"، والاستحسان الكبير الذي لاقاه" رغم التعليمات "المشددة" للصحف "بتجاهله" وعدم الإشارة إليه[٤].

وحرص سعيد هنا على تقديم رأي صحيفة " جويش كرونيكل الصهيونية" القائل أيضاً بعدم تأثير دعاية عبد الناصر وموقفه في الأمم المتحدة على الشعب الأردني، ورد بتقديم صورة للشارع لحظة بث خطابه مؤكداً أن "صوته كان ينبعث من بيوت الأردنيين والحوانيت رغم العقوبات المفروضة على من يستمع لصوت العرب والمقدرة بغرامة مالية قدرها خمسون ديناراً والسجن لستة شهور.. حتى أن رجال الشرطة الموكول بهم تنفيذ ما تقدم هم من أنصار عبد

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج أقوال الصحف، ١٠/٢٨، ١٩٦٠، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٩/٢٨، ج ٣٠٤-٣١٨.

(٣) إذاعة دمشق، برنامج اسمع يا حسين، ١٩٦٠/١٠/٢٤، ج ٣٣٦-٣٥٢.

(٤) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد ١٩٦٠/١٠/١، ج ٣٠٤-٣١٨.

الناصر ومؤيديه.."، وبالمقابل فإن الملك حسين بعد عودته وحسب زعمها "جبن عن مواجهة شعبه وألقى خطابه من الإذاعة التي أحيطت بحراسة مشددة.."[١].

ولتحقيق مزيد من الضغط النفسي على النظام في الفترة التالية لاغتيال هزاع عادت دعاية ج.ع.م إلى التركيز على ما عُد سابقاً على أنه ممارسات لا أخلاقية مزعومة لرموز النظام، وفي مجالات شتى، ولم تستثني هذه المرة حتى الموتى، وقد أختص صوت العرب بهذه النقطة عن بقية الإذاعات.

عادت صوت العرب للحديث عن هزاع مجدداً في إطار هذا الحيز، مع أن لم يكن مضى على موته سوى فترة وجيزة.

وقدم أحمد سعيد في ١٩٦٠/١٠/٢٨ زعماً باستخدامه طرق غير شرعية لكسب المال أثناء وجوده بالمنصب الحكومي، وهو ما تجسد بوضع ختمه لدى شخص اسمه "زيد المجالي" لاستخدامه في عمليات التوظيف والتوسط للدوائر الحكومية مقابل حصوله على نصف المبلغ المجموع[٢]، وعاد أحمد سعيد للحديث في ١٩٦٠/١١/١٨ عن تقاضيه "رشوة" قدرها ٢٥ ألف دينار من شركة شاهين المنفذة لقناة الغور الشرقية[٣]. وبهذا الإدعاء بدا المجالي كممارس للفساد عبر المنصب الرسمي، مع أن المصادر المتوفرة تؤكد أنه كان صاحب نهج مواجه له.

فخلال وزارته الثانية، كان لديه "إصرار على مقاومته" في الجهاز الإداري للدولة، واتخذ قرارات بفصل بعض الموظفين المتهمين بالرشوة والسرقة[٤].

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٣١، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٢٨، ج ٣٣٩-٣٥٣.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٨، ج٣٥٢-٣٦٦.

(4) R.J.,Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 26/July 1960, Fo 371/142 104,P.297.

عاد أحمد سعيد للتركيز على خال الملك الشريف ناصر بن جميل، مخصصاً له مساحة أوسع في برنامج "حتى لا ننسى"، وقد عده "بالرجل الأول في عصابة حسين"، واتهمه "بالمتاجرة بالمخدرات"[١]، و"سرقة منحة الحبوب الأمريكية، وبيعها بعدما أوهم السفارة الأمريكية بتوزيعها.."، مع زعم يقول بفعل ذلك "لحسابه وحساب الملك والملكة زين"[٢]، وامتد الزعم لاتهامه أيضاً بالاختصاص "بمناقصات الحكومة وصفقاتها لصالح الملك.."[٣]، وسعيه للحصول على مبلغ ٣٠ ألف دينار من شركة شاهين المنفذة لقناة الغور الشرقية، غير أنها أبدت عدم القدرة كونها دفعت سابقاً لهزاع، وبينت أنها لن تستطيع التلبية، إلا إذا تدخل "لدى القصر لزيادة موازنة المشروع"، وهو ما حصل[٤]، وهنا لا بد من التأكيد أن تلك المعلومات قدمها أحمد سعيد دونما وثائق أو مستندات أو حتى شهود، ما يبقيها في خانة الزعم أو التلفيق وحتى الفبركة الدعائية.

تناولت صوت العرب محمد رسول الكيلاني* والذي شغل منصب "المدعي العام" ودونما تحديد السنة، حيث وُضع على عاتقه إدخال أساليب مبتكرة "بالتعذيب" وحسب برنامج "حتى لا ننسى" في ١٩٦٠/١١/٢١ فهو "صاحب فكرة المقعد الحديدي الساخن، وفكرة تعليق المتهمين من

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/٢، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٩، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٢٨، ج ٣٣٦.

(٤) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١٨، ج ٣٥٢-٣٦٦.

* محمد رسول الكيلاني ١٩٣٣-٢٠٠٣: ولد في السلط، ودرس في مدارسها. تخرج من جامعة دمشق عام ١٩٥٦ مجازاً في الحقوق بالإضافة لدبلوم في العلوم المالية والمصرفية. التحق بالجيش برتبة ملازم، وأصبح مستشاراً عدلياً للجيش حتى عام ١٩٦٠، كما عمل نائباً لمدير المباحث العامة، وفي عام ١٩٦٢ مديراً لمكتب التحقيقات السياسية، وبقي حتى عام ١٩٦٨. عُين ما بين ١٩٦٨-١٩٦٩ مديراً للأمن العام، ثم وزيراً للداخلية عام ١٩٧٠. انتقل للعمل كسفير في الخارجية ما بين ١٩٧١-١٩٧٢. عاد مرة أخرى= = كمدير للمخابرات العامة- مستشاراً للملك لعامي ١٩٧٣-١٩٧٤، وبعد تقاعده عمل كسفير في الخارجية مرة أخرى، تم بات منذ ١٩٨٨ عضواً شبه دائم في مجلس الأعيان ولغاية ٢٠٠١؛ الموسوعة الحرة (ar:Wixipedia.org/Wiki/) وكذلك؛ الموقع الرسمي لمجلس الأعيان، (http://www.Senate.Jo/).

إقدامهم لساعات طويلة، وكذلك فكرة الاعتداء على رجولة الأحرار.."[1]، وعلى الخط ذاته بين سعيد ما قام به بهجت طبارة مدير الأمن العام في التعامل مع المعتقلين، اعتمادا على آليات أبدعها ومنها " التعذيب والحرق بالسبيرتو"، وحقنه الشطة التي يتم بها حقن أحرار الشعب.." [2].

وغير بعيد عن الجانب الأمني، تعرض أحمد سعيد في ١٩٦٠/١١/١١ لسيرة مدير المخابرات العسكرية إميل جميعان، مضيفاً إياه كفرد من "العصابة"، ومن الموالين للإنجليز، مع اتهامه بمحاولة إثارة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين بعد طرد كلوب لإظهار انعدام الاستقرار بعد رحيله[3].

وتطرق أحمد سعيد إلى شخصية حابس المجالي في ١٩٦٠/١١/٧، زاعماً أنه "لم يدخل دورة عسكرية في حياته"، وأن "تواطئه مع الانجليز وتجسسه على الضباط والجنود هو سبب صعوده، كما انتقد الإذاعة الأردنية على ما اسماه "ادعاء البطولة الكاذبة لحابس في حرب فلسطين.."، مقدماً وجهة نظر بين فيها أن "القيادة الفعلية" للكتيبة الرابعة كانت بيد المقدم محمود الروسان*، في حين أن المجالي كان "يختبئ بمغارة باللطرون" خلال المعارك، وهي وفقا لزعمه

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/٢١، ج ٣٥٢-٣٦٦.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٣) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/١١، ج ٣٥٢-٣٦٦.

* محمود الروسان ١٩٢٢-١٩٨٠: ولد في بلدة سما، لواء بني كنانة بمحافظة إربد. أنهى دراسته الثانوية في السلط عام ١٩٤١، ثم عمل معلماً لفترة قصيرة عام ١٩٤٢، حيث التحق بعدها بالجيش برتبة ضابط. شارك في حرب ١٩٤٨ وعرف "بالشجاعة والإقدام) والاستبسال في معارك باب الواد واللطرون، وبوابة القدس. منح وسام الإقدام العسكري في الميدان. عين ملحقاً عسكرياً في واشنطن خلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٣-١٩٥٦، وعين بعد ذلك وزيراً مفوضاً هناك، وخلال وجوده في أمريكا حصل العلوم السياسية، وكانت أطروحته حول فلسطين وتدويل القدس. بعد عودته عين مدراً لدائرة الإحصاءات العامة، وفيما بعد أصبح عضواً في مجلس النواب. عرف باهتماماته الأدبية، وقد أصدر ثلاثة دواوين شعرية؛ هزاع البراري، مقال، محمود الروسان، العسكري الذي أحب العلم واحترف الأدب، موقع أخبار بلادي، ٢٠٠٩/٣/٩ (www.khbarbladi.com).

"معلومة يعرفها كل أردني وفلسطيني عاش تلك الأيام في قرية عمواس.."[١]. وكل ذلك يتناقض مع ما تؤكده المصادر الأردنية حول دوره* في حرب ١٩٤٨.

تطرقت إذاعة صوت العرب إلى بهجت التلهوني** الذي حل كبديل لهزاع، وتم وصفه كأحد "اكتشافات كلوب" مع التذكير بموقفه بأحداث ١٩٥٥، والتأكيد على دعمه آنذاك "لإطلاق النار على المتظاهرين"، أما دوره فيما سمي "بالمؤامرة*** على الحكم الوطني" عام ١٩٥٧ فلخص بوضع "خطتها والإشراف على تنفيذها مع الملحق العسكري الأمريكي..."[٢]، أما سمير الرفاعي فتناولت سيرته في ١٩٦٠/١٠/٣٠، عازية السبب الرئيسي لتدرجه في المناصب إلى

---

[١] إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/٧، ج ٣٣٦-٣٥٣.

* تحدثت العديد من المؤلفات عن دوره البطولي في حرب ١٩٤٨ ومثال ذلك ما ورد في محطات عديدة من كتاب أيام لا تنسى لسليمان الموسى والذي يتحدث عن الدور الأردني في حرب ١٩٤٨. للمزيد راجع سليمان الموسى:أيام لا تنسى الأردن في حرب ١٩٤٨ (عمام: دن، ١٩٩٧). وسيشار إليه فيما بعد:الموسى، أيام لاتنسى؛ وفي موقع قبيلة المجالي ورد عن دور حابس في معركتي اللطرون وباب الواد ما يلي ".. يعد حابس المجالي أسطورة عسكرية .. فلا زالت الوثائق الإسرائيلية والعربية تشهد على شجاعته وحنكته.. فهو أسد معارك القدس في اللطرون وباب الواد .." ففي معركة اللطرون استطاع إلحاق "هزيمة نكراء" باليهود بلغ فيها عدد قتلاهم الألفين، مع "أسر عدد كبير.... من بينهم رئيس الوزراء السابق أرئيل شارون.." وأما في معركة باب الواد، فألحق باليهود " شر هزيمة" وقتل منهم "المئات وجرح أكثر من ألف جندي وعدد من الأسرى.." للمزيد راجع موقع قبيلة المجالي، (www.historymajali.weebly.com).

** في عبارة وردت في كتاب أسد الأردن وصف بـ "الفاسد ولكن الموثوق به". ؛ شلايم، مرجع سابق، ص٢٣١. وقد هاجم وصفي التل خلال وجوده في مجلس الأعيان "فساد" حكومة التلهوني الذي بقي في رئاسة الحكومة معظم الفترة الممتدة بين ١٩٦٧-١٩٧٠؛ Susser, Op. Cit., P. 136.

*** إلى جانب اسمه يذكر بهجت أبو غربية، أيضاً كلاً من الشريف ناصر بن جميل، وبهجت طبارة؛ أبو غربية، مرجع سابق، ص١٩١.

[٢] إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٢٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

"عمالته للإنجليز". وبصيغة تعبر عن موقف دعاية ج.ع.م منه، أكدت "أنه لم يترك دقيقة واحدة لم يخن فيها الأردن وفلسطين..[1]".

كما كان لوزير الداخلية فلاح المدادحة* موقع في دعاية صوت العرب، إذ اتهمه أحمد سعيد بتاريخ ١٩٦٠/١١/٣، "بالخيانة والتوقيع مع اليهود على تسليم منطقة المثلث**.." مع إسهامه بتنفيذ الأحكام العرفية عام ١٩٥٧، "وتعذيب الأحرار"، واعتقاله ما يقرب من ١١٧ ألف أردني وفلسطيني، وهو ما كان يفتخر به، وأضاف سعيد إلى سجله جانباً يتعلق بـ "سهراته في مضارب النور وعلى الطاولات الخمر والميسر.."[2]، ولم تنس صوت العرب الشخصيات التي لربما حملت سمة دينية وكانت موالية للنظام.

فاعتبرت محمد على الجعبري "واعظ العصابة"، و"جاسوس الإنجليز" على الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد تم تعيينه في المخابرات الأردنية برتبة مقدم، وكان متقاضياً "للرشوة" يضع على

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٣٠، ج٣٣٦-٣٥٣.

* فلاح المدادحة: ١٩٠٠-١٩٦٥، من مواليد قرية كمنة بالكرك، حصل على إجازة في الحقوق من الجامعة الأمريكية بيروت عام ١٩٢١، وكان أول مفاوض أردني، وربما الوحيد الذي يتفاوض مع البريطانيين. عمل قاضياً، ورئيساً للقضاء، وحاكماً عسكرياً. شغل منصب وزير الداخلية. اشترك في عملية طرد كلوب، ويروى أنه قام "باقتياده من يده إلى المطار". تصنف سيرته في الحياة الاجتماعية والعملية ضمن "أصحاب الذكر الطيب الخالد بين الناس، لأعماله الوطنية الخالصة لوجه الله تعالى وخدمة أمته"، كما يوصف بأنه ممن رضعوا عشق الوطن وطهارته. وحارب "أوكار الرذيلة"، ومما يروى عنه في هذا المجال، وهو ما يعد من طرائفه؛ أن "أحد المتنفذين جاء باستدعاء لترخيص بيت دعارة، فما كان منه إلا أن خلع حذاءه، وقام بوضع على الاستدعاء، قائلاً "هيك مضبطة بدها هيك ختم"، وقام بطردة؛ محمود الشمايلة، هيك مضبطة بدها هيك ختم، سواليف، ٢٠١٤/٨/٣١ (www.sawaleif.com).

** تقول وجهة النظر الرسمية الأردنية بأن إسرائيل كانت عازمة ومصممة للسيطرة على أجزء من منطقة المثلث التي قرر العراقيون الانسحاب منها- سواء وافق الأردن أم لم يوافق، وكانت على أهبة الاستعداد لاستخدام القوة لتحقيق ذلك، وكانت الخشية الأردنية أن يؤدي التصلب في الموقف إلى ضياع ما تبقى من فلسطين في ظل رجحان موازين القوى لصالح اليهود؛ الموسى، أيام لا تنسى، ص ٥٣٩-٥٤٦.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١١/٣، ج ٣٣٦-٣٥٣.

مكتبة "لافته إدفع بالتي هي أحسن"، كما أتهمته "بتهريب المخدرات بين الأردن وإسرائيل لصالح الشريف ناصر.."، ولم تكن صوت العرب لتكتفي بكل ما تقدم، ولكنها كانت تحرض على قتلهم والتأكيد على أن مصيرهم لن يختلف عما انتهى إليه هزاع[١].

وفي سياق ما تقدم لم تفصح المصادر عن ردود أردنية بشأن ما سلف. وبالمقارنة، فإن موقفاً مماثلاً لأحمد سعيد مع أركان النظام السوري بعد الانفصال عام ١٩٦١ جعله بمواجهة رد يصفه "بالمذيع الثرثار الذي تنسال على لسانه إهانات سافلة وتعريض دنيء لرجال الحكم والسياسة.."[٢].

وفي خضم تلك الحملات عادت دعاية ج.ع.م للتركيز على الإذاعة الأردنية وبالتحديد إذاعتي حلب ودمشق مع تكرار مضامين سابقة في حملاتها المستهدفة لها. وكان محور الحملة "انعدام" فاعلية الإذاعة الأردنية في "تجميل صور النظام" لانكشاف سياسته وأهدافه للرأي العام الأردني والعربي، فما تقوم هو "دجل وتهريج"، ولا تأثير له على مواقف الأردنيين منه "فصناجة الاستعمار تقوم بواجبها تجاه عميل الاستعمار ولكنها بعد أن تهوش وتهوش تجد نفسها أمام حقيقة ثابتة وهي أن الشعب لا زال عند رأيه بالعميل.."، في حين أن علاقة المواطن الأردني بدعاية ج.ع.م لا زالت وثيقة رغم ما وضع من "معوقات وعقوبات للحيلولة دون ذلك، وتقدم إذاعة حلب شاهداً على ضعف تأثير دعاية الإذاعة الأردنية بما قالت أنه "عدم تفاعل" الأردنيين

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، ١٩٦٠/١١/١٤، ج ٣٣٦-٣٥٣؛ ١٩٦٠/١١/١٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) العظم، ج٣، مرجع سابق، ص ٢٩٣.

مع عودة الملك بعد إلقاء خطابه في نيويورك، وهو ما سبب "صدمة" للتلهوني الذي أمر وزير الداخلية فلاح المدادحة باتخاذ الإجراءات* اللازمة لمعالجة الموقف[١].

وأرى هنا أن مقتل هزاع والدعاية التالية له، وما رافقها من حملات تستهدف النظام بدءاً من قمته وصولاً إلى أركانه ورموزه، كان من الطبيعي أن تترك أثارها على الساحة الأردنية بشكل عام وعلى النظام وتحديداً الملك بشكل خاص.

اتسمت الدعاية الموجهة نحو النظام بالكثافة، وتعدد البرامج حتى أن الإذاعة الأردنية في الفترة التالية لحادثة الاغتيال، ووفقاً للإذاعة الإسرائيلية في برنامج أكاذيب وحقائق بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٢٧ خاطبت عبد الناصر بشيء من "الاستغراب والتذمر" لكثرة البرامج الموجهة صوب الأردن: "تعال معي سيدي نعد البرامج الموجهة للهجوم على الأردن، اثنان وعشرون يا سيدي، ماذا في الأردن، هذا عدوك، حتى لا ننسى، حديث الشعب، اسمع يا حسين، يا هلا، وراء الحقيقة، صوت الشعب، أخي المواطن، وراء الأنباء، نداء العراق، أكاذيب تكشفها حقائق، ضيف الإذاعة، مع الناس، الجندي، صوت فلسطين،... وحتى خطبة الجمعة.." ووصل الأمر بالإذاعة الأردنية الطلب من عبد الناصر تقسيم تلك البرامج "المزدحمة" بين إسرائيل والأردن،

---

* أوردت إذاعة حلب معلومات لتوضيح تلك الإجراءات، وهي برأيي بما فيها من سخرية ولفظ بذيء، أقرب إلى الخيال، والفبركة، وتشويه الصورة حيث تحدثت عن إرسال التلهوني مبلغ ألف دينار إلى فلاح المدادحة "ليوزعها في منطقة إربد بغية خلق أجواء من الحفاوة بالمطية، .. فماذا فعل بالألف دينار..احتفظ لنفسه بمبلغ ٧٥٠ ديناراً، وأرسل ٢٥٠ ديناراً إلى قائد منطقة إربد العقيد عصر المجالي، مع قول الشاعر: وتشبهوا بالكرام إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالوزير فلاح، فاحتفظ عصر لنفسه بمبلغ مائتي دينار، وسلم قائد مخفر المدينة النقيب شاهر المبيضين الملقب "أبو زياد" مبلغ خمسين ديناراً وأمره بشراء بعض المرتزقة وإقامة حفلات الرقص... واحتفظ المبيضين لنفسه ببضعة دنانير ووزع الباقي على نفر من العمال والمتسكعين والمتعطلين..". إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١١/٦، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(١) إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١١/٢، ج ٣٥٢-٣٦٦؛ إذاعة دمشق، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١١/١٣، ج ٣٥٢-٣٦٦.

مبينة أن عشرة برامج تكفي للهجوم عليه، في وقت يقف فيه على أطول حدود الجبهة[١]. وهـذا التذمر من الدعاية الموجهة نحو الأردن، يماثل تذمر هيكل من الدعاية المكثفة التـي اسـتهدفت مصر بعد ١٩٥٥ وهو ما بان في محطة سابقة من الدراسة.

ومما يجدر ذكره هنا أن برنامجا جديدا أضيف إلى سلسلة البرامج الدعائية المناوئة للنظام الأردني في صوت العرب، وهو ما تم رصده بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٣١، تحت مسمى "أبو لمعـة" وكان يقدم بأسلوب ساخر للحديث عن الأسرة المالكة[٢]. ومع هذا الكم من البـرامج بمـضامينه المستهدفة والمناوئة للملك، فإن تأثيراتها أخذ يلقي اهتماماً في الدوائر المعنية.

تحدثت الوثائق البريطانية أوائل أيلول ١٩٦٠ عن "حرب أعصاب" تنفذها القـاهرة ضـد الملك، مبينه أن مفعول الحملات الدعائية "الخسيسة" اتحد مع مقتل هزاع، مولداً حالة من "فقـد الأعصاب" لديه، ما قد يدفعه للإقدام على ارتكاب "خطأ"، تكون نتيجته لصالح عبـد الناصـر، وتؤكد على أنه كان يتمتع بهدوء طيلة الأزمات الماضية، إلا أنه سيكون أمرا مأساويا " إذا مـا نجحت دعاية ج.ع.م إلى دفعة نحو خطوات "غير صائبة أو متهـورة"[٣]، ولـم تحـدد ماهيـة الخطوات غير الصائبة، وغير المحسوبة، ولربما كانت تتعلق بخطوات إزاء ج.ع.م في الشمال باعتقادي.

ومما يجدر ذكره هنا أن الملكة زين الشرف، طلبت منه فـي شـهر آذار ١٩٦٠ عـدم الاستماع لصوت العرب لما تتركه من أثر على حالته النفسية وطلبت منه أيـضاً عـدم الـرد

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أكاذيب وحقائق ١٩٦٠/١٠/٢٧، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أبو لمعة ١٩٦٠/١٠/٣١، ٣٣٦-٣٥٣.

(3) R.J.,Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 9,10 September 1960, Fo 371/151047, P. 702.

شخصياً على دعاية عبد الناصر، عبر ما كان يلقيه من خطابات مؤكـدة أنهـا تأخـذ حملاتـه الدعائية على محمل الجد[1].

وعادت التقارير البريطانية في منتصف شهر تشرين الأول ١٩٦٠ للحديث عن الوضـع النفسي للملك، الذي وصفته بـ "المكتئب واليائس" حسبما أكد البريجادبر (Strickland) نائـب مدير الاستخبارات العسكرية البريطانية إثر اجتماعه به، وأنه كان في حالة لم يره عليهـا مـن قبل، وتجلت المسببات، بحديثة عن الدعاية "القاتمة" لـ ج.ع.م وسعيها "لكسر صبر الأردنيين"، والمؤامرات التي تشن من سوريا، "وحزنه الشديد" على اغتيال هزاع[2].

وقد أكد الملك عدم إمكانية الاستمرار في سياسة "ضبط النفس" إزاء الهجمـات الدعائيـة المتصاعدة، وبخاصة وأن شعوراً بعدم الرضا بدأ بالتولـد داخـل المؤسـسة العـسكرية إزاء السياسات المتحفظة نحو ج.ع.م[3]، وعلى صلة بالجيش أيضاً، فقد كان لديه قلق نتيجة لدعايـة القاهرة الهادفة لخلق تيار موالٍ لها بداخله[4]، وهو ما أعتبره محاولة "تخريبية"، مترافقـة مـع تحريض الشارع على العصيان المدني[5]، لاسيما في الضفة الغربية[6].

ومما يلفت الانتباه أن البريطانيين تدخلوا بطريقة يمكن وسمها بالفعالة، لإيقاف الحمـلات الدعائية ضد النظام الأردني، فوزارة الخارجية البريطانية طلبت من البعثة البريطانية في الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٦٠/٩/١٢ إبلاغ الأمين العام للأمم المتحدة همرشولد، بأن "هجمات" دعايـة

---

(1) R.J., Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 22 March 1960 Fo 371, P.596.

(2) R.J.,Vol.11, Brig. F. Piggott To Mr. J. Beith, 14 October 1960, With Enclousr: Notes bylt – Col.H. Webb On his Conversation With King Hussein, Fo371/151051, PP.762-763.

(3) Ibid., P. 765.

(4) R.J.,Vol.11, Telegram From Amman To Foreign Office, 1 November 1960, Fo 371151052, PP.776-777.

(5) R.J., Vol.11, Mr. J. Henniker Mayor To Mr. J. Beith, 4,18 November 1960, Consulat General, Jerusalem to learent Department, FO 24 November 1960, p. 781.

(6) R.J., Vol.,11, FO 371/151052, OP. Cit., P.776.

القاهرة هي عامل فاعل مؤثر على استقرار البلد وأمنه، مع إلحاح بضرورة "التوسل"، والتوسط من قبله لدى عبد الناصر لوقف الحملات، بتقديم حجة، هي أقرب إلى اللعب على الوتر القائـــل "بخطورة" الحملات على الاستقرار في "الوطن" العربي، والخشية من استفادة إسرائيل منهـــا[(١)]. ولربما كان التفكير البريطاني هنا يقترب من نقطة كان يوليها الاهتمام.

إذ أنه جذر لقاعدة تضع حدوداً معينة للدعاية المناوئة للملك؛ بحيث لا تدفع بالأمور نحـــو الثورة في الأردن، خشية فتح الباب للتدخل الإسرائيلي [(٢)]، وأما الملك فأبـــدى رغبتـــه خـــلال اجتماعه بوزير الخارجية الأمريكي بنيويورك نهاية الأسبوع الأول من تـــشرين الأول١٩٦٠، بهدنة طويلة والاحتفاظ بحق الرد مع وضع شروط مسبقة للتهدئة تقضي بتسليم المتورطين بمقتل هزاع، ووقف النشاطات المعادية انطلاقاً من سوريا، ومن ثم العمل على تنظيم الهدنة الإعلامية، وتدل الآلية السابقة التي تم تقييدها بعدد من الشروط لوقف الحملات على "فقـــدان الثقـــة" بـــــ ج.ع.م نتيجة لموقف دعايتها من النظام، وتؤكد الوثائق البريطانية أن عبد الناصر ربط قبـــول الهدنة بقبول الأردن بها[(٣)]، ودون ذكر لموقفه من الشروط السالفة، وعلى ما يبدو فأن شيئا من ذلك لم يتحقق.

لأن الملك عاد في ١٩٦٠/١١/١٨ ليتعهد للبريطانيين بتخفيض "عنف الهجمات" الدعائية ضد ج.ع.م رغم اعتقاده بأنها لن تقوم بعمل مماثل، ما أدى بالتالي لاستمرار الحملات[(٤)]، وهو ما دفعه للإعلان في ١٩٦٠/١١/٢٩، بأنه لا جدوى من اللقاء مع عبد الناصر، كونـــه ينـــتهج

---

(1) R.J.,Vol.11, Telegram From Foreign Office To New York, 12 September 1960, Fo 371/151047, P.714.

(٢) ناتنج، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(3) R.J.,Vol.11, Record Of Meeting Between Secretary Of State and King Hussein, 11, October 1960, Fo371/1510501,p. 743.

(4) R.J.,Vol.11, Mr. J. Henniker Major To Mr. J. Beith,4,18 November 1960, Consulate General, Jerusalem TO Leavent Department, Fo 24 November 1960, P. 781.

سياسة تهدف لـــ "تدمير وتقويض دعائم الأردن"[١]. وهو ما فرض حمله من الأساليب لمواجهة دعايته.

أدى تصاعد المواجهة الدعائية بعد اغتيال هزاع إلى دفع السلطات الأردنية للأخذ بأساليب جديدة في المواجهة وهو ما كانت ترصده إذاعات ج.ع.م، وتقوم بنشره وتحويله إلى جزء مـــن الحملات الدعائية.

ومن تلك الأساليب فرض غرامة مالية على منْ يُضبط مستمعاً لصوت العـــرب، وقـــدر المبلغ بخمسين ديناراً مع حكم بالسجن لمدة ستة شهور[٢]، وامتد حظر الاستماع ليـــشمل كافـــة إذاعات ج.ع.م، وهو ما عدته إذاعة القاهرة كـــ "حملة إرهابية"[٣]، فيما شبهته إذاعـــة دمـــشق "بمحافل التفتيش"، والتي بموجبها "مهاجمة" كل منزل يسمع منه صـــوت يمـــت بـــصلة لتلـــك الإذاعات، وهو ما يتلوه عادة "مصادرة الراديو"، وتوجيه تهمة "بالتآمر" علـــى الملـــك، وهـــي إجراءات بحسب الإذاعة لم يكن لها أي تأثير على مستوى استماع الـــشارع الأردنـــي للقـــاهرة ودمشق[٤]. وبمقابل تلك الإجراءات فإن صوت العرب تطرح ما بدا لها أنها مفارقـــة أنتجتهـــا السلطات الأردنية بسماحها للاستماع للإذاعة الإسرائيلية، فما هي تمنعه الإذاعات عربية، وهـــو الإجراء ذاته الذي تتخذه السلطات الإسرائيلية مع العرب في "فلسطين المحتلة"[٥].

وأما إذاعة فلسطين فعرضت عبر صوت العرب في ١٩٦٠/١١/٩ لأسلوب أدعت أنـــه يقوم على إرسال "المرتزقة ومتعهدي مهرجانات التأييد للاتصال بالناس وإرغامهم على توقيـــع

---

(١) فلسطين، ١٩٦٠/١١/٣٠.

(٢) إذاعة صوت العرب، برنامج أكاذيب تكشفها حقائق، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٣١، ٣٣٦-٣٥٣.

(٣) إذاعة القاهرة، برنامج الصحافة تقول، ١٩٦٠/١١/٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٤) إذاعة دمشق، التعليق السياسي، ١٩٦٠/٩/١٤، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(٥) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦٠/٩/٢٢، ج ٣٠٤-٣١٨.

برقيات الولاء والتأييد بالإكراه.."[1]، وتحديداً المخاتير والوجهاء، ومن ثم إرسالها "للقصر"، مع الترويج لها عبر الإذاعة، كتعبير عن رأي عام يرفض محتوى حملات ج.ع.م.[2]، وهو أسلوب تقليدي أخذ به النظام منذ بداية مواجهته مع صوت العرب. وبنهاية عام ١٩٦٠، كانت ثلاث سنوات من الحملات البينة قد اكتملت تقريباً، أي أن النهاية كانت قد اقتربت ولم يطل الأمر سوى لشهور حتى كان الانفصال في ١٩٦١/٩/٢٨، حيث لعبت السلطات الأردنية دوراً فيه بوسائل شتى ولاسيما الدعائية منها.

---

(١) إذاعة صوت العرب، إذاعة فلسطين، ١٩٦٠/١١/٩، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة دمشق، برنامج كلمة اليوم، منير الريس، ١٩٦٠/١١/١٠، ج ٣٥٢-٣٦٦؛ إذاعة حلب، برنامج ماذا في الأردن، ١٩٦٠/١١/٨، ج ٣٣٦-٣٥٣.

الباب الثالث

الانفصال والحملات الدعائية

لقد اجتمعت عدة عوامل، لتنتج دافعية لدى النظام الأردني للعمل لإنهاء الوحدة المصرية السورية، وتعزو وجهة النظر التي من الممكن وصفها بالرسمية السبب إلى سياسات عبد الناصر إزاءه.

فقد لعبت تلك السياسات دوراً مؤثراً ما بين ١٩٥٧-١٩٦٠ "لزعزعة الاستقرار في الأردن وتقويض كيانه كنظام ودولة"، وخلال تلك الفترة وقعت أحداث "ملئت قلوب المسؤولين الأردنيين بالمرارة، وحفرت فيها جراحاً عميقة"، ولعل من أهمها اعترافه "بالانقلاب" العراقي في تموز ١٩٥٨، "واتهامه بالمجزرة الدموية"، التي أنهت حكم الأسرة الهاشمية، وقتل فيها عدد من المسؤولين الأردنيين[١]، ثم جاء اغتيال هزاع ليعزز فكرة إنهاء الوحدة.

إذ أكد الملك حسين عزمه على "الثأر" بعد مقتله[٢]، كما أن "معاقبة" عبد الناصر على دوره في إنهاء الحكم الهاشمي كانت تسكن فكره[٣]، ولعل ملامح فكرة الثأر بانت في أداء الإذاعة الأردنية، مباشرة عقب الحادث؛ ففي مساء ١٩٦٠/٨/٢٩، وفي رصدٍ لها سجلته الإذاعة الإسرائيلية، أعلنت أن دمشق "لن تكون بعد اليوم وكراً للجريمة والتآمر، وملتقى للعملاء والقتلة.. إن السيل قد بلغ الزبى.."[٤]. أخذت الدعاية الأردنية بعد اغتيال هزاع خطا تصاعديا ترافق مع خطوات عملية على الأرض.

ورصد ذلك بعد ما يقارب الشهر من حادث الاغتيال ففي ١٩٦٠/٩/١٨، أعلنت إذاعة دمشق عن حشد الجيش الأردني على الحدود السورية[٥]، وهو ما صنف من قبل صوت العرب في ١٩٦٠/٩/٢٠ كـ "مؤامرة" تسير بالتنسيق مع إسرائيل، مدللة على صحة قولها بخلو الجبهة

---

(١) الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج ٢، ص ٤٨.

(٢) الحسين، مهنتي، ص ١٨٢.

(3) R.J., Vol. 13, Article From New York Times, 18 June 1962, FO 371/164088, P.125.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٨/٣٠، ج ٢٧٥-٢٨٨.

(٥) إذاعة دمشق، برنامج موضوع الصباح، ١٩٦٠/٩/١٨، ج ٢٨٩-٣٠٢.

الأردنية الإسرائيلية من القوات، سوى عدد رمزي[١]، غير أن الإذاعة الأردنية نفت* ما تقدم واعتبرته جزءاً من أساليب "الدعاية الناصرية لإخفاء فشلها في الداخل"[٢].

غير أن الوثائق البريطانية أوردت إشارة في منتصف تشرين الأول ١٩٦٠، وجود قوات أردنية على الحدود السورية، حيث أبلغ الملك البريطانيين "اضطراره" إلى هذا الإجراء، لإبعاد تلك القوات من أماكن التجمع السكنية، لتكون في منأى عن تأثيرات الدعاية "المخربة"[٣]، وربما كان ذلك تمويها من الملك على البريطانيين لإخفاء نواياه الحقيقية.

وتؤكد بعض الآراء طلبهم من الملكة زين الضغط عليه خلال زيارة لها إلى لندن، للحيلولة دون القيام بالحشد، كما أن السفير البريطاني في عمان نصحه بعرض قضيته على مجلس الأمن وعدم اتخاذ خطوة "انتحارية"، أما الأميركيون فكانوا في هذه الفترة متبنين لسياسة استرضاء "المشاعر العروبية الشعبية لعبد الناصر". لذلك كان الرئيس أيزنهاور معارضاً أيضاً[٤].

وقد كان للعمل الأردني المناوئ لـ ج.ع.م وجوه أخرى، تمثلت وفقاً لإذاعة لندن في ١٩٦٠/١٠/٢٦ بالقيام بعمليات تفجير داخل الأراضي السورية[٥] عُدَت من قبل صوت العرب في ١٩٦٠/١٠/٢٧ "كانتقام رخيص" ينسجم مع "الدور المرسوم للملك كعميل لاستعمار

---

(١) إذاعة صوت العرب، برنامج أمة العرب من صوت العرب، ١٩٦٠/٩/٢٠، ج ٢٨٩-٣٠٢.

* "أرسل الملك المقدم إميل جمعان للاجتماع بمدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الجنرال حاييم هيرتزوغ مبلغاً الإسرائيليين بأن الملك أتخذ قراراً بنقل قوات من الجبهة إلى الحدود السورية طالباً في الوقت ذاته أن لا يقوم الإسرائيليون بأي خطوة تستغل ذلك، وهو ما وافق عليه الإسرائيليون"؛ شلايم، مرجع سابق، ص ٢١٧

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، خبر، ١٩٦٠/٩/٢٧، ج ٢٨٩-٣٠٢.

(3) R.J. ,Vol.,11, Fo371/15051, Op. Cit., P. 764.

(٤) شلايم، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٥) إذاعة صوت العرب، برنامج حتى لا ننسى، أحمد سعيد، ١٩٦٠/١٠/٢٧، ج ٣٣٦-٣٥٣.

والصهيونية"[1]، لكن إذاعة القاهرة أدرجتها كجهد أردني إسرائيلي مشترك تقـوم بـه "شـبكة تخريب تتبع القصر الملكي، "وأخرى إسرائيلية"[2]، مع دعم مالي اقتطع من مخصصاتٍ تـرتبط بتموضع الجيش على الحدود مع إسرائيل، وُكِّل الشريف ناصر بن جميل بإنفاقها على "عمليات النسف داخل سوريا.."[3].

وقدمت إذاعة دمشق في ١٩٦٠/١٠/٢٨ أسلوباً أخر استخدمته السلطات الأردنية ويتمثل بالاعتماد على من دعتهم بـ "الفارين من وجه العدالة وتم شطبهم مـن سـجلات المـواطنين الشرفاء" في عمليات دعائية عبر الإذاعة الأردنية لتحريض السوريين على الثورة والانفصال[4]. ومع استمرارية النشاط الأردني المضاد لـ ج.ع.م وفقاً لدعايتها، فإن ردة فعلها باتـت أمـراً ملموساً على أرض الواقع.

وتؤكد المصادر البريطانية في منتصف كانون الأول ١٩٦٠ أن "الخطر" لـم يـأت مـن الحملات الدعائية، ولكنه بدأ يظهر أيضاً مع حـاملي المتفجـرات "المتـسللين" عبـر الحـدود السورية[5]، غير أن بعض المحاولات تم ضبطها، وقد استدلت السلطات بها في ١٩٦٠/١٢/٢٠ على ما عدته بـ "خسة ونذالة عبد الناصر[6]". واستمر حال العلاقات على ما هو عليـه حتـى بداية شهر شباط ١٩٦١، حيث طرأ تحول على منحنى سيرها، صوب التهدئة.

جاء التحول مرتبطاً بقرارات مؤتمر وزراء الخارجية العرب يـوم ١٩٦١/٢/٤ ببغـداد، والقاضية بوقف الحملات الدعائية والعمل لإعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بـين الـدول

(١) إذاعة لندن، خبر، ١٩٦٠/١٠/٢٦، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(٢) إذاعة القاهرة، برنامج الصحافة تقول، ١٩٦٠/١٠/٢٧، ج٣٣٦-٣٥٣.

(٣) إذاعة القاهرة، برنامج الصحافة تقول، ١٩٦٠/١٠/٢٩، ج٣٣٦-٣٥٣.

(٤) إذاعة دمشق، برنامج تعليق الصباح، ١٩٦٠/١٠/٢٨، ج ٣٣٦-٣٥٣.

(5) R.J., Vol.2, Foreign Office Minute On Lond Privacy Seals Visit To Crown Princy Mohammad, 14 December 1960, FO 371/151134, P.614.

(٦) فلسطين، ١٩٦٠/١٢/٢١.

العربية، وفي ١٩٦١/٢/٥ أصدر الملك حسين قراراً "بأن تمتنع الإذاعة الأردنية والصحافة عن الرد على الحملات والهجمات التي تقوم بها بعض الدول العربية. لتنقية الجو العربي وحرصاً على صفاء العلاقات"[١]، وهو فعل رحب به وزير الخارجية المصري محمود فوزي أثناء وجوده في بغداد ووعد بمطالبة حكومته بخطوة مماثلة[٢].

وكعادة ردود الفعل المحلية فإن هكذا قرار استقبل بالدعوة لتكثيف الجهود العربية لمواجهة "العدو المشترك"، و"السرطان الذي يهدد الوجود العربي"[٣]، كما بينت أن الأردن الذي يقف على أطول خطوط المواجهة هو "بأمس الحاجة" إلى هكذا قرار، ليكون متفرغاً لمواجهة "العدو"[٤]، وهذه الصورة الناتجة عن مؤتمر بغداد عكستها صحيفة التايمز بتبيانها أن توقف الحملات الصحفية والإذاعية بين الدول العربية جعل إسرائيل "الموضع الرئيس" لهم[٥].

لذلك فإن الربط ما بين مواجهة إسرائيل ووقف الحملات لطالما أثار إذاعتها ودفعها مراراً لتأكيد لا منطقيته، ووصل الأمر بها إلى درجة التأنيب والتوبيخ، والدعاء "بالهداية" لمن كان يزاوج ما بين الأمرين، فما كان يجري من حملات دعائية حسب رأيها هو "حرب عربية باردة"[٦]، ومن غير المعقول أن تتبادل صوت العرب والإذاعة الأردنية الاتهامات، باعتبار هجماتهما البينية "خدمة لإسرائيل"، فذلك "تجني على الحقيقة"، ومحاولة "لإقحامها اصطناعياً في كل مهاترة خالية من الذوق.."، وهو كمن "يقوِّم الاعوجاج" بمزيد منه، وكمن يصحح "الخطأ

---

(١) الدفاع، ١٩٦١/٢/٦.

(٢) الدفاع، ١٩٦١/٨/٧.

(٣) الدفاع، ١٩٦١/٢٨

(٤) الدفاع، ١٩٦١/٢/٦.

(٥) الدفاع، ١٩٦١/٢/٧.

(٦) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٧/٢، ج ٢١٨-٢٣١.

بخطأ" آخر، ورأت أن ذلك يستوجب "الدعاء إلى الله للقائمين على وسائل الدعاية العربية بالعفو والمغفرة لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"[١].

ولكل ما تقدم نجدها ترد على الملك حسين في ١٩٦٠/٣/١٦، لربطه بين بقاء إسرائيل، والفرقة العربية الناجمة عن الحملات الدعائية، بأن الأردن هو من "يستند بقاءه على فرقة العرب.. فماذا لو اتفقت عليه العراق ومصر"، ومن هذا الخطر المزعوم انطلقت لتذكيره بالتخوين المستمر له من قبل عبد الناصر داعية لاستغلال الأمر وعقد سلام مع إسرائيل، بما أن تلك الصفة باتت ملازمة له[٢]، وأما الصحافة الأردنية التي أكثرت من ترداد الربط.

فكانت عرضه لحملات الإذاعة الإسرائيلية، التي اتهمتها "بالتخفي" وراءه للتغطية على "قصور ونفاق محرريها" عن شن "الهجمات" ضد عبد الناصر بعد أن كانت تتقاضى منه الدعم المادي لشن الحملات على من يوعز إليها ضده، لذا كانت أسهل المنافذ أن تتحدث عن استغلال اليهودية العالمية للدعاية المتبادلة بين الأردن و ج.ع.م لتشويه صورة العرب.." وبالتالي ضرورة وقفها[٣].

فالحل بالنسبة للإذاعة الإسرائيلية لا يكون بالربط، وإنما بتسوية العرب أمورهم وخلافاتهم، لأن الطبيعي هو "وجود الوئام والعمل والبناء سواء كانت إسرائيل موجودة أو غير موجودة.."[٤]، وفي هذا السياق سخرت من دعوة الإذاعة الأردنية لإخفاء الخلافات العربية أمام

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج تعليقات خاطفة، ١٩٦٠/٧/٢٧؛ ج ٢٣٢-٢٤٥؛ ١٩٦٠/٧/١٣، ج ٢٣٢-٢٤٥.

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج مقتطفات من أقوال الصحف، ١٩٦٠/٣/١٦، ج ١٠١-٢٤٨.

(٣) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج مع الصحف العربية، أنيس توفيق، ١٩٦٠/٧/١٥، ج ٢٣٢-٢٤٥.

(٤) الإذاعة الإسرائيلية، برنامج أضواء وظلال، ١٩٦٠/٣/٢٨، ج ١٠١-١٤٨.

العالم، مؤكدة "وضوحها كالشمس في الصحراء العربية المحرقة"[١]، مبينة أن الأجدى هو الانتقال من أسلوب "التهجم والإهانة وتوزيع نعوت الغدر والخيانة إلى الحجة والمنطق.."، والأخذ بآلية الحوار[٢]. وبعيداً عن الدعوة الإسرائيلية فإن العلاقات الأردنية مع ج.ع.م كانت تتجه نحو هذا المفصل فبعد أن اتخذ القرار الأردني بوقف الحملات الدعائية.

اتخذت ج.ع.م قراراً مماثلاً بوقف الحملات الدعائية و"برامجها العدائية"، في ١٩٦١/٢/٧[٣]، وفي الثامن من آذار ١٩٦١ كشفت إذاعات ج.ع.م عن رسالة أرسلها الملك إلى عبد الناصر[٤]، محورها الأساسي رغبته بتحسين العلاقات، ووضع حد "للدعاية المعادية التي تشنها إذاعتا القاهرة ودمشق منذ خمس سنوات"، وكان ذلك مقرونا بالرجاء المشترك وبتطلع للاجتماع والبحث "بصراحة وإخلاص" في عوامل الخلاف والفرقة[٥].

ولكن محمد حسنين هيكل حدد موقفه من الرسالة في مقال له بالأهرام بتاريخ ١٩٦١/٣/١٠ معتبراً إياها كأداة وتكتيك لعزل ج.ع.م، بعد فشل المحاولة السابقة عام ١٩٥٧، فالملك يجرب هذه المرة التهدئة باسم "التضامن العربي"، ومن تم السعي "لتدمير دورها الطبيعي في قيادة الحركة الثورية العربية والتحررية"، تحت ما أسماه "هجوم الربيع"، مع إصرار على التذكير بمضامين دعايته نحو عبد الناصر، إذ عدته "داعية شرك وإلحاد، وأداة للشيوعية". فهو لم يتغير، وإنما يسير في عملية "جديدة ومبتكرة" ضد القاهرة[٦].

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٤/٢، ج١٠١-١٤١.

(٢) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦٠/٧/٢، ج٢١٨-٢٣١.

(٣) الدفاع، ١٩٦١/٢/٧.

(٤) الدفاع، ١٩٦١/٢/٨.

(٥) الحسين، مهنتي، ص١٩٦.

(٦) محمد حسنين هيكل، هجوم الربيع، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/٣/١٠.

وبعد المقال السالف بيوم واحد تقريباً تعرض الموقف الأردني للتشكيك مجدداً، وهو ما ظهر في البيان الرسمي الأردني الذي صدر نافياً الأخبار المروجة، ولم يكتشف مصدرها، لإرسال السلطات الأردنية سوريين للتفجير في "الإقليم الشمالي"، وكان البيان ملحاً في تأكيده على أن الأردن "يترفع عن اللجوء إلى سلاح المكر والغدر والخديعة.."، مع تحميل الصحافة الأردنية المسؤولية عن ذلك "للأعداء" لإجهاض مساعي الملك في تصفية الجو العربي[١].

ومع أن البيان صدر لينفي الاتهام، إلا أن سياقه المتحدث عن رفض الأردن "للمكر والخديعة والغدر"، لربما كان أقرب للرد على هيكل، أكثر مما هو موجهة لنفي الخبر، إذا أن دوره في توجيه الدعاية المصرية كان معروفاً للجميع، ما يجعل مقاله أكثر تأثيراً من محاولة التفجير التي تحدث عنها البيان، ولربما كان التفجير الحقيقي هو مضمون الفكرة التي طرحها فيه.

وربما تكون تلك الفكرة قد أثرت على بطء عبد الناصر بالرد الذي لم يأت إلا بعد فترة تجاوزت الأسبوعين بقليل حيث وصل الملك في ١٩٦١/٣/٢٣[٢]، وقد وصفه بأنه، "كتاب يمتلئ" "حرارة" دعاه فيه بـ "صاحب الجلالة مع استخدام مفردة "أخي"[٣]، وهي التي استخدمها الملك أيضاً في رسائل وخطابات تلك الفترة[٤]، في تناقض واضح باعتقادي مع المفردات التي لطالما استخدماها بدعايتهما البينية لوصف بعضهما البعض، وظلت سائدة لأسابيع قليلة قبل تلك الرسائل، والأهم أن عبد الناصر ضمن رسالته نصاً عن فكرة العزلة التي تطرق إليها هيكل.

---

(١) الدفاع، ١٩٦١/٣/١٣.

(٢) الدفاع، ١٩٦١/٣/٢٤.

(٣) الحسين، مهنتي، ص ١٩٧.

(٤) خطاب الملك حسين، ١٩٦١/٢/١٦، ج١، ص٤٢٩؛ خطاب ١٩٦١/٤/١٥، ج١، ص٥٨٨.

عندما أكد أن "الذين أرادوا عزل مصر بعد فشل العدوان المسلح عليها وذلك ببث الفتنة بين الدول العربية إنما كان هدفهم عزل الدول العربية في نفس الوقت.. وما من شك أن مصر تخسر كثيراً عندما يبتعد الأردن عنها.. ولكن خسارة الأردن بابتعاد مصر عنه أكثر وأكثر.." وقد ورد هذا المقتطف في مقال لهيكل بدا فيه متناقضاً مع موقفه السابق عندما أكد هذه المرة على أن الملك وعبد الناصر يستحقان في سيرهما نحو العلاقات الوثيقة التأييد والدعم من "الشعوب العربية"[١].

وعاد الملك لإرسال رسالة ثانية في ١٩٦١/٤/٢، مركزاً على "طي صفحة الماضي والتأسيس لعلاقات قوية ومتينة على أساس من المصارحة والمكاشفة.."، وجاء رد عبد الناصر في ١٩٦١/٥/١١ متمنياً "رفعة الأردن وازدهاره"[٢]، ومرة أخرى فإن بطء الرد وتكرار الرسالة الملكية، قد يكون مؤشراً على استمرارية الشك لدى ج.ع.م بالخطوة الأردنية.

حتى أن إعلان الملك عن رغبته بلقاء عبد الناصر، وترحيبه بزيارته لعمان، والذي جاء في ١٩٦١/٤/٤ عبر البي بي سي لم يلق أي ردة فعل من ج.ع.م[٣]، ولكن مع هدوء تام في الحملات الدعائية. وهو ما دفع بعض الآراء لتضيف هذه الفترة بـ "الطبيعية، " وهو ما أستمر إلى أن حل الانفصال في ٩/٢٨/ ١٩٦١[٤].

---

[١] محمد حسنين هيكل، رسائل عبد الناصر وحسين، ١٩٦١/٣/٣١، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/٣/٣١

[٢] الدفاع، ١٩٦١/٥/١١.

[٣] الدفاع، ١٩٦١/٤/٥.

[٤] الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج ٢، ص٤٨.

أنتج انهيار الوحدة المصرية السورية تناقضاً في المشاعر والحالة النفسية للأطراف المعنية ووفقاً للتصنيف المعبر عن وجهة النظر المصرية، فإن وسائل الدعاية "المعادية"، سادها "الابتهاج والفرحة الكاملة"[١]، وحسب أراء متعلقة بتلك اللحظة، فإن الحالة العاطفية السالفة الوصف بانت بشكل جلي في أداء الإذاعة الأردنية، وما بثته من أغان كانت "مجهزة" لتغطية الحدث، وتتحدث عن "سوريا وتراثها وتاريخها"[٢]، وهو ما كان تطبيقاً عملياً لتعليمات الملك الذي زار الإذاعة مباشرة في اليوم ذاته لإعلان "الثورة" في سوريا، حيث أجتمع بمديرها العام صلاح أبو زيد وطلب وضعها في خدمة العهد الجديد بسوريا[٣].

ويؤكد هيكل* أنه "سارع" بالذهاب إليها "ليدير معركة التأييد المعنوي للانفصال"[٤]. وأما إذاعة صوت العرب فتحدثت عن قطع الإذاعة الأردنية لبثها لتتحدث عن "عناية.. وبالغ اهتمام الملك" بما جرى مع وصفٍ "لسعادته" واعتزازه وتأييده المطلق للحركة، وحديثٍ عن "تهنئته وتبريكه" بعودة، سوريا "كما ينبغي أن تكون"[٥]، وفي الشق الإعلامي أيضاً أصدر الملك أمراً

---

(١) نصر، مرجع سابق، ص ٥٥٠.

(٢) محمد الخطيب مقابلة، ٢٠١١/٧/٢.

(٣) فلسطين، ١٩٦١/٩/٢٩.

* خلال لقائه مع الملك حسين نهاية أيلول ١٩٦٣ في باريس كتمهيد لإصلاح العلاقات الأردنية المصرية، عاتب هيكل الملك على موقفه من الانفصال، مذكراً إياه بتعبئة الجيش، وذهابه إلى الإذاعة للتحريض بنفسه ضد ج.ع.م في يوم ١٩٦١/٩/٢٨، الذي وصفه هيكل "بالكئيب". وقد كان رد الملك:"كانت هذه غلطة ... اعترف بذلك"؛ محمد حسنين هيكل، نظره عبر البحر، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/٩/٢٧؛
R.J., Vol. 13, Heikals Meeting With King Hussein As It Appeared In Al Ahram, Fo 371/170 274, 27 September 1963, P. 730.

(٤) محمد حسنين هيكل، الثورة في الأردن ورحلة عبد الناصر إلى الجزائر، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٣/٥/٣، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، الثورة في الأردن.

(٥) إذاعة صوت العرب، التعليق السياسي، أحمد سعيد، ١٩٦١/٩/٢٩، د.ج.

للحكومة في ١٩٦١/١٠/٣ بالسماح للصحف السورية الدخول[١]، وقد كانت تلك الخطوات إسهاماً بالوقوف إلى جانب النظام الجديد.

الذي بدأ يتعرض لحملات دعائية من إذاعات القاهرة[٢]، ما دفعه لإيجاد وزارة جديدة للدعاية والأنباء والتلفزيون[٣]، وأما المفصل الأهم في الموقف الأردني فكان الاعتراف "بالانقلاب" في اليوم التالي، وقبل التأكد من تمام سيطرته على الوضع[٤]، وهو القرار الذي اتخذ بعد اجتماع لمجلس الوزراء برئاسة الملك، وتلاه تصريح لبهجت التلهوني بالتعبير عن "السعادة" بعودة سوريا إلى "مكانتها كقلب للعروبة الأصيلة ومنطلق القومية العربية الحقيقية"[٥]، والمفارقة أن هذا الموقف الرسمي جاء بعد فترة قصيرة من تصريحات رسمية أردنية عن الوحدة العربية والعلاقات مع ج.ع.م قبل يومين من الانفصال.

إذ نشرت الصحف في ١٩٦١/٩/٢٦ تصريحات الملك لوفد صحفي أمريكي استقبله في ٩/٢٥ يعبر فيه عن موقفه من الوحدة العربية، فهي "ليست دعوة فحسب بل إنها عقيدة لدى كل عربي وأمنية تفوق كل أمانيه في هذا الوجود وسوف لا يمضي وقت طويل إلا ويكون وعي أمتنا وجهدها القومي الخير قدر استطاع أن يحقق هذه الأمنية الغالية ويبرزها إلى حيز الوجود"، وكذلك تحدث التلهوني في اجتماع مع الصحفيين الأردنيين في اليوم ذاته عن الموقف الرسمي و"أماله بتحقيق الوحدة العربية الكبرى"، لأنها أمل كل عربي خصوصاً وأن الشعوب العربية توحدها أواصر الدم والقربى وروابط اللغة والتقاليد والتاريخ والمصالح المشتركة والأماني

---

[١] فلسطين، ١٩٦١/١٠/٤.

[٢] فلسطين، ١٩٦١/١٠/٦.

[٣] فلسطين، ١٩٦١/١٠/١.

[٤] ناتنج، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

[٥] فلسطين، ١٩٦١/٩/٣٠.

والإسلام..."، ولم يقف عند هذا الحد، حيث أكد متانة العلاقة وقوتها مع ج.ع.م، لاسيما بعد الرسائل المتبادلة بين الملك عبد الناصر[١]، ولهذا سعت الدعاية الأردنية إلى التخفيف من حدة المفارقة.

وهو ما اتضح من افتتاحيات بعض الصحف التي حاولت تبيان المفهوم الأردني للآلية التي يجب أن تقوم عليها الوحدة وهي "طوع واختيارُ" الأطراف المعنية ليؤدي كل دوره بعزم وتصميم..".[٢]. ولكننا نجد وجهة نظر رسمية تتحدث بصراحة عن الدوافع الكامنة وراء التحركات الملكية الداعمة لما جرى في سوريا وهي بعيدة كل البعد عما قدم عبر الدعاية الرسمية لتبرير الموقف وهو ما سنراه فيما بعد بتغليف الملك حسين للموقف الذي اتخذه بوضعه ضمن عناوين جذابة.

حيث بينت أن الاعتراف "السريع هو ردة فعل على "مسارعة" عبد الناصر للاعتراف "بانقلاب" تموز العراقي عام ١٩٥٨ و"الابتهاج بالمجزرة الدموية"، التي أنهت حكم الهاشميين، "فالانفصال" جاء كفرصة للتنفيس عن الغيظ المكبوت والجراح التي لم تلتئم بعد"[٣]، وهو تبرير يلتقي مع تقديم الملك حسين لفكرة المعاملة بالمثل[٤]، كأساس لسلوك النظام مع المتغير السوري. وفي الطرف الآخر من معادلة المشاعر والحالة النفسية كان الرئيس عبد الناصر في وضع يخضع لمعطيات الظرف.

فللمرة الأولى يلجأ للإذاعة للحديث إلى الناس، وهو ما لم يفعله أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، لأن ما حصل حسب تعبيره كان له تأثيراته "السلبية على الكفاح العربي والفكرة

---

[١] فلسطين، ١٩٦١/١/٢٦.

[٢] فلسطين، ١٩٦١/١٠/١.

[٣] الموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ٤٨.

[٤] الحسين، مهنتي، ص ٢٠٠.

القومية، والشعارات التي طرحت.."، وله انعكاساته على الحاضر والمستقبل[1]، وأرى أن استعانته بها بتلك اللحظة نابع من شعوره بخطورة الموقف، مع رغبته بالتأثير السريع على الرأي العام، وبالتحديد السوري، في اللحظات الحرجة لعل وعسى أن يكون باستطاعته إحداث تغيير في مجريات الحدث الذي وضعه في جو نفسي جعله يحمل على الدول التي اعترفت بالنظام السوري، مجرداً إياها من صفات الدولة.

فبيانه الصادر في ١٩٦١/١٠/٥ حدد الأطراف التي اعترفت معلناً أنه يسميها "بالدول تجاوزاً، وهي بقايا الأسرة الخائنة للتاريخ العربي في عمان وحكومة "تشان كاي تشك*"

المطرودة من الصين إلى فرموزا، والحكومة العسكرية الفاشية في تركيا**، وحكومة شركة الفواكه*** الأمريكية في جواتيمالا، وحكومة أصدقاء إسرائيل في طهران..."[1]. وأرى

---

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر، من دار الإذاعة بالقاهرة، بعد البيان الأول للانفصال، ١٩٦١/٩/٢٨.

* تشان كاي تشك ١٨٨٦-١٩٧٥: عسكري وسياسي صيني خاض الحرب الأهلية ضد الشيوعيين بقيادة ماوتسي تونغ، ولكنه عقد صلحاً معه لمقاومة الاحتلال الياباني". خلال الحرب العالمية الثانية برز أسمه كزعيم دولي، علماً بأن الحزب الشيوعي الصيني كان يحرز الانتصارات المهمة. حضر مؤتمر القاهرة مع روزفلت وتشرشل، واشتدت حملا النقد عليه لسياسته الفاسدة ولسوء تسييره دفه القتال. وأصل الحرب ضد الشيوعيين الصينيين بعد الحرب العالمية الثانية بتأييد من الأمريكيين، ولكن دون جدوى، فقد تمكنوا من اكتساح جنوب الصين وإعلان جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩، مما أضطر شيانغ إلى اللجوء مع أنصاره إلى جزيرة فرموز التي احتفظ بها بفضل مؤازرة الأسطول السابع الأمريكي وفيها توفى وخلفه ابنه؛ الكيالي، ج٣، مرجع سابق، ص ٥٠٨.

** في ١٩٦٠/٥/٢٧ أطاح انقلاب عسكري بالحكومة المنتخبة ديمقراطياً برئاسة عدنان مندريس الذي أعدم بالإضافة لبعض الوزراء، مع العلم أن حكومة مندريس كانت قد سمحت ببعض الجوانب المتعلقة بالنشاط الديني بعد أن منعها أتاتورك مثل الدعوة إلى الصلاة باللغة العربية، وبث الصلوات والاحتفالات الدينية عبر الإذاعة، والسماح بالحج إلى مكة، والسماح بنشاطات الجمعيات الدينية، وخاصة إدخال التعليم الديني في المعاهد والمدارس؛ الكيالي، ج١، مرجع سابق، ص ٧١٣.

*** هي الشركة الأمريكية الأولى في العالم لتصدير الموز، والتي وسعت تجارتها إلى قطاعات عديدة وأصبحت المثال البارز للهيمنة الاقتصادية الأمريكية على دول أمريكا اللاتينية. كان تأسيسها عام ١٨٩٩، عشية اتفاقية باريس التي كرست التوسع الأمريكي في منطقة الكاريبي وأنشأت لها ١٥ شركة يشمل نشاطها أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. وفي العام ١٩٧٦ كانت تملك ٥٨ فرعاً منتشرة في أنحاء العالم. أصبحت دولة ضمن الدول وكانت قوتها الاقتصادية تتيح لها التدخل في الشؤون السياسية للبلدان ومعاملة=

أن في موقفه هذا شيءٌ من الحدة وهو ما عبرت عنه دعايته بدمجها بين الدورين الأردني والإسرائيلي.

أجمعت دعاية القاهرة على أن الملك حسين لعب دوراً فاعلاً في إنجاح الانفصال وكان تركيزها الأكبر على رسالته في بداية عام ١٩٦١ وتسخيرها لخلق جو ملائم للعمل ضد الوحدة.

حيث عدت من قبل عبد الناصر كعملية "خداع" نفذها باسم "جمع الصف ولم الشمل"، ونجده يقدم الأعذار لتبرير نجاح "الرجعية بخداعه"، ذلك أنها "لا يمكن أن تستكين" أو "تتوب"[٢]، فما كانت تلك الرسالة إلا ستاراً وغطاء أستخدم لتعزيز الجهود المناوئة للوحدة بالتعاون مع الاستعمار والرجعية وأعوان الاستعمار.." [٣].

أما هيكل فأكد على المعنى نفسه معتبراً الرسالة "تمويها" مارسه الملك لإخفاء "المؤامرة" التي كان ينفذها بالتعاون مع الملك سعود[٤]، عاملاً على إيصال دعمه المادي إلى قادة الانفصال وفقاً لرأي يطرح في تبيان دور النظام الأردني في "إنهاء" الوحدة[٥]، وفي هذا يؤكد أنور

=الحكومات معاملة الند بالند، طالبة منها تدخل جيوشها البرية والبحرية لحماية المصالح الإقتصادية للشركة، ومثال ذلك إجبار الجيش الكولومبي على قمع الفلاحين في الفترة الواقعة بين ١٩٢٠-١٩٣٠، ووصلت قوتها أنها أطاحت في العام ١٩٥٤ بحكومة أربنز (Arbenz) في جواتيمالا لإطلاقه مشروعاً لاستصلاح الأراضي والذي كان سينجم عنه حرمان الشركة من ٥٠،٠٠٠ اهكتار من الأراضي غير المستثمرة؛ الكيالي، ج٣، مرجع سابق ص ٤٦٦-٤٦٧.

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر بشأن الانفصال، ١٩٦١/١٠/٥.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر إلى الشباب في المؤتمر الوطني بجامعة القاهرة، ١٩٦١/١٠/٢. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، المؤتمر الوطني، ١٩٦١/١٠/٢.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة عيد النصر ببور سعيد، ١٩٦١/١٢/٢٣. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الناصر، بور سعيد ١٩٦١/١٢/٢٣.

(٤) هيكل، الثورة في الأردن.

(٥) الخطيب، مقابلة.

السادات أن الملك حسين أوصل سبعة ملايين دولار من الملك سعود إلى "الانقلابيين"[١]، ويبين أنتوني ناتنج أن سعيهما "لتحطيم" الوحدة دفعهما للتنسيق أيضاً في العمل الدعائي المضاد لهـا، حيث عمل سعود على تمويل محطات إذاعية "سوداء" عديـدة لتحـريض الـشعبين المـصري والسوري للثورة[٢]، وهو الدور الذي مارسته الإذاعة الإسرائيلية أيضاً، وحذر عبدالناصر مـن خطورته قبل أسابيع قليلة من الحدث وبالتحديد في ١٩٦١/٨/١٧، ضمن خطاب ألقاه أمام شباب وعمال سوريا[٣]. ولكن التركيز الأكبر للدعاية المصرية كان على الموقف الأردني.

فلم ينس هيكل في مقاله "هجوم الربيع الذي نجح في الخريـف" بتـاريخ ١٩٦٠/١٠/٦، التذكير بموقفه المشكك برسالة الملك ورغبته في التضامن والتصافي، فقد كانـت آليـة جديـدة جربها الاستعمار ضد ج.ع.م بعدما نفذ ألواناً من الهجوم العسكري والنفسي والاقتصادي، ولكنه جرب هذه المرة "الاقتراب" لضمان العمل "بهدوء" لإنهاء ج.ع.م عبر "قبلة المـوت"[٤]، التـي رتبت مع أطراف أخرى.

فزعم أن تنسيقاً أردنياً إسرائيلياً لضمان نجاح الانقلاب، قضى بحشد الجـيش الأردنـي بأكمله على الحدود مع سوريا "بضمان" عدم تحرك إسرائيل، والتي أطمأن إليها قادة "الانفصال" حينما حركوا الدبابات من معسكر قطنا على الحدود باتجاه دمشق دون خشية من استغلالها لتلك الفجوة[٥].

وقدم تفصيلاً عن الانسجام الأردني الإسرائيلي بعرض رواية توثق لطلب الملك حسين من بن غوريون صبيحة الانقلاب وبواسطة "صديق" تسهيل مهمة الطائرات الأردنية بعد عودتها من

---

(١) السادات، البحث عن الذات، ص ٥٠٢.

(٢) ناتنج، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

(٣) حمروش، ج٣، مرجع سابق، ص٦٨.

(٤) محمد حسنين هيكل، هجوم الربيع الذي نجح في الخريف، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/١٠/٦.

(٥) محمد حسنين هيكل، ما الذي جرى في سوريا، ١٩٦١/١٠/٢٨، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، مـا الـذي جرى في سوريا.

مهماتها شمال سوريا، إذا اقتضت الضرورة، السماح بهبوطها بالمطارات الإسرائيلية في الشمال، حال نفاذ وقودها لبعد المسافة التي ستقطعها، وأحيط الطلب بالسرية، وأخفي عن وسائل الإعلام، حتى أن المخابرات العسكرية الإسرائيلية اعتقلت صحفياً إسرائيلياً لمحاولته التلميح إليه، وطرد صحفي أجنبي لتضمين رسالته اليومية إلى جريدته إشارات عن ذلك[١].

ما تقدم يرتبط بواقعة أخرى أوردها هيكل في سياق تدليله على مركزية الدور الأردني في الحدث، فالملك اجتمع بضباط سلاح الجو في الساعات الأولى للانقلاب وأبلغهم إمكانية التدخل العسكري في سوريا، وأن عبء العمليات الأولى قد تقع على عاتق سلاح الجو، وسيتم ذلك بمساعدة "قوة كبيرة" بما يضمن تحقيق الأهداف[٢]، وبحسب هيكل فإن رغبة الملك بالتدخل العسكري لم تكن "خافية" على أحد، فهو أمرٌ أعلنه بنفسه من الإذاعة صبيحة "الانقلاب" كجزء من الدعم المعنوي "للانفصاليين"[٣]، وأما ما يتعلق بسرية الدعم الإسرائيلي، فلم تقتصر الرغبة بإخفائه على الملك، بل شملت السلطات الإسرائيلية أيضاً.

حيث طلبت من الإذاعة أن تصوغ أخبارها بكلمات "دقيقة" لا تعبر فيها عن المشاعر والعواطف إزاء "الانقلاب" خوفاً من إلحاق "الضرر الكبير بالمتمردين"، وظهرت هذه التوجهات لاحقاً في الجويش أوبزرفر بتاريخ ١٩٦١/١٠/٦[٤]. وقد حاولت الإذاعة الإسرائيلية اعتماد ذلك الأسلوب إلا أن ميلها اتضح بتحميلها عبد الناصر مسؤولية ما جرى، وحتى لو اتخذت الحياد التام فهو بحد ذاته موقف لصالح من قاموا بالحركة، ولربما كان تعبيراً صامتاً عن التأييد.

---

(١) محمد حسنين هيكل، شعاع ضوء على أفكار القيادة العليا في إسرائيل، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/١٢/٤.

(٢) محمد حسنين هيكل، ما هي طبيعة المعركة في سوريا الآن، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/٤/١٣.

(٣) هيكل، الثورة في الأردن.

(٤) هيكل، ما الذي جرى في سوريا.

وفي تعليقها يوم ١٩٦١/٩/٢٨ على ما جرى، لم تقدم رأيها مباشرة ولكنها اتكأت على عرض ما يمكن اعتباره أراءً لأطراف وهمية، إذ بينت أن "المراقبين المتمرسين وأصحاب القراءة الدقيقة ومحبي السلام...." لم يكن الحدث مفاجئاً لهم فمتابعتهم الحثيثة "لمثالب" الوحدة أوصلتهم إلى تلك النتيجة في زمن مبكر، وبعد هذا اتجهت لتقديم التنبؤات الإسرائيلية المتطابقة مع ما تقدم من آراء، مع تأكيدها على تأييد فكرة الوحدة "ومباركتها" وهو ما كان يدفعها لتبيان "نقائصها ونقاط ضعفها" المتمثلة بسيطرة و"استبداد القوى بالضعيف والأكبر بالأصغر".

ولكن عبد الناصر كان يقابل ملاحظاتها "بالشتائم"، مع أنها كانت تركز على أمور كان "الشعب يحسها على جسمه وفي أعصابه.."، لأن الوحدة لم تقم على أسس تدفعها نحو الاستمرار، ومن أهمها ".. المساواة والعدالة والتكافؤ والرغبة الشعبية الصادقة واحترام آراء الشعوب، وعدم التسلط على الآخر..."، وحرصت الإذاعة الإسرائيلية على عدم الجزم بنجاح "الانقلاب" فلم تنف إمكانية عودة عبد الناصر إلى "إحكام قبضته"[1]، وأرى أن أخذها بتلك النقطة كان لإبقاء أبوابها مفتوحة على المستمعين. وهو بعكس الموقف القاطع الذي اتخذته الإذاعة الأردنية فلم تتأنى ولم تترك منفذاً للتراجع فيما لو فشل القائمون على ما جرى، ولكنها التقت مع الدعاية الإسرائيلية في تأكيد حرصها على الوحدة، ولكن ضمن شروط محددة معينة وهذه النقطة شكلت ما يمكن وصفه بالمأزق، للدعاية الأردنية، في الترويج لموقف رسمي يساند حركة أدت لانهيار وحدة أيدها الرأي العام -كما رأينا عند قيامها- لذا كان لا بد من تخريجات تضع الموقف في سياق منطقي وهو ما اتضح في خطابات الملك التي تم عدد منها أمام وفود شعبية جاءت إلى الديوان للتأييد وهو ما يراه المدقق في هوامش التوثيق للفقرات التالية.

---

(١) الإذاعة الإسرائيلية، تعليق، ١٩٦١/٩/٢٨، د.ج.

برر موقفه انطلاقاً من "الأمانة والوفاء" للمبادئ القومية التي دفعته "لحتمية نصرة" الشعب السوري بعد ما رفض الخضوع للاستبداد حسب رأيه، وعمل "لاسترداد كرامته"[١]، إثر وحدة سادها "تسلط الفرد على الأمة"، فما جرى في سوريا "انتفاضة مباركة"[٢]، "وجسر يعبر منه الإنسان العربي نحو الحياة الأفضل"، حيث ظل يسمع عنها وفق عملية "تخدير عامة" عبر وسائل الدعاية وما كانت تبثه من خطابات وأناشيد وأغاني[٣]، ووفقاً لما تقدم فمن الخطأ أن يعتبر ما جرى بسوريا "انتكاسة"، لأنه أدى "لإعادة الأمور إلى نصابها"[٤].

ولم يكتف الملك بتقديم وجهة نظرة فيما جرى. ولكنه صنف الدعاية المضادة لموقفه إزاء الحدث السوري بـ" الحملات الظالمة"[٥]، و"الاتهامات الباطلة"[٦]، وهي "دعاية انتهازية... تنشر سموم الدجل والافتراء والتشويه.."[٧]، وهي أيضاً "تجارة لهو" واستخدام "لسلاح الدعاية والأكاذيب" في تحريف.. "المبادئ والأهداف القومية"[٨].

---

(١) خطاب الملك حسين في افتتاح الدورة العادية الأولى لمجلس الأمة الأردني، ١٩٦١/١١/١، ج ١، ص٦٥٤، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، الدورة العادية، ١٩٦١/١١/١.

(٢) خطاب الملك حسين في الديوان الملكي أمام الوفود الشعبية من الضفتين، ١٩٦١/١٠/٢٣، ج١، ص ٦٤٤، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، الوفود الشعبية، ١٩٦١/١٠/٢٣.

(٣) خطاب الملك حسين، مطلع تشرين أول ١٩٦١، ج١، ص ٦٣٢. وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، تشرين أول ١٩٦١.

(٤) خطاب الملك حسين في الديوان الملكي أمام الوفود الشعبية، ١٩٦١/١٠/٢١، ص ٦٤٤، وسيشار إليه فيما بعد: خطاب الملك، الوفود الشعبية، ١٩٦١/١٠/٢١.

(٥) خطاب الملك، الوفود الشعبية، ١٩٦١/١٠/٢٣، ص٦٤٣.

(٦) المرجع نفسه، ص٦٤٣.

(٧) خطاب الملك، الدورة العادية، ١٩٦١/١١/١، ص٦٥٤.

(٨) خطاب الملك، تشرين أول ١٩٦١، ص٦٣٢.

يعد الاستعانة بوصف عبد الناصر ليوم الانفصال كآلية قد تكون منصفة للتدليل على مدى "الألم الشديد" الذي شعر به[١]، إذ بين أنه "كان من أصعب الأيام اللي الواحد قابلها في حياته في لحظة من اللحظات المريرة التي مرت"[٢]، حتى أن بعض وسائل الدعاية الفرنسية، وتحديداً صحيفة لوفيغارو (Le Figaro)، كانت شبه متيقنة، أن الانفصال "سيهدد حياته"، وهو ما حدث بالفعل[٣]؛ فمع انتشار أخبار الانفصال حسب هيكل، بدأت "طلائع مرض السكر"، وهو المرض الذي لا مكان له في السيرة* المرضية لأسرته، تفعل فعلها، لأن الحدث كان "محنة حقيقية" تصاحبت مع القلق والتوتر النفسي الشديد". وقد أسهم تزايد الحملات الدعائية "للرجعيين" بتمدد المرض، حتى كان من أسباب وفاته لاحقاً[٤].

---

(١) حمروش، ج٣، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الوطني بجامعة القاهرة، ١٩٦١/١٠/٢.

(٣) نصر، مرجع سابق، ص ٥٨٢.

* يذكر د. الصاوي حبيب، الطبيب الخاص لعبد الناصر في مقال له بعنوان عبد الناصر بين طبيبه وكاتبه رأياً مخالفاً، مفاده أن عبد الناصر "كان أكبر أشقائه من الأم والأب، وقد توفى عن ٥٢ سنه بالأزمة القلبية والسكر، أما شقيقه الليثي فتوفى عن نفس السن وبنفس المرض، ثم توفى شقيقه الثالث عز العرب عن نفس السن وبنفس المرض، أما شقيقه الرابع شوقي فتوفى بعد الثمانين، ولكن ابنه جمال أجريت له جراحتان في القلب بسبب الشريان التاجي، وقد توفى خال جمال عبد الناصر (إبراهيم حماد) في الخمسينات من عمره بأزمة قلبية، وتوفى إبن خاله إسحق أحمد حماد في الأربعين بأزمة قلبية، وهذه الحقائق ليس لها من تفسير سوى أن العامل الجيني الوراثي إلى جانب العوامل البيئية كانت سبب في الوفاة المفاجأة والمبكرة"؛ الصاوي حبيب، عبد الناصر بين طبيبه وكاتبه، الأهرام، ٢٠١٠/٩/٢٢. ونجد وجهة نظر تؤكد أن "ثبت" بالدليل القاطع أن المخابرات الإسرائيلية كانت وراء وفاة جمال عبدالناصر، إذ قتلته بالسم البطني، الذي تناوله عن طريق الجلد بواسطة مدلكه الخاص الدكتور علي العطفي الأخصائي الأول للعلاج الطبيعي في النادي الأهلي ومدير معهد العلاج الفيزيائي، وقد قبض عليه عام ١٩٧٤ بتهمة التجسس لصالح إسرائيل، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، وفي أول زيارة لمناحيم بيغن لمصر طلب الإفراج عنه وهو ما نفذه السادات، حيث غادر العطفي إليها؛ مصطفى طلاس: مرآة حياتي، العقد الأول ١٩٤٨-١٩٥٨ (دمشق: دار طلاس، ١٩٩١)، ص ٤٧٩.

(٤) رجب البنا، د ع ت، موقع الصحفي رجب البنا، د.ت. (www.ragablbanna.com).

ومما يجدر ذكره هنا أن مفاعيل الدعاية المتبادلة بين الأطراف المختلفة خلال الفترات السابقة من الدراسة تركت أثرها على الوضع الصحي للفئات المستهدفة من قادة وشعوب، فالملك حسين عانى من القلق والاكتئاب النفسي أحياناً.

وفيما بعد أدت الدعاية العربية بحديثها عن الانتصارات الوهمية في حرب ١٩٦٧ إلى "صدمة عقلية ونفسية غاية في الهول للنفسية العربية.."[١]. لا بل أن البعض عدَّ ما حصل كـ "صدمة عابرة للأجيال"[٢]. إذاً وكما أظهرت الوقائع فقد كان عبد الناصر في حالة نفسية اتضحت صورتها آنفاً. وقد سعى الملك لتعميقها، فحرص للعودة إلى مبدأ التكرار، والتركيز على نقطة كان يدرك مدى وقعها على نظيره.

وجاء ذلك في سياق نفي التهم الموجهة إليه بعد الانفصال حيث ذكـرّه مجدداً بقوات الطوارئ وتشكيلها –بالإضافة لصحراء سيناء– حاجزاً ومانعاً بينه وبين المواجهة مع إسرائيل، في حين أن "الأردن يقف على خط الدفاع الأول عن دنيا العروبة ضد عدو متربص لا تباعده الصحاري ولا تفصله جنود قوات مستأجرة"[٣]، وصاحب ذلك كله إطلاقا الإذاعة الأردنية لبرنامج إذاعي جديد موجه نحو غزة، "يا غزة هاشم" في كانون أول ١٩٦١[٤].

وفيما يعبر عن الحالة النفسية لدائرة النظام في القاهرة كتب هيكل " وحدنا في المعركة" بتاريخ ١٩٦١/١٢/١٥، مبيناً أن هدف البرنامج السالف، القيام بحملة دعائية "صاخبة تستهدف

---

(١) سعد محمد رحيم، هزيمة حزيران، فشل الدولة العربية الحديثة، ٢٠٠٨/٦/٨، موقع الحوار المتمدن (www.ahewar.org).

(٢) فراس عبيد، معالجة الصدمة النفسية بالحركة الثنائية للعين، ٢٠١٢/٧/٩، موقع الطبي (www.altibi.com).

(٣) خطاب الملك، الدورة العادية، ١٩٦١/١١/١، ص ٦٥٣.

(٤) مجلة هنا عمان، الإذاعة الأردنية، الدورة البرامجية، كانون أول ١٩٦١.

"الإدارة العربية" المصرية في القطاع، والدعوة للثورة، و"طردها كما طردت من سوريا"، وقد حدد ذلك الفعل الدعائي كشكل من أشكال "الخيانة"[١].

ورأى عبد الناصر أن "إذاعة الملك حسين" تلقفت فكرة البرنامج من الإذاعة الإسرائيلية التي "دستها" عقب الانفصال، واضعاً دعوات الإذاعة الأردنية "للثورة" بغزة في خدمة المصالح "الاستعمارية والصهيونية، مدعماً وجهة نظره بالحديث عن تنسيق أردني مع إسرائيل للسماح بدخول "ناس" من الأردن إلى قطاع غزة "لإثارة الشارع"[٢]. وأرى أن مقارنة الحالة الدعاية وما تضمنته من حرب نفسية عند قيام الوحدة، ومن ثم انتهائها، ستفرز وضعاً متناقضاً يعبر عن واقع سياسي جديد في المنطقة، فالصورة تغيرت بشكل جذري، وقد كان لإسرائيل فيها مساحة حاولت دعاية القاهرة إبرازها بطريقة تجعل كل دعاية مضادة أو مناوئة لها تحت مظلتها.

لقد حرصت الدعاية الغربية عند قيام الوحدة على إظهار ج.ع.م بشقيها المصري والسوري "كفكي كماشة" توشك الإطباق على إسرائيل[٣]، واعتقد أن التبدل التالي للانفصال جعل القاهرة تبدو في وضع مماثل إن لم يكن أكثر استهدافاً في نطاق دائرة محاطة بالمناهضين الإقليميين، وإن كانت في المرحلة السابقة لـ ١٩٦١/٩/٢٨ مستهدفة أيضاً، إلا أن حملات ما بعد الحدث السوري كان لها وقع خاص يسبب الحالة النفسية التي أنتجتها على الساحة المصرية.

وكانت "مرارة" عبد الناصر تكمن بتحول دمشق[٤] إلى "رأس حربة" للعمل ضده، ما ولد "فرحا" وارتياحاً في إسرائيل و "تهليلاً في الإذاعات الاستعمارية.."[٥]، لاسيما مع تحول إذاعتها

---

[١] محمد حسنين هيكل، وحدنا في المعركة، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/١٢/١٥.

[٢] عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦١/١٢/٢٣.

[٣] هيكل، ما الذي جرى في سوريا.

[٤] عبد الناصر، المؤتمر الوطني، ١٩٦١/١٠/٢.

[٥] خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ميدان الجمهورية بشأن الانفصال، ١٩٦١/٩/٢٩.

إلى لعب دور متطابق مع "محطة الملك حسين، ومحطة إسرائيل" والقيام بحملات ضد القاهرة بمضامين من "السباب والشتائم"، ترافقت مع وصف فترة الوحدة بعهد "الطغيان"[١].

وشن "حرب أعصاب" بالاشتراك مع الإذاعة الأردنية للتحريض على الثورة في مصر، وبتوجيه خطابات للجيش المصري للتحرك لإنجازها، والتركيز على معاناته النفسية ورغبته "بالهروب" والمبالغة بأعداد المعتقلين، والزعم باعتقال قيادات مقربة منه، ولم يجد عبد الناصر وصفاً لما تقوم به الإذاعة الأردنية في هذا المجال سوى القول بأن "الناس دول اتهبلوا"[٢].

لكن هيكل زعم عدم جدوى "النداءات المسعورة"، المحرضة للشعب والجيش، والتي لم تجد حسب قوله غير "احتقار المحرضين"، فهو لم يرى فيها أي "خطر" على النظام، وإنما على فكرة العروبة لدى المصريين، والخوف من تأثيرها "لفرط احتقارهم" للدعايات العربية الداعية "للخيانة" ولكنه عدَّ فعلها "كحرب نفسية" بلغت أوجها بعد الانفصال، بمشاركة "إذاعات عمان الناطقة بلسان غيرها، ودمشق المقهورة.." وإذاعة الرياض التي انطلقت تهاجم الاشتراكية "باسم الدين"[٣].

وفي هذه الفترة أخذت الحملات تتصاعد بين الدعايتين السعودية والمصرية حول فكرة الاشتراكية، وبينما كانت الأولى تضعها في سياق "الكفر"، كانت الثانية تعدها جزءاً من النهج الاقتصادي الإسلامي[٤]. وقد قامت السعودية بهذا التوقيت بخطوة لافته في المجال الدعائي حينما أعلنت عن إطلاق إذاعة "نداء الإسلام" كإذاعة موجهة للعالمين العربي والإسلامي "للحض على التمسك بالدين الإسلامي والذب عنه ولتوعية المسلمين "بأحوال بلادهم ونشر المحبة بينهم"، مع

---

(١) عبد الناصر، المؤتمر الوطني، ١٩٦١/١٠/٢.

(٢) عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦١/١٢/٢٣..

(٣) محمد حسنين هيكل، طبيعة المعركة وحدودها ضدنا، بصراحة، الأهرام، ١٩٦١/١٠/٨، وسيشار إليه فيما بعد: هيكل، طبيعة المعركة.

(٤) عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦١/١٢/٢٣.

التأكيد على أن بثها المستقبلي سيكون بقوة ٤٥٠ كيلو واط بما يسمح بتغطية "الكرة الأرضية"[(١)].

وأرى أن فكرة التغطية الكاملة للأرض يستشف منها نَفَسُ تحدي تضمنه البيان الرسمي المتعلق بالإعلان عنها، ولم يكن من طرف مستهدف بذلك وفقاً للمنطق سوى الدعاية المصرية وبالتحديد صوت العرب*، في فترة احتدمت فيها المواجهة الدعائية.

واستناداً إلى القاهرة فإن الإذاعات السالفة، عمان، دمشق، الرياض أُسندت "بصف آخر من إذاعات العدو الذي لا يداري وجهة.." ممثلة بإذاعات طهران وأنقرة باعتبارها من ركائز حلف بغداد السالف وبقاياه، "وشركاء" الحلف إذاعات لندن وباريس "ومع هؤلاء جميعاً إسرائيل"، ويؤكد هيكل أن الأمر وصل إلى أن يفكر الفرنسيون بإنشاء إذاعة سرية متحركة في القاهرة، وهو ما ترافق مع إرسال خبير الاغتيالات الفرنسي "جانتيس" (Jantes) تحت مظلة مؤتمر البترول العربي** للخلاص من عبد الناصر، غير أن الحلف الدعائي بمختلف مكوناته "كشف حدود المعركة وأبعادها وتكفل وحدة بتفسير عملية الانفصال من غير براقع ولا أقنعة"[(٢)]. وأرى أن عناوين مقالات هيكل كانت تشي بالوضع النفسي الذي كانت تحياه القاهرة وتستغربه، فكما رأينا، كتب في ١٩٦١/١٢/١٥ "وحدنا في المعركة"، وما كان له من دلالات.

---

(١) فلسطين، ١٩٦١/١١/١٦.

* المفارقة أن الملك سعود بعد عزله عام ١٩٦٦، واستقراره في مصر كما مر معنا في محطة سالفة من الدراسة استخدمته السلطات المصرية كأداة في دعايتها عبر صوت العرب، حيث سمحت له بتوجيه خطابات إلى الشعب السعودي يؤكد فيها أحقيته بالحكم مع دعوته للتحرك لإعادة الأمور إلى نصابها؛ البيضاني، أزمة الأمة العربية وثوره اليمن، مرجع سابق، ص ٦٩٢-٦٩٣. ومن الممكن القول أيضاً أنه استخدم صوت العرب كأداة في دعايته الهادفة لاسترداد العرش. حيث قدمه أحمد سعيد كملك "ثوري"، بعد أن كان "يشتمه في برنامج عدو الله"، ويصفه بملك "الحريم"؛ الدستور، ١٩٦٧/٥/١٧

** عقد المؤتمر في الفترة ما بين ١٦-١٩٦١/١٠/٢١ في الإسكندرية؛ جامعة الدول العربية، مؤتمر البترول العربي الثالث، الإسكندرية، ١٦-١٩٦١/١٠/٢١.

(٢) هيكل، طبيعة المعركة.

وكتب في ١٩٦١/١٢/٢٢ "قوى تتجمع ضدنا"، أعاد فيه التأكيد على تعاون وتكاتف ذلك الحلف في حربه الدعائية النفسية، وبالتحديد الدور الأردني، وتنسيقه مع الفرنسيين لتنفيذ عملية اغتيال عبد الناصر "بأيدي عربية"، والعمل "كأداة" دعائية لبريطانيا الفاعلة دعائياً أيضاً عبر صحفها وإذاعاتها، كما بين وجود "تعاون كامل بين إسرائيل والدول العربية" المحكومة لمصالح معادية "لحركة التحرر" السياسي والاقتصادي، بغير "تحرج"، وقدم لمحة عما تقوم به الدعاية الإيرانية من مشاركة في الحرب النفسية ضد القاهرة عبر ترويجها لأخبار عن "مجازر جماعية" أرتكبها المصريون وقتلوا فيها "ثمانين ألفاً من ضباط الجيش السوري وجنوده.."، وهو ما يتلاقى أيضاً مع الدور التركي، والذي لم يكتف بالجانب الإعلامي، ولكنه قام بجهد فاعل لدعم الانفصال بإدخال السلاح، وتحريك الأسطول استعداداً لمواجهة أي تدخل مصري(١). وعلى الرغم من التكرار المستمر لدعاية ج.ع.م القائل بعدم جدوى الدعايات المضادة على الرأي العام لديها إلا أن الدلالات النافية لهذا الترويج ظهرت بوضوح.

وبالتحديد حينما دعا هيكل إلى القيام بنقد ذاتي لمرحلة الوحدة "دونما تردد" أو خشية من استخدام ما سيقال من "إذاعة الملك حسين"، أو الإذاعة الإسرائيلية، وإذاعة دمشق ضد القاهرة(٢). والملاحظ أن الدعاية الأردنية، وكما بين الملك حسين كانت على جهوزية يمكن وسمها بالعالية، تدفعها للاستمرار بالمواجهة و"تلقين الدروس" لعبد الناصر، نتيجة لاستمرار الحملات الدعائية للقاهرة والاعتقاد بأن فكرة التآمر على النظام لا زالت قائمة لديه(٣)، ولكن المستجدات على الساحة الأردنية أدت لفرض وقعها على أداء الإذاعة المواجهة صوب القاهرة.

---

(١) محمد حسنين هيكل، قوى تتجمع ضدنا، بصراحة الأهرام، ١٩٦١/١٢/٢٢.

(٢) هيكل، ما الذي جرى في سوريا.

(٣) خطاب الملك، تشرين أول ١٩٦١، ج١، ص ٦٣٦.

أظهرت تقارير السفارة البريطانية في شهر كانون أول ١٩٦١ أن لها رأياً مخالفاً لتوجهات الملك، في الدعاية المنطلقة من الإذاعة نحو القاهرة، ففي حين كان يرى أنها مبررة، ومفيدة مع عدم وجود سبب منطقي لإيقافها، فإن الموقف البريطاني انسجم مع رأي الخبراء الأمريكيين الذين أكدوا أن الدعاية المناوئة لعبد الناصر عبر الإذاعة لها أثار "مدمرة" على شعبيتها، وهو ما تبين من حجم رسائل الاحتجاج المرسلة من المستمعين عقب الانفصال، كما أن العامل الاقتصادي بات يشكل عاملاً ضاغطاً عليها؛ ذلك أن قضية الإعلانات غدت مسألة مؤثرة، فأصحابها يرفضون ترويجها وسط الدعايات السياسية غير المقبولة من الرأي العام، ما أدى لتضاؤل حجمها بعد أن سجلت تصاعداً كبيراً قبل ١٩٦١/٩/٢٨، ولذا اتخذ الملك قراراً بوقف الحملات الدعائية في ١٩٦١/١٢/٢٤، مع استمرارية عمليات التشويش ضد صوت العرب[١]، ولمن لم يكن يعلم بهذه التفاصيل السرية والمبررات الحقيقة، فالقرار كان مطبوعاً بالغرابة ويحمل صفة المفاجئ إذ أن الأجواء التالية للانفصال جعلت من استمرارية الحملات أمراً طبيعياً.

وقد أوضحت الصحافة الأردنية ذلك بطريقة غير مباشرة حينما أشادت بالخطوة مشيرة إلى أن الذين "فوجئو هم الذين لا يعرفون الحسين ولا يعرفون ما تحدر إليه من عزة نفس، وترفع، وتكبر عن أجداده الغر الميامين الذين كانوا دوماً في التاريخ دعاة محبة وتسامح..." فلم يكن من "الغريب ولا المفاجئ أن ينهى.. العام بجلائل الأعمال.." والدعوة إلى وقف الحملات الدعائية[٢].

---

(1) R.J., Vol.13, Mr Henniekerr Major To Mr G.Hiller, 29 December 1960 FO 371/146088 p.119.

(٢) فلسطين، ١٩٦١/١٢/٢٦.

وأرى أن محاولات الحملات الدعائية الأردنية لَمْنطَقَةِ الموقف من الانفـصال وتقديمـه بصورة مُبررةٍ تنال رضا الرأي العام، وقبوله لم تحقق مفعولاً على أرض الواقع، رغم وجـود الخبراء الأمريكيين الذين كانوا يشرفون على أدائها، حيث كان قرارهم النهائي مماشاة رغباتـه بعدما بانت توجهاته المناهضة لخطها الدعائي، ولسياسات النظام، ولربما الأهم من كل ذلـك أن المبادرة باحترام، أو تفهم، أو الاستجابة لمشاعر الرأي العام جاءت من الخبراء الأمريكيين ولم تأت من السلطة الرسمية التي لا بد وأنها كانت تدرك تلك المشاعر.

وقد جاء قرارها بوقف الحملات بعد ساعات من خطاب ألقاه الرئيس عبد الناصر، وجـه فيه انتقادات للدعاية الأردنية، وسياسات النظام، وللملك شخصياً، وبلغ الأمر به توجيـه اتهـام للعائلة المالكة بالمتاجرة "بالحشيش"[1]، وكانت المرة الأولى التي يوجه بها هذه التهمة التي كانت موكلة بأحمد السعيد وإذاعتي حلب ودمشق تقريبا كما رأينا.

ورغم ذلك صدر البيان الرسمي بوقف القرار مشيرا إلى "ما حملته الساعات الأخيرة من حملات وتهجمات عنيفة من القاهرة، على.. البلد المناضل.."، مؤكداً أن الملك "بما فطر عليـه من شيم الأخلاق الكريمة، وما جبلت عليه نفسه من سجايا الحلم والتسامح.. أبـى إلا أن يقابـل الإساءة بالتسامح وأن يقابل اللغو بالحلم والإحسان"، مع إشادة ملكية بدور الإذاعة في بث الوعي وكشف الحقائق المتعلقة بمختلف القضايا في المنطقة العربية، في ظـل محـاولات الأطـراف الأخرى "التستر عليها"، وهو ما تحقق عبر مجهود نهضت به الإذاعة في مواجهـة الـدعايات المضادة، بعدما وصلت إلى مرحلة تجاوزت فيها مثيلاتها بالمنطقة. ولكن الدعوة التي وجهتهـا الصحافة الأردنية إلى بقية الدول العربية للاقتداء بخطوة الملك ووقف الحملات الدعائية[2] لم تلق صدىً في القاهرة.

---

(١) عبد الناصر، بور سعيد، ١٩٦١/١٢/٢٣.

(٢) فلسطين، ١٩٦١/١٢/٢٦.

ومضت الدعاية المصرية في حملاتها ذات المضامين الاتهامية المعتادة للنظام الأردني، لاسيما في صوت العرب[(١)]، ومقالات هيكل، الذي تحدث في ١٩٦٢/٣/٣٠ عن "أحلاف الكراهية" والتعاون الأردني السعودي بتوجيه الإذاعات السرية[(٢)]، فيما أكد عبد الناصر في ١٩٦٢/٦/٢٦ على الانسجام ما بين عمان والرياض وإسرائيل، محتجاً باستثناء الدعاية الإسرائيلية لـ "حسين وسعود" من حملاتها المركزة على القاهرة فقط[(٣)]. وعلى ما يبدو فقد بات متشككاً بصورة لم تجعله يستجيب لخطوة الملك السالفة، ولربما كانت تجربة الرسالة التي سبقت الانفصال، جعلته أكثر اقتناعاً بموقفه.

وانسجاماً مع هذا التوجيه كتب محمد حسنين هيكل في ١٩٦٢/٣/٩ "لا نريد التضامن"، أعاد فيه زعماً يؤكد على "الاصطدام" ما بين الدور التاريخي "للأسرة الهاشمية" والتوجهات الوطنية والقومية في المنطقة لتبرير الفكرة التي طرحها برفض دعوات التضامن ووحدت الصف الصادرة من النظام الأردني[(٤)]، وبهذا تواصلت الحملات الدعائية بمضامين شبه متكررة ومحطات جديدة، لعل من أهمها الثورة اليمنية التي انطلقت في ١٩٦٢/٩/٢٦، ومشروع الوحدة الثلاثية ١٩٦٣، والحلف الإسلامي ١٩٦٥، ومن ثم تعطيل مؤتمرات القمة عام ١٩٦٦، وصولاً إلى معركة السموع نهاية ١٩٦٦، وامتدادا إلى ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ بفترة قصيرة[(٥)]. ومع استمراريتها لم تنقطع الآراء المحذرة من الأخطار والعواقب الناجمة عن الأساليب المعتمدة في الدعاية العربية وحملاتها البينية، وهو ما ظهر قبل الحرب بأسابيع قليلة.

---

(١) انظر الرصد الإذاعي خلال شهر كانون أول وكانون ثاني ١٩٦٢.

(٢) محمد حسنين هيكل، أحلاف الكراهية، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/٣/٣٠.

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر، بأعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني، ١٩٦٢/٦/٢٦.

(٤) محمد حسنين هيكل، لا نريد التضامن، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٢/٣/٩.

(٥) للمزيد راجع العجلوني، مرجع سابق.

فقد أكد عيسى الناعوري* أن الدعاية العربية بما فيها "بما فيها من شتم، وردح، وتحريض على القتل، وسفك الدماء وتخريب البيوت، وتبادل تهم الخيانة، والعمالة، والرجعية، ونبش قبور الموتى، واستباحة أعراض الأحياء وقذف المحصنات..."، أنتجت "إهانة لذوق، وخلق، وإنسانية الشعب العربي"، وهي بتلك "المخازي" تحولت لأداة هدم وتدمير لثقة الأمة بنفسها، وبقـدراتها، وبالقائمين على تلك الدعاية التي غدت "عدوا" داخلياً[١]، أسهم بإنتاج تحول سلبي لدى المستمع العربي.

وتمثل ذلك التحول "بقرفه" من الاستماع للإذاعات العربية، وتحوله للاستماع للإذاعات الأجنبية، وحتى الإذاعة الإسرائيلية، "لأنها أقل إيذاء للذوق والخلق والإنسانية"[٢]. وهذا الوضع أدى لإصدار ما يمكن اعتباره حكما بفشل الإعلام العربي، وانعدام قدرته على مواجهة العدو.

ظهر ذلك في رأي لوزير الإعلام التونسي آنذاك خليفة التليسي، في شهر نيسان ١٩٦٧، بين فيه استحالة قيام الإعلام العربي المنقسم على ذاته، والمتحول لأداة هدم و"تمزيق" بأي دور مؤثر في مواجهة "خطر"الإعلام الصهيوني[٣].

* عيسى الناعوري ١٩١٨-١٩٨٥: أديب وكاتب أردني، ولد في قرية ناعور .تلقى تعليمه الثانوي في القدس. أصدر مجلة القلم الجديد الأدبية عام ١٩٥٢. له العديد من المؤلفات الأدبية، كما كتب العديد من الدواوين الشعرية؛ كمال قاسم فرهود: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث (حيفا: مكتبة كل شيء، ١٩٩٨)، ص١٠٠٨.

(١) الدستور، ١٩٦٧/٤/٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

الخاتمة

- أدى ظهور الإذاعة إلى الحد من مركزية المعلومة، وسريتها ،كما أدى إلى كسر الاحتكار التقليدي لها من قبل السلطة . وشكل هذا بداية انهيار السيطرة النمطية على الرأي العام، بعد أن استطاعت موجاتها تجاوز الحدود، والعقبات الرقابية، وهو ما أدى إلى بـــروز ردة فعل رسمية لمواجهة هذا التحدي. لقد تمثلت ردة الفعل بسن القوانين التي تمنع الاســتماع لإذاعات معينة، مع اعتماد آليات أخرى،من أبرزها التشويش.
- طغى استخدام الشتائم والسباب، والألفاظ البذيئة، والاتهامات القاسية، على دعايــة صــوت العرب المستهدفة للملك حسين، ومن هم في دائرة النظام الأردني، فلم تكن تكتفي بما تقدمه من معلومات حول سلوكهم في الحكم أو سلوكهم الشخصي، ولكن ذلك الاستخدام للألفــاظ البذيئة كان يسير بخط موازي مع تلك المضامين، أو يكاد يكون عمودها الفقري.
- أظهرت الدراسة أن الملك حسين في تعامله مع الدعاية المصرية قد التــزم حــدود الأدب والذوق –إن جاز التعبير– وهو ما اتضح من ترفعه عن المعاملة بالمثل، وفي ضبطه لإيقاع الدعاية الأردنية التي كانت تدعو باستمرار إلى نبذ المواجهة الدعائية والدعوة إلــى وحــدة الصف.
- قامت الإذاعة الإسرائيلية بإعادة إنتاج الخلافات البينيــة العربيــة، المتجــسدة بــالحملات الدعائية، وذلك عن طريق تدويرها في برامجها المختلفة، لتضع المستمع العربي في دائرة الشعور بالضعف، خاصة وأنها كانت تقوم باستغلال نقاط الوهن في العلاقات العربية،ضمن حربها النفسية المنظمة من قبل خبراء ومختصين، كان من بين أهدافهم تحقيــق الهزيمــة المعنوية قبل المادية. وقد طبقت الدعاية الإسرائيلية بدقة التعريف العلمي القائل باستمرارية الحرب النفسية قبل وأثناء وبعد الحرب العسكرية.

- أسهمت حروب الدعاية العربية، بتطبيق وتنفيذ أهم بند في الخطة الإستراتيجية الإسرائيلية التي وضعت عام ١٩٥٧، والقاضي بإيجاد الظروف المانعة لتشكيل جبهة عربية موحدة، عند اللحظة الحاسمة لخوض المعركة، وهو ما تكفلت به تلك الدعاية التي استمرت بحملاتها البينية قبل أيام معدودة من نشوب الحرب.

وأدرك الرئيس المصري جمال عبد الناصر أهمية صوت أم كلثوم في الدعاية والترويج لنظامه، وهو ما اتضح من خلال وقوفه بوجه محاولات منع بث أغانيها من الإذاعة المصرية. أما الإذاعة الإسرائيلية فاعتمدت الغناء أيضا كأحد أدواتها، وكان لصوت أم كلثوم حضوره الخاص، كما استخدمت الغناء في توجيه عملائها وجواسيسها أيضاً، ولزيادة وقع ألم الهزيمة النفسية في حرب حزيران ١٩٦٧، حينما كانت تبث باستمرار أغنية " قولوا لعين الشمس ما تحماشي...". ووظفته أيضا، وتحديداً صوت أم كلثوم، لتهيئة النفوس لاستقبال جرعات الحرب النفسية المموهة بأساليب شتى في برامجها، ونشراتها الإخبارية.

- أما الإذاعة الأردنية فقد استطاعت أن تستخدم الغناء والدراما المستمدة من البيئة الشعبية استخداما فاعلاً في جذب المستمعين، وأن تجعلها من أدوات المواجهة الدعائية إذاعة مع صوت العرب، وأدى هذا الاعتماد إلى إنتاج كم كبير من الأغاني ذات الصبغة الفلكلورية، وهو ما لاقى دعماً واهتماما من كبار المسئولين.

- لعب الغناء و الموسيقى دوراً مؤثراً في صناعة وإنتاج مايسمى بعقلية القطيع، وكان لصوت أم كلثوم الدور الأبرز في ذلك، مما سهل انقياد وانسياق الشارع للدعاية الموجهة للتحكم به. وقد تبين أيضا أن الأنظمة التي يمكن وصفها بالاستبدادية والفاشلة هي الأكثر ميلاً لتغذية دعايتها بجرعات زائدة من الموسيقى والغناء، للتغطية على عيوبها، ومساوئها،

وإخفاء الحقائق، وهو ما جعل الناس تعيش في خيالات وهمية لا علاقة لها بالواقع، ما أدى لصدمة نفسية كبيرة عند أول امتحان على الأرض عام ١٩٦٧.

- شكلت الإذاعات السرية أداة مهمة في الحروب الدعائية في المنطقة العربية، وتجسدت بداياتها بالإذاعة الفلسطينية، وإذاعة الشرق الأدنى، وقد أخذت بها الدعاية الأردنية، وكذلك المصرية. أما الأولى فأنشأت إذاعة سرية موجهة نحو مصر، وكان مقرها القيادة العامة، وكان مذيعها يونس البحري، وبعد ١٩٥٨/٧/١٤، ظهرت إذاعة سرية أردنية موجهة نحو العراق، وأخرى تم توجيهها نحو سوريا، وفيما يتعلق بالمصريين، فقد وجهوا إذاعة سرية مناهضة للرئيس العراقي عبد الكريم قاسم .كما وجهوا أثناء الوحدة المصرية السورية، إذاعة مناوئة للنظام الأردني، وكان بثها ينطلق من سوريا. ومما يجدر ذكره أن الإذاعات السرية الموجهة نحو مصر وكان منطلقها الجغرافي من الغرب قد تجاوزت العشر إذاعات.
- أستطاع رئيس الوزراء الأردني وصفي التل أن يؤسس لنهج دعائي، يحمل سمات التحدي، والمواجهة والتصدي لدعاية إذاعة صوت العرب، في حقبة تاريخية كانت فيها كاريزما الرئيس جمال عبد الناصر، تفرض سطوتها، وسيطرتها على الشارع العربي.
- أوضحت الدراسة أهمية الدور الذي يقوم به الرصد الإذاعي، في مجال توثيق الدعاية المضادة بشكل خاص، والدعايات المختلفة بشكل عام، وتكمن أهمية الرصد والتوثيق في تنوير المعنيين في أجهزة الدولة، وإطلاع المسؤولين عن الدعاية، على ما يجري من حولهم ، بما يؤهلهم لمعرفة وفهم الواقع، والتعامل معه بدراية، وليكونوا قادرين على بناء دعاية المواجهة والرد. وفي هذا المجال قدم وصفي التل أنموذجاً للدور،الذي من الممكن أن يلعبه الرصد الإذاعي في الحرب النفسية، وتعرية الخصم أمام الرأي العام، باستغلاله لتسجيلات الرصد الإذاعي لخطاب الرئيس جمال عبد الناصر أمام الوفد الفلسطيني في شهر

حزيران من ١٩٦٢، والتي استند إليها في إخراج برنامج المتسلل المريب إلى حيز الوجود، مجسداً بذلك اعتماد أخطاء الخصم كأداة في الحرب النفسية، والدعائية المناهضة له.

- تكونت أحلاف دعائية متناقضة التوجهات، ولطالما زعمت إذاعة صوت العرب وجود حلف دعائي يشمل الإذاعة الأردنية، والإسرائيلية، ولندن، وباريس، وطهران، والسعودية. وقد ادعت إذاعة بغداد في عهد عبد الكريم قاسم بعد تحوله عن مصر، مواجهتها لحلف مضاد يضم الإذاعة الأردنية، و إذاعة صوت العرب، والإذاعة الإسرائيلية، والإذاعات الغربية السالفة الذكر.ومن ناحية أخرى كانت إذاعة صوت العرب في حلف دعائي متحرك؛ ففي البداية أشتمل على إذاعة دمشق، ثم انضمت إليه إذاعة بغداد بعد ١٩٥٨/٧/١٤ إثر انهيار النظام الملكي، ثم انسحبت منه إثر توتر العلاقات المصرية العراقية، وما لبثت أن انسحبت منه إذاعة دمشق بعد الانفصال نهاية أيلول ١٩٦١، ثم عادت إليه بعد سنتين.

- أستطاع الرئيس جمال عبد الناصر عبر دعاية إذاعة صوت العرب من توظيف العاطفة، وشعاراتها الحماسية التي كانت تلهب المشاعر من السيطرة على الرأي العام العربي، وجعله سلاحاً بوجه الأنظمة السياسية لدفعها للرضوخ لخطه ونهجه السياسي، وسلاحاً بوجه الغرب، لفرض نفسه كلاعب إقليمي له ثقله ووزنه . ومن هنا كانت الاتهامات الدعائية الغربية المتحدثة عن هتلرٍ، وفرعونٍ جديد، برغبات إمبراطورية توسعية يجب مواجهتها، فكان العدوان الثلاثي، ومن ثم مبدأ إيزنهاور الذي جاء بفكرة عزل مصر عن محيطها العربي، وذلك لإضعافها وحصارها، وتقييد حركتها، وإضعاف دورها.

- جسد أسلوب الفبركة الدعائية، والتناقض القائم ما بين دعاية العلن، وسياسة الخفاء تطبيقاً حياً، لتعريف الدعاية القائل: إنها استخدام للكذب، والتحايل، والخداع، لتحقيق الأهداف.

كما تأثر أداء الرئيس جمال عبدالناصر في خطاباته، بأسلوب هتلر،من حيث الإلقاء أمام الحشود الكبيرة، واستخدام حركاته المسرحية، ما كان يسهل، السيطرة عليهم من خلال إيصالهم لحالة نفسية تقترب من التنويم المغناطيسي، بعد ما زرع فيهم الحماس له، والرعب من هيبته.

- استخدمت الفبركة الدعائية لصناعة تحولات جذرية، ومفصلية بتوجهات الرأي العام والانتقال به من زاوية إلى أخرى، بما يخدم مصلحة صانعيها. الاستخدام ويقوم ذلك بالدرجة الأولى على صناعة، واختلاق حدث، يحمل مقومات التأثير، القادرة على إنتاج ردة الفعل المؤملة من الشارع، وينفذ الحدث وفقاً لسيناريو مرسوم ومُعَد، ويتم إخراجه بحرفية، بحيث تظهر ردة فعل الشارع الناجمة عنه، كأمر طبيعي لا أثر للاصطناع فيها، وأنها انعكاس للإرادة المحضة للشارع الذي سيحتفل بالحدث، مع أن ما يفبرك عادة يكون موجها لخداعه والسيطرة عليه.

- اتسمت الدعاية المصرية، وتحديداً إذاعة صوت العرب بكثافة برامجها السياسية المناوئة للنظام الأردني، لدرجة أن الإذاعة الأردنية تذمرت من كثرتها، ودعت الرئيس جمال عبد الناصر إلى توجيه جزء منها إلى إسرائيل، مع التذكير بأن البرنامج الوحيد الموجه نحو إسرائيل من قبل الدعايتين الأردنية و المصرية، كان اسمه " إعرف عدوك" .

- أظهرت الدراسة، أن المواجهة الدعائية، والحرب النفسية،وصلت إلى حد الاغتيال، الذي كان تسبقه عادة حملات دعائية مكثفة ، تعتمد تشويه الصورة،والتحريض على القتل، والذبح أو الإيحاء به، كما حصل في اغتيال الملك عبد الله بن الحسين، وهزاع المجالي، ووصفي

التل لاحقاً. وصنف الاغتيال صنف من أدوات الحرب النفسية، الهادفة للضغط على الخصم لتعديل مسار سلوكه وتغيير نهجه.

- وصل أقصى حد لمضامين دعاية إذاعة صوت العرب، والإذاعات الحليفة المستهدفة للنظام الأردني، إلى الدعوة للثورة، وهو ما كان يتناقض والقناعات الخفية للرئيس جمال عبد الناصر، التي كانت تدرك خطورة انهيار النظام الأردني، وما سيترتب عليه من تدخل إسرائيلي لا طاقة له بمواجهته. ولكن التفسير الذي يوضع لحدة تلك الدعاية، يكمن بأن هدفها كان الوصول إلى درجة من الضغط النفسي، لدفع النظام لتعديل سلوكه السياسي، والإبقاء عليه ضمن الخط المصري. وهذا ما يفسر قيام الرئيس جمال عبد الناصر في بعض المحطات بتهدئة دعاية إذاعة صوت العرب، وتخفيض وتيرة هجومها.
- استخدم الملك حسين الورقة الشيوعية، كمحتوى دعائي دائم في حملاته المناهضة للرئيس جمال عبد الناصر، فكان دوما، يضع سياساته في إطار خدمة الإلحاد المهدد للعقيدة والهوية الدينية. وقد كانت تلك الورقة موازية، وموازنة من الناحية النفسية والمعنوية، لتهمة الخيانة والعمالة للاستعمار والصهيونية، الموجهة إليه من قبل الدعاية المصرية باستمرار، لدرجة أن استخدامها –أي الورقة الشيوعية– من قبل الرئيس جمال عبد الناصر في دعايته الموجهة ضد الرئيس عبد الكريم قاسم، شكل استفزازاً للملك حسين، ومن هم في دائرة صنع القرار في النظام الأردني، بحجة أن الدعاية الأردنية، هي من كان البادئ بالتنبيه لخطرها. وعلى ما يبدو فإن استخدامها،كان فاعلاً ومؤثراً على الناس، وكان لها لقدرة على التحريك العاطفي بما يخدم الدعاية الأردنية.
- احتلت فلسطين مضموناً ثابتاً في الحملات البينية لإذاعة صوت العرب، والدعاية المصرية من جهة، والإذاعة الأردنية من جهة أخرى؛ فالأولى اتهمت النظام الأردني بالتفريط بها في

حرب ١٩٤٨، وقبل ذلك القول بتسليم الهاشميين بأن يكون لليهود وجود في المنطقة، مـع توجيه اتهام مستمر، عن وجود اتصالات مع الإسرائيليين، بغية التوصل إلى حلول تصفي حقوق اللاجئين الفلسطينيين ، في حين أن الدعاية الأردنية، كانت توجه مضموناً يؤكد عدم جدية الرئيس جمال عبد الناصر بتنفيذ شعاراته الداعية لتحرير فلسطين.

- أدركت صوت العرب، مدى تأثير استخدام الورقة الفلسطينية فـي تحريـك الـرأي العـام الأردني، ومن هنا كان التركيز على توظيفها؛ فاستحدثت برنامج صوت فلسطين، ثم طورته لاحقاً إلى إذاعة فلسطين، مع التركيز على ما يمكن تسميته بالمضامين السلبية المتعلقة بدور النظام الأردني في مسار القضية الفلسطينية، وهو ما أسهم بتغذية بذور الخلاف والانقسام بين الجانبين الأردني والفلسطيني، وأسهم لاحقاً بإشعال فتنة أحداث أيلول ١٩٧٠.
- اعتمد النظام جملةً من الآليات للحد من تأثير إذاعة صوت العرب، ومنها؛ التشويش بمساندة أمريكية وبريطانية، ونشر الجواسيس لمراقبة،ومنع الاستماع إليها، واعتماد تصريح سنوي لاقتناء المذياع، يُحَدد فيه مكان وجوده، وفرض عقوبات توجب الحبس والغرامة، وتعزيـز القدرات التقنية للإذاعة الأردنية بما يوسع من بثها، بجانب التحالفات الدعائية الدولية مـع إذاعات لندن، وباريس، وإسرائيل، وطهران، وغيرها بحسب زعم الدعاية المصرية.
- اعتمد الرئيس جمال عبد الناصر منهج الظاهر والباطن، في تعامله مع القضية الفلـسطينية وإسرائيل؛ يقوم المنهج الأول، يقوم على دعاية عاطفيـة تنـادي بـالتحرير، والنـضال، والمقاومة، وغيرها من الشعارات التي كانت تلهب حماس الناس. ويقوم المـنهج الثـاني على البحث عن حل سلمي للقضية الفلسطينية، مما أكد العجز عن تنفيذ الشعارات المعلنة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الوثائق الأجنبية:

- Records Of Jordan 1919-1965, Edited By Jan Priestland, Vol., 5, 8, 9, 10, 11, 13, 14 (Southampton: Hobbs Printer, 1965).
- Royal Hashemit daynasties, Edited by Alan de. Rush, VOL.9 (Oxford: Archive Edition, 1996).
- Ruling families of Arabia, Jordan, The Royal Family of Al-Hashim, Edited By A del. Rush (Oxford: Archive Edition, 1991).

المعربة:

الأعظمي، وليد: الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ في الوثائق البريطانية (بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٩٠).

الونداوي، مؤيد: وثائق ثورة تموز ١٩٥٨، من ملفات الحكومة البريطانية (بغداد: د ن، ١٩٩٠).

الوثائق العربية غير المنشورة:

١- وثائق الرصد الإذاعي للإذاعة الأردنية؛ وتشتمل على برامج وتعليقات ونشرات وبيانات الإذاعات التالية:

* الإذاعة الإسرائيلية: برنامج أخي في البلاد العربية، برنامج أضواء وظلال، برنامج أكاذيب، وحقائق، برنامج تعليقات خاطفة، برنامج التعليق السياسي، برنامج صوت العرب ومباذلها، برنامج مع الصحف العربية، برنامج مقتطفات من الصحف الإسرائيلية، برنامج من صندوق البريد، نشرات الأخبار.

* إذاعة بيروت: نشرات الأخبار

* إذاعة حلب: ماذا في الأردن.

* إذاعة دمشق: برنامج اسمع يا حسين، التعليق السياسي، برنامج كلمة اليوم، برنامج ماذا في الأردن، برنامج مجلة الجندي، برنامج موضوع الصباح، برنامج ماذا في الأردن، برنامج مطالعات الصحف.

* إذاعة صوت العرب: برنامج أعداء الله، برنامج أبو لمعة، برنامج أمة العرب من صوت العرب، التعليق السياسي، برنامج حتى لا ننسى، برنامج هذا عدوك، برنامج صوت فلسطين، برنامج مقتطفات من أقوال الصحف، برنامج ماذا في الأردن، برنامج ما وراء الحقيقة.

* إذاعة عمان: برنامج حديث البلد، التعليق السياسي.

* إذاعة فلسطين من صوت العرب: برنامج أهازيج وأكاذيب، برنامج أعداء فلسطين.

* إذاعة القاهرة: برنامج أقول الصحف، برنامج ألف ليلة وليلة، برنامج الصحافة تقول، برنامج نحن والعالم، برنامج ماذا في الأردن.

* إذاعة لندن: برنامج افتتاحيات الصحف البريطانية، نشرات الأخبار.

* إذاعة مكة: بيان،

الإذاعات السرية:

* إذاعة الجمهورية العراقية: احكيها بصراحة، تعليقات.

* إذاعة صوت الأحرار: تعليقات.

٢- **محاضر جلسات مجلس النواب ١٩٥٧.**

- المنشورة:

إبن الحسين، عبد الله: الوثائق الهاشمية، أوراق عبد الله بن الحسين، ج٦، الإدارة الأردنية في فلسطين ١٩٤٨-١٩٥١، جمع وإعداد محمد عدنان البخيت وآخرون (عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٥).

إبن طلال، الحسين: ٢٥ عاماً من التاريخ، مجموعة خطب الملك حسين بن طلال ١٩٥٢-١٩٧٧، جمع وإعداد علي محافظة (لندن: شركة مطاوع للنشر، د ت).

الأرشيف الإلكتروني لوثائق الرئيس جمال عبد الناصر (Nasser.bibalex.org): ويشتمل على خطابات الرئيس عبد الناصر ومقالات محمد حسنين هيكل، ثائق أخرى تم استخدامها.

الجريدة الرسمية لإمارة شرق الأردن.

عايش، أسامة: وثائق مصطفى وهبي التل (عرار) م٣، ج٢ (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠١٢).

المراجع العربية والمعربة

القرآن الكريم.

أبو علبة، محمد عبد الله: النطق السامي للملك حسين حول شؤون الصحافة والإعــلام ١٩٥٢-١٩٥٨ (عمان: مركز الأصدقاء للنسخ، ١٩٩٨).

أحمد، رفعت السيد: ثورة الجنرال، قصة جمال عبد الناصر من الميلاد إلــى المــوت ١٩١٨-١٩٧٠ (القاهرة: دار الهدى، ١٩٩٣).

أنور، أحمد فؤاد: الفن العربي في مواجهة إسرائيل (د. م: د. ن، ٢٠٠٥).

أوبالانس، إدجار: الحرب في باليمن، دراسة في الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠ (بيروت: دار الراقي ١٩٨٥).

باديب، محمد سعيد: الصراع السعودي المصري حول اليمن الشمالي ١٩٦٢-١٩٧٠ (لندن: دار الساقي، ١٩٩٠).

البشتاوي، عماد: العلاقات الأردنية الأمريكية ١٩٤٦-١٩٦٧ (إربد: حمادة للنشر، ٢٠٠٣).

التل، وصفي: فلسطين، دور العقل والخلق في معركة التحرير (بيروت: دار الأبحاث، ١٩٦٧).

__________: كتابات في القضايا العربية (عمان: دار اللواء، ١٩٨٠).

التونسي، محمد خليفة: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عبــاس محمــود العقاد (بيروت: دار الكتاب العربي، د ت).

الجبور، محمود: البعد الوطني في الأغنية الشعبية الأردنيــة ١٩٢١-٢٠٠٠ (إربــد: جامعــة اليرموك، ٢٠٠٨).

الجعفري، محمد حمدي: نوري السعيد وبريطانيا، إخفاق أم اتفاق (دمشق: الأوائل، ٢٠٠٥).

حاتم عبد القادر: الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب (بيروت مكتبة لبنان، ١٩٧٣)

ابن حالة، فؤاد: الحرب الإذاعية، ترجمة انشراح الشال (القاهرة: دار النيل، ١٩٨٨).

الحجلاوي، نور الدين بن الحبيب: تأثير الفكر الناصري على الخليج العربي ١٩٥٢-١٩٧١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية: ٢٠٠٣).

الحسني، عبد الرزاق: تاريخ الوزارات العراقية، ج ٩، ج١٠ (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨).

حسين، عبد الخالق: ثورة ١٤ تموز العراقية وعبد الكريم قاسم (دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣).

الحمداني، حامد: نوري السعيد رجل المهمات البريطانية الكبرى (د. م: د. ن، د.ت)

حمروش، أحمد: قصة ثورة ٢٣ يوليو، ج١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢).

حوامدة، ممدوح: وصفي التل بين الماضي والحاضر (عمان: د. ن، ١٩٧١).

الرشتي، جيهان: الإعلام الدولي (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦).

روجان، إيوجين: حرب فلسطين وإعادة كتابة التاريخ، ترجمة ناصر عفيفي (القاهرة: الكتاب الذهبي، روز اليوسف، ٢٠٠٤).

السعيد، عصمت: نوري السعيد رجل الدولة الإنسان (لندن: مبرة عصام السعيد، ١٩٩٢).

سكيلر، اندرو: جيفارا، ترجمة ماهر الكيالي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦).

شلايم، آفي: أسد الأردن "حياة الملك حسين في الحرب والسلام"، ترجمة سليمان عوض (عمان: مركز الكتب الأردني، ٢٠١١م).

ابن طلال، الحسين: ليس سهلاً أن تكون ملكاً، ترجمة هشام عبد الله (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩).

__________: مهنتي كملك، ترجمة غازي غزيل (عمان الدار العربيـــة للنـــشر والتوزيـــع، ١٩٨٧).

__________: مهنتي كملك (www.Joboo.k.k.jo).

العارف، عارف: نكبة فلسطين والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٥ (د م: دار الهدى، ١٩٥٦).

عبد الرحمن، أسعد: الناصرية، ثورة أم بيروقراطية ثورة (الكويت: منشورات جامعة الكويـــت، ١٩٧٧).

البيضاني، عبد الرحمن: أزمة الأمة العربية وثورة اليمن (القاهرة: المكتب المصري الحـــديث، ١٩٨٤).

العجلوني، صلاح: الصراع السياسي العربي وهزيمة حزيران ١٩٦٧، الموقف الأردنـــي مـــن الثورة اليمنية أنموذجاً (إربد: دار حمادة للنشر، ٢٠٠٢).

العدروسي، سيد علي: الجيش العربي الهاشمي ١٩٠٨-١٩٧٩، ترجمة عبد العزيـــز المعايطـــة (عمان: د. ن، ١٩٣٨).

الغوانمة، محمد: عبده موسى رائداً ومبدعاً (إربد: دار الكندي، ٢٠٠١).

فتحي، ممدوح أنيس: مصر من الثورة إلى النكسة (أبو ظبي: مركـــز الإمـــارات للدراســـات، ٢٠٠٣).

قواسمة، مؤيد: دليل المصطلحات الإلكترونية (عمان: مكتبة المجتمع العربي، ٢٠٠٨).

كوبلاند، مايلز: لعبة الأمم، ترجمة مروان خير (بيروت: مكتبة الزيتون، ١٩٧٠).

الماضي، منيب وسليمان الموسى: الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩ (عمـــان: مكتبـــة المحتسب، ١٩٥٩).

محافظة، علي: العلاقات الأردنية البريطانية منذ تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧ (بيروت: دار النهار، ١٩٧٣).

محافظة، محمد: العلاقات الأردنية الفلسطينية ١٩١٩-١٩٥١ (عمان: دار الفرقان، ١٩٨٣).

المحلاوي، حنفي: معارك أم كلثوم السياسية والفكرية والاجتماعية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩).

مخلوف، فريد: رحلاتي في البلاد العربية (بغداد: دار الروائع، ١٩٧٧).

الموسى، سليمان: إمارة شرق الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ١٩٢١-١٩٤١ (عمان: لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٠).

__________: تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٩-١٩٩٥ (عمان: مكتبة المحتسب، ١٩٩٠).

__________: أيام لا تنسى، الأردن في حرب ١٩٤٨ (عمان: د. ن، ١٩٩٧).

__________: أعلام من الأردن، ج١ (عمان: دار الشعب، ١٩٨٦).

ناتنج، أنتوني: ناصر، ترجمة شاكر سعيد (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣).

نسيبة، حازم: ذكريات مقدسية (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠١٠).

نصار، تركي: تاريخ الأعلام الأردني (عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٨).

نصر، صلاح: الحرب النفسية (د م: د. ن، ١٩٦٧).

نييف، دونالد: حرب السويس، كيف أدخل ايزنهاور أمريكا إلى الشرق الأوسط، ترجمة أحمد خضر وعبد السلام رضوان (القاهرة: مكتبة مدبولي، د ت).

هيكل، محمد حسنين: الانفجار (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤).

ـــــــــــــــــــ: ملفات السويس "حرب الثلاثين سنة" (القاهرة: ١٩٩٣، مركز الأهرام للترجمة والنشر).

الوادي، محمد خير:دليل أجهزة الإعلام في العالم (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٢)

وهبة، غبريال: دون كيشوت بين الوهم والحقيقة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩).

المذكرات:

إيدن، انتوني: مذكرات، ج٢، ترجمة خير حماد (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩).

بابان، أحمد مختار: مذكرات، إعداد وتقديم كمال مظهر (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩).

جونستون، تشارلز: الأردن على الحافة، ترجمة فهمي شما (عمان: وزارة الثقافة والإعلام، د ت).

رياض، محمود: مذكرات، ج٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧).

السادات، أنور: البحث عن الذات (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨).

ـــــــــــــــــــ: يا ولدي هذا عمك جمال(القاهرة:مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥)

السويدي، توفيق: مذكراتي، نصف قرن من الزمان من تاريخ العراق والقضية العربية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠).

شقير، عبد الرحمن: من قاسيون إلى ربة عمون، رحلة العمر (عمان: كتاب الأردن الجديد، ١٩٩١).

طلاس، مصطفى: مرآة حياتي، العقد الأول ١٩٤٨-١٩٥٨ (دمشق: دار طلاس، ١٩٩١).

العظم، خالد: مذكرات، ج٢، ج٣ (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٣).

علي، كمال حسن: مشاوير العمر (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤).

أبو غربية، بهجت: من النكبة حتى الانتفاضة ١٩٤٩–٢٠٠٠ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤).

كبة، محمد مهدي: مذكراتي (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥).

المجالي، هزاع: مذكراتي (عمان: د. ن، ١٩٦٠).

__________: مذكراتي (عمان:وزارة الثقافة، ٢٠٠٩)

مشتاق، طالب: أوراق أيامي، ج١، ١٩٠٠–١٩٥٨ (بغداد: الدار العربية للطباعة، ١٩٨٩).

نسيبة، حازم: ذكريات مقدسية (بيروت: دار رياض الريس، ٢٠١٠).

النشاشيبي، ناصر الدين: ملاعب الذكريات (لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١).

المراجع الأجنبية:

Anderson, Bettys: Nationalist Voices In Jordan, The Street And The State (Texas: University of Texas press, 2005).

Dann, Uriel: king Hussein And The Challenge of Arab Radicalism, Jordan 1955-1967 (New York: Oxford University press, 1989).

EL – Edroosi, Saeed, The Hashemite Arabs Aramy 1908-1979.

E.S, Kir Kbrids: Crackl of Thron (London: I. maivary,1956).

Fandy, Mamoun: Civil war of word "Media and politics In The Arab Word" (West port: Green wood Publishing, 2007).

Glubb, Jhon Bagot: Soldier with The Arabs (London: Glodder And Sloghton ltd, 1959).

James, Laura M.: Nasser At war (Hampshire: Macmillan, 2006).

Lunt, James: Hussein of Jordan (London: Macmillan, 1989).

Morris, James: The Hashemite kings (London: Faber and Faber, 1969).

Parker, Richard Bordeaux: the Sex Day war Retrospective (Florida: University press of Florida, 1996).

Satloff, Robert: from Abdullah To Hussein, Jordan In Transition (oxford University press, 1994).

12-Shwadran, Benjamin: Jordan Astate of Tension (New York: Bembo Typographers, 1959).

13-Smith, Bruce Lannes, Harold D. Lasswell, And Ralp D. Casesy: proganda communication And Public openion, A comprehensive Reference Guid, (Princetion: Princeton University press, 1946).

14-Susser, Asher: on Both Bank Of The Jordan, Apolitical Biography of Wasf, Al-Tall (Essex: Frankcasse 1994).

الرسائل الجامعية:

زيادة، عبد السلام: العلاقات الأردنية المصرية ١٩٤٦-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤).

الشلبي سهيلة: دور توفيق أبو الهدى في الحياة السياسية الأردنية ١٩٣٨-١٩٥٥، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٧).

عايش، أسامة: وصفي التل، إعادة قراءة، رسالة ماجستير غير منشورة (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٨).

العبد اللات، إرشيد: العلاقات الأردنية العراقية ١٩٤٦-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٣).

الغوانمة، نرمين: الأحزاب السياسية في إسرائيل ودور حزب العمل في الحياة السياسية ١٩٤٨-١٩٧٧، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٣).

المراشدة، أروى: أنطوان سعادة والحزب القومي السوري الاجتماعي ١٩٣٢-١٩٤٩، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠٢).

مسعود، قدري: عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ١٩١٨-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٨).

المشاقبة، ثروت: الحياة السياسية في الأردن ١٩٥٣-١٩٦٧، رسالة دكتوراه غير منشورة (إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠٨).

الموسوعات والمعاجم:

العربية والمعربة:

البيطار، فراس: الموسوعة السياسية والعسكرية، ج٣ (عمان: د ٢٠٠٣).

حجاب، محمد: الموسوعة الإعلامية، ج٣ (عمان: دار الفجر، ٢٠٠٣).

___________: المعجم الإعلامي (عمان: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)

الحنفي، عبد المنعم: الموسوعة النفسية، علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية (القاهرة؛ مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣).

حمادة، محمد عمر: موسوعة أعلام فلسطين، ج١ (دمشق: وزارة الإعلام، ١٩٩٨).

الصايغ، أنيس: الموسوعة الفلسطينية، ج٢، ج٤ (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤).

طلاس، مصطفى: المعجم العسكري الموسوعي، ج١ (دمشق: وزارة الدفاع، ١٩٨٧).

العطار؛ إبراهيم: الموسوعة الهاشمية في القرن العشرين، ج٢ (عمان: مديرية المطابع العسكرية، ١٩٩٥).

فرهود، كمال قاسم: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ج١ (حيفا: مكتبـــة كـــل شيء، ١٩٩٨)

الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، ج٥، ٤، ٣، ٢، ١ (بيـــروت: المؤســـسة العربيـــة للدراسات والنشر، ١٩٨١).

المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٢ (القـــاهرة: دار الـــشروق، ٢٠٠٥).

الموسوعة الحـــرة: (Wikipedia.org)، (ar.Wikipedia)، قـــاموس المعـــاني (www.almanny.com)، Mclean, Iain: Oxford Concies Dictionary of Politics (Oxford: Oxford University press, 1996).

الدوريات:

- الإذاعة الأردنية: مجلة هنا عمان، الدورات البرامجية ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣.
- بويد، دوغلاس أ: إذاعة الشرق الأدنى، صـــوت بريطانيـــا، محطـــة الإذاعـــة العربيـــة البريطانية "السرية" وكارثة دعاية السويس، مجلة حوليات القدس، ع ٥، رام الله: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٧.
- جرار، فاروق: قصة التلفزيون الأردني، القاهرة: النـــشرة الـــشهرية لإتحـــاد الإذاعـــات العربية، ع ٢٢، آب ١٩٧٠.
- الخالدي، وليد:خطة دالت مجـــدداً، مجلـــة الدراســـات الفلـــسطينية، ع ٩٦٤، د م، د ن، ٢٠١٣.
- الدسوقي، محمد كمال: ثورة رشيد عالي الكيلاني والقومية العربية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: د. ن، ١٩٧٠.

- ستانتول، أندريه: هنا القدس، ولادة الإذاعة الفلسطينية، مجلة حوليات القدس: ع ١٤، رام الله، مركز الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٣.
- سنو، عبد الرؤوف: الإسلام والدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى، بحوث تاريخية مهداة إلى خير إسماعيل، بيروت: د ن، د ت.
- شاهزادة، إبراهيم: مقابلة، مجلة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، عمـــان: مؤســـسة الإذاعـــة والتلفزيون، ٢٠١٤.
- الصالحي، حنان فاهم ميري: الدعاية الأجنبية في العراق خلال حركة ١٩٤١ في وثـــائق وزارة الداخلية، واسط: مجلة جامعة القادسية، د ع، جامعة القادسية، د. ت.
- عبد الكريم، إبراهيم: الفلسطينيون في الفكر الصهيوني، المجلة البحثية لقضايا اللاجئـــين، ع٤، عمان: مركز دراسات وأبحاث اللاجئين، ٢٠٠٧.
- قدسية، لبيب: حرب فلسطين ونشوء قضية اللاجئين، المجلة البحثية لقضايا اللاجئـــين، ع ٤، عمان: مركز دراسات وأبحاث اللاجئين، ٢٠٠٧.
- قنديل، حمدي: مشكلات الإذاعة الموجهة، نشرة إتحاد الإذاعات العربية، القاهرة :إتحـــاد الإذاعات العربية، ع٢٢، آب ١٩٧٠.

مقالات ودراسات أجنبية:

Anas Al Ahmad: Voice Of The Arabs Radio, its Effects And Political power During Nasser Era 1935-1967, paper presentation prepared for the Joint Journalism Historians Conference, Arthur L. Carter Journalism Institue, New York University, March, 2, Institue, New York University, March, 2, 2011, P.12.

Herf, Jeffery, Nazi Germany Propoganda Aimed Al Arabs and Muslims During world war II and Holocoust: old themes, New Archival Finding (www.ispag.org/usp-content1..1 paper hert.

James, Laura M, Article, Sawt Al-Arab Radio & Article, whose voice? Nasser the Arab and "Sawt Al Arab Radio" (www.tbsjournal.com/james.html).

الصحف:

الأهرام (مصرية)، بلادي (عراقية)، التآخي (عراقية)، الدفاع (أردنية)، الدستور(أردنية) الدستور (مصرية)، الرأي (أردنية)، الراية (قطرية)، السجل (أردنية أسبوعية)، الشروق (قطرية) الشرق الأوسط (سعودية)، الصباح (عراقية)، العرب اليوم (أردنية)، العرب اللندنية (سعودية) الغارديان (بريطانية) نفلسطين (أردنية)، القدس العربي (قطرية)

المواقع الالكترونية:

موقع أخبار بلادي (www.khbarbladi.com)

موقع مجلة الوعي العربي (elwa3yalarabi.org)

موقع المستقبل (almustaqbal.a.com)

موقع مصرنا (www.ouregypt.us)

موقع مغراس المغربي (www.maghress.com)

موقع ملتقى حضر موت (www.hdrmut.net)

موقع نقابة المعلمين (Jts.org.jo)

موقع النكبة (www.nakba.ps)

موقع الوعي العربي (elwaayalarabi.org)

موقع الوكيل الإخباري (www.alwakeelnews.com)

موقع أبو محجوب (www.majoub.com)

موقع أحرار العراق (www.ahraraliraq.com)

موقع الأردن (Jormuliblogspot.com)

الموقع الرسمي لمجلس الأعيان (www.senate.jo)

موقع تكتل نت (www.sahafi.jo.com)

موقع الحوار المتمدن (www.ahewar.org)

موقع دنيا الرأي (pulpit.alwatanvoice.com)

موقع الرأي نيوز (www.alrainews.com)

موقع سواليف (www.swaleef.com)

موقع سودانايل (www.sudannile.com)

موقع السينما (www.alcinema.com)

موقع صوت العراق (soutaliraq.com)

موقع صوت العرب (arabicvoice.com)

موقع صحفي جو (www.sahafi.jo)

موقع الطبي (www.altibi.com)

موقع عمون الالكتروني (www.ammonnews.com)

موقع الغاردينيا (www.algardenia.com)

موقع قبيلة المجالي (historymajali.weebly.com)

موقع كوانة (www.kwanakurd.com)

موقع مرايا نيوز (www.marayanews.com)

المدونات:

مدونة رجب البنا (www.ragabanna)

مدونة ياسر ثابت (yaser-best.blogspot.com)

مدونة البيت الآرامي (iraqiaramic hous. yoo7.com)

مدونة بيت نبالا (nabaly.net)

مدونة محمود مسعد (www.drmsad)

منتدى النواصرة (www.nawasreh.com)

المحطات التلفزيونية والإذاعية:

- قناة الجزيرة (www.aljazeera.net)
- قناة رؤيا (www.roya.tv)
- تلفزيون الشرق الأوسط (mtvcomlb/news)
- التلفزيون الفلسطيني (www.pbc.ps/)
- القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية (www.bbc.co.uk/arabic/tvandradio)

المقابلات الشخصية:

١. أبو زيد، صلاح: مذيع، ومدير إذاعة، ووزير إعلام أسبق.

٢. إنشاصي، نبيل، مقابلة عبر الهاتف.

٣. جعرون، عبد الفتاح محمود: مقدم سابق، منظمة التحرير الفلسطينية.

٤. الخطيب، محمد: مذيع سابق في صوت العرب، ووزير إعلام أردني أسب.

٥. الشطناوي، رائد: مستشار أمراض وجراحة العيون، مقابلة عبر الهاتف.

٦. الطوالبة، نبيل: أستاذ جامعي.

٧. العطيوي، رفيق: جندي سابق في سلاح اللاسلكي الملكي

٨. موسى، فتحي عبده، ابن الفنان عبدو موسى.

٩. المومني، يوسف سليمان: جندي متقاعد.

١٠. اليعقوب، محمد: أستاذ جامعي.

ABSTRACT

Al-Ajlouni, Salah Abdullah (2015), (The Political Crisis Bet Jordan and Egypt During (1952-1961), According to Arab Voice and Jordan Broadcast Historical and Documentary study, Ph. D. Thesis, Supervisor Dr. Ahmad Aljawarneh)

This documentary and historical study investigates “The Political Crisis Bet Jordan and Egypt During (1952-1961): Sawt ALArab Broadcast Versus Jordanian Broadcast as models.

This study includes Fourth Chapters; the first chapter sheds light on the factors and circumstances that led to establishing Sawt Al Arab, and in turn its impact on the course of events in the Jordanian arena especially on the course of events in the year 1955, and steering the public in a direction opposed to that of the Jordanian regime. The study also highlights the steps undertaken by the regime in order to face the impact that Sawt Al Arab had on the public opinion along with the developments that took place during 1956, which led to improving the bilateral relations, and consequently, the abetment of the campaigns.

The Second chapter addresses the internal Jordanian situation in the year 1957 and the renewal of the propaganda campaigns following the dismissal of the Nabulsi government in the wake of the so-called Alzarqa coup attempt and the climate it had produced, which made the propaganda campaign between Cairo and Amman even worse, especially in 1957, the year in which Israel set up its military scheme to principally break up the Arab military front by reproducing the Arab propaganda campaigns in Israeli radio station to further Arab division following the Arab failure to contain the dispute between the two parties.

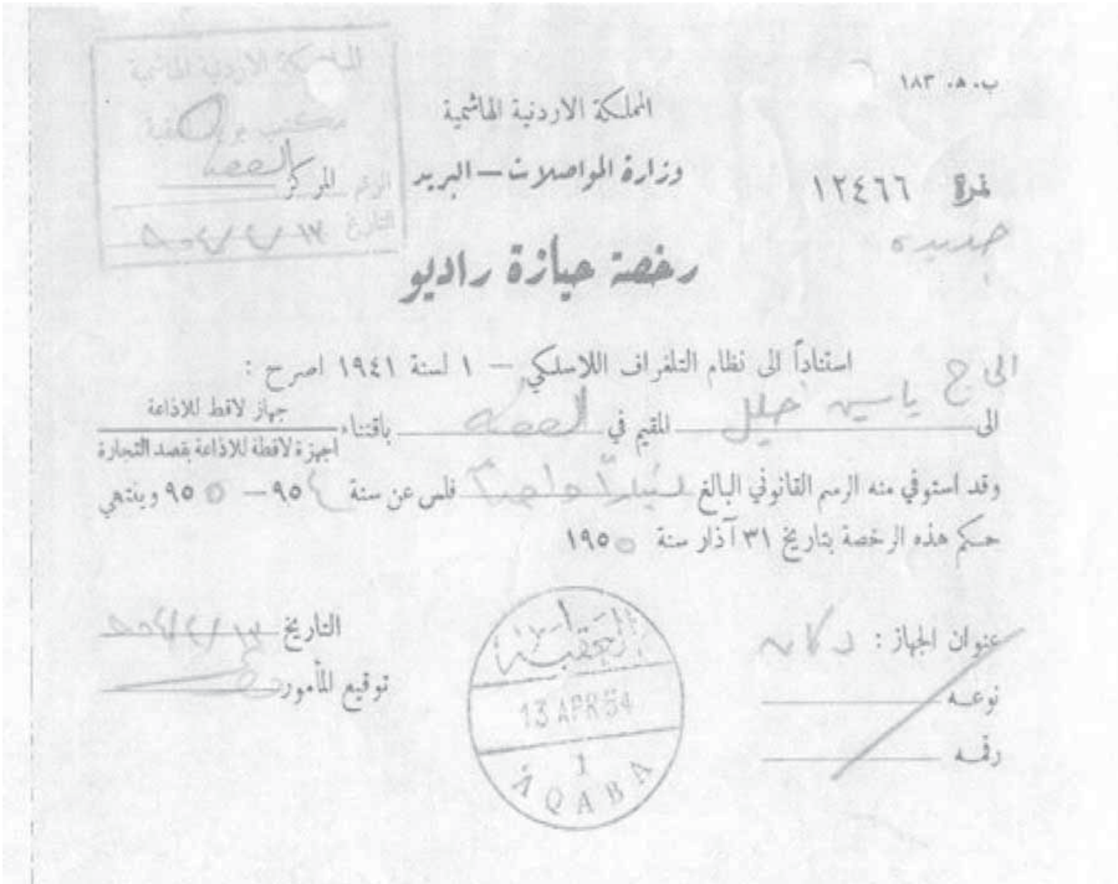
The Third chapter addresses the propaganda campaigns following the Syrian-Egyptian unity and Jordanian-Iraqi Union in 1958, which led to the

collapse of the Arab union causing Jordan to be in the midst of an intense climate of counter-propagandas; the J.A.M. broadcasts, both Egyptian and Syrian, in addition to Baghdad broadcast, which finally led to strengthening its commercial potential by establishing a new radio station in 1959.

The Fourth chapter explores media campaigns between the Jordanian broadcast and its counterparts in J.A.M, and the attempts of each party to gain the public opinion, which led finally to the assassination of Hazza' Al-Majali in 1960. This event increased media harangues and finally peaked by the Syrian-Egyptian break-up of unity which Jordan had keenly supported through its media outlets given the fact that such a breakup was actually a relief for the Jordanian regime. The study ended with a number of conclusions.

الملاحق

ملحق رقم (١) أنموذج لرخصة حيازة راديو



ب. ه. ١٨٣

المملكة الاردنية الهاشمية

وزارة المواصلات — البريد

نمرة ١٢٤٦٦

رخصة حيازة راديو

استناداً الى نظام التلغراف اللاسلكي — ١ لسنة ١٩٤١ اصرح :

الى ________ المقيم في ________ باقتناء جهاز لاقط للاذاعة / اجهزة لاقطة للاذاعة بقصد التجارة

وقد استوفي منه الرسم القانوني البالغ ________ فلس عن سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ وينتهي حكم هذه الرخصة بتاريخ ٣١ آذار سنة ١٩٥٥

عنوان الجهاز :

نوعه ________

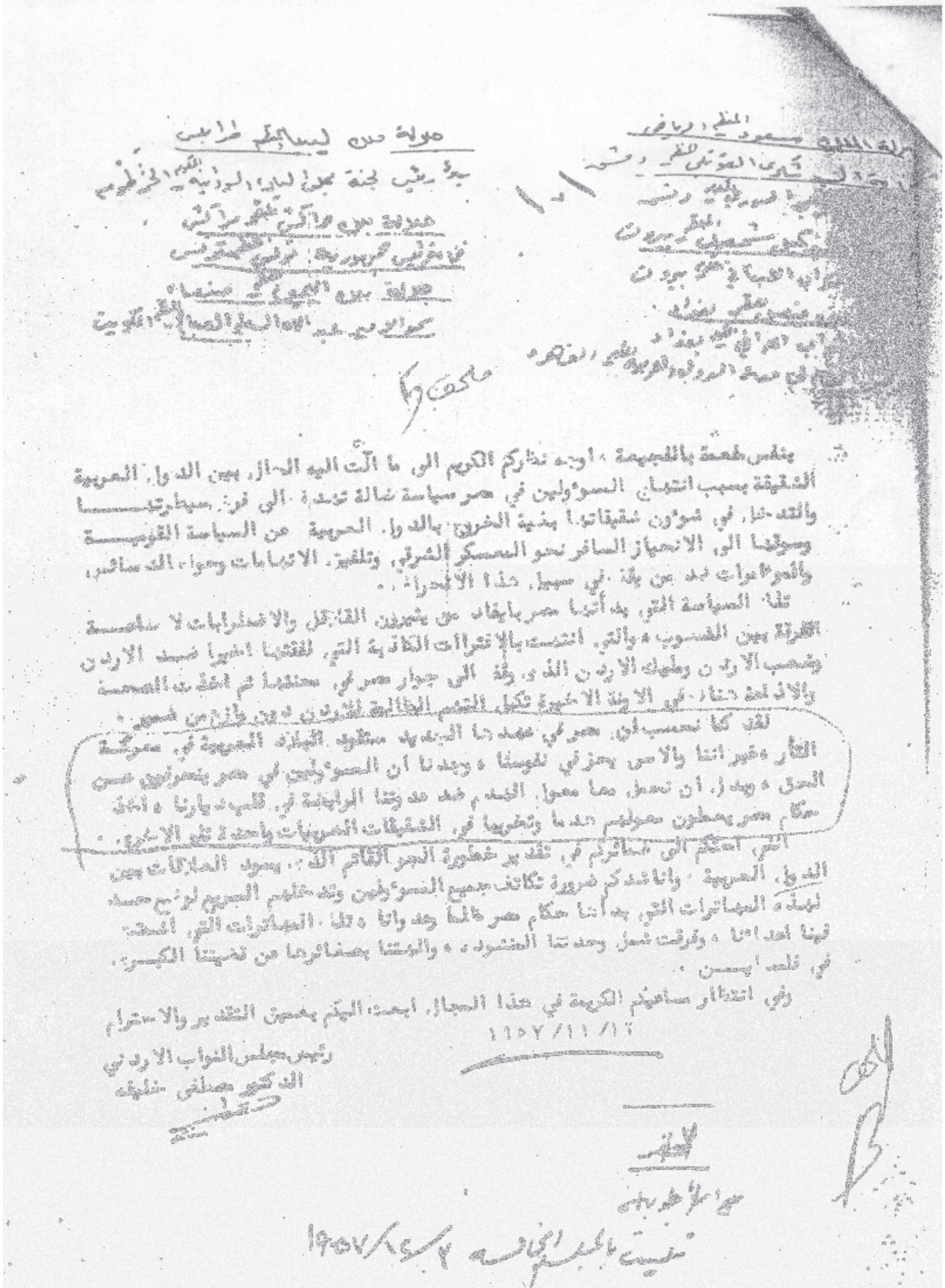
رقمه ________

التاريخ ________

توقيع المأمور ________

المصدر : (www.google.com)

ملحق رقم (٢) بيان لمجلس النواب الأردني بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٣



ملحق ٢

بنفس طافحة بالغبطة ، أوجه نظركم الكريم الى ما آلت اليه الحال بين الدول العربية الشقيقة بسبب انتهاج المسؤولين في مصر سياسة ضالة تهدف الى فرض سيطرتها والتدخل في شؤون شقيقاتها بغية الخروج بالدول العربية عن السياسة القومية وسوقها الى الانحياز السافر نحو المعسكر الشرقي، وتلقين الاتجاهات [illegible] والمؤامرات [illegible] في سبيل هذا الانحدار .

تلك السياسة التي بدأتها مصر بايجاد [illegible] القلاقل والاضطرابات [illegible] بين الشعوب ، والتي انتهت بالاعتداءات [illegible] التي [illegible] اخيرا ضد الاردن وشعب الاردن ومليك الاردن الذي وقف الى جوار مصر [illegible] والان [illegible] في الاونة الاخيرة تكيل التهم الباطلة [illegible]

لقد كنا نحسب ان مصر [illegible] الاستعمار [illegible] العربية في معركة الثأر [illegible] ووجدنا ان المسؤولين في مصر [illegible] الحق [illegible] حكام مصر [illegible] في الشقيقات العربيات واحدة تلو الاخرى .

[illegible] في تقدير خطورة [illegible] العلاقات بين الدول العربية . وانا [illegible] ضرورة تكاتف جميع المسؤولين [illegible] لهذه المهاترات التي بدأها حكام مصر [illegible] المهاترات التي [illegible] والهتنا [illegible] عن قضيتنا الكبرى في فلسطين .

وفي انتظار مساعيكم الكريمة في هذا المجال ، ابعث اليكم بعميق التقدير والاحترام

١٩٥٧/١١/١٦

رئيس مجلس النواب الاردني
الدكتور مصطفى خليفه

١٩٥٧/١٢/٣

المصدر: محاضر اجتماعات مجلس النواب الأردني لعام ١٩٥٧

ملحق رقم (٣) بيان لمجلس النواب الأردني بتاريخ ١٩٥٧/١٢/١٠

المملكة الأردنية الهاشمية

مجلس النواب

الرقم [illegible]

التاريخ [illegible] ١٩٥٧

دولة رئيس الوزراء الأفخم

قرر مجلس النواب في جلسته المنعقدة بتاريخ ٣/١٢/١٩٥٧ ابداء اسفه الشديد للحملات الظالمة الضالة التي تحملها اذاعات بعض الدول العربية علينا وأن المجلس وهو يبدي اسفه هذا يرغب في أن نحتفظ بالصبر وأن ندفع بالتي هي احسن وذلك بعدم الاجابة على الاساءات التي توجه الينا من قبل بعض الاذاعات العربية لعل المسؤولين عنهم يلاقون حسن النية ويعطي دليلا على حفاظنا وحرصنا على الوحدة العربية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

رئيس مجلس النواب

ع.ق

المصدر: محاضر اجتماعات مجلس النواب الأردني لعام ١٩٥٧